

العقود الدررية

من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية

تأليف

أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرزاق

الدمشقي الصالح

٧٠٥ - ٧٤٤ هـ

دراسة وتحقيق

أبي مصعب

طلعت بن فؤاد الجلواني

يرتفع لأول مرة محققاً تحقيقاً علمياً

على نسختين فطيتين

التأثير

الفاوق الخليلي للطباعة والنشر

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

لا يجوز نشر أى جزء من هذا الكتاب أو إعادة
طبعه أو تصويره أو اختزان مادته العلمية
بأى صورة دون موافقة كتابية من الناشر .

الناشر : **إِذَا وَقَّعَ الْمُنْكَرُ عَلَى الْبَيْتِ وَالنَّشْرُ**

خلف ٦٠ ش راتب باشا - حدائق شبرا

ت : ٤٣٠٧٥٢٦ - ٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة

اسم الكتاب : العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية

تأليف : أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد
الهادي الدمشقي الصالحي

دراسة وتحقيق : ابي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني

رقم الإيداع : ٢٠٠١ / ١٣٢٦٦

الترقيم الدولي : 977-5704-62-6

الطبعة : الأولى

سنة النشر : ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

طباعة : **إِذَا وَقَّعَ الْمُنْكَرُ عَلَى الْبَيْتِ وَالنَّشْرُ**

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

حسبى الله ونعم الوكيل

قال الشيخ الإمام الحافظ المحقق أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي رحمه الله ورضي عنه وأثابه الجنة بفضلته ورحمته وإيانا وسائر المسلمين . الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستهديه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم - تسليماً كثيراً .

أما بعد : فهذه نبذة يسيرة مختصرة في ذكر حال سيدنا وشيخنا ، شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية - رحمه الله ورضي عنه ، وأثابه^(١) الجنة برحمته ، وذكر بعض مناقبه وبعض مصنفاته - .

هو الشيخ الإمام الرباني ، إمام الأئمة ، ومفتي الأمة ، وبحر العلوم ، سيد الحفاظ ، وفارس المعاني والألفاظ ، فريد العصر ، وقريع الدهر ، شيخ الإسلام ، بركة الأنام وعلامة الزمان وترجمان القرآن ، علّم الزهاد ، وأوحد العبّاد ، قامع المبتدعين ، وآخر المجتهدين تقي الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحلیم بن الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن أبي محمد عبدالله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبدالله بن تيمية الحراني ، نزيل دمشق وصاحب التصانيف التي لم يسبق إلى مثلها^(٢) .

(١) في «س» : وأدخله .

(٢) نقل هذا النص ابن ناصر الدين في الرد الوافر ص ٦٣-٦٤ ، عن ابن عبد الهادي ، وزاد : «ولا يلحق في شكلها توحيداً أو تفسيراً ، وإخلاصاً وفقهاً ، وحديثاً ولغة ونحواً ، وبجميع العلوم كتبه طائفة بذلك .

قيل: إن جده محمد بن الخضر حجَّ على درب تيماء ، فرأى هناك طفلة،
فلما رجع وجد امرأته قد ولدت له بنتاً فقال: يا تيمية ، يا تيمية ، فلقب بذلك .
قال ابن النجار : ذكر لنا أن جده محمداً كانت أمه تسمى تيمية ، وكانت
واعظة ، فنسب إليها وعرف بها .

ولد شيخنا أبو العباس بحران ، يوم الإثنين عاشر - وقيل ثاني عشر -
ربيع الأول سنة ٦٦١هـ ، إحدى وستين وستمائة ، وسافر والده به وبإخوته إلى
الشام عند جور التتار ، فساروا بالليل ومعهم الكتب على عجلة ، لعدم
الدواب ، فكاد العدو يلحقهم ، ووقفت العجلة ، فابتهلوا إلى الله واستغاثوا به
فنجوا وسلموا .

وقدموا دمشق في أثناء سنة سبع وستين وستمائة ، فسمعوا من الشيخ زين
الدين أحمد بن عبدالدائم بن نعمة المقدسي^(١) جزء ابن عرفة [ذلك]^(٢) ثم سمع
شيخنا الكثير من ابن أبي اليُسْر^(٣) والكمال بن عبد^(٤) ، والمجد بن

(١) هو أحمد بن عبد الدائم بن نعمة مسند الشام ، زين الدين أبو العباس المقدسي الحنبلي ، الفقيه
المحدث الناسخ . ولد سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، كان فيه دين وتواضع ونباهة ، روى الحديث
بضعاً وخمسين سنة ، وانتهى إليه علو الإسناد ، وقرأ بنفسه ، وكتب بخطه السريع المليح ما لا يدخل
تحت الحصر . توفي في تاسع رجب سنة ثمان وستين وستمائة . [العبر (٣/٣١٧-٣١٨) بتصرف ،
وانظر لترجمته : تذكرة الحفاظ ص ١٤٩٦ ، وذيل طبقات الحنابلة (٢/٢٧٨-٢٨٠) ، والدرر الكامنة
(١/١٤٤) وغيرهم].

(٢) في «المطبوع» : كله .

(٣) هو أبو محمد تقي الدين إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليُسْر شاعر بن عبد الله التنوخي
الدمشقي الكاتب المنشئ ، ولد سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، وروى الكثير عن الخشوعي فمن
بعده ، وتوفي في السادس والعشرين من صفر سنة اثنتين وسبعين وستمائة ، وله شعر جيد وبلاغة ،
وفيه خير وعدالة . [العبر (٣/٣٢٥) - بتصرف ، وانظر لترجمته : تذكرة الحفاظ ص ١٤٩٠ ،
والبداية والنهاية (١٣/٢٦٧) والوافي بالوفيات (٩/٧١) وغيرهم].

(٤) هو أبو نصر عبد العزيز بن عبد المنعم بن الفقيه أبي البركات الخضر بن شبل الحارثي =

عساكر^(١)، وأصحاب الخشوعي ، ومن الجمال يحيى بن الصيرفي^(٢) ، وأحمد بن أبي الخير^(٣) والقاسم الإربلي^(٤) ، والشيخ فخر الدين بن البخاري^(٥) ،

= الدمشقي ، المسند الثقة ، ولد سنة تسع وثمانين وخمسائة ، وتوفي في ثاني شعبان سنة اثنتين وسبعين وستمائة . [العبر (٣/٣٢٥-٣٢٦) - بتصرف ، وانظر النجوم الزاهرة (٧/٢٤٤) ، وشذرات الذهب (٥/٣٣٨) .

(١) هو مجد الدين أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن عثمان بن مظفر بن هبة الله بن عساكر الدمشقي ، ولد عام ٥٨٧هـ ، وتوفي في ذي القعدة سنة ٦٩٩ هـ . [انظر الوافي بالوفيات (٢/٢٦٩) .

(٢) هو شيخ الخنابلة الإمام العالم المفتي المسند الزاهد المعمر جمال الدين أبو زكريا يحيى بن أبي منصور بن أبي الفتح بن رافع بن علي الحراني الحنبلي ، ولد ٥٨٣ هـ وتوفي ٦٧٨ هـ ، وكان إماماً عالماً متقناً صاحب عبادة وتهجد وصفات حميدة . [انظر لترجمته : معجم الشيوخ للذهبي برقم (٩٧٠) ، والعبر (٥/٣٢١، ٣٢٢) ، وتذكرة الحفاظ ص (١٤٩٦) ، وغيرهم] .

(٣) هو الإمام المقرئ المعمر المسند زين الدين أبو العباس أحمد بن أبي الخير سلامة بن إبراهيم ابن معروف الحداد ، ثم الخياط المنادي الحنبلي الدمشقي . قال الذهبي : ولد في سنة ٥٨٩ هـ ، وكان أبوه إماماً حلقة الخنابلة ، فمات صغير ، سمع سنة ٦٠٠ هـ من الكندي ، وهو آخر من روى عن عبد الغني المقدسي بالإجازة . [انظر لترجمته : معجم الشيوخ للذهبي برقم (٢٣) ، وتذكرة الحفاظ ص ١٤٩٦ ، والعبر (٣/٣٣٨ علمية) وغيرهم] .

(٤) هو القاسم بن أبي بكر بن قاسم بن عمر ، العدل الأمين أبو محمد الإربلي ، ولد في حدود سنة ٥٩٥ هـ ، وتوفي في جمادى الأولى سنة ٦٨٠ هـ . وله خمس وثمانون سنة . رحل مع أبيه وله بضع عشرة سنة فأسمعه صحيح مسلم سنة ٦١٠ هـ من المؤيد الطوسي ، سمع منه شيخ الإسلام عام ٦٧٧ هـ صحيح مسلم ، وسمع منه أيضاً المزي والبرزالي وغيرهم . [معجم شيوخ الذهبي برقم (٦٣٤) ، والعبر (٣/٣٤٤) ، والدرر الكامنة (١/١٤٤) وغيرهم] .

(٥) هو مسند الدنيا فخر الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي الصالحي الحنبلي . كان فقيهاً ، عالماً ، أديباً ، فاضلاً ، كامل العقل متين الورع ، مكرمًا للمحدثين . روى شيئاً كثيراً وألحق الأحفاد بالأجداد ، ونزل الناس بموته درجة ، وهو آخر من كان في الدنيا بينه وبين النبي ﷺ ثمانية رجال ثقات . ولد سنة ٥٩٥ هـ ، وتوفي سنة ٦٩٠ هـ . [معجم شيوخ الذهبي برقم (٥١٢) ، والعبر (٣/٣٧٣) ، والبداية والنهاية (١٣/٣٢٤) وغيرهم] .

والكمال عبد الرحيم^(١) وأبي القاسم بن علان^(٢) ، وأحمد بن شيبان^(٣) ،
وخلق كثير .

وشيوخه الذين سمع منهم أكثر من مائتي شيخ .

وسمع مسند الإمام أحمد بن حنبل مرات . وسمع الكتب الستة الكبار
والأجزاء ، ومن مسموعاته معجم الطبراني الكبير .

وعني بالحديث وقرأ ونسخ ، وتعلم الخط والحساب في المكتب ، وحفظ
القرآن وأقبل على الفقه ، وقرأ العربية على ابن عبد القوي ، ثم فهمها وأخذ
يتأكل كتب سيويه حتى فهم في النحو ، وأقبل على التفسير إقبالا كلياً ، حتى
حاز فيه قصب السبق ، وأحكم أصول الفقه ، وغير ذلك .

هذا كله وهو بعد ابن بضع عشرة سنة ، فانبهر أهل دمشق من فرط
ذكائه ، وسيلان ذهنه ، وقوة حافظته ، وسرعة إدراكه .

واتفق أن بعض مشايخ العلماء بحلب قدم إلى دمشق وقال : سمعت في

البلاد/ بصبي يقال له : أحمد بن تيمية ، وأنه سريع الحفظ ، وقد جئت قاصداً [ق/٢]
لعلِّي أراه ، فقال له خياط : هذه طريق كتّابه وهو إلى الآن ما جاء فاقعد عندنا ،

(١) لعله عبد الرحيم بن عبد المحسن بن حسن بن ضرغام الكناني المصري الحنبلي المناوي
كمال الدين ، ولد سنة ٦٢٧ هـ ، وتوفي سنة ٧٢٠ هـ وله ثلاث وتسعون سنة .
[انظر ترجمته في معجم شيوخ الذهبي برقم (٤٣٩) ، وذيل العبر للذهبي ص ١١٣ ، والدرر
الكامنة (٣٥٧/٢) وغيرهم .

(٢) هو المسلم بن محمد بن المسلم ، ابن علان ، وكنيته : أبو الغنائم ، لا أبو القاسم . ولد
سنة ٥٩٤ هـ وتوفي سنة ٦٨٠ هـ . [انظر ترجمته في معجم شيوخ الذهبي برقم (٩١٨) ، والعبر
(٣٤٦/٣) ، والمعين (٢١٧) ، والبداية والنهاية (٢٩٩/١٣) ، وغيرهم .]

(٣) هو أحمد بن شيبان بن تغلب المسند المعمر بدر الدين أبو العباس الشيباني الصالحي العطار
ثم الخياط ، راوي مسند الإمام أحمد ، ولد سنة ٥٩٧ هـ ، وقيل : ٥٩٨ هـ ، وتوفي سنة ٦٨٥
هـ وله تسع وثمانون سنة . [انظر ترجمته في الوافي بالوفيات (٤١٧/٦) برقم (٢٩٣٥) ،
وشذرات الذهب (٣٩٠/٥) ، والدليل الشافي ص ٤٩ برقم (١٦٥) وغيرهم .]

الساعة يجيء يعبر علينا ذاهباً إلى الكُتَّاب ، فجلس الشيخ الحلبي قليلاً ، فمر صبيان ، فقال الخياط للحلبي : هذاك الصبي الذي معه اللوح الكبير هو أحمد بن تيمية ، فناداه الشيخ فجاء إليه ، فتناول الشيخ اللوح فنظر فيه ثم قال : يا ولدي امسح هذا حتى أملي عليك شيئاً تكتبه ، ففعل ، فأملى عليه من متون الأحاديث أحد عشر ، أو ثلاثة عشر حديثاً ، وقال له : اقرأ هذا فلم يزد على أن تأمله مرة بعد كتابته إياه ، ثم دفعه إليه ، وقال : أسمعك عليّ ، فقرأه عليه عرضاً كأحسن ما أنت سامع ، فقال له : يا ولدي امسح هذا ، ففعل ، فأملى عليه عدة أسانيد انتخبها ، ثم قال : اقرأ هذا ، فنظر فيه ، كما فعل أول مرة ، فقام الشيخ وهو يقول : إن عاش هذا الصبي ليكون له شأن عظيم فإن هذا لم ير مثله ، أو كما قال^(١) .

وقال الحافظ الذهبي أبو عبد الله الذهبي : نشأ يعني الشيخ تقي الدين -

رحمه الله - في تصون تام ، وعفاف وتأله وتعبد ، واقتصاد في الملبس والمأكل (١) أورد ابن ناصر الدين قول أبي المظفر السمرري في المجلس السابع والستين من «أماليه» في الذكر والحفظ : ومن عجائب ما وقع في الحفظ في أهل زماننا شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية ، فإنه كان يمر بالكتاب فيطالعه مرة فينتقش في ذهنه فيذاكر به وينقله في مصنفاته بلفظه ومعناه . ومن أعجب ما سمعته عنه ما حدثني به بعض أصحابه : أنه لما كان صبيّاً في بداية أمره أراد والده أن يخرج بأولاده يوماً إلى البستان على سبيل التنزه ، فقال له : يا أحمد تخرج مع إخوتك تستريح ، فاعتلّ عليه ، فألح عليه والده ، فامتنع أشد الامتناع ، فقال : أشتهي أن تعفيني من الخروج ، فتركه وخرج بإخوته ، فظلوا يومهم في البستان ، ورجعوا آخر النهار ، فقال : يا أحمد أوحشت إخوتك اليوم ، وتكدر عليهم بسبب غيبتك عنهم فما هذا ؟

فقال : يا سيدي ! إنني اليوم حفظت هذا الكتاب ، لكتاب معه ، فقال : حفظته !! كالمنكر المتعجب من قوله .

فقال له : استعرضه عليّ ، فاستعرضه ، فإذا به قد حفظه جميعه ، فأخذه وقبّله بين عينيه ، وقال : يا بني لا تخبر أحداً بما قد فعلت ، خوفاً عليه من العين ، أو كما قال .

[الرد الوافر ص ٢١٨-٢١٩].

وكان يحضر المدارس والمحافل في صغره ، ويناظر ويفحّم الكبار ، ويأتي بما يتحير منه أعيان البلد في العلم . فأفتى وله تسع عشرة سنة ؛ بل أقل وشرع في الجمع والتأليف من ذلك الوقت ، وأكبَّ على الاشتغال ، ومات والده - وكان من كبار الحنابلة وأئمتهم - فدرّس بعده بوظائفه ، وله إحدى وعشرون سنة ، واشتهر أمره ، وبعُدَ صيته في العالم ، وأخذ في تفسير الكتاب العزيز في الجُمع على كرسي من حفظه ، فكان يورد المجلس ولا [يتلعم] ^(١) ، وكذا كان الدرس بتؤدة وصوت جهوري فصيح .

وقال بعض قدماء أصحاب شيخنا - وقد ذكر نبذة من سيرته - :

أما مبدأ أمره ونشأته ، فقد نشأ من حين نشأ في حجور العلماء ، راشقاً كؤوس الفهم راتعاً في رياض التفقه ودوحات الكتب الجامعة لكل فن من الفنون ، لا يلوي إلى غير المطالعة والاشتغال والأخذ بمعالي الأمور ، خصوصاً علم الكتاب العزيز والسنة النبوية ولوازمها ، ولم يزل على ذلك خلفاً صالحاً سلفياً متألهاً عن الدنيا صيناً تقياً ، براً بأمه ، ورعاً عفيفاً ، عابداً ناسكاً ، صواماً قواماً ، ذاكراً لله تعالى في كل أمر وعلى كل حال ، رجّاعاً إلى الله تعالى في سائر الأحوال والقضايا ، وقافاً عند حدود الله تعالى وأوامره ونواهيهِ ، أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر بالمعروف ، لا تكاد نفسه تشيع من العلم ، فلا تروى من المطالعة ولا تمل من الاشتغال ، ولا تكلُّ من البحث ، وقلّ أن يدخل في علم من العلوم من باب من أبوابه إلا ويُفتح له من ذلك الباب أبواب ، ويستدرك مستدركات في ذلك العلم على حُذّاق أهله . مقصوده بالكتاب والسنة ، ولقد سمعته في مبادئ أمره يقول: إنه ليقف خاطري في المسألة أو الشيء أو الحالة التي تشكل عليّ فأستغفر الله تعالى ألف مرة أو أكثر أو أقل ، حتى ينشرح الصدر وينحل إشكال ما أشكل ، قال: وأكون إذ ذاك، في السوق أو المسجد أو

(١) في «الأصل» : يتلعم ، وهو خطأ من الناسخ .

الدرب أو المدرسة، لا يعني ذلك من الذكر والاستغفار إلى أن أنال مطلوبي .

قال هذا الصحاب : ولقد كنت في تلك المدة وأول النشأة إذا اجتمعت به في ختمة أو مجلس ذكر خاص مع أحد المشايخ المذكورين ، وتذاكروا، وتكلم مع حداثة سنه أجد لكلامه صولة على القلوب .

[ق/٣] / وتأثيراً في النفوس ، وهيبة مقبولة ، ونفعاً يظهر أثره وتتفعل له النفوس التي سمعته أياماً كثيرة بعقبه ، حتى كان مقاله بلسان حاله ، وحاله ظاهر في مقاله ، شهدت ذلك منه غير مرة .

قلت: ثم لم يبرح شيخنا - رحمه الله - في ازدياد من العلوم وملازمة الاشتغال والإشغال ، وبث العلم ونشره ، والاجتهاد في سبيل الخير ، حتى انتهت إليه الإمامة في العلم والعمل ، والزهد والورع ، والشجاعة والكرم والتواضع والحلم [والإنابة]^(١) والجلالة والمهابة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسائر أنواع الجهاد ، مع الصدق والعفة والصيانة ، وحسن القصد والإخلاص ، والابتغال إلى الله وكثرة الخوف منه، وكثرة المراقبة له وشدة التمسك بالأثر ، والدعاء إلى الله وحسن الأخلاق ، ونفع الخلق والإحسان إليهم والصبر على من آذاه ، والصفح عنه والدعاء له ، وسائر أنواع الخير .

وكان رحمه الله سيقاً مسلولاً على المخالفين، وشجياً في حلق أهل الأهواء المتبذعين، وإماماً قائماً ببيان الحق ونصرة الدين، وكان بحراً لا تكدره الدلاء، وحبراً يقتدي به الأخيار الألباء، طنّت بذكره الأمصار، وضنّت بمثله الأعصار.

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج : ما رأيت مثله ، ولا رأى هو مثل نفسه، وما رأيت أحداً أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ، ولا أتبع لهما منه .

وقال العلامة كمال الدين بن الزمكاني : كان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن ، وحكم أن أحداً لا يعرفه مثله .

(١) كتب على هامش الاصل لعله : الأناة .

وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك، ولا يُعَرَّفُ أنه ناظر أحدًا فانقطع معه - ولا تكلم في علم من العلوم - سواء أكان من علوم الشرع أو غيرها - إلا فاق فيه أهله والمنسوبين إليه. وكانت له اليد الطولى في حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين^(١).

ووقعت مسألة فرعية في قسمة جرى فيها اختلاف بين المفتين في العصر. فكتب فيها مجلدة كبيرة. وكذلك وقعت مسألة في حد من الحدود، فكتب فيها مجلدة كبيرة ولم يخرج في كل واحدة عن المسألة، ولا طول بتخليط الكلام والدخول في شيء والخروج في شيء وأتى في كل واحدة بما لم يكن يجري في الأوهام والخواطر، واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها.

وقرأت بخط الشيخ كمال الدين أيضًا، على كتاب «بيان الدليل على بطلان التحليل» لشيخنا - وقد ذكر ترجمته - فقال: من مصنفات سيدنا وشيخنا وقدوتنا الشيخ السيد الإمام العالم العلامة، الأوحد البارع، الحافظ الزاهد الورع، القدوة الكامل العارف، تقي الدين: شيخ الإسلام ومفتي الأنام، سيد العلماء قدوة الأئمة الفضلاء، ناصر السنة قاصم البدعة حجة الله على العباد، رادُّ أهل الزيغ والعناد، أوحد العلماء العاملين، آخر المجتهدين أبي العباس: أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني. حفظ الله على المسلمين طول حياته، وأعاد عليهم من بركاته، إنه على كل شيء قدير^(٢).

وقرأت أيضًا بخطه - على كتاب «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» - تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة الأوحد الحافظ المجتهد الزاهد العابد القدوة، إمام الأئمة، قدوة الأمة، علامة العلماء، وارث الأنبياء، آخر المجتهدين أوحد علماء

(١) نقل هذا النص ابن ناصر الدين في الرد الوافر ص ١٠٥ . (٢) الرد الوافر ص ١٠٤ .

الدين، بركة الإسلام، حجة الأعلام، برهان المتكلمين، قانع المستدعين،
محيي السنة، ومن عظمت به الله علينا المنة، وقامت به على أعدائه الحجة
واستبانة ببركته وهدية المحجة، تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحلیم بن
عبد السلام بن تيمية الحراني، أعلى الله مناره وشيّد به من الدين أركانه:

ماذا يقول الواصفون له وصفاته جلّت عن الحصر

هو حجة لله قاهرة هو بيننا أعجوبة الدهر

هو آية للخلق ظاهرة أنوارها أُرِيت على الفجر^(١)

وقرأت على آخر هذا الكتاب طبقة بخط الذهبي، يقول فيها: سمع جميع
هذا الكتاب على مؤلفه شيخنا الإمام العالم العلامة الأوحّد شيخ الإسلام،
مفتي الفرق قدوة الأمة أعجوبة الزمان بحر العلوم، حبر القرآن، تقي الدين سيد
العباد: أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية الحراني - رضي الله عنه - .

وقال الشيخ الحافظ فتح الدين أبو الفتح بن سيد الناس اليعمري المصري،
بعد أن ذكر ترجمة شيخنا الحافظ جمال الدين أبي الحجاج المزني: وهو الذي
حداني على رؤية الشيخ الإمام شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن
عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية، فالفسته ممن أدرك من العلوم حظًا، وكاد
[أن]^(٢) يستوعب السنن والآثار حفظًا، إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته، أو
أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه وذو
روايته، أو حاضر بالتحل والمثل لم تر أوسع من نحلته في ذلك ولا أرفع من
درايته، برز في كل فن على أبناء جنسه، ولم تر عين من رآه مثله، ولا رأت
عينه مثل نفسه، كان يتكلم في التفسير فيحضر مجلسه الجم الغفير، ويردون
من بحله علمه العذب النмир ويرتعون من ربيع فضله في روضة وغدير، إلى أن

(١) الرد الوافر ص ١٠٤-١٠٥ .

(٢) من الرد الوافر لابن ناصر الدين ص ٥٧ .

دبَّ إليه من أهل بلده داء الحسد، وأكب أهل النظر منهم على ما ينتقد عليه [في] (١) حنيلته من أمور المعتقد فحفظوا عنه في ذلك كلاماً ، أوسعوه بسببه ملاماً ، وفوقوا لتبديعه سهاماً ، وزعموا أنه خالف طريقهم ، وفرق فريقهم ، فنازعهم ونازعه ، وقاطع بعضهم وقاطعوه .

ثم نازع طائفة أخرى يتسبون من الفقر إلى طريقة، ويزعمون أنهم على أدق باطن منها وأجلى حقيقة، فكشف تلك الطرائق وذكر لها - على ما زعم - بواطن .

فأضت (٢) إلى الطائفة الأولى من منازعيه، واستعانت بذوي الضغن عليه من مقاطعيه، فوصلوا بالأمرء أمره، وأعمل كل منهم في كفره فكره ، فكتبوا محاضر ، وألبوا الرويضة (٣) للسعي بها بين الأكابر وسعوا في نقله إلى حضرة الملكة بالديار المصرية، فنقل وأودع السجن ساعة حضوره ، واعتقل، وعقدوا لإراقة دمه مجالس، وحشدوا لذلك قوماً من عمّار الزوايا وسكان المدارس من محامل في المنازعة، مخاتل بالمخادعة، ومن مجاهر بالتكفير مبارز بالمقاطعة يسومونه ريب المنون ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ (٤) .

وليس المجاهر بكفره بأسوأ حالاً من المخاتل، وقد دبَّت إليه عقارب مكره، فرد الله كيد كل في نحره، فنجاه على يد من اصطفاه، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾ (٥) .

ثم لم يخل بعد ذلك من فتنة بعد فتنة، ولم ينتقل طول عمره من محنة إلا إلى محنة ، إلى أن فوَّض أمره لبعض القضاة ، فتقلد ما تقلد من اعتقاله، ولم يزل بمحبسه ذلك إلى حين ذهابه إلى رحمة الله تعالى وانتقاله، ﴿وَإِلَى اللَّهِ

(١) بياض في الأصل وما نقلته من المطبوع . (٢) فأضت: فالتجات .

(٣) تصغير الرابضة ، وهو الرجل التافه : أي الحقير ينطق في أمر العامة . وقال ابن الأثير

في النهاية : هو العاجز الذي رضى عن معالي الأمور ، وقعد عن طلبها ، وزيادة التاء للمبالغة .

(٤) [سورة القصص الآية : ٦٩] . (٥) [سورة يوسف الآية : ٢١] .

تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١﴾ وهو المطلع على خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

وكان يومه مشهوداً، ضاقت بجزائته الطريق، وانتابها المسلمون من كل فج عميق، يتبركون بمشهده يوم يقوم الأشهاد ، ويتمسكون بشرجه^(٢) حتى كسروا تلك الأعواد ، وذلك في ليلة العشرين من ذي القعدة سنة ٧٢٨ ، ثمان وعشرين وسبعمائة بقلعة دمشق المحروسة .

وكان مولده بحرآن في عاشر ربيع الأول من سنة ٦٦١ إحدى وستين وستمائة ، رحمه الله وإيانا .

ثم قال : قرأت على الشيخ الإمام حامل راية العلوم ، ومدرك غاية الفهوم، تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية رحمه الله بالقاهرة - قدم علينا - قلت له: أخبركم الشيخ الإمام زين الدين أبو العباس أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي - ثم ذكر حديثاً من جزء ابن عرفة^(٣) .

[ق/٥]

وقال الشيخ علم الدين البرزالي / في معجم شيوخه :

أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني ، الشيخ تقي الدين ، أبو العباس ، الإمام المجمع على فضله ونبله ودينه ، قرأ [الفقه]^(٤) ، وبرع فيه ، والعربية ، والأصول ، ومهر في علمي التفسير والحديث ، وكان إماماً لا يُلْحَقُ غُبَارُهُ في كل شيء ، وبلغ رتبة الاجتهاد، واجتمعت فيه شروط المجتهدين ، وكان إذا ذكر التفسير ، أبهت الناس من كثرة محفوظه ، وحسن إirاده ، وإعطائه كل قول ما يستحقه من الترجيح والتضعيف والإبطال ، وخوضه في كل علم كان الحاضرون يقضون منه العجب ، هذا مع انقطاعه إلى الزهد والعبادة والاشتغال بالله تعالى والتجرد من أسباب الدنيا، ودعاء الخلق إلى الله تعالى ، وكان يجلس في صبيحة كل جمعة على الناس، يفسر القرآن العظيم ، فانتفع بمجلسه ، وبركة دعائه ، وطهارة

(١) [سورة الحج الآية : ٧٦].

(٢) بنعشه .

(٣) انظر الرد الوافر ص٥٧-٥٩ .

(٤) في النسخة «س» : القرآن .

أنفاسه ، وصدق نيته ، وصفاء ظاهره وباطنه ، وموافقة قوله لعمله ، وأتاب إلى الله خلق كثير ، وجرى على طريق واحدة من اختيار الفقر ، والتقلل من الدنيا ، ورد ما يفتح به عليه .

وقال في موضع آخر : كان قد نظم شيئاً يسيراً في صغره ، وكتبتُ عنه إذ ذاك ، ثم إنه ترك ذلك وأعرض عنه ، وسئل عن مسألة القدر بنظم ؟ فأجاب فيها : بنظم ، وقد قرئ عليه ، وسمِعَ منه ، وحل لغز الرشيد الفارقي بأبيات تشتمل على نحو مائة بيت على وزن اللغز ، وذلك في حياة والده - رحمه الله تعالى - وله نحو العشرين من العمر ، وكان حَلَّهُ [له] ^(١) في أسرع وقت .

قلت : هذا اللغز الذي أشار إليه الشيخ علم الدين نظمه الشيخ الإمام العلامة رشيد الدين أبو حفص عمر بن إسماعيل بن مسعود الفارقي في اسم أَلْغَزَة بوصف أبرزه ، في لفظ أَوْجَزَه ، لفهم أعجزه :

<p>مثلُّ له ، والثُّلثُ ضَعْفُ جَمِيعِهِ أَعْرَاضُ جَمْعًا ، فَأَعْجَبُوا لِبَدِيعِهِ وَإِذَا يُرْبَعُ بَانَ فِي تَرْبِيعِهِ بَاقِيهِ خَوْفٌ ، أَوْ أَمَانٌ مُرَوِّعِهِ إِنْ كُنْتَ ذَا نَظَرٍ إِلَى تَنْوِيعِهِ مَعْلُولُهُ سِرًّا بِغَيْرِ مُذِيعِهِ جَوْدٌ وَمَحْمُولٌ عَلَى مَوْضُوعِهِ حُمِدَتْ صِنَاعَتُهُ لِحَمْدِ صَنِيعِهِ زَيْدٌ لِمُفْرَدِهِ عَلَى مَجْمُوعِهِ كَالْمُسْتَحِيلِ ، بِطَيْئِهِ كَسْرِيَعِهِ وَمُضَافُهُ بِأَصُولِهِ وَفُرُوعِهِ عِلْمَ الْخَلِيلِ وَلَيْسَ مِنْ تَقْطِيعِهِ</p>	<p>ما اسمٌ ثلاثيُّ الحروفِ فَثُلُثُهُ وَالثُّلُثُ الْآخَرُ جَوْهَرٌ حَلَّتْ بِهِ ال وهو المثلثُ ، جَذْرُهُ مِثْلُ لَهُ جُزْءٌ مِنَ الْفَلَكِ الْعَلِيِّ ، وَإِنَّمَا حَيُّ جَمَادٍ سَاكِنٌ مُتَحَرِّكٌ وَتَرَاهُ مَعَ خَمْسِيَّةٍ عِلَّةٌ كَوْنِهِ وَبغِيرِ خَمْسِيَّةٍ جَمِيعِ النَّحْوِ مَوْ وَبِحَالِهِ فَعَلٌ مَضَى مُسْتَقْبَلًا قَيْدٌ لِمُطَلَقِهِ ، خِصُوصٌ عُمُومِهِ شَيْءٌ مُقِيمٌ فِي الرَّحِيلِ وَمِمَّا وَأَهْمُ مَا فِي الشَّرْعِ وَالِدِينَ اسْمُهُ وَدَقِيقٌ مَعْنَاهُ الْجَلِيلُ مُنَاسِبٌ</p>
--	---

(١) من «س» .

وَإِذَا عَرَّوْضِي تَطَلَّبَ حَلَّهُ
وَإِذَا تُرْصَعُهُ بَدْرٌ فَسْرِيدِهِ
لِلْمَنْطِقِيِّ وَلِلْحَكِيمِ نِتَاجُهُ
وَلَهُ شِعَارٌ أَشْعَرِيٌّ وَاعْتَقَا
وَتَمَامِهِ فِي قَوْلِ شَاعِرٍ كِنْدَةَ
يُرْوِيكَ فِي ظَمَأِ نَدَى بُورُودِهِ
وَلَقَدْ حَلَلْتُ اللَّغْزَ إِجْمَالًا وَفِي
فَاسْتَجَلَّ بِكَرًّا مِنْ وَلِيِّ بِالْحَلِيِّ

أَلْفَاهُ فِي الْمَفْرُوقِ أَوْ مَجْمُوعِهِ
عَقْدًا يَزِينُ الدَّرُّ فِي تَرْصِيعِهِ
وَعِلَاجُهُ بِذَهَابِهِ وَرُجُوعِهِ
دَحْنَبَلِيٌّ ، فَاعْجَبُوا لَوْقُوعِهِ
مَا حَافِظٌ لِلْعَهْدِ مِثْلَ مُضِيعِهِ
وَيُرِيكَ فِي ظَلَمٍ هَدَى بِطُلُوعِهِ
تَفْصِيلُهُ تَفْصِيلُ رَوْضِ رَبِيعِهِ
تُهْدِي لِكُفِّهِ الْفَضْلُ بَيْنَ رُبُوعِهِ

فأجاب العبد الفقير إلى ربه أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية

حلاً لمعضله ، وفصلاً لمجمله ، وفتحاً لمقفله ، وشرحاً لمشكله :

يَا عَالِمًا قَدْ فَاقَ أَهْلَ زَمَانِهِ
وَغَدَاً لِأَعْلَامِ الْعُلُومِ مَنَارَهُمْ
وَأَجَادَ نَظْمًا عَقْدَ جَيْدِ عَقِيلَةٍ
وَجَلَا الْمَعَارِفَ فِي عَوَارِفِ [لَفْظِهِ] (١)
وَأَبَانَ عَمَّا قَدْ حَوَى مِنْ كُلِّ فَنٍ
بَيَّانَهُ السُّحْرَ الْحَلَالَ وَلَفْظِهِ
بِغَزِيرِ عِلْمٍ وَافْتِنَانٍ وَاسِعٍ
حَلِيَّتَهُ بِدَقِيقٍ وَصَفِ صُنَّتِهِ
وَوَصَفَّتَهُ بِحَلِيِّ الْعُلُومِ وَأَهْلِيهَا
وَجَمَعَتْ فِي أَوْصَافِهِ الْأَضْدَادَ

بِفُنُونِهِ وَبَيَّانِهِ وَبِدِيعِهِ
يَهْدِي الْهُدَاةَ إِلَى مُنِيرِ رَبُوعِهِ
مِنْ دُرِّ بَحْرِ الْعِلْمِ فِي تَرْصِيعِهِ
أَخَذًا [لِالْعَرَفِ] (٢) الْعِلْمِ مِنْ يَنْبُوعِهِ
قَدْ أَحَاطَ بِأَصْلِهِ وَفُرُوعِهِ
الْعَذْبُ / الزُّلَالُ [وَلُطْفُ] (٣) حُسْنِ صَنِيعِهِ
أَلْغَزَتْ عِلْمًا فِي فَنُونٍ وَسِيعِهِ
بِجَلِيلِ لَفْظِ نَاءٍ عَنْ مُوَضُّوعِهِ
وَنَعَّتَهُ بِضُرُوبِهِ وَضُرُوعِهِ
حَتَّى اسْتَيَّاسَ الطُّلَابُ مِنْ تَتَبِيعِهِ

[ق/٦]

(٢) في «س» : لغرف بالغين المعجمة .

(١) في «س» : فضله .

(٣) من «س» : وفي الاصل والمطبوع «ولفظ» .

وَالْعَبْدُ لَمَّا أَنْ تَأَمَّلَ نَظْمَكُمْ
 أَنَّ الَّذِي أَلْفَزْتُمْ عِلْمٌ وَلَمْ
 لَكِنَّهُ أَمْسَى يُحَلِّيهِ بِمَا
 حَتَّى تَجَلَّى الْحَقُّ مِنْ ظَلَمَائِهِ
 فَإِذَا الَّذِي قَدَّ عَنْ أَوَّلِ مَرَّةٍ
 وَرَأَيْتُ فِيهِ الْوَصْفَ إِمَا بَادِيًا
 لِدَقِيقِ مَغْزَاهُ وَلُطْفِ إِشَارَةٍ
 فَغَدَوْتُ أَكْشِفُ عَنْهُ كَشْفًا مُوجِزًا
 فَاسْمَعْ لِحَلِّ حُلَاهُ فِي تَفْصِيلِهِ
 «الْعِلْمُ» لَفْظٌ ذُو ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ
 فَإِذَا يَكُونُ مُرَكَّبًا مِنْ تِسْعَةٍ
 وَمُرَبَّعًا سَاوَاهُ جَذْرٌ حِسَابِهِ
 وَيَكُونُ أَثَلَاثًا فَثُلُثٌ مِثْلُهُ
 وَالْمِيمُ فِي الْجُمْلِ الْكَبِيرِ حِسَابُهُ
 وَالْعِلْمُ فِي الْجُمْلِ الصَّغِيرِ حِسَابُهُ
 وَالثُّلُثُ عَيْنٌ ، عَيْنٌ كُلُّ ذَاتِهِ
 إِذْ كَانَتْ الْأَعْيَانُ قَائِمَةً بِهَا
 حُكْمٌ يَخُصُّ الْعَيْنَ حَرْفًا وَاحِدًا
 هُوَ تِسْعَةٌ فِي أَصْلِهِ وَالْعَالَمُ الـ
 الْعَرْشُ وَالْكَرْسِيُّ وَالسَّبْعُ السَّمَاءُ
 مِنْ عَالَمِ الْمَلَكُوتِ أَعْنِي الْغَيْبِ إِذْ

يَنْظَامُهُ أَلْقَى لَهُ فِي رُوعِهِ
 مَا يَجْعَلُ الْمَظْنُونَ مِنْ مَقْطُوعِهِ
 حَلِيَّتَهُ وَيَغُوصُ فِي تَوْقِيْعِهِ
 فِي لَيْلَةٍ مِنْ قَبْلِ وَقْتِ هُجُوعِهِ
 حَقٌّ تَبَلَّجَ فَجَرَّهُ بِطُلُوعِهِ
 أَوْ خَافِيًا مَعْنَاهُ فِي [مَسْمُوعِهِ] (١)
 [فِيهِ] (٢) وَبَعْدُ حُلَاهُ عَنْ مَوْضُوعِهِ
 بِإِشَارَةٍ تَهْدِي لِشَطْرِ بَقِيْعِهِ
 وَاشْهَدْ بِقَلْبٍ مُقْبِلٍ بِهَطُوعِهِ
 وَهَجَاءِ كُلِّ مِثْلٍ مَا مَجْمُوعِهِ
 جَذْرًا لَهَا فَانظُرْ إِلَى تَرْيِيْعِهِ
 وَمُثَلَّثًا بِحُدُودِهِ وَضَلُوعِهِ
 هُوَ لَامُهُ إِنْ خُضَّتْ فِي تَوَزِيْعِهِ
 هُوَ أَرْبَعُونَ بِقَوْلِ أَهْلِ رِيْعِهِ
 عَشْرُونَ هَذَا الثُّلُثُ ضِعْفُ جَمِيْعِهِ
 هُوَ جَوْهَرٌ وَالْوَصْفُ فِي مَوْضُوعِهِ
 الْأَعْرَاضُ جَمْعًا فَاطْنُوا لُجْمُوعِهِ
 مِنْ بَيْنِ جِنْسِ الْحَرْفِ فِي تَنْوِيْعِهِ
 عَلْوِيٌّ مِنْهُ تِسْعَةٌ بِرَقِيْعِهِ
 وَاتِ الطَّبَاقُ فَالاسْمُ جِزءٌ رَفِيْعِهِ
 عَنْهُ كُنِيَ لِعُلُوِّ شَأْنِ ضَلِيْعِهِ

(٢) من «س» .

(١) في «س» : موضوعه .

بالعلم يُحيي الله قلباً ميتاً
 فلأنه يُحيي ! اسمه حيٌّ إذ ال
 ولأنه يسرى ! اسمه متحركٌ
 ذا الوصفُ عقليٌّ وفي حسيِّه
 إذ كان نوعُ العلمِ معنى جنسه
 والحيُّ والمتحركُ الوصفانِ يخذاً
 إذ كان في المحسوسِ ليسَ بقائمٍ
 أما إذا ما جردَ المعقولُ فال
 ثلثاهُ حرفا العينِ والميمِ هُما
 وإذا جمعتَ حسابهُ في [أكثر] (٢)
 فمربعاً يضحى ويضحى جذره
 فالجذرُ علتهُ ومعلولُ له
 فالجذرُ معلولُ لجذرٍ كائينٍ
 فلكونه معلولُ منعلولٍ له
 [ونقول] (٣) إن العلمَ منه النحوُ
 فإذا يكون الضمُّ علةً كَونِ هـ
 وبغيرِ خمسيِّه يعودُ لأصله
 وإذا اعتبرتِ حُرُوفه ألقينتهُ
 حكماً على المُستقبَلاتِ وغيرها
 إذ من خصائصه تعلقه بكلِّ

يسرى كنور ضاء حين سطوعه
 أحياءُ فرعُ حياة ربِّ صنيعه
 لو حاً تنقله بذهنٍ قريعه
 هو جاودٌ هو ساكنٌ برُوعه
 عرضٌ يقومُ بمستوى موضوعه
 تصان شخصاً جوهرًا بيقيعه
 عرضٌ [بآخر] (١) مثله وتبوعه
 موصفان في المعنى له بريعه
 في اللفظ من عدمٍ وفي تنويعه
 وأضفت خمسيِّه إلى مجموعهِ
 مع أربعٍ عشراً لذي تربيعهِ
 من حيثُ ما هو علةٌ لوقوعهِ
 معلولُهُ فافهم مدارُ رجيعهِ
 قد صار معلولاً له برُجوعهِ
 هذا إن تردُّ حُملاً على موضوعهِ
 ذا الجمعِ علةٌ نفسه وجميعهِ
 علماً وعلماً النحوِ بعضُ فروعهِ
 فعلاً مضى لغةً وفي موضوعهِ
 لعمومه متعلقاً وذبوعهِ
 مُحققٌ مع سبقهِ لوقوعهِ

(١) في «س»: تأخر ، وفي المطبوع بآخر والصواب ما أثبتناه .

(٢) كتب في هامش الأصل : لعله أكبر .

(٣) من «س»، وفي الأصل : ويقول .

أَكْرَمَ بِهِ أَمْرًا عَظِيمًا نَفَعَهُ / والفعلُ فيه مصدرٌ وزمَّانُهُ
 فلذلكَ كانَ مُقَيِّدًا ومُخَصِّصًا
 هُوَ مفردًا نوعٌ حوى أَشْخَاصَهُ
 فيصحُّ حينئذٍ مَقَالَةٌ قائلِ
 هُوَ ثابتٌ في كُلِّ حالٍ مُمكنِ
 حتَّى يُنالَ فيحمدُ القومَ السَّريَّ
 فالبطءُ والإسراعُ لَيْسَ بِنَفْسِهِ
 والعلمُ بالرَّحْمَنِ أَوَّلُ [واجب] (١)
 وأخو الديانةُ طالبٌ لمزيدِهِ
 والمرءُ فاقتُهُ إِلَيْهِ أَشَدُّ مِنْ
 في كُلِّ وَقْتٍ والطَّعامُ فَإِنَّمَا
 وَهُوَ السَّبِيلُ إِلَى المَحاسِنِ كُلِّهَا
 وَإِلَيْهِ يُسْنَدُ كُلُّ فَنٍّ نافعِ
 [الجِلالَةُ] (٢) المَعْلُومِ واللُّطْفِ الَّذِي
 فالعلمُ ميزانُ الحَقائِقِ والعرو
 وَالاسْمُ [بالتَّحريكِ] (٣) مِنْ مَفْرُوقِهِ
 هُوَ واسطُ عَقْدِ الفِضائلِ كُلِّهَا
 وعلاجُهُ بالجِدِّ في تَحْصِيلِهِ
 ولكُلِّ قَوْمٍ مِنْهُ حَظٌّ وإِفْرارٌ
 بِشَعائِرِ لَمَّاعِرٍ وقِواعِدِ

حَمَدَتْ صِناعَتُهُ بِحَمْدِ صَنِيعِهِ
 وَضَعًا ومَلزومٌ لِرَبِّ صَنِيعِهِ
 لِعُمُومِ جِنسِ العِلْمِ في تَنْويعِهِ
 فَإِذا تَرَكَّبَ خَصٌّ في تَجْميعِهِ
 قَدْ زادَ مُفْرَدُهُ على مَجْمُوعِهِ
 ذُو عِزَّةٍ صَعْبٌ على مُسْطِيعِهِ
 وَإِذا يُقالُ بِطِيبَتِهِ كَسَرِيعِهِ
 بَلْ في الطَّرِيقِ وفي اِقْتِناصِ مَنِيعِهِ
 وَأهمُّ فَرَضِ اللَّهِ في مَشروعِهِ
 أَبَدًا وَلَمَّا يُنْهيه بِقُطُوعِهِ
 فَقَرِ الغِذاءُ لِعِلْمِ حُكْمِ صَنِيعِهِ
 يَحْتاجُهُ في وَقْتِ شِدَّةِ جِوعِهِ
 وَالصَّالِحَاتِ فَسِوَأَهُ لِمُضِيعِهِ
 بَلْ فَارِعٌ بِأُصولِهِ وفِروعِهِ
 لِلْعِلْمِ كانَ مُناسِبًا لِبَدِيعِهِ
 ضُ كَذاكَ مِيزانُ لَدَى تَقْطِيعِهِ
 وَالفِعْلُ بِالتَّسْكِينِ مِنْ مَجْمُوعِهِ
 وَبهِ يَزانُ الحَلِّيُّ (*) في تَرْصِيعِهِ
 بِمُقَدِّماتِ نِجاجِهِ وَيُنوعِهِ
 وَحَقائِقُ التَّحْقِيقِ في مَشروعِهِ
 لِعَقائِدِ المَعقُولِ [في] (٤) مَسْمُوعِهِ

(١) في الأصل والمطبوع «صاحب» والمثبت من «س» .

(٢) كتب على هامش الأصل: صوابه «بالتسكين» .

(٤) في «س» : مع

(*) بمعنى الحلي حتى لا يقطع البيت ، وهي قراءة .

وَجَمِيعُهُ مُتَفَرِّقٌ فِي قَوْلِهِ
فَلَعَيْنِهِ وَلِلْأَمِيهِ وَلِمِيَمِهِ
يُرَوَّى بِمَاءِ حَيَاتِهِ فِي وَرْدِهِ
وَيَرَى بِنُورِ هُدَاهُ فِي تَبْيِينِهِ
كَطُلُوعِهِ لَمَّا أَبَانَ بِنُورِهِ
جَلَى الْمُجَلِّي بَعْدَ بَعْدِ بُدُوهِ
وَأَبَانَ مُجْمَلُهُ وَفَصَّلَ عَقْدَهُ
وَحَلَّى جَمَالَ السِّبْكَرِ فِي حَلِيِّ الْحَلِيِّ
فَخَذَ الْجَوَابَ مُخَلِّصًا فِيهِ اللَّبَا
مَعَ أَنَّ نَظْمَ الشُّعْرِ غَيْرُ مُحَصَّلٍ
مِنْ خَاطِرٍ مُسْتَعْجَلٍ مُسْتَوْفِرٍ
لَمْ يَجْعَلِ التَّحْلِيلَ مِنْ [مَصْنُوعِهِ] (٥)
إِذْ كَانَ مَخْلُوقًا لِأَكْبَرِ غَايَةٍ
وَعَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الْإِلَهِ وَنَهْيِهِ
لَكِنَّهُ لَا بَدَأَ لِلْمَصْذُورِ مِنْ
مَعْ أَنَّهُ مُزَجِّجِي الْبِضَاعَةِ نَظْمُهُ
عَبْدٌ ذَلِيلٌ عَاجِزٌ مُتَضَعِّفٌ
لَكِنَّهُ لَمَّا اسْتَعَانَ بِرَبِّهِ
فَاعَانَهُ يُسْرُ الْجَوَابِ فَإِنْ يَكُنْ
فَالْحَمْدُ وَالْفَضْلُ الْعَظِيمُ لِرَبَّنَا
إِذْ مَا بِنَا مِنْ نِعْمَةٍ فَبِمَنْتَهُ

مَا حَافِظٌ لِلْعَهْدِ مِثْلَ مُضْيِعِهِ
مِنْ ذَا الْكَلَامِ الْحَظُّ فِي تَبْضِيْعِهِ
ظَمَّانٌ تَحْقِيقٌ إِلَى يَنْبُوعِهِ
حَيْرَانٌ تَدْقِيقٌ طُلُوعٌ [سَطِيْعِهِ] (١)
قَصْدَ السَّبِيلِ لِحَلِّ عَقْدِ بَدِيْعِهِ
مَعَ [قُرْبٍ] (٢) مُقْفَلُهُ وَقُرْبٌ [مُسُوعِهِ] (٣)
وَلِرَوْضِهِ الْأَنْفِ ارْتَعَى بِرَتُوعِهِ
فَافْتَضَهَا [كَفُو نُوْتٍ] (٤) بِرُبُوعِهِ
بَ مُلَخَّصًا فِي نَظْمِهِ لَسْمِيْعِهِ
لِكَمَالِ مَغْزَاهُ وَشَرْحِ جَمِيْعِهِ
لَمْ يُمَعِّنِ التَّفَكِيرَ فِي مَرْجُوعِهِ
كِلَا وَلَا الْفَضْلَاتِ مِنْ مَصْنُوعِهِ
دَارِ الْقَرَارِ جَمِيْلِهِ وَقَطِيْعِهِ
مَا يَلْفُتُ الْمَعْقُولَ عَنْ تَضْيِيْعِهِ
نَفْثٌ يْرِيحُ فُوَادِهِ بِنُخُوعِهِ
غِرٌّ بِحُكْمِ اللَّفْظِ فِي تَسْجِيْعِهِ
فِي حَالِ مَبْدَأِهِ وَحَالِ رَجُوعِهِ
ثُمَّ اسْتَكَانَ لَهُ بِذَلِّ خُضُوعِهِ
حَقًّا [بِرْفَقٍ] (٦) الْوَصْفِ فِي تَوْقِيْعِهِ
شُكْرًا عَلَى مُحَمَّدٍ حَسَنِ صَنِيْعِهِ
وَالْخَيْرُ مِنْهُ جَمِيْعُهُ بِهِمُوعِهِ

(١) فِي «س»: سَطُوعُهُ .

(٢) فِي «س»: شِيُوعُهُ .

(٣) فِي «س»: مَقْصُودُهُ .

(٤) فِي «س»: فَتَح .

(٤) فِي الْمَطْبُوعِ : كَفَاءُ ثُوبٍ .

(٦) فِي «س»: بَرْفُوقٍ .

أَوْ إِنْ يَكُنْ خَطَأً فَمِنِّي حَيْثُ إِنْ
فَالنَّقْصُ لِلإِنْسَانِ وَصَفٌ لَازِمٌ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الرَّحِيمِ بِخَلْقِهِ
وَمُيَسِّرِ الخَطْبِ العَسِيرِ بِلُطْفِهِ
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ
وَعَلَيْهِمُ التَّسْلِيمُ مِنَّا دَائِمًا

لَمْ أَسْتَطِعْ مُتَّوَالًا لِرَفِيعِهِ
إِنْ كَانَ يَعْرِفُ نَفْسَهُ بِخُشُوعِهِ
الْبِرِّ الوُدُودِ بِعَبْدِهِ وَمُطِيعِهِ
مِنْ بَعْدِ مَنَعَتِهِ وَبُعْدِ مَنِيْعِهِ
وَالْمُصْطَفِينَ مِنَ الأَنَامِ جَمِيعِهِ
مَا اهْتَرَّ وَجْهُ الأَرْضِ بَعْدَ خُشُوعِهِ

فلما وقف الشيخ رشيد الدين على هذا الجواب كتب إلى منشته الشيخ تقي

الدين ابن تيمية - رضي الله عنه - .

سَمَى وَلَكِنْ جَاءَ بِالمِثْلِ
شِعْرِي (*) بِشِعْرِ رَائِقِ جَزَلِ
مَصْحَفٍ وَالحَلِّ كَالْحَلِّ
الثَّقِي وَزَنُّ القَوْلِ وَالفِعْلِ
تُمَلِي عَلَيْهِ وَهُوَ يَسْتَمَلِ
المَجْدُ وَقَدْ بُورِكَ فِي النِّسْلِ
العَدْلُ [مُكَافَأَةٌ] (٣) عَلَى الفَضْلِ

أَحْسَنَ فِي حَلِّ المُسَمَى وَمَا
وَجَاوَزَ الجَوَازَاءَ بِالنُّطْقِ وَالشُّ
جَلَّتْ مَعَانِيهِ [فَشَكَرًا] (١) لَهُ
أَحْمَدُ وَزَنَ الفِعْلِ فِيهِ وَفِي
كَأَنَّمَا أَحْرَفُهُ [مُثَلَّتْ] (٢)
وَحَقٌّ بِالفَخْرِ فَتَى جَدُّهُ
فَسَهَّلَ اللهُ لِمَنْ فِي اسْمِهِ

فنظر والد الشيخ تقي الدين ابن تيمية بعد ذلك في اللغز وحلّه في لفظة

أخرى، ونظم في ذلك قصيدة ، فكتب إليه الشيخ رشيد/ الدين جواباً لها : [ق/٨]

مِنْ لَمْ يُمَاتِلْ فِي الفَضْلِ وَالأَدَبِ
يُنْكَرُ [ضَوْءًا] (٤) لِوَأَحَدِ الشُّهُبِ
مُفْتِي الفَرِيقَيْنِ حُجَّةُ العَرَبِ

مَا مِثْلُ لُغْزِي وَلَمْ يَسْمُ بِهِ
بِخَاطِرٍ حَاضِرٍ يُضِيءُ وَلا
شَيْخُ شَيْوِخِ الإِسْلَامِ قَاطِبَةٌ

(٢) في «س» : مثلث .

(١) في «س» : فشكري .

(٤) من «س» و «المطبوع» وفي الأصل : ضوء .

(٣) من «س» وفي الأصل : مكافات .

(*) في الأصل : الشعري والتقسيم من أجل الوزن .

شَنَّفَ سَمْعِي بِالْدَّرِّ مِنْ كَلِمٍ
 [حَلَا كَحَلِّ فَنَشَوِي نَشَأْتُ
 وَكَانَ لُغْزِي مِنْ فِضَّةٍ فَعَلَا
 فَالْفَخْرُ لِلْمَجْدِ بِالشَّهَابِ وَلِلشُّ
 ذُرْوَةِ وَالْعَنَانُ يَحْسِبُهَا
 وَإِنْ تَعَفْتُ رُسُومُ بَلَدْتِهِ
 فَبَلَدَةُ الْأَفِقِّ حَلَّهَا عَوْضًا عَنْهَا
 وَإِنَّ قَلْبِي أَضْحَى لَهُ وَطْنَا
 هَذَا ثِنَائِي مَعَ الْخَمُولِ وَإِنْ
 وَعِشَ طَوِيلًا مَكْمَلًا أَدْبَا

[تَرْوِي] (١) فَتَرْوِي بِالْدَّرِّ مِنْ سُحْبٍ
 مِنْ ضَرْبٍ مَثَلِ أَحْلَى مِنَ الضَّرْبِ (٢)
 شِعْرًا وَشِعْرًا وَصَارَ مِنْ ذَهَبٍ
 هَبَابٍ بِالْمَجْدِ ذُرْوَةُ النَّسَبِ
 ذُرْيَةٌ لِلشُّرُوقِ فِي السُّحْبِ
 وَهِيَ خِيَارُ الْبِلَادِ وَالثَّرْبِ
 بِفَضْلِ يَسْمُو عَلَى الثَّرْبِ
 وَفِيهِ أَنْسٌ لِكُلِّ مَغْتَرِبٍ (٣)
 نَبَّهَ خَطِّي أَرَبِي عَلَى [الْأَرَبِ] (٤)
 بَسِيطَ فَضْلِ نَاءٍ وَمُقْتَرِبِ

وقال الشيخ علم الدين : رأيت في إجازة «لابن الشهرزوري الموصلي» خط

«الشيخ تقي الدين ابن تيمية» ، وقد كتب تحته الشيخ شمس الدين الذهبي :

هذا خط شيخنا الإمام ، شيخ الإسلام ، فرد الزمان ، بحر العلوم ، تقي الدين ، مولده عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة ، وقرأ القرآن والفقه وناظر واستدل وهو دون البلوغ ، وبرع في العلم والتفسير ، وأفتى ودرس وله نحو العشرين سنة ، وصنف التصانيف ، وصار من [كبار] (٥) العلماء في حياة شيوخه ، وله من المصنفات الكبار التي سارت بها الركبان ، ولعل تصانيفه في هذا الوقت تكون أربعة آلاف كراس وأكثر ، وفسر كتاب الله تعالى مدة سنين من صدره أيام الجمع ، وكان يتوقد ذكاءً وسماعاته من الحديث كثيرة ، وشيوخه أكثر من مائتي شيخ .

(٢) ما بين المعقوفتين من «س» .

(٤) في «س» : الأدب .

(١) في «س» : يروي

(٣) في «س» : مقترب .

(٥) في «س» : أكابر .

ومعرفته بالتفسير إليها المنتهى ، وحفظه للحديث ورجاله وصحته وسقمه ،
فَمَا يُلْحَقُ فِيهِ ، وأما نقله للفقهاء ومذاهب الصحابة والتابعين - فضلاً عن مذاهب
الأربعة - فليس له فيه نظير . وأما معرفته بالملل والنحل والأصول والكلام ، فلا
أعلم له فيه نظيراً .

ويدري جملة صالحة من اللغة ، وعربيته قوية جداً ، ومعرفته بالتاريخ
والسير فعجب عجيب ، وأما شجاعته وجهاده وإقدامه فأمر يتجاوز الوصف ،
ويفوق النعت ، وهو أحد الأجواد الأسخياء ، الذين يضرب بهم المثل ، وفيه
زهد وقناعة باليسير في المأكل والملبس^(١) .

وقال الذهبي في موضع آخر ، وقد ذكر الشيخ - رحمه الله - :

كان آية في الذكاء وسرعة الإدراك ، رأساً في معرفة الكتاب والسنة
والاختلاف ، بحرّاً في النقيات ، هو في زمانه فريد عصره ؛ علماً وزهداً ،
وشجاعةً وسخاءً ، وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر ، وكثرة تصانيف ، وقرأ
وحصل ، وبرع في الحديث والفقهاء ، وتأهل للتدريس والفتوى وهو ابن سبع
عشرة سنة ، وتقدم في علم التفسير والأصول وجميع علوم الإسلام ، أصولها
وفروعها ، ودقها وجلها ، سوى علم القراءات ، فإن ذكر التفسير فهو حامل
[لوائه]^(٢) ، وإن عدّ الفقهاء فهو مجتهدهم المطلق ، وإن حضر الحفاظ نطق
وخرسوا ، وسرد وأبلسوا ، واستغنى وأفلسوا ، وإن سُمِّي المتكلمون فهو
فردهم ، وإليه مرجعهم ، وإن لاح ابن سينا يقدم الفلاسفة ، فلَسَّهم وتيسهم ،
وهتك أستارهم ، وكشف عوارهم ، وله يد طولى في معرفة العربية والصرف
واللغة ، وهو أعظم من أن يصفه كلمي ، أو ينبه على شأوه قلمي ، فإن سيرته
وعلومه ومعارفه ومحنه وتنقلاته تحتمل أن ترصع في مجلدين ، وهو بشر من

(٢) في «س» : رايته .

(١) انظر الرد الوافر ص ٦٨-٦٩ .

البشر، له ذنوب ، فالله تعالى يغفر له ، ويسكنه أعلى جنته ، فإنه كان رباني الأمة وفريد الزمان ، وحامل لواء الشريعة ، وصاحب معضلات المسلمين ، [رأساً في الذكاء]^(١) ، رأساً في العلم ، يبالغ في إطراء قيامه في الحق ، والجهاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مبالغة ما رأيتها ، ولا شاهدها من أحد ، ولا لحظتها من فقيه .

وقال في مكان آخر - ذكر فيه ترجمة طويلة للشيخ قبل وفاة الشيخ بدهر

طويل - .

قلت: وله خبرة تامة بالرجال ، وجرحهم وتعديلهم وطبقاتهم ، ومعرفة

بفنون الحديث ، وبالعالي والنازل ، وبالصحيح والسقيم ، مع حفظه / لتونه ، [ق/٩] الذي انفرد به ، فلا يبلغ أحد في العصر رتبته ، ولا يقاربه ، وهو عجب في استحضاره ، واستخراج الحجج منه ، وإليه المنتهى في عزوه إلى الكتب الستة والمسند ، بحيث يصدق عليه أن يقال: كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث ، ولكن الإحاطة لله ، غير أنه يغترف من بحر ، وغيره من الأئمة يغترفون من السواقي .

وأما التفسير فمسلم إليه ، وله في استحضار الآيات من القرآن - وقت

إقامة الدليل بها على المسألة - قوة عجيبة ، وإذا رآه المقريء تحير فيه ، ولفرط إمامته في التفسير ، وعظمة اطلاعه بين خطأ كثيراً من أقوال المفسرين ، ويوهي أقوالاً عديدة ، وينصر قولاً واحداً موافقاً لما دل عليه القرآن والحديث .

ويكتب في اليوم واللييلة من التفسير ، أو من الفقه ، أو من [الأصولين]^(٢)

أو من الرد على الفلاسفة [و]^(٣) الأوائل نحواً من أربعة كراريس ، أو أزيد ، وما

(٢) في «س» : الأصلين .

(١) من «س» .

(٣) ليست في س .

أبعدُ أن تصانيفه إلى الآن تبلغ خمسمائة مجلدة ، وله في غير [مسألة]^(١) مصنف مفرد في مجلد .

ثم ذكر بعض تصانيفه ، وقال : ومنها كتاب في الموافقة بين المعقول والمنقول في مجلدين .

قلت : هذا الكتاب ، وهو كتاب «درء تعارض العقل والنقل» في أربع مجلدات كبار ، وبعض النسخ به في أكثر من أربع مجلدات ، وهو كتاب حافل عظيم المقدار رد الشيخ فيه على الفلاسفة والمتكلمين . وله كتاب في نحو مجلد أجاب فيه عما أورده كمال الدين ابن الشريشي على هذا الكتاب .

وللشيخ - رحمه الله - من المصنفات والفتاوى والقواعد والأجوبة والرسائل ، وغير ذلك من الفوائد ما لا ينضب ، ولا أعلم أحداً من متقدمي الأمة ولا متأخريهم جمع مثل ما جمع ، ولا صنف نحو ما صنف ، ولا قريباً من ذلك ، مع أن أكثر تصانيفه إنما أملاها من حفظه ، وكثيراً منها صنفه في الحبس ، وليس عنده ما يحتاج إليه من الكتب .

[مصنفات الشيخ - رحمه الله -]^(٢)

وها أنا أذكر بعض مصنفاته ؛ ليقف عليها من أحب معرفتها ، فمن ذلك : ما جمعه في تفسير القرآن العظيم ، وما جمعه من أقوال مفسري السلف الذين يذكرون الأسانيد في كتبهم ، وذلك في أكثر من ثلاثين مجلداً ، وقد بيّض أصحابه بعض ذلك ، وكثيراً منه لم يكتبوه بعد [ذلك]^(٣) . وكان - رحمه الله - يقول : ربما طالعت على الآية الواحدة نحو مائة تفسير ، ثم أسأل الله

(١) في الأصل المسألة ، وما أثبتته من «س» .

(٢) ليس في الأصل ونقلته من المطبوع ص ٢١ لفصل الفقرات عن بعضها .

(٣) من «س» .

الفهم، وأقول : يا معلم آدم وإبراهيم علمني ، وكنت أذهب إلى المساجد المهجورة ، [ونحوها] (*) ، وأمرغ وجهي في التراب ، وأسأل الله تعالى - وأقول: يا معلم إبراهيم فهمني ، ويذكر قصة معاذ بن جبل ، وقوله لمالك بن يُخامر لما بكى عند موته ، وقال : «إني لا أبكي على دنيا كنت أصبتها منك ، ولكن أبكي على العلم والإيمان اللذين كنت أتعلمهما منك .

فقال : إن العلم والإيمان مكانهما من ابتغاهما وجدهما ، فاطلب العلم عند أربعة ، وسماهم ، فإن أعيالك العلم عند هؤلاء فليس هو في الأرض ؛ فاطلبه من معلم إبراهيم » .

قال الشيخ أبو عبدالله بن رشيق - وكان من أخص أصحاب شيخنا ، وأكثرهم كتابة لكلامه وحرصاً على جمعه :

كُتِبَ الشيخ - رحمه الله - نقول السلف مجردة عن الاستدلال على جميع القرآن ، وكتب في أوله قطعة كبيرة بالاستدلال ، ورأيت له سوراً وآيات يفسرها ، ويقول في بعضها : كتبه للتذكر ، ونحو ذلك ، ثم لما حبس في آخر عمره كتبتُ له أن يكتب عليَّ جميع القرآن [مرتباً] (***) على السور ، فكتب يقول: إن القرآن فيه ما هو بَيِّنٌ بنفسه ، وفيه ما قد بينه المفسرون في غير كتاب ، ولكن بعض الآيات أشكل تفسيرها على جماعة من العلماء ، فربما يطالع الإنسان عليها عدة كتب ولا يتبين له تفسيرها ، وربما كتب المصنف الواحد في آية تفسيراً ، ويفسر غيرها بنظيره ، فقصدت تفسير تلك الآيات بالدليل لأنه أهم من غيره ، وإذا تبين معنى آية تبين معاني نظائرها ، وقال : قد فتح الله عليَّ في هذا الحصن في هذه المرة من معاني القرآن ومن أصول العلم بأشياء مات كثير من العلماء يتمنونها ، وندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن .

(*) في «س» وغيرها . (***) بياض في الاصل ، وما أثبتته من «س» .

وأرسل إلينا شيئاً يسيراً مما كتبه في هذا الحبس وبقي شيء كثير في مسألة الحكم عند الحكام لما أخرجوا كتبه من عنده ، وتوفي وهي عندهم ، إلى هذا الوقت نحو أربع عشرة رزمة ، ثم ذكر الشيخ أبو عبدالله ما رآه ووقف عليه من تفسير الشيخ .

قلت: ومن مصنفاته «تفسير سورة الصمد»^(١) وجواب سؤال عن كلام الله تعالى ، هل يتفاضل؟»

ومن مصنفاته كتاب: «تليس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية»^(٢) في ست مجلدات ، وبعض النسخ به في أكثر من ذلك ، وهو كتاب جليل المقدار معدوم النظير ، كشف الشيخ فيه أسرار الجهمية ، وهتك أستارهم ، ولو رحل رجل طالب العلم لأجل تحصيله من الصين ما ضاعت رحلته .

ومنها : كتاب : «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشَّيخ [و*]»^(٣) في ثلاث مجلدات وبعض النسخ في أربع مجلدات ، رد فيه على ابن المطهر الرافضي ، وبين جهل الرافضة [وضلالهم]** و كذبهم وافتراءهم .

(١) ذكره أيضاً ابن شاكر صلاح الدين الكتبي في «فوات الوفيات» .

وهو مطبوع في المطبعة الحسينية المصرية سنة ١٣٢٣هـ في ١٤٠ صفحة ، وله طبعة ثانية بتحقيق الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد في الدار السلفية بيومباي بالهند سنة ١٤٠٦هـ في ٣٧٣ صفحة .

(٢) طبع بتحقيق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم سنة ١٣٩١هـ في مجلدين كبيرين بأمر من الملك فيصل بن عبد العزيز - رحمه الله - .

(*) من «س» .

(٣) طبع باسم «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية» بتصحيح طه بن محمود قطرية ، القاهرة ، المطبعة الأميرية ، بولاق سنة ١٣٢٠هـ في أربعة أجزاء ، وطبع بتحقيق محمد رشاد سالم ، القاهرة مكتبة دار العروبة ، ١٩٦٢ - ١٩٦٤م في مجلدين .

(**) في الأصل : «وضلالنهم» وما أثبتته من «س» .

ومنها كتاب : «جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية»^(١) في أربع مجلدات ، وبعض النسخ به في أقل ، وهو كتاب غزير الفوائد ، سهل التناول .

ومنها كتاب : الرد على النصارى ، سماه : «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»^(٢) في مجلدين ، وبعض النسخ به في ثلاث مجلدات ، وبعضها في أكثر .

وكذلك كثير من كتبه الكبار تختلف النسخ بها ، وهذا الكتاب من أجل الكتب ، وأكثرها فوائد ، ويشتمل على تثبيت النبوات وتقريرها بالبراهين النيرة الواضحة ، وعلى تفسير آي كثير من القرآن ، وعلى غير ذلك من المهمات .

(١) ذكره ابن عبد الهادي في مختصر طبقات علماء الحديث ، وأبو عبدالله بن رشيق في «أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية» ، وتوجد منه نسخة في دار الكتب الظاهرية برقم (١١٤٧٩) بخط الشيخ طاهر الجزائري ، وأخرى برقم (٤٦٧٥) بخط جميل العظم «انظر الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية لمحمد عزيز شمس ، وعلي بن محمد العمران ص ٢٢٠ .

وذكره صلاح الدين الصفدي في «أعيان العصر وأعيان النصر» تحت «كتب الأصول» ، وكتاب أعيان العصر طبع بعناية فؤاد سزكين في فرانكفورت بألمانيا سنة ١٤١٠هـ على صورة المخطوط الأصلي بتركيا ، واعتمد النسخة المحفوظة في مكتبة عاطف أفندي في استنبول تحت رقم (١٨٠٩) ، وانظر التفاصيل في مقدمة الكتاب المطبوع ، ومنه نسخة في دار الكتب المصرية ، وذكر في «الوافي بالوفيات» للصفدي أيضاً ، وابن شاکر الكتبي في «فوات الوفيات» ، وابن رجب الحنبلي في «الذيل على طبقات الحنابلة» ، والعلمي في «المنهج الأحمد» وفي «الدر المنضد» .

انظر لذلك الجامع لسيرة شيخ الإسلام السابق ذكره ص ١٩٥ ، ٢٣٢ ، ٢٩١ ، ٣١٤ ، ٣٢٩ ، ٤١٨ ، ٥٤٣ ، ٥٥٢ .

(٢) وقد طبع في القاهرة : مطبعة النيل سنة ١٣٢٢هـ ، وفي مطبعة المنار سنة ١٣٤٩ ، وفي جدة : مطبعة المدني ، مطبعة الناشر سنة ١٣٩٠هـ ، وطبع بعناية دي ماتيو ، بالرمو ١٩١٢م .

«انظر الموسوعة الذهبية ج ١٠٤ ص ٢١٦ تأليف الدكتورة فاطمة محجوب» .

ومنها : كتاب الإيمان^(١) في مجلد، وهو كتاب عظيم لم يسبق إلى مثله،
ومنها: كتاب «الاستقامة»^(٢) في مجلدين ، وهو من أجل الكتب وأكثرها نفعاً .
ومنها : كتاب «تنبيه الرجل العاقل على تمويه الجدل الباطل»^(٣) في مجلد،
وهو من أحسن الكتب وأكثرها فوائد .

قال في خطبته : الحمد لله العليم القدير، الخالق اللطيف الخبير الرازق
السميع البصير ، الحلیم الصادق ، العلي الكبير ، الفائق الرائق ، الذي يسن
المناهج والشرائع ، ويبين الطرائق ، وينصب الأعلام الطوالع ؛ لكشف الحقائق
، وينزل الآيات والدلائل ؛ لبيان الجوامع والفوارق ، ويقذف بالحق على الباطل
فيدمغه فإذا هو زاهق ، أحمده ثناءً عليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ، وشكراً
له على نعمه البواسق ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، رب
المغرب والمشرق ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، المؤيد بالمعجزات الخوارق،
الموضح لسبيل الحق في الجلائل والدقائق ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم صلاة
وتسليماً باقين ما بقيت الخلائق .

أما بعد :

فإن الله - سبحانه - علم ما عليه بنو آدم من كثرة الاختلاف والافتراق،

(١) طبع في القاهرة : مطبعة السعادة سنة ١٣٢٥هـ ، بتصحيح الشيخ زهير الشاويش
المكتب الإسلامي ١٣٨١هـ ، ١٣٩٢هـ ، وبتحقيق الشيخ الألباني - رحمه الله - الدمام : مكتبة
أنس بن مالك سنة ١٤٠١هـ ، وبتحقيق حسن يوسف الغزال ، بيروت : دار إحياء العلوم
١٤٠٦هـ «انظر الموسوعة الذهبية ج ١٠٤ ص ٢١٥» .

(٢) طبع في مجلدين .

(٣) ذكره ابن عبد الهادي في «مختصر طبقات علماء الحديث» باسم : «تنبيه الرجل العاقل
على تمويه المجادل في الجدل الباطل»، والصفدي في «أعيان العصر وأعوان النصر» باسم : «تنبيه
الرجل الغافل على تمويه المجادل» ، وفي «الوافي بالوفيات» له أيضاً . وابن شاکر الکتبی فی
«فوات الوفيات» ، انظر الجامع لسيرة شيخ الإسلام ص ١٩٦ ، ٢٩٣ ، ٣١٦ ، ٣٣١ .

وتباين العقول والأخلاق ، حيث خلقوا من طبائع ذات تنافر ، وابتلوا بتشعب الأفكار والخواطر ، فبعث الله الرسل مبشرين ومنذرين ، ومبينين للإنسان ما يضلّه ويهديه ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وأمرهم بالاعتصام به ؛ حذراً من [التفرق]^(١) في الدين ، وحضهم عند التنازع على الرد إليه وإلى رسوله المبين ، وعذرهم بعد ذلك فيما يتنازعون فيه من دقائق الفروع [العلمية]^(٢) لخفاء مدرّكها ، وخفة مسلكها وعدم إفضائها إلى بلية ، وحضهم على المناظرة والمشاورة ؛ لاستخراج الصواب في الدنيا والآخرة حيث يقول لمن رضي دينهم : ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾^(٣) ، كما أمرهم بالمجادلة والمقاتلة لمن عدل عن السبيل العادلة ، حيث يقول آمراً وناهياً لنبية والمؤمنين لبيان ما يرضاه منه ومنهم : ﴿وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٤) ، ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾^(٥) .

فكان أئمة الإسلام ممثلين لأمر [المليك]^(٦) العلام ، يجادلون أهل الأهواء المضلة حتى [يردونهم]^(٧) إلى سواء الملة ، كمجادلة ابن عباس - رضى الله عنهما - للخوارج المارقين حتى رجع كثير منهم إلى ما خرج عنه من الدين ، وكمناظرة كثير من السلف الأولين/ لصنوف المبتدعة الماضين ، ومن في قلبه ريب يخالف اليقين حتى هدى الله من شاء من البشر ، وعلن الحق وظهر ، ودرس ما أحدثه المبتدعون واندثر .

وكانوا يتناظرون في الأحكام ، ومسائل الحلال والحرام بالأدلة المرضية ،

(٢) في «س» : العملية .

(٤) [النحل : ١٢٥] .

(٧) في «س» : هذا .

(١) في «س» : الافتراق .

(٣) [الشورى : ٣٨] .

(٥) [العنكبوت : ٤٦] .

(٦) في «س» : الملك .

والهجج القوية ، حتى كان قل مجلس يجتمعون عليه إلا ظهر الصواب ، ورجع راجعون إليه لاستدلال المستدل بالصحيح من الدلائل ، وعلم المنازع أن الرجوع إلى الحق خير من التماذي في الباطل ، كمجادلة الصديق لمن نازعه في قتال مانعي الزكاة حتى رجعوا إليه ، ومناظرتهم في جمع المصحف حتى اجتمعوا عليه ، [وتناظرهم]^(١) في حد الشارب وجاحد التحريم حتى هدوا إلى الصراط المستقيم ، وهذا وأمثاله يجلب عن العد والإحصاء ، فإنه أكثر من نجوم السماء .

ثم صار المتأخرون بعد ذلك قد يتناظرون في أنواع التأويل والقياس ، بما يؤثر في ظن بعض الناس ، وإن كان [عند]^(٢) التحقيق يؤول إلى الإفلاس ، لكنهم لم يكونوا يقبلون من [المناظرة]^(٣) إلا ما يفيد ولو ظناً ضعيفاً للناظر ، واصطلحوا على شريعة من الجدل للتعاون على إظهار صواب القول والعمل ، ضبطوا بها قوانين الاستدلال ؛ لتسلم عن الانتشار والانحلال ، فطرائقهم وإن كانت بالنسبة إلى [طرائق]^(٤) الأولين غير وافية بمقصود الدين ، لكنها غير خارجة عنها بالكلية ، ولا مشتملة على ما لا يؤثر في القضية ، وربما كسوها من جودة العبارة ، وتقريب الإشارة ، وحسن الصياغة ، وصنوف البلاغة ما يحليها عند الناظرين ، وينفقها عند المتناظرين ، مع ما اشتملت عليه من الأدلة السمعية ، والمعاني الشرعية ، وبنائها على الأصول الفقهية ، والقواعد [الشرعية]^(٥) والتحاكم فيها إلى حاكم الشرع الذي لا يعزل ، وشاهد العقل المزكى المعدل ، وبالجمل لا تكاد تشتمل على باطل محض ومكر صرف ، بل لا بد فيها من محيل للحق ، ومشتمل على عرف ، ثم إن بعض طلبة العلوم من

(٢) في «س» : هذا .

(٤) في «س» : أدلة .

(١) في «س» : ومناظرتهم .

(٣) في «س» : المناظر .

(٥) في «س» : المرضية .

أبناء فارس والروم صاروا مولعين بنوع من جدل الموهين ، استحدثه طائفة من
المشركين ، وألحقوه بأصول الفقه في الدين ، راوغوا فيه مراوغة الثعالب وحادوا
فيه عن المسلك اللائح^(١) ، وزخرفوه بعبارات موجودة في كلام العلماء ، قد
نطقوا بها ، غير أنهم وضعوها في غير مواضعها المستحقة لها ، وألفوا الأدلة
تأليفاً غير مستقيم ، وعدلوا عن التركيب الناتج إلى العقيم ، غير أنهم بإطالة
العبارة ، وإبعاد الإشارة واستعمال الألفاظ المشتركة والمجازية في المقدمات ،
ووضع الظنيات موضع القطعيات ، والاستدلال بالأدلة العامة حيث ليست لها
دلالة على وجه يستلزم الجمع بين النقيضين ، مع الإحالة والإطالة ، وذلك من
فعل غالط [و] (***) مغالط للمجادل ، وقد نهى النبي ﷺ عن أغلوطات
المسائل^(٢) .

نقق ذلك على الأغمات الطماطم^(٣) ، وراج رواج البهرج^(٤) على الغر^(٥)
العام ، واغتر به بعض الأغمار^(٦) الأعاجم ، حتى ظنوا أنه من العلم بمنزلة
الملزوم من اللازم ، ولم يعلموا أنه والعلم المقرب متعانداً متنافيان ، كما أنه
والجهل المركب متصاحبان متأخيان ، فلما استبان لبعضهم أنه كلام ليس له
حاصل ، [و] (***) لا يقوم بإحقاق حق ولا إبطال باطل ، أخذ يطلب كشف

(**) من «س» .

(*) في «س» : أو .

(١) اللائح : الطريق الواضح .

(٢) ضعيف . رواه أحمد وأبو داود من حديث معاوية ، انظر ضعيف الجامع الصغير برقم

[٦٠٣٥] والمشكاة برقم (٢٤٣) للشيخ الألباني - رحمه الله - .

(٣) أي : الذين لا يفصحوا في كلامهم لعجمة في منطقتهم .

(٤) الزائف .

(٥) الجاهل بالأمور .

(٦) الذين لم يجربوا الأمور .

مشكله، وفتح مقفله ، ثم إبانة علله ، وإيضاح زلله ، وتحقيق خطاه ، وخطله، حتى يتبين أن سالكه يسلك في الجدل مسلك اللدد ، وينأى عن [مسلك] (*) الهدى والرشد، ويتعلق من الأصول بأذيال لا توصل إلى حقيقة ، ويأخذ من الجدل الصحيح رسوماً يموه بها على أهل الطريقة .

ومع ذلك فلا بد أن يدخل في كلامهم قواعد صحيحة ونكت من أصول الفقه مليحة ، لكن إنما أخذوا/ ألفاظها ومبانيها دون حقائقها ومعانيها ، بمنزلة ما في الدرهم الزائف من العين ، ولولا ذلك لما نفق على من له عين ، فلذلك أخذ في تمييز حقه من باطله، وحاليه من عاطله، بكلام مختصر مرتجل ، كتبه كاتبه على عجل ، والله الموفق لما يحبه ويرضاه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . انتهت خطبة هذا الكتاب .

ومن مصنفاته أيضاً: كتاب «بيان الدليل على بطلان التحليل»^(١) ، وكتاب: «الصارم المسلول على شاتم الرسول»^(٢) ، وكتاب: «اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم»^(٣) ، وكتاب: «تحرير الكلام في حادثة الاقسام» ، وسماه بعضهم : «كتاب التحرير في مسألة حفير»^(٤) .

(*) في «س» : مسالك .

(١) طبع باسم «إقامة الدليل على إبطال التحليل» ، بالقاهرة : مطبعة كردستان العلمية ١٣٢٨هـ .

(٢) طبع بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، مصر - طنطا : مكتبة تاج ١٣٧٩هـ ، وطبع بحيد أباد: دائرة المعارف العثمانية بالهند ، مطبعة الناشر سنة ١٣٧١هـ ، وبارد الجبل ببيروت نسخة مصورة بالأوفست عن طبعة الهند سنة ١٩٧٥م .

(٣) طبع بالقاهرة : المطبعة الشرفية سنة ١٣٢٥هـ - بتحقيق محمد حامد الفقي ط- ثانية بالقاهرة بمطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٦٩هـ .

(٤) ذكره ابن عبد الهادي في «مختصر طبقات علماء الحديث» ، وابن رشيق في أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ، وجاء فيه بدل «حفير» «الخضر» ، وعلق محققا كتاب «الجامع لسيرة شيخ الإسلام» ، والصواب : «الخضير» كما في المصادر الأخرى .

وكتاب : «رفع الملام عن الأئمة الأعلام»^(١) ، وكتاب : «السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية»^(٢) ، وكتاب : «تفضيل صالح الناس على سائر الأجناس»^(٣) ، وكتاب «التحفة العراقية في الأعمال القلبية»^(٤) ، وكتاب : «المسائل الإسكندرية في الرد على الملاحدة الاتحادية»^(٥) ، وتعرف بـ «السبعينية» ؛

= قلت : وهو خطأ منهما أيضاً ، والصواب ما أثبتته ، وقد أورده ابن عبد الهادي نقلًا عن ابن رشيق في كتابنا باسم «تحرير الكلام في حادثة الاقسام» ، قال : وسماه بعضهم : «كتاب التحرير في مسألة حفير» .

وأورده ابن رجب الحنبلي في «الذيل على طبقات الحنابلة» على الصواب ، ثم قال : في مسألة القسمة ، كتبها اعتراضًا على الخوي في حادثة حكم فيها . ونقل نفس نص ابن رجب في الذيل العلمي في «المنهج الأحمد» وفي «الدر المنضد» . [انظر الجامع لسيرة شيخ الإسلام ص ١٩٦ ، ٢٤٤ ، ٤١٩ ، ٥٤٤ ، ٥٥٣] .

(١) طبع بالقاهرة : مطبعة المعارف ١٣١٨هـ ، وفي المطبعة الحسينية ١٣٢٣هـ ، وفي المكتب الإسلامي بتصحيح محمد زهير الشاويش ١٣٨٤هـ ، وبالمدينة المنورة : المكتبة العلمية دون تاريخ وطبع في قطر على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني بتحقيق الشاويش بمطابع قطر الوطنية ١٣٩٤هـ . وهو ضمن مجموع الفتاوى (٢٣١/٢٠ - ٢٩٠) . وطبع بمكتبة السنة محققًا على مخطوطتين .

(٢) طبع في القاهرة : المطبعة الخيرية ١٣٣٢هـ ، وبتحقيق قصي محب الدين الخطيب بالمطبعة السلفية ١٣٨٧هـ ، وبتحقيق علي سامي النشار ، وأحمد زكي عطية ، القاهرة : دار الكتاب العربي ط الثانية ١٩٥١م ، ودار الكتب العربية ، بيروت ١٣٨٦هـ ، وبتحقيق وتعليق محمد إبراهيم ومحمد أحمد عاشور ، القاهرة : دار الشعب ، مطابع الناشر ١٩٧١م ، كما خرج أحاديثه الشيخ علي المغربي - رحمه الله - وطبع بدار الإيمان بالإسكندرية .

(٣) ذكره ابن عبد الهادي في «مختصر طبقات علماء الحديث» . [انظر الجامع لسيرة شيخ الإسلام ص ١٩٦] .

(٤) طبعت بتصحيح محمد منير عبده أغا الدمشقي ، القاهرة : إدارة الطباعة النيرية ، مطبعة الناشر ١٣٤٤هـ ، وبيغداد بالشركة الإسلامية للطباعة دون تاريخ ، وبتقديم وتعليق طه خليل الحيايلى ، بغداد : مطبعة عصام ١٤٠١هـ .

(٥) ذكره ابن عبد الهادي في «المختصر» ، وابن رشيق في «أسماء المؤلفات» ، قال ابن رشيق : رد فيه على ابن سبعين وغيره في مجلد ، وسماه ابن عبد الهادي «المسائل الإسكندرية في الرد على الملاحدة والاتحادية» وتعرف بالسبعينية . وانظر فهارس «الجامع لسيرة شيخ الإسلام» =

لاشمالها على الرد على ابن سبعين وأضرابه .

وكتاب : «فضائل القرآن»^(١) ، وكتاب : «أقسام القرآن»^(٢) ، وكتاب : «أمثال القرآن»^(٣) ، وكتاب : «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»^(٤) .
وهذه المصنفات بعضها مجلد كبير ، وبعضها مجلد صغير ، وله كتاب في الرد على المنطق^(٥) مجلد كبير ، وله مصنفان آخران في الرد على المنطق ، نحو مجلد ، وله كتاب في محنته بمصر^(٦) ، مجلدان ، رد فيه على القائلين بالكلام النفسي ، من نحو ثمانين وجهًا .

= ص ١٩٦ ، ٢٣٣ ، ٢٩٣ ، ٣١٦ ، ٣٣٠ ، ٤١٨ ، ٥٤٣ ، ٥٥٢ .

وقد طبع بتحقيق د/ موسى الدويش باسم «بغية المرتاد في الرد على أهل الحلول والاتحاد والقرامطة السبعينية» .

وبين الصفدي أنه في «ما تضمنته فصوص الحكم من الكفر والإلحاد والاتحاد والحلول» .

(١) ذكره ابن رشيقي في «أسماء مؤلفات شيخ الإسلام» باسم «قاعدة في فضائل القرآن» الجامع ص ٢٣٢ .

(٢) ذكره ابن رشيقي في المصدر السابق باسم «قاعدة في أقسام القرآن» الجامع ص ٢٣٢ .

(٣) ذكرها ابن رشيقي باسم قاعدة في أمثال القرآن . الجامع ص ٢٣٢ .

(٤) طبع عدة طبعات منهم طبعة بتحقيق شيخنا الفاضل / مصطفى بن العدوى - حفظه الله -

(٥) طبع باسم «الرد على المنطقين» تصحيح عبد الصمد شرف الدين الكتبي ، بومباي المطبعة

القيمة بالهند سنة ١٣٦٨ هـ .

(٦) ذكره ابن عبد الهادي في المختصر ، وابن رشيقي في «أسماء المؤلفات» ، وذكرها ابن القيم

في الكافية الشافية ، قال :

وكذاك «تسعينية» فيها له رد على من قال بالنفساني

تسعون وجهًا بينت بطلانه أعني كلام النفس ذا الوجدان

وذكرها الصفدي في «الوافي» وفوات الوفيات» باسم «إبطال الكلام النفساني» أبطله من نحو

ثمانين وجهًا . وابن رجب في «الذيل على الطبقات» والعلمي في «المنهج الأحمد» وفي «الدر

المضد» . انظر الجامع لسيرة شيخ الإسلام ص ١٩٥ ، ٢٣٤ ، ٢٧٩ ، ٢٩٢ ، ٣١٥ ، ٣٣٠ ، ٤١٨ ،

٥٥٢ ، ٥٤٣ .

وله في مسألة القرآن مؤلفات كثيرة وقواعد وأجوبة وغير ذلك إذا اجتمعت بلغت مجلدات كثيرة ، منها ما بيض ، ومنها ما لم يبيض ، فمن مؤلفاته في ذلك :

«الكيلانية»^(١) ، و«البغدادية»^(٢) ، و«القادرية»^(٣) ، و«الازهرية»^(٤) ، و«البعليكية»^(٥) ، و«المصرية»^(٦) .

وله في «الرد على الفلاسفة»^(٧) مجلدات وقواعد ، أملاها مفردة غير ما تضمنته كتبه ، منها :

«إبطال قولهم بإثبات الجواهر العقلية» .

(١) ذكرها ابن رشيقي في «أسماء المؤلفات» تحت عنوان: «قواعد وفتاوى» ، قال: وهي جواب في مسألة القرآن في مجلد لطيف . [انظر الجامع ص ٢٣٤] . وهي مطبوعة ضمن مجموع الفتاوى (١٢/٣٢٣-٥٠١)

(٢) ذكرها ابن رشيقي في نفس المصدر قال : وهي مسألة في القرآن ، والصفدي في «أعيان العصر» ، والوافي» وابن شاكر في «فوات الوفيات» [الجامع ص ٢٣٥ ، ٢٩٢ ، ٣١٥ ، ٣٣٠] ، وهناك رسالة بهذا العنوان فيما يحل من الطلاق ويحرم [مجموع الفتاوى ٣٣/٥-٤٣] .

(٣) ذكرها الصفدي في «أعيان العصر» و«الوافي بالوفيات» ، وابن شاكر في «فوات الوفيات» [الجامع ص ٢٩٢ ، ٣١٥ ، ٣٣٠] .

(٤) ذكرها الصفدي في «أعيان العصر» و«الوافي بالوفيات» ، وابن شاكر في «فوات الوفيات» [الجامع ص ٢٩٢ ، ٣١٥ ، ٣٣٠] .

(٥) ذكرها ابن رشيقي في «أسماء المؤلفات» قال: تكلم فيها على اختلاف الناس في الكلام ، نحو عشرين ورقة ، والصفدي في «أعيان العصر» و«الوافي» ، وابن شاكر في «فوات الوفيات» [الجامع ص ٢٣٤ ، ٢٩٢ ، ٣١٥ ، ٣٣٠] ، وقد طبعت في القاهرة بتصحيح وتحقيق محيي الدين صبري ، ومحمد حسين نعيمة ، مطبعة كردستان العلمية ١٣٢٨هـ ، ضمن كتاب «رسائل تراثية» ص ٣٨٩ - ٤٣٦ .

(٦) وهي مطبوعة باسم «المسألة المصرية في القرآن» ضمن مجموع الفتاوى (١٢/١٦٢-٢٣٤) .

(٧) قال الشيخ أحمد بن محمد بن مريّ الحنبلي في رسالته إلى تلاميذ شيخ الإسلام ابن =

- ومنها : «إبطال قولهم بقدّم العالم ، وإبطال ما احتجوا به» .
 ومنها : «إبطال قولهم في أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد» .
 وله كتاب في «الوسيلة»^(١) ، مجلد .
 وكتاب «الرد على البكري في الاستغائة»^(٢) مجلد .

= تيمية^(*) : «إنما أحت هممكم الصالحة على تحصيل كراريس «الرد على عقائد الفلاسفة» لأنه ليس في الوجود بهذا المؤلف نسخة كاملة غير النسخة التي بخطي ... إلى قوله : «وللطوسي نسخة بخط كَيْسٍ ، وكملوها لأنه مؤلف لا نظير له ، ولا يكسر الفلاسفة مثله» . [انظر الرسالة كاملة في الجامع ص ٩٩] .

وقال ابن القيم في الكافية الشافية :

وكذلك توحيدُ الفلاسفة الأولى توحيدُهم هو غايةُ الكفران
 سفرٌ لطيفٌ فيه «نقضُ أصولهم» بحقيقة المعقولِ والبرهان

وذكر الصفدي في «أعيان العصر، والوافي» من مؤلفات الشيخ الرد على الفلاسفة» مجلدات، وذكر ابن شاکر أنه أربع مجلدات ، وذكر الألوّسي في جلاء العينين أنه أربع مجلدات أيضاً .
 [الجامع ص ٩٩ ، ٢٧٨ ، ٢٩٢ ، ٣١٥ ، ٣٣٠ ، ٦١٩] .

(*) رسالة ابن مري نشرها الشيخ محمد حامد الفقي - رحمه الله - في «مجموعة رسائل علمية» القاهرة ١٣٦٨هـ من ص ١٤٧-١٥٤ بالاعتماد على نسخة بخط الشيخ جمال الدين القاسمي منقولة من نسخة منقولة من خط الشيخ [الجامع ص ٩٧] .

(١) ذكره ابن عبد الهادي في «المختصر» وابن رشيق في «أسماء المؤلفات» قال : في مجلد .
 [انظر الجامع ص ١٩٦ ، ٢٣٣] .

وهو ضمن مخطوطات مكتبة الدولة ببرلين الغربية ، وانظر فهراس مؤلفات شيخ الإسلام للعلامة الشيباني ص ٨٤ ، وهو ضمن مصورات مركز المخطوطات وعدد أوراقه ١٧ ورقة .

(٢) ذكره ابن عبد الهادي في «المختصر» وابن رجب في «الذيل» ، والعليمي في «المنهج الأحمد» ، وفي «الدر المنضد» . [الجامع ص ١٩٦ ، ٤١٨ ، ٥٤٣ ، ٥٥٣] .

ومنه قطعة مصورة في مركز المخطوطات والتراث والوثائق بالكويت ، وعدد أوراقها : ١٥ ورقة ، أولها : قال أبو العباس - رحمه الله - في كتاب الاستغائة في الرد على البكري ...
 وآخرها : ... «والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد» . تمت . =

وكتاب: «شرح أول كتاب الغزنوي في أصول الدين»^(١) مجلد لطيف .

وكتاب: «شرح عقيدة الأصبهانية»^(٢) مجلد .

وكتاب شرح فيه بضع عشرة مسألة من كتاب «الأربعين» للفخر الرازي^(٣)

أكثر من مجلدين .

وكتاب يعرف «بالصفدية»^(٤) في الرد على الفلاسفة في قولهم : إن

معجزات الأنبياء عليهم السلام - قوى نفسانية ، وفي إبطال قولهم بقدوم العالم .

وله كتاب «شرح أول المحصل»^(٥) ، مجلد .

= وهي مصورة من برلين الغربية برقم (٣٩٦٨) .

وقد طبعت ضمن مجموعة الرسائل الكبرى^(*) . [انظر فهرس مجموعة مؤلفات شيخ الإسلام

ابن تيمية القسم الأول إعداد الشيخ محمد بن إبراهيم الشيباني] ص ٦١ علوم التوحيد برقم [٢] .

(١) ذكره ابن رشيقي والصفدي في كتابيه وتبعه ابن شاکر [الجامع ص ٢٣٣ ، ٢٩٢ ، ٣١٥ ،

٣٣٠] .

(٢) طبع بمعرفة فرج الله زكي الكردي ، تصحيح محمد جمال الدين القاسمي ، القاهرة :

مطبعة كردستان العلمية ١٣٢٨ هـ . وطبع ضمن المجلد الثالث من مجموعة فتاوى ابن تيمية ط ،

ثانية ١٣٢٩ هـ ، وطبع بتقديم وتعريف حسين محمد مخلوف ، القاهرة : دار الكتب الحديثة

١٣٨٦ هـ ، وطبع بتحقيق أسعد أحمد ، القاهرة : دار الكتب الحديثة ١٣٨٥ هـ^(**) . [الموسوعة

الإسلامية للدكتورة فاطمة محجوب ج ١٠٤ / ص ٢٢١] .

(٣) ذكره ابن رشيقي والصفدي في كتابيه ، وابن شاکر في فوات الوفيات ، وابن رجب في

«الذيل» ، والعلمي في كتابيه [الجامع ص ٢٣٣ ، ٢٩٢ ، ٣١٥ ، ٣٢٩ ، ٤١٨ ، ٥٤٣ ، ٥٥٣] .

(٤) طبع بتحقيق الدكتور محمد رشاد سالم - رحمه الله - في مجلدين الجزء الأول ط ،

حنيفة ، الرياض ١٩٧٦ م ، والجزء الثاني ط - الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والإرشاد ،

الرياض - السعودية .

(٥) ذكره ابن رشيقي والصفدي في كتابيه ، وابن شاکر في «فوات الوفيات» [انظر الجامع ص

٢٣٣ ، ٢٩٢ ، ٣١٥ ، ٣٢٩] .

(*) المطبوع مختصر الاستغانة .

(**) وطبعاته القديمة ناقصة ، ثم حققه محمد العودة في قسم العقيدة بكلية أصول الدين ، والطبعة المحققة

فيها زيادة قد تزيد على ثلث الكتاب .

وكتاب : «الرد على أهل كسروان الرافضة»^(١) ، مجلدان .
وكتاب يسمى : «الهلاونية»^(*)(٢) ، وهو جواب سؤال ورد على لسان
هولاكو ملك التتار ، مجلد .

وله في الرد على من قال : إن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين^(٣) ، عدة
مصنفات .

وله في الرد على منكرى المعاد قواعد كثيرة .

وله تعليقة على كتاب «المحرر»^(٤) في الفقه لجده الشيخ مجد الدين ، في
عدة مجلدات .

وله كتاب شرح فيه قطعة من كتاب «العمدة في الفقه»^(٥) ، للشيخ موفق
الدين ، في مجلدات ، وله قواعد كثيرة في فروع الفقه ، لم تبيِّن بعد ، ولو
بيضت كانت مجلدات عدة ، وقد جمع بعض أصحابه قطعة كبيرة من فتاويه
الفروعية ، وبوبها على أبواب الفقه ، في مجلدات كبيرة تعرف «بالتاوى

(١) ذكره ابن عبدالهادي وابن رشيق والصفدي في كتابيه ، وابن شاکر وابن رجب والعلمي
في كتابيه . [انظر الجامع ص ١٩٦ ، ٢٣٣ ، ٢٩٣ ، ٣١٦ ، ٣٣١ ، ٤١٨ ، ٥٤٤ ، ٥٥٣] .

(*) في «س» : «الهلاونية» وقد وردت بهذا الاسم في مصادر أخرى فكلاهما صحيح .

(٢) ذكره ابن رشيق والصفدي في كتابيه ، وابن شاکر ، وابن رجب والعلمي في كتابيه
[انظر الجامع ص ٢٣٣ ، ٢٩٣ ، ٣١٦ ، ٣٣١ ، ٤١٩ ، ٥٤٤ ، ٥٥٣] .

(٣) ذكرها الصفدي في «أعيان العصر والوافي» وابن شاکر في «فوات الوفيات» وقالوا : إنها
ثلاث مصنفات .

(٤ ، ٥) ذكرهما ابن رشيق والصفدي في كتابيه ، وابن شاکر ، وابن رجب والعلمي [الجامع
ص ٢٤٣ ، ٢٩٥ ، ٣١٨ ، ٣٣٢ ، ٤١٩ ، ٥٤٤ ، ٥٥٣] ، والمحرر مطبوع بالقاهرة : مطبعة السنة
المحمدية ١٣٧٠ هـ .

وأما شرح العمدة فذكره الأکوسي وحده في جلاء العينين . [الجامع ص ٦٢٠] ، وهو مطبوع
بتحقيق دكتور/ صالح بن محمد الحسن بمكتبة العبيكان ، والدكتور / سعود بن صالح العطيشان
جزء الطهارة ومناسك الحج والعمرة سنة ١٤١٣ هـ .

المصرية»^(١) ، وسماها بعضهم : «الدرر المضية في فتاوى ابن تيمية» .
 وله مؤلفات في صفة حج النبي ﷺ^(٢) ، وجمع من النصوص في ذلك ،
 والكلام على متعة الحج والعمرة المكية ، وطواف الحائض ، وما يتعلق بذلك أكثر
 من مجلدين .

(١) قال ابن القيم في الكافية الشافية :

وكذاك «أجوبة له مصرية»
 في ست أسفار كُتِبَ سِمَانِ

وقال الصفدي في «أعيان العصر» و «الوافي بالوفيات» :

جمع بعض الناس «فتاويه بالديار المصرية» مدة مقامه بها سبع سنين في علوم شتى ، فجاءت
 ثلاثين مجلدة ونقل ذلك ابن شاکر في «فوات الوفيات» . وذكر ابن رجب في «الذيل» أنها سبع
 مجلدات .

وكذلك العليمي في المنهج الأحمد وفي «الدر المنضد» وذكر عدة مصنفات أخرى ، ثم قال :
 وكلُّ هذه التصانيف ما عدا كتاب «الإيمان» كتبه وهو بمصر في مدة سبع سنين صنَّفها في السجن ،
 وكتب معها أكثر من مائة لَفَّة ورق أيضاً . [الجامع ص ٢٧٨ ، ٢٩٧ ، ٣١٩ ، ٣٣٤ ، ٤١٨ ،
 ٥٤٣ ، ٥٥٢] .

وطبع مختصره الشيخ حامد الفقي - رحمه الله - وقال في مقدمته :

أما بعد : فهذا كتاب «مختصر الدرر المضية من الفتاوى المصرية» لشيخ الإسلام علم الأعلام
 الإمام المجتهد ، الصابر الشاكر ، أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام بن تيمية - رضي الله عنه
 وأرضاه - ...

وطبع مؤخراً باسم «مختصر الفتاوى المصرية» لشيخ الإسلام ابن تيمية تأليف أوحد العلماء
 الشيخ بدر الدين أبي عبدالله محمد بن علي الحنبلي البعلبي الموفي سنة ٧٧٧ هـ دراسة وتعليق
 الشيخ / محمد صفوت الشوافي - رحمه الله - طبعة دار ابن رجب ١٤٢١ هـ . في مجلدين .

(٢) ويوجد مخطوط في مكتبة أزميرلي إسماعيل حقي بالمكتبة السلمانية بتركيا في ٤٧ صفحة
 [انظر مجموعة مؤلفات شيخ الإسلام المحفوظة في المكتبة السلمانية إعداد الشيخ الشيباني
 ص ٣٨-٣٩] .

وقد طبع ضمن مجموعة الرسائل الكبرى الجزء الثاني بالمطبعة العامرة الشرفية بمصر ١٣٢٣ هـ ،
 وعندني نسخته وأقوم بتحقيقه إن شاء الله .

وله مصنفات في «زيارة القبور»^(١) ، هل تباح للنساء ؛ والفرق بين الزيارة الشرعية والزيارة البدعية ، وفي المشاهد ، متى حدثت ؛ وفي النذور لها ، وفي «المشهد/ المنسوب للحسين»^(٢) ، وفي «قبر علي - رضي الله عنه -» وغير ذلك عدة مجلدات ، وله في «مسألة شد الرحال ولوازمها»^(٣) التي حبس ومات في

= وقد ذكر الشيخ الشيباني «حفظه الله» أنه طبع بالمطبعة السلفية بالقاهرة ضمن مجموع (٣٥٤ - ٤٠٠) .

وذكرت الدكتورة فاطمة محجوب في موسوعتها تحقيق الشيخ محمد حامد الفقي له - جدة : على نفقة محمد نصيف ، مطبعة السنة المحمدية ١٣٦٨ هـ .

وقد تكلم شيخ الإسلام في المجلد السادس والعشرين من مجموع الفتاوى عن الحج والعمرة بإسهاب فليرجع إليه .

(١) منها رسالة باسم «زيارة القبور» طبعت في القاهرة سنة ١٣٢٣ هـ وهي من مخطوطات المكتبة السليمانية ، ومنه نسخة مصورة في مركز المخطوطات والتراث عن نسخة برلين [انظر مؤلفات ابن تيمية المخطوطة في المكتبة السليمانية للشيخ/ الشيباني ص ٢٠] .

(٢) مطبوع في مطبعة المدني بتقديم الشيخ محمد جميل غازي - رحمه الله - مع رسالة أخرى لابن كثير «باسم استشهاد الحسين» ، وأما رسالة ابن تيمية فاسمها «رأس الحسين» - رضي الله عنه - وتبدأ من ص(١٥١ : ١٩٠ في الكتاب ، وأولها :

بسم الله الرحمن الرحيم :

ما تقول السادة العلماء أئمة الدين ، وهداة المسلمين - رضي الله عنهم - أجمعين ، وأعانهم على تحقيق الحق المبين ، وإخماد شغب المبطلين ، في المشهد المنسوب إلى الحسين - رضي الله عنه - بمدينة القاهرة: هل هو صحيح أم لا ؟

وأخرها : وإنما كان المقصود : تحقيق مكان رأس الحسين - رضي الله عنه - وبيان أن الأمكنة المشهورة عند الناس بمصر والشام : أنها مشهد الحسين ، وأن فيها رأسه فهي كذب واختلاق ، وإفك وبهتان ، والله أعلم .

(٣) طبع ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ، الجزء الثاني رسالة بعنوان : «لا تُشدُّ الرِّحالُ» تصحيح حسن الفيومي إبراهيم ، القاهرة ، على نفقة شركة طبع الكتب العلمية ، المطبعة الشرفية ١٣٢٣ هـ وعندني نسخة منها ، وسأقوم بتحقيقها إن شاء الله .

بسببها شيء كثير، بيض منه مجلدات عديدة، وله في «مسائل الطلاق»^(١) والخلع» وما يتعلق بذلك من الأحكام شيء كثير، ومصنفات عديدة، بيّض الأصحاب من ذلك كثيراً، وكثير منه لم يبيّض، ومجموع ذلك نحو العشرين مجلداً .
وله قواعد كثيرة في سائر أنواع العلوم، منها: قاعدة في الصفات والقدر، تسمى: «تحقيق الإثبات للأسماء والصفات»، وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، وهي المعروفة بالتدمرية»^(٢).

وقاعدة في أن «مخالفة الرسول ﷺ لا تكون إلا ظن واتباع هوى»^(٣).
وقاعدة في «أن الإيمان والتوحيد يشتمل على مصالح الدنيا والآخرة»^(٤).
وقاعدة في «إثبات كرامات الأولياء»^(٥)، وقاعدة في «أن خوارق العادات لا تدل على الولاية»^(٦)، وقاعدة في «الصبر والشكر»^(٧)، وقاعدة كبيرة في «الرضا»^(٨)، وقاعدة في «الشكر والرضا»^(٩)، وقاعدة في «أن كل آية يحتج بها مبتدع ففيها دليل على فساد قوله»^(١٠).

(١) هناك «رسالة في الطلاق» بالمكتبة السليمانية عدد أوراقها ٤٦ ورقة ذكرها الشيخ الشيباني - حفظه الله - ضمن مخطوطات ابن تيمية في المكتبة السليمانية باستانبول ص ٣٥، وطبعت «رسالة في إشهار الطلاق» عناية Laousti.H. ، نشرة الدراسات الشرقية ١٩٣٧ م.
(٢) طبعت بتصحيح إسماعيل بن إبراهيم، القاهرة: المطبعة الحسينية ١٣٢٥ هـ، وبالمكتب الإسلامي ١٣٩١ هـ، وبمطبعة أنصار السنة المحمدية ١٣٧٢ هـ، وضمن كتاب بعنوان «نفائس» بتحقيق وتعليق محمد حامد الفقي - مكتبة السنة المحمدية، القاهرة - دون تاريخ - من ص ٨٤:٥.

(٣) ذكرها ابن رشيقي [الجامع ص ٢٣٥].

(٤-٨) ذكرهم ابن رشيقي [الجامع ص ٢٣٥، ٢٣٦].

(٩) ذكرها ابن رشيقي باسم «الشكر لله» [الجامع ص ٢٤١].

(١٠) ذكرها ابن رشيقي [الجامع ص ٢٣٦].

وقاعدة في «أن كل دليل عقلي يحتج به مبتدع ففيه دليل على بطلان قوله»^(١) ، وقاعدة في «الخلوات وما يلقيه الشيطان من الشبه ، والفرق بين الخلو الشريعة والبدعية»^(٢) .

وقاعدة في «الفقراء والصوفية أيهما أفضل»^(٣) . وقاعدة في «الفقير الصابر والغني الشاكر أيهما أفضل»^(٤) . وقاعدة في «أهل الصفة ومراتبهم وأحوالهم»^(٥) ، وقاعدة كبيرة في «محبة الله للعبد ، ومحبة العبد لله»^(٦) ، وقاعدة في «الإخلاص والتوكل»^(٧) ، وقاعدة في «الإخلاص وتقريره بالعقل» ، وقاعدة في «الشيوخ الأحمدية وما يظهرونه من الإشارات»^(٨) .

(١) ذكرها ابن رشيقي [الجامع ص ٢٣٦] وذكر أنها في مائة ورقة .

(٢) ذكرها ابن رشيقي [الجامع ص ٢٣٦] .

(٣) ذكرها ابن رشيقي [الجامع ص ٢٣٦] .

(٤) ذكرها ابن رشيقي باسم «رسالة في المفاضلة بين الغني الشاكر والفقير الصابر» [الجامع

ص ٢٤٩] .

(٥) مطبوعة ضمن مجموع الفتاوى المجلد (١١/٣٧-٧٠) .

(٦) هناك قاعدة باسم «المحبة» طبعت في الجزء الثاني ضمن كتاب جامع الرسائل لابن تيمية

بتحقيق الدكتور محمد رشاد سالم الطبعة الأولى بمطبعة المدني بالقاهرة ١٤٠٥هـ ، والقاعدة من

ص ١٩٣-٤٠١ . وذكرها ابن رشيقي كما جاءت في العقود [الجامع ٢٣٦] .

(٧) ذكرها ابن رشيقي [الجامع ص ٢٣٦] .

(٨) ذكرها ابن رشيقي وقال : نحو خمسين ورقة ، والصفدي في «أعيان العصر والوافي

بالوفيات» وابن شاكر في «فوات الوفيات» باسم «كشف حال المشايخ الأحمدية وأحوالهم

الشيطنانية» ، وذكر ابن كثير في «البداية والنهاية» طرفاً منها بإيجاز ، وقد طبعت هذه القاعدة

باسم «مناظرة ابن تيمية لطائفة الرفاعية» بتعليق عبد الرحمن دمشقية ، بمكتبة ابن تيمية بالقاهرة

١٤٠٩هـ ، وهي ضمن المجلد الحادي عشر من مجموع الفتاوى ، وضمن مجموعة الرسائل

والمسائل المجلد الأول .

(١) ذكر ابن رشيقي «قاعدة في تحريم السماع» نحو عشرين ورقة .

وله قواعد وأجوبة في «تحريم السماع»^(١) ، أكبر من مجلدين ، وقاعدة في «شرح أسماء الله الحسنى»^(٢) ، وقاعدة في «الاستغفار وشرحه وأسراره»^(٣) ، وقاعدة في «أن الشريعة والحقيقة متلازمان»^(٤) ، وقاعدة في «الخلعة والمحبة أيهما أفضل»^(٥) ، وقاعدة في «العلم المحكم»^(٦) ، وقواعد وأجوبة في «خلافه أبي بكر الصديق - رضي الله عنه»^(٧) .

وقاعدة في «وجوب نصيحة أولي الأمر ، والدعاء لهم» ، وقاعدة في «أحوال الشيخ يونس الغيبي ، والشيخ أحمد بن الرفاعي» ، وقاعدة وأجوبة في «عصمة الأنبياء عليهم السلام» ، وقاعدة في «الاستطاعة هل هي مع العقل أو قبله؟»

وقاعدة في «العدم واستطاعته» ، وقاعدة في «وجوب العدل على كل أحد في كل حال»^(٨) ، وقاعدة في «فضل السلف على الخلف في العلم»^(٩) . وقاعدة في «حق الله وحق رسوله ، وحقوق عباده وما وقع في ذلك من التفريط»^(١٠) .

وقاعدة في «أن مبدأ العلم الإلهي عند النبي ﷺ هو الوحي ، وعند أتباعه هو الإيمان»^(١١) ، وقاعدة في «أن الحمد والذم والثواب والعقاب بالجهاد قلت: وهي مطبوعة ضمن الجزء الثاني من مجموعة الرسائل الكبرى باسم «في حكم السماع والرقص» وهي في مجموع الفتاوى (٥٨٦-٥٥٧/١١) ، وذكر ابن رشيقي تحريم السماع في مجلد .

وقد طبع في المجلد (٥٨٧-٦٠٢/١١) من مجموع الفتاوى رسالة بعنوان السماع . وذكر «تحريم السماع» الصفدي في كتابيه وابن شاعر [انظر الجامع ص ٢٣٦ ، ٢٩٦ ، ٣١٩ ، ٣٣٣] .

- . (٥-٢) ذكرهم ابن رشيقي [انظر الجامع ص ٢٣٧] .
- . (٧ ، ٦) ذكرهما ابن رشيقي [انظر الجامع ص ٢٣٧] .
- . (٩ ، ٨) ذكرهما ابن رشيقي [انظر الجامع ص ٢٣٩] .
- . (١١ ، ١٠) ذكرهم ابن رشيقي [انظر الجامع ص ٢٣٩] .

(*) كتب فوقها: كذا .

والحدود*»، تتعلق بأفعال العباد لا بأنسابهم» .

وقاعدة في «أن كل حمد وذم للمقالات والأفعال لا بد أن تكون بكتاب الله وسنة رسول الله»^(١) .

وقاعدة في «ما لكل أمة من الخصائص ، وخصائص هذه الأمة»^(٢) .

وقاعدة في «الكليات»^(٣) ، وقواعد في «الفناء والاصطلام»^(٤) ، وقاعدة

في «العلم والحلم»^(٥) ، وقاعدة في «الاقتصاص من المظالم بالدعاء وغيره ،

وهل هو أفضل أم العفو؟»^(٦) ، وله قاعدتان في «قرب الرب من عابديه

وداعيه»^(٧) ، وقاعدة في «تزكية النفوس»^(٨) ، وقاعدة «على كلام ابن العريف*»

في التصوف»^(٩) ، وقاعدة في «الصراط المستقيم في الزهد والورع»^(١٠) ، وقاعدة

في «الإيمان والتوحيد وبيان ضلال من ضل في هذا الأصل»^(١١) .

وقاعدة في «أمراض القلوب وشفائها»^(١٢) ، وقاعدة في «السياحة ،

ومعناها في هذه الأمة»^(١٣) .

(١، ٢) ذكرهما ابن رشيقي [انظر الجامع ص ٢٣٩] .

(٣) ذكرها ابن رشيقي والصفدي في كتابيه ، وابن شاكر

[الجامع ص ٢٣٩، ٢٩٢، ٣١٥، ٣٣٠] .

(٤، ٥، ٦) ذكرهم ابن رشيقي [الجامع ص ٢٤٠] .

(٧) ذكرها ابن رشيقي باسم «رسالة في قرب الرب من عابديه وداعيه» مجلد لطيف . وذكرها

الصفدي في كتابيه ، وابن شاكر .

(٨-١١) ذكرهم ابن رشيقي [الجامع ص ٢٤٠] .

(*) في المطبوع من أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن الشريف وتحرر .

(١٢) طبعت في القاهرة باسم «أمراض القلوب وشفائها» ، بالمطبعة السلفية ١٣٨٦هـ ،

وطبعت أيضاً بالمكتبة السلفية عدة طبعات ، وهي ضمن مجموع الفتاوى (١٠/٩١-١٣٧) .

(١٣) ذكرها ابن رشيقي [الجامع ص ٢٤٠] .

(١-٥) ذكرهم ابن رشيقي [انظر الجامع ص ٢٤٠] .

وقاعدة في «خلة إبراهيم الخليل - عليه السلام - وأنه المطلق»^(١) .
وقواعد في «الشهادتين» ، وقواعد كثيرة «فيمن امتحن لله وصبر»^(٢) .
وقاعدة في «الصفح الجميل والهجر الجميل والصبر الجميل»^(٣) ، وقاعدة
«فيما يتعلق بالوسيلة بالنبي ﷺ والقيام بحقوقه الواجبة على أمته في كل زمان
ومكان، وبيان خصائصه التي امتاز بها على جميع العالمين ، وبيان فضل أمته
على جميع الأمم»^(٤) .

وقاعدة تتعلق «بالصبر المحمود والمذموم»^(٥) .
وقاعدة تتعلق «برحمة الله تعالى في إرسال محمد ﷺ ، وأن إرساله أجل
النعمة»^(٦) .

وقاعدة في «الشكر لله ، وأنه يتعلق بالأفعال الاختيارية»^(٧) .
وقاعدة في «المقربين ، هل يسألهم منكر ونكير»^(٨) ؟
وقاعدة في «الفتوة الإصطلاحية ، وأنه ليس لها أصل في الأحكام
الشرعية»^(٩) .

وقاعدة في الكلام على «المرشدة» التي ألفها ابن التومرت، وله أجوبة
تتعلق بها^(١٠) ، وقاعدة في «كلام الجنيد ، لما سئل عن التوحيد فقال: هو إفراد

(٧، ٦) ذكرهما ابن رشيقي [الجامع ص ٢٤١] .

(٨) ذكرها الصفدي في كتابيه ، وابن شاکر باسم: «مسألة...» [الجامع ص ١٩٣ ، ٣١٦ ،

[٣٣١

(٩) ذكرها الصفدي في كتابيه ، وابن شاکر باسم «الكلام على بطلان الفتوة المصطلح عليها

بين العوام، وليس لها أصل متصل بعلي عليه السلام» [الجامع ص ٢٩٧ ، ٣١٩ ، ٣٣٤ .

(١٠) مطبوعة ضمن مجموع الفتاوى (١١/٤٧٦-٤٩١) .

(١-٣) ذكرهم ابن رشيقي [الجامع ص ٢٤٢] .

الحدوث عن القدم»^(١) .

وقاعدة في «التسييح والتحميد والتهيل»^(٢) .

وقاعدة في «أن الله تعالى إنما خلق الخلق لعبادته»^(٣) .

وقاعدة في الكلام على قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾ ، تسمى «العبودية»^(٤) ، وهي جليلة القدر .

وقاعدة «فيما أحدثه الفقهاء المجردون» .

وقاعدة في «القدرية ، وأنهم ثلاثة أقسام : مجوسية ، ومشركية ، وإبليسية»^(٥) .

وقاعدة في «بيان طريقة القرآن في الدعوة والهداية النبوية ، وما بينهما وبين الطريقة الكلامية والطريقة الصوفية»^(٦) ، وقاعدة في «وصية لقمان لابنه»^(٧) .

وقاعدة في «تسييح المخلوقات من الجمادات وغيرها ، هل هو بلسان الحال

أم لا؟»^(٨) .

(٤) طبعت في المطبعة السلفية بإشراف الشيخ قصي محب الدين الخطيب - الطبعة الأولى

١٣٨٧هـ ، وطبعت بعد ذلك عدة طبعات ، وهي ضمن مجموع الفتاوى (١٠/١٤٩-٢٣٦) .

(٥-٨) ذكرهم ابن رشيقي [الجامع ص٢٤٢] .

وأما «قاعدة في تسييح المخلوقات . . .» فقد طبعت ضمن كتاب «جامع الرسائل» المجموعة

الأولى بتحقيق الدكتور/ محمد رشاد سالم باسم «رسالة في فنون الأشياء كلها لله تعالى» ص١-

٤٥ وذكر أنها جاءت في العقود الدرية «قاعدة في تسييح المخلوقات والجمادات . . .» وذكر أيضاً

أنها جاءت بنفس العنوان في رسالة «أسماء مؤلفات ابن تيمية» ص٢٦ لابن القيم . وهناك خطأ

مركب وقع فيه كل من الدكتور صلاح الدين المنجد الذي حقق هذه الرسالة وتبعه عليه كل من

نقل عنه ومنهم الدكتور/ محمد رشاد سالم ، وهو نسبتها لابن القيم ، والصواب أن «رسالة

مؤلفات ابن تيمية» هي من مؤلفات أبي عبد الله بن رشيقي ، كما نقل ذلك ابن عبد الهادي في

كتابنا العقود الدرية ، وقد بين هذا الخطأ جامعاً كتاب «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية =

= خلال سبعة قرون» فانظر كلامهما في المقدمة ص٨-١٣ كما بينا - حفظهما الله - وقوع

- وقاعدة تعرف «بالصعيدية» تتعلق بالثنوية^(١) .
- وقاعدة في «لباس الخرقه ، هل له أصل شرعي ، وفي الأقطاب ونحوهم»^(٢) .
- وقاعدة في «القضايا الوهمية»^(٣) .
- وقاعدة «فيما يتناهى وما لا يتناهى»^(٤) .
- وقاعدة في «الخلطة والعزلة» .
- وقاعدة في «مشايخ العلم ومشايخ الفقراء أيهم أفضل»^(٥) .
- وقاعدة في «تعذيب [المريد]»^(*) بذنب غيره»^(٦) .
- وقاعدة في قوله ﷺ : «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة...»^(٧) .
- وقاعدة في «أن جماع الحسنات : العدل ، وجماع السيئات : الظلم ،

الشيخ طاهر الجزائري - رحمه الله - في نفس الخطأ، حيث كتب على دفتر منوعات بدار الكتب بالظاهرية برقم [١١٤٧٩] أوله: «أسماء مؤلفات شيخ الإسلام» (ق/١-٨) : «الظاهر أن هذه الرسالة لتلميذه ابن القيم» . كما وقع في نفس الخطأ الشيخ جميل العظم ، حيث جزم أن الرسالة لابن القيم وعلى نسخته الخطية الموجودة بالظاهرية برقم [٤٦٧٥-عام] اعتمد المنجد . قلت: وتبعهم على هذا الخطأ الدكتور عبد الرحمن الفريواني في رسالته : «شيخ الإسلام ابن تيمية وجهوده في الحديث وعلومه» .

- (١) ذكرها ابن رشيقي إلا أنه قال: تتعلق «بالتوبة» [الجامع ص٢٣٦] .
- (٢) ذكرها ابن رشيقي [الجامع ص٢٣٦] .
- (٣) ذكرها ابن رشيقي والصفدي في كتابيه ، وابن شاكر [الجامع ص٢٣٥، ٢٩٢، ٣١٥، ٣٣٠] .
- (٤) ذكرها ابن رشيقي والصفدي في كتابيه ، وابن شاكر . [الجامع ص٢٣٥، ٢٩٢، ٣١٥، ٣٣٠] .
- (*) في «س» وأسماء مؤلفات شيخ الإسلام لابن رشيقي [المرء] .
- (٥، ٦) ذكرها ابن رشيقي [الجامع ص٢٤٣] .
- (٧) ذكرها ابن رشيقي [الجامع ص٢٣٧] .

ومراتب الذنوب في الدنيا»^(١) .

وقاعدة في «الحسنات تعلق بعلتين : جلب المنفعة ، ودفع المضرة ،
والسيئات بالعكس» .

وقاعدة في «فضائل عشر ذي الحجة»^(٢) .

وقاعدة في «رسالة النبي ﷺ إلى الجن والإنس»^(٣) .

وقاعدة في «أن جميع البدع ترجع إلى شعبة من شعبة الكفر»^(٤) .

وقاعدة في «الكلام على السنة والبدعة ، وأن كل بدعة ضلالة»^(٥) .

وقاعدة في «الإجماع وأنه ثلاثة أقسام»^(٦) .

وقاعدة كبيرة في «أصول الفقه غالبها نقل أقوال الفقهاء» .

وقاعدة «فيما يظن من تعارض النص والإجماع»^(٧) .

وقاعدة فقهية في «مسائل من النذور والأيمان ونكاح الشغار ، وما يستقر به

المهر ، ونحو ذلك»^(٨) مجلد .

وقواعد في «المغالبات ، وما يحل من الرهن ، وهل يفتقر إلى محلل؟»

مجلد .

وقواعد في «المائعات وأحكامها ، وفي الميتة إذا وقعت في المائعات»^(٩) ،

(١) ذكرها ابن رشيقي [الجامع صـ ٢٤٣] .

(٢) (٦، ٤، ٣، ٢) ذكرهم ابن رشيقي [الجامع صـ ٢٤٣] .

(٥) ذكرها ابن رشيقي باسم : «قواعد في السنة والبدعة» [الجامع صـ ٢٤٤] .

(٧) ذكره ابن رشيقي والصفدي في كتابيه ، وابن شاكرو. [الجامع صـ ٢٤٤، ٢٩٤، ٣١٧، ٣٣٢] .

(٨) ذكر ابن رشيقي «قواعد في مسائل من النذور والضمان» . [الجامع صـ ٢٤٥] .

وهذه القاعدة ضمن كتابي العقود والقواعد النورانية بتحقيق الشيخ حامد الفقي - رحمه الله -
وقد قام أخي / نشأت كمال بتحقيقها وطبعاً حديثاً .

(٩) ذكر ابن رشيقي قاعدتين إحداهما : «قاعدة في المائعات والمياه وأحكامها» بنحو ستين

ورقة ، والأخرى : «قاعدة في المائعات والميتة إذا وقعت فيها» نحو عشرين ورقة [الجامع صـ ٢٤٥] =

والكلام على «حديث القلتين» وما يتعلق بذلك شيء كثير^(١) .
وقواعد «في الوقف» ، وشروط الواقفين وما يعتبر منها ، وفي إبداله بأجود
منه ، وفي بيعه عند تعذر الانتفاع ، ونحو ذلك^(٢) ، أكثر من مجلد .
وقاعدة كبيرة في «تفضيل مذهب الإمام أحمد وذكر محاسنه»^(٣) . نحو
مجلد .

وقاعدة في «تفضيل أهل المدينة ، تسمى المالكية»^(٤) .
وقواعد في «الاجتهاد والتقليد ، وفي الأسماء التي علق الشارع بها
الأحكام»^(٥) ، مجلد .
وقواعد في «المجتهد في الشريعة ، هل يأثم إذا أخطأ الحق ، وهل المصيب
واحد ، ونحو ذلك»^(٦) أكثر من مجلد .

= وذكر الصفدي في كتابيه قاعدتين، إحداهما : قاعدة في المياه والمائعات وأحكامها ،
والأخرى : «المائعات وملاقاتها النجاسة» . [الجامع ص ٢٩٥ ، ٣١٨] .

(١) ذكر الصفدي في كتابيه ، وابن شاکر «قاعدة في حديث القلتين وعدم رفعه» . [الجامع
ص ٢٩٥ ، ٣١٨ ، ٣٣٣] .

(٢) ذكرهما ابن رشيقي [الجامع ص ٢٤٥] ، وذكر قاعدة تفضيل مذهب الإمام أحمد
الصفدي في كتابيه ، وابن شاکر . [الجامع ص ٢٩٥ ، ٣١٧ ، ٣٣٢] .

(٣) ذكرها ابن رشيقي باسم «قاعدة في تفضيل مذهب أهل المدينة» نحو خمسين ورقة . وذكرها
الصفدي في كتابيه ، وابن شاکر باسم «تفضيل قواعد مذهب مالك وأهل المدينة» .
[الجامع ص ٢٤٦ ، ٢٩٥ ، ٣١٧ ، ٣٣٢] .

(٤) ذكرها ابن رشيقي والصفدي في كتابيه ، وابن شاکر .
[الجامع ص ٢٤٦ ، ٢٩٤ ، ٣١٧ ، ٣٣٢] .

(٥) ذكرها ابن رشيقي [الجامع ص ٢٤٦] ، والصفدي في كتابيه ، وابن شاکر باسم : «قواعد
في أن المخطئ في الاجتهاد لا يأثم» . مجلد [الجامع ص ٢٩٤ ، ٣١٧ ، ٣٣٢] .

وقواعد في [الاستحسان] (١) (*).

وقواعد في «شمول النصوص للأحكام» (٢).

وقاعدة في «تقرير القياس» (٣).

وقاعدة في «مسائل عدة، والرد على من يقول: هي على خلاف القياس».

وقاعدة في «شرح رسالة ابن عبدوس»، وهي متضمنة لكلام الإمام أحمد

في أصول الدين (٤).

وقاعدة في «لعب الشطرنج وأنه حرام» (٥)، وقواعد كثيرة في «السفر الذي

يجوز فيه القصر والفطر، هل له حد» (٦)، وفي «الجمع بين الصلاتين» (٧)،

(١) ذكرها الصفدي في كتابه، وابن شاعر [الجامع ٢٩٤، ٣١٧، ٣٣٢]

(* في الأصل: «الإحسان» والتصويب من «س»، وهو الموافق للمصادر الأخرى.

(٢) ذكرها ابن رشيقي والصفدي في كتابه، وابن شاعر.

[الجامع ص٢٤٦، ٢٩٤، ٣١٧، ٣٣١].

(٣) ذكرها الصفدي في كتابه، وابن شاعر.

[الجامع ص٢٩٤، ٣١٧، ٣٣٢].

(٤) ذكرها ابن رشيقي والصفدي في كتابه، وابن شاعر.

[الجامع ص٢٣٩، ٢٩٢، ٣١٥، ٣٣٠].

(٥) يوجد مخطوط في مكتبة شهيد علي بالسليمانية برقم [١٥٥٣] وعدد أوراقها ٢٣ ورقة،

ومنه صورة في مركز المخطوطات برقم (٤/٨١٠، ١٣/٢٨١٠، ١٤/٢٠٥٤، ٢٩٩٠) عن نسخ

من دار الكتب الظاهرية [مؤلفات ابن تيمية في المكتبة السليمانية ص٣٧، ومجموعة مؤلفات شيخ

الإسلام للشيباني ١/١٨، ٢٥، ٤٣، ٥٧]

وهو إحدى فتاوى «مجموع الفتاوى» (٢/٢١٦-٢٤٠)، وقد طبع منفرداً بتحقيق أخي الحبيب

الشيخ / عمرو عبد المنعم سليم في دار الإيمان بالإسكندرية، وتعليق الشيخ/ حسن زكريا فيفل.

(٦) ذكرها ابن رشيقي باسم: «قاعدة في السفر الذي يجوز فيه القصر والفطر» [الجامع

ص٢٤٦].

(٧) ذكرها ابن رشيقي [الجامع ص٢٤٦].

وفي «ذوات الأسباب هل تصلي في وقت النهي؟» وفي «مواقيت الصلاة»، وفي «أن أول ما يحاسب به العبد الصلاة»، وفي «تارك الصلاة»، وتفصيل القول فيه»، وفي «أن الصلاة أول الأعمال»، وفي «تارك الطمأنينة»، وذلك شيء كثير جداً، وقواعد في «الكنائس وأحكامها»، وما يجوز هدمه منها، وإبقاؤه، وما يجب هدمه، وأجوبة تتعلق بذلك»^(١)، نحو مجلدين.

وقواعد في «رجوع المغرور على من غره»^(٢)، وفي «استقرار الضمان»، وفي «بيع الغرر والشروط في البيع والنكاح وغير ذلك»، نحو مجلد.

وقاعدة في «فضائل الأئمة الأربعة وما امتاز به كل إمام من الفضيلة»^(٣).
وقاعدة في «مقدار الكفارة في اليمين»^(٤).

وقاعدة في «لفظ الحقيقة والمجاز وفي العام إذا خص، هل يكون حقيقة أم مجازاً»، والبحث مع السيف الأمدي في ذلك»^(٥).

وقواعد كثيرة في «أن جنس فعل المأمور به أفضل من جنس ترك المنهي عنه»^(٦).

وقاعدة في «طهارة بول ما يؤكل لحمه»، ذكر فيها نحو ثلاثين حجة على ذلك»^(٧).

(١) ذكرها ابن رشيقي [الجامع ص ٢٤٧].

(٢) ذكرها ابن رشيقي [الجامع ص ٢٤٤].

(٣) ذكرها ابن رشيقي، والصفدي في كتابيه، وابن شاكر، والألوسي

[الجامع ص ٢٤٤، ٢٩٥، ٣١٧، ٣٣٢، ٣٢٠]

(٤) ذكرها ابن رشيقي، وقال: نحو خمسين ورقة، والصفدي في كتابيه، وابن شاكر.

[الجامع ص ٢٤٤، ٢٩٦، ٣١٩، ٣٣٣]

(٥) ذكرها ابن رشيقي وقال: نحو ثمانين ورقة. [الجامع ص ٢٤٤].

(٦) ذكرها ابن رشيقي، وقال: في مجلد لطيف. [الجامع ص ٢٤٥].

(٧) ذكرها ابن رشيقي، وقال: نحو سبعين ورقة، والصفدي في كتابيه، وابن شاكر.

[الجامع ص ٢٤٥، ٢٩٥، ٣١٨، ٣٣٣]

- وقاعدة في «تطهير العبادات من الفواحش والمنكرات» .
 وقواعد وأجوبة «في تحريم نكاح الزانية» .
 وقاعدة في «معاهدة الكفار المطلقة والمقيدة»^(١) .
 وقاعدة في «مفطرات الصائم»^(٢) .
 وقاعدة «فيما شرعه الله تعالى - بوصف العموم والإطلاق ، هل يكون مشروعاً بوصف الخصوص والتقييد؟»^(٣)
 وقاعدة في أن العامي هل يجب عليه مذهب معين أم لا؟»^(٤)
 وقاعدة في «تعليق العقود والفسوخ بالشرط» .
 وقاعدة في «الجهاد والترغيب فيه»^(٥) ، وقاعدة في «ذم الوسواس»^(٦) .
 وقاعدة في «الأنبذة والمسكرات»^(٧) .
 وقاعدة في «الحسبة»^(٨) ، وقاعدة في «المسألة السريجية»^(٩) .
 وقاعدة في «حلِّ الدَّور ، ومسائل في الجبر والمقابلة»^(١٠) .

(١) ذكرها ابن رشيقي [الجامع ص ٢٤٥] . (٢، ٣) ذكرهما ابن رشيقي [الجامع ص ٢٤٦] .

(٤) ذكرها ابن رشيقي ، والصفدي في كتابيه ، وابن شاعر .

[الجامع ص ٢٤٧ ، ٢٩٤ ، ٣١٧ ، ٣٣٢]

(٥) ذكرها ابن رشيقي [الجامع ص ٢٤٦] .

(٦) ذكرها ابن رشيقي ، والصفدي في كتابيه ، وابن شاعر [الجامع ص ٢٤٧ ، ٢٩٥ ، ٣١٨ ، ٣٣٣]

(٧) ذكرها ابن رشيقي [الجامع ص ٢٤٧] .

(٨) طبع باسم «الحسبة في الإسلام» القاهرة : مطبعة المؤيد ١٣١٨هـ ، وبالمطبعة الحسينية

١٣٢٣هـ ، وبمطبعة المنار ١٣٤٠هـ ، وبتحقيق عبد العزيز رباح - دمشق : مكتبة دار البيان

١٣٨٧هـ ، وقدم له : محمد المبارك ، وبيروت : دار الكتب العربية ١٣٨٧هـ ، ودمشق : دار

الفكر ١٣٨٧هـ تحقيق صلاح عزام ، وبالقاهرة ، مؤسسة الشعب ١٣٩٦هـ ، وبتحقيق أبي منذر

سامي أنور ، من منشورات مسجد التوحيد - أمستردام - الطبعة الأولى ١٤١٠هـ [الموسوعة

الذهبية ج ١٠٤ ص ٢١٦-٢١٧ برقم [٤٠] .

(٩، ١٠) ذكرهما ابن رشيقي [الجامع ص ٢٤٧] .

وقاعدة في أن «كل عمل صالح أصله اتباع النبي ﷺ»^(١) .
وقاعدة في «الأطعمة ، وما يحل منها ، وما يحرم ، وتحرير الكلام على
الطيبات والخبائث»^(٢) .

وقاعدة في «اشتراط التسمية على الذبائح والصيد»^(٣) .
وقاعدة في «دم الشهداء ، ومداد العلماء ، أي الطائفتين أفضل»^(٤) .
وقاعدة في «الانغماس في العدو ، وهل يباح ؟»
وقاعدة في «ضمان البساتين هل تجوز أم لا ؟»
وله قواعد في «النهى هل يقتضي فساد المنهي عنه؟»^(٥)
وقاعدة في «زكاة مال الصبي» .
وقواعد في «الإيمان المقرون بالإحسان ، وفي الإحسان المقرون بإسلام
الوجه» .

وقاعدة في «اقتران الإيمان [بالاحتساب]»^(*)(٦) .
وقواعد وأجوبة في «النجوم هل لهما تأثير عند الاقتران والمقابلة؟ ، وفي
الكسوف ، وهل يقبل قول المنجمين في رؤية الهلال»^(٧) ، ونحو ذلك ، نحو
مجلد .

وقاعدة في «الأقراء هل هي الحيض أو الأطهار؟ واختار أنها الحيض» .

(٢، ١) ذكرها ابن رشيقي [الجامع ص ٢٤٦] وأول مبحث في القواعد النورانية هو «قاعدة فيما
يحل ويحرم من الأطعمة» .

(٣) ذكرها ابن رشيقي [الجامع ص ٢٤٦] باسم : «قاعدة في وجوب التسمية . . .»

(٤) ذكرها ابن رشيقي [الجامع ص ٢٤٦] .

(*) كتب في الهامش : لعله الإحسان .

(٥) ذكرها الصفدي في كتابه ، وابن شاکر [الجامع ص ٢٩٥ ، ٣١٧ ، ٣٣٣] .

(٦) ذكرها ابن رشيقي [الجامع ص ٢٤١] .

(٧) ذكرها الصفدي في كتابه ، وابن شاکر [الجامع ص ٢٩٧ ، ٣١٩ ، ٣٣٤] .

وقاعدة في «الشكر وأسبابه وأحكامه»^(١) .
وقاعدة في «الاستفتاحات في الصلاة» .
وقاعدة تتضمن ذكر «ملابس النبي ﷺ وسلاحه ودوابه، وهي القرمانية» .
وقاعدة تتعلق بمسائل «من التيمم ، والجمع بين الصلاتين ، تسمى : تيسير
العبادات لأرباب الضرورات»^(٢) .

وقاعدة في «النصيرية وحكمهم»^(٣) .

وقاعدة في «تحريم الشبابة وهو اليراع» .

وقاعدة في «العقود اللازمة والجائزة» .

وله قاعدة جلييلة في «وجوب الاعتصام بالرسالة ، وأن كل خير في العالم
فأصله متابعة الرسل ، وكل شر فمن مخالفتهم ، إما جهلاً أو عمداً»^(٤) .
وقاعدة في «تحزيب القرآن وما يتعلق بذلك ، وماورد فيه من الآثار» .
وقاعدة في «الكلام على الممكن» . وقاعدة في «ذبائح أهل الكتاب» .
وقاعدة في «تعليل الأفعال» . وقاعدة في «الكلام على العدد» ، وله رسائل
تتضمن على علوم كثيرة منها : رسالة كتبها إلى «الشيخ شمس الدين الدباهي» ،
تسمى «المدنية» .

(١) ذكر ابن رشيقي قاعدة باسم «الشكر لله» [الجامع ص ٢٤١] .

(٢) ذكرها الصفدي ، وابن شاکر [الجامع ص ٢٩٥ ، ٣١٨ ، ٣٣٣] باسم : «تيسير العبادات
لأرباب الضرورات بالتيمم والجمع بين الصلاتين للعدو» .

(٣) طبعت رسالة باسم «رسالة ابن تيمية في الرد على النصيرية» القاهرة : المطبعة الحسينية
١٣٢٣هـ ، وطبعت «فتوى في النصيرية» تحقيق M. St. Guyard مجلة Journal Asiatique
الفرنسية . [الموسوعة الذهبية ج ١٠٤ ص ٢١٨ برقم [٥٣] ، ٢٢٤ برقم [٩٥] ، وطبعت ضمن
مجموع الفتاوى (١٤٥/٣٥ - ١٦٠) .

(٤) ذكرها ابن رشيقي [الجامع ٢٤٦] .

- ورسالة كتبها إلى الشيخ المنبجي ، تسمى : «المصرية»^(١) .
- ورسالة كتبها إلى «أهل بغداد»^(٢) ، ورسالة كتبها إلى «أهل البصرة»^(٣) .
- ورسالة كتبها إلى «القاضي شمس الدين السروجي قاضي الحنفية بمصر»^(٤) .
- ورسالة إلى غيره من القضاة والعلماء .
- ورسالة كتبها إلى بيت الشيخ عدي بن مسافر تسمى : «العدوية»^(٥) .
- ورسالة كتبها إلى «بيت الشيخ [جاكير]»^(*)(٦) ، وأرسل إليهم أجوبة ، في مجلد ، غير الرسالة .
- ورسالة كتبها إلى «ملك قبرص» في مصالح المسلمين تتضمن علوماً^(٧) .
- وله رسالة إلى «البحرين وإلى ملوك العرب»^(٨) ، وإلى ثغور الشام ، إلى طرابلس وغيرها» بمصالح تتعلق بالمسلمين ، وأجوبة عن مسائل كتبت إليه ، وفي

-
- (١) وهي ضمن مجموع الفتاوى (٢/٤٥٢-٤٧٩) .
- (٢-٤) ذكرهم ابن رشيقي [الجامع ص ٢٤٨] .
- (٥) وهي ضمن مجموع الفتاوى (٣/٣٦٣-٤٣٠) وتسمى الوصية الكبرى . وطبعت بتعليق وتخريج محمد عبدالله النمر ، وعثمان ضميرية بمكتبة الصديق بالطائف بالسعودية ١٤٠٨هـ .
- (*) في النسخة «س» جاكريه .
- (٦) ذكرها ابن رشيقي [الجامع ص ٢٤٨] .
- (٧) طبعت باسم «الرسالة القبرصية» (خطاب لسراجون ملك قبرص) .
- القاهرة : مكتبة أنصار السنة المحمدية ١٣٦٦هـ ، وبمطبعة دار التأليف ١٣٦٦هـ ، وبتحقيق علي السيد صبح المدني ، جدة : مكتبة الناشر ١٣٩٩هـ ، وكتب مقدمتها الدكتور/ محمد جميل غازي . وطبعت بدار ابن حزم ببيروت بتعليق / علاء دمج ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ، والثانية ١٤١٠هـ . وهي ضمن مجموع الفتاوى (٢٨/٦٠١-٦٣٠) .
- (٨) ذكرها ابن رشيقي [الجامع ص ٢٤٩] . وهي مطبوعة ضمن مجموع الفتاوى (٦/٤٨٥-٥٠٦) ، وهي حول رؤية الكفار ربه .

أمر بمعروف ، ونهي عن المنكر .

ورسالة إلى «أهل تدمر»^(١) ، ورسائل للملوك ، ملك مصر^(٢) ، وملك حماة^(٣) ، وغيرهما .

ورسالة إلى «طبرستان وجيلان»^(٤) ، ورسالة إلى «الأمراء الكبار» ، ورسائل كثيرة كتبها إلى «الصلحاء من إخوانه من مصر إلى دمشق» ، ومن «دمشق إلى غيرها» ، ومن «السجن شيء كثير» يحتوى على مجلدات عدة^(٥) .
وله من «الكلام على مسائل العلو والاستواء والصفات الخيرية ، وما يتعلق بذلك من الرد على الجهمية والقدرية والجبرية»^(٦) ، وغيرهم من أهل الأهواء والبدع» ، ما تشتمل على مجلدات كثيرة ، وله من «الكلام على فروع الفقه ، والأجوبة المتعلقة بذلك» شيء كثير يشق إحصاره ، ويعسر ضبطه .

ومن مؤلفاته : «الكلام على دعوة ذي النون» في مجلد لطيف^(٧) . وكتاب فيه «الكلام على إرادة الرب وقدرته»^(١) ، وتحرير القول في ذلك على كلام

(١) ذكرها ابن رشيقي [الجامع ص٢٤٣] . وهي مطبوعة ضمن مجموع الفتاوى باسم «الرسالة التدمرية» (١/٣-١٢٨) . وطبعت عدة طبعات أخرى وسبق ذكرها .
(٢، ٣) ذكرهما ابن رشيقي [الجامع ص٢٤٩] .
(٤) ذكرها الصفدي ، وابن شاكر ، وقالوا : في خلق الروح والنور والأئمة المقتدى بهم [الجامع ص ٢٩٢ ، ٣١٥ ، ٣٣٠] .

(٥) رسائل ابن تيمية من السجن طبعت ضمن مجموع الفتاوى (٢٨/٣٠-٥٩) ، وطبعت منفردة .

(٦) ذكر الصفدي في كتابيه ، وابن شاكر : «قواعد في إثبات القدر والرد على القدرية والجبرية» . [الجامع ص ٢٩٣ ، ٣١٦ ، ٣٣١]

(٧) مطبوع ضمن مجموع الفتاوى سؤال حول حديث : «دعوة أخي ذي النون لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين» (١٠/٢٣٧-٣٣٦) .

الرازي في المطالب العالية»، و«مسألة في العلو»^(٢) ، أجاب فيها عن شبه المخالفين ، وهي مفيدة ، وأخرى في الصفات تسمى «المراكشية»^(٣) ، وتشتمل على نقول كثيرة .

وقاعدة تتضمن صفات الكمال ، وما الضابط فيها مما يستحقه الرب ، تسمى «الأكملية»^(٤) . و«الإحاطة الكبرى» ، و«الإحاطة الصغرى» ، وعقيدة الفرقة الناجية ، وتعرف «بالواسطية»^(٥) ، والجواب عما أورد عليها عند المناظرة بقصر الإمارة بدمشق .

والكلام على حديث عمران بن حصين الذي فيه :

«جئنا نسألك عن أول هذا الأمر»^(٦) وهو مؤلف مفيد .

والكلام على حديث «عبد الله بن خليفة ، عن عمر» ، وهل هو ثابت أم

لا ؟ وأي ألفاظه هو المحفوظ ؟

(١) ذكره ابن رشيح [الجامع ص ٢٣٤]

(٢) طبع كتاب بعنوان: «إثبات صفة العلو لله الواحد القهار» القاهرة : مطبعة مجلة المنار

١٣٢٢هـ .

(٣) طبعت ضمن مجموع الفتاوى (٥/٣٢١-٥٨٢) .

(٤) طبعت ضمن مجموع الفتاوى (٦/٦٨-١٤٠) وتسمى : «تفصيل الإجمال فيما يجب لله

من صفات الكمال» .

(٥) طبعت في القاهرة : المطبعة الشرفية ١٣٢٠هـ ، ١٣٢٣هـ ، وبمطبعة أنصار السنة

المحمدية ١٣٦٥هـ ، وجمع مصطفى العالم ، دمشق : دار الثقافة ١٣٨٥هـ ، وبالرياض : مكتبة

النهضة ١٣٨٧هـ ، نشرت ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ، وشرح العقيدة الواسطية الشيخ /

محمد خليل هراس ، وراجع الأستاذ عبد الرزاق عفيفي ، وطبع هذا الشرح عدة طبعات كما

شرحها العلامة الشيخ محمد العثيمين «رحمهم الله جميعاً» .

(٦) وهو ضمن مجموع الفتاوى (١٨/٢١٠-٢٤٣) .

وكتاب في «نزول الرب»^(١) تبارك وتعالى - كل ليلة - إلى سماء الدنيا ،
والجواب عن اختلاف وقته باختلاف البلدان والمطالع ، والجواب في اللقاء وما
ورد فيه في القرآن^(٢) ، وغيره .

وجواب في الاستواء والنزول ، وهل هو حقيقة أم لا ؟ تسمى
«الإربلية»^(٣) .

وجواب في «الاستواء» ، وإبطال قول من تأوله بالاستيلاء من نحو عشرين
وجهًا^(٤) .

ومسألة في «المباينة بين الله وبين خلقه»^(٥) ، وله أجوبة أخر في «مباينة الله
لخلق»^(٦) ، وفيمن يقول أنه - سبحانه - على عرشه بذاته ، وأقوال السلف في ذلك .

وله مسائل كثيرة في «الأفعال الاختيارية المسماة عند بعض المتكلمين بحلول
الحواد منها كلام مفرد على كلام الرازي في الأربعين»^(٧) .

وله مسائل وأجوبة في «مسائل القدر» ، و«الرد على القدرية» ، وعلى
الجبرية ، أكثر من مجلد .

وله مسألة في «الشعر والعلوم وغيرها هل هو واحد أو متعدد؟» وله «درس

(١) ذكره الصفدي في كتابه ، وابن شاکر ، [الجامع ص ٢٩٣ ، ٣١٦ ، ٣٣٠] وهو غير شرح
حديث النزول ، وطبع كتاب «شرح حديث النزول» بالقاهرة ، مطبعة الإمام ١٣٦٦هـ ، ودمشق :
المكتب الإسلامي ١٣٨١هـ .

(٢) ذكره ابن رشيقي [الجامع ص ٢٣٨] وقال : نحو عشرين ورقة .

(٣) (٤ ، ٣) ذكرهما ابن رشيقي [الجامع ص ٢٣٨] .

(٥) ذكرها ابن رشيقي [الجامع ص ٢٤١] وقال : نحو أربعين ورقة .

(٦) ذكرها الصفدي في كتابه [الجامع ص ٢٩٢ ، ٣١٥]

(٧) ذكرها ابن رشيقي باسم «شرح مسائل من الأربعين للرازي» في مجلدين [الجامع

ص ٢٣٣] .

السكرية بالبسملة جزء ودرس الحنبلية» في قوله تعالى :

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً﴾ (*) جزء حسن .

ومسألة فيمن «يدعى أن للقرآن باطنًا وأن ذلك الباطن إلى سبعة أبطن» .

ومسألة في «عقل الإنسان وروحه» .

و«الحلية ، في الصفات» ، هل هي زائدة على الذات أم لا؟

و«الرد على ابن سينا في رسالته الأضحوية» (**) ، نحو مجلد .

وجواب في «العزم على المعصية ، هل يعاقب عليه العبد؟» (***) .

وجواب على «حزب الشاذلي ، وما يشبهه» ، مجلد لطيف .

وجواب في «الكفار من التتر وغيرهم ، وهل لهم خفراء بقلوبهم لهم

تأثير؟» .

وله «شرح كلام الشيخ عبد القادر» في غير موضع نحو مجلد (١) .

وقاعدة في قوله تعالى : ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢) .

وقول النبي ﷺ : «لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله» (٣) .

وله جواب في «يزيد بن معاوية ، وهل يجوز سبه أم لا ؟»

(*) [سورة التوبة الآية: ١٢٢] .

(**) ذكره ابن رشيقي [الجامع ص٢٣٤] وجاء في المطبوع «الأضحوية» .

(***) ذكره ابن رشيقي [الجامع ص٢٣٥]

(١) ذكره ابن رشيقي باسم : «تعليقة على فتوح الغيب لسيدى عبد القادر الكيلاني . [الجامع

ص٢٣٦]

(٢) [سورة النحل : ٣٢] .

(٣) طبعت ضمن جامع الرسائل باسم «دخول الجنة» الجزء الأول بتحقيق دكتور/ محمد رشاد

سالم طبعة المدني ١٣٨٩هـ - ص١٤٣-١٥٢ .

وله قاعدة في «فضل معاوية»^(١) ، وجواب في «الخضر ، هل مات أو هو حي؟» واختار أنه مات^(٢) .

وله جواب في «الذبيح من ولد إبراهيم - عليه السلام - هو إسماعيل» ، واحتج لذلك بأدلة كثيرة^(٣) .

وله جواب في «زيارة القدس»^(٤) يوم عرفة للتعريف به ، وله أجوبة كثيرة في هذا المعنى .

وجواب في «احتجاج الجهمية والنصارى بالكلمة»^(٥) .

وجواب فيمن «عزم على فعل محرم ، ثم تاب»^(٦) .

وجواب في «الذوق والوجد الذي يذكره الصوفية»^(٧) .

وجواب في قوله ﷺ : «من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب»^(٨) .

وجواب في «التشاغل بكلام الله وأسمائه وذكره ، أي ذلك»^(٩) أفضل؟»

وجواب في «غض البصر وحفظ الفرج»^(١٠) .

وجواب في «المعينة وأحكامها» .

(١) طبعت رسالة بعنوان : «سؤال في يزيد بن معاوية» بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، بمجلة المجمع العلمي بدمشق : المجلد ٣٨ ج ٣ ، ٤ ، ١٣٨٣ هـ .

وطبعت بيروت : دار الكتاب الجديد ١٣٩٦ هـ .

وطبعت رسالة بعنوان : «سؤال في معاوية بن أبي سفيان» بتحقيقه أيضًا ، بيروت ، دار الكتاب الجديد ١٤٠٠ هـ .

الموسوعة الذهبية ج ١٠٤ ص ٢٢٠ برقم [٧٧ ، ٧٨] .

(٢) ذكره ابن رشيقي باسم «رسالة في الخضر» [الجامع ص ٢٣٧] .

(٣) ذكره ابن رشيقي باسم «رسالة في أن إسماعيل عليه السلام هو الذبيح» [الجامع ص ٢٣٧] .

(٤) ذكر الصفدي في كتابيه ، وابن شاعر «زيارة القدس مطلقًا»

[الجامع ص ٢٩٦ ، ٣١٩ ، ٣٣٤] .

(٥-١٠) ذكرهم ابن رشيقي جميعًا باسم : «رسالة ...» [الجامع ص ٢٣٧] .

وله في «مسائل الروح ، وهل تعذب في القبر مع الجسد ؟» .
«وهل تفارق البدن بالموت؟ وهل تتصور بصورة ، وتعقل بعد الموت»^(١) ؟
ونحو ذلك ، نحو مجلد .

وله جواب : «هل كان النبي ﷺ قبل الرسالة نبياً ؟ وهل يسمى من صحبه إذ ذاك صحابياً»^(٢) ؟

وجواب : «هل كان النبي ﷺ قبل الوحي متعبداً بشرع من قبله من الأنبياء»^(٣) ؟

وله جواب في «كفر فرعون ، والرد على من لم يكفره»^(٤) .
وجواب في «ذي الفقار ، هل كان سيقاً لعلي - رضي الله عنه - ؟»^(٥)
وله قواعد وأجوبة في الإيمان هل يزيد وينقص؟ وما يتبع ذلك»، نحو مجلد^(٦) .

وله جواب في «عقيدة الأشعرية ، وعقيدة الماتريدي» ، وغيره من الحنفية ، تسمى «الماتريدي»^(٧) .

وله عقيدة تسمى «الخوفية»^(٨) .
وله أجوبة في «العرش ، والعالم هل هو كروي الشكل ، أم لا؟»^(٩)
وفي «قصد القلوب العلو ما سببه؟» .

-
- (١) ذكرها الصفدي في كتابه ، وابن شاکر [الجامع ص ٢٩٣ ، ٣١٦ ، ٣٣١] .
(٢-٥) ذكرهم ابن رشيق جميعاً باسم : «رسالة ...» [الجامع ص ٢٣٨] .
(٦) ذكرها ابن رشيق باسم : «كتاب في الإيمان ...»
(٧) ذكرها ابن رشيق [الجامع ص ٢٣٩] باسم : «رسالة في عقيدة الأشعرية» وقال : نحو خمسين ورقة .
(٨) ذكرها ابن رشيق [الجامع ص ٢٣٩] وقال : «نحو عشرين ورقة» .
(٩) ذكرها ابن رشيق [الجامع ص ٢٣٩] باسم : «رسالة ...» . وطبعت رسالة قديماً =

وله في «الكلام على توحيد الفلاسفة على نظم ابن سينا»^(١) ، مجلد لطيف .

وله في «جواب محيي الدين الأصبهاني»^(٢) عدة كراريس .

وله «جواب في الفرق بين ما يتأول من النصوص وما لا يتأول»^(٣) .
ومسألة في قوله :

«أمرت أن أخطب الناس على قدر عقولهم»^(٤) .

هل هو من كلامه ﷺ^(٥) ؟

وقاعدة في «الرد على أهل الاتحاد»^(٦) .

وله مؤلف في «الرد على ابن عربي» . وجواب على «حال العلاج ، ورفع

ما وقع فيه من اللجاج» .

= باسم : «سؤال عن العرش» ١٣٢٣هـ بتصحيح حسن الفيومي ، ورسالة تسمى «عرش الرحمن» وما ورد فيه من الآيات والأحاديث ، القاهرة - مطبعة المنار .

(١-٣) ذكرهم ابن رشيقي [الجامع ص ٢٤٠] ، وشرح العقيدة الأصفهانية .
طبع عدة طبعات منها :

بتصحيح جمال الدين القاسمي ، القاهرة ، مطبعة كردستان ١٣٢٨هـ ، وبتقديم وتعريف حسين محمد مخلوف ، القاهرة : دار الكتب الحديثة ١٣٨٦ ، وبتحقيق أسعد أحمد ١٣٨٥هـ بنفس الدار .

وحققه حديثاً بكلية أصول الدين - قسم العقيدة بالسعودية محمد العودة والنسخة المحققة فيها زيادة قد تزيد على ثلث الكتاب المطبوع قديماً .
(٤، ٥) ذكرهما ابن رشيقي [الجامع ص ٢٤١] .

(*) رواه اللدلمي بلفظ : «أمرنا أن نكلم الناس . . . بسند ضعيف عن ابن عباس مرفوعاً .

وقال في الآلي : في إسناده ضعيف ومجهول . وقال في المقاصد : وعزاه ابن حجر لمسند الحسن بن سفيان ، عن ابن عباس بلفظ : «أمرت أن أخطب الناس . . . » قال : وسنده ضعيف جداً . ورواه أبو الحسن الثيمي من الخنابلة في «العقل» له عن ابن عباس من طريق أبي عبد الرحمن السلمى أيضاً بلفظ : بعثنا معاشر الأنبياء نخطب الناس على قدر عقولهم ، وله شاهد عن سعيد ابن المسيب مرسلأ . [انظر كشف الخفاء (١/٢٢٥-٢٢٦)] .

وله مسائل وقواعد في «الاستغاثة» ، غير ما تقدم ذكره ، وجواب في
«الرضا على كلام أبي سليمان الداراني» .

[ق/١٨] / وجواب في «رؤية النساء ربهم في الجنة»^(١) ، سأله عنه الشيخ إبراهيم
الرقبي - رحمه الله - .

وجواب في «العباس وبلال - رضي الله عنهما - أيهما أفضل»^(٢) ،
وجواب في «الكتاب الذي همَّ به النبي ﷺ في مرضه» .

وجواب فيمن يقول: «إن بعض المشايخ أحياء ميتاً»^(٣) ، وله «أجوبة وردت
من أصبهان»^(٤) ، وجواب عن «مسائل وردت من الأندلس»^(٥) ، وجواب عن
«سؤال ورد من ماردين»^(٦) .

وجواب عن «سؤال ورد من الرحبة»^(٧) ، وجواب عن «سؤال ورد من
زُرُع»^(٨) .

وأجوبة كثيرة عن «مسائل وردت من بغداد»^(٩) .

-
- (١) ذكره الصفدي في كتابه ، وابن شاکر [الجامع ص ٢٩٣ ، ٣١٦ ، ٣٣٠]
(٢) ذكره ابن رشيقي باسم: «رسالة في العباس...» [الجامع ص ٢٤٣].
(٣) ذكره ابن رشيقي باسم: «رسالة فيمن قال...» [الجامع ص ٢٤٣].
(٤) ذكرها ابن رشيقي باسم: «رسالة أجوبة مسائل أصفهان» [الجامع ص ٢٤٥] ، وذكرها
الصفدي في كتابه وابن شاکر باسم: جواب مسائل [الجامع ص ٢٩٥ ، ٣١٨ ، ٣٣٢]
(٥) ذكره ابن رشيقي والصفدي في كتابه ، وابن شاکر باسم: «رسالة أجوبة عند ابن رشيقي
وجواب مسائل عند الصفدي وابن شاکر [الجامع ص ٢٤٥ ، ٢٩٥ ، ٣١٨ ، ٣٣٢].
(٦) طبع باسم: «المسائل الماردينية» تصحيح الشيخ الفاضل / محمد زهير الشاويش ، دمشق :
المكتب الإسلامي ١٣٨٤ هـ .

- (٧) ذكره ابن رشيقي باسم: «رسالة جواب سؤال الرحبة» [الجامع ص ٢٤٥] .
والصفدي وابن شاکر باسم: «مسائل وردت من الرحبة» [الجامع ص ٣١٨ ، ٣٣٢]
(٨) ذكرها الصفدي وابن شاکر باسم: «مسائل وردت من زرع» [الجامع ص ٢٩٥ ، ٣١٨ ، ٣٣٢].
(٩) ذكرها الصفدي في «أعيان العصر» ، والوافي ، وابن شاکر في «فوات الوفيات» باسم:
«جواب مسائل من بغداد» [الجامع ص ٢٩٥ ، ٣١٨ ، ٣٣٢] ، وكلمة جواب لم تذكر في الوافي
وفوات الوفيات .

وأجوبة عن «مسائل وردت من الصلت»^(١) ، وجواب في «أرض الموات إذا أحيها الرجل ، ثم عادت مواتاً ، هل تملك بالإحياء مرة أخرى»^(٢) .
 وله وصايا عدة يُسأل عنها ، فكتبَ منها : «وصية لابن المهاجري»^(٣) في كرايس ، و«وصية كتبها للتجيبى»^(٤) ، وله إجازات ، منها : «إجازة لأهل سبتة ، ذكر فيها مسموعاته»^(٥) .

وإجازة كتبها لبعض «أهل توريز»^(٦) ، وإجازة «لأهل غرناطة»^(٧) ، وإجازة «لأهل أصبهان»^(٨) ، وله قواعد وأجوبة في الفقه كثيرة جداً ، منها : «قاعدة في

(١) ذكرها ابن رشيقي والصفدي في كتابيه ، وابن شاكِر [الجامع ص ٢٤٥، ٢٩٥، ٣١٨، ٣٣٢] ، وجاءت كلمة الصلت عند ابن رشيقي «الصلط» بالطاء .
 (٢) ذكرها ابن رشيقي باسم : «رسالة . . .» [الجامع ص ٢٤٥] .
 (٣-٥) ذكرهم ابن رشيقي [الجامع ص ٢٤٨] .

ووصية التجيبى توجد مخطوطة باسم : «الوصية الصغرى لأبي القاسم التجيبى» منها نسخة في ١٨ ورقة ضمن مجموع مجهول المصدر (٥٢-٧٠) ، ونسخة في الظاهرية ضمن مجموع رقم [٣٢٨] في ٣ ورقات ، (٥٢-٥٥) مكتوبة في ق ١٩ ، [التبث لقوائم مخطوطات ابن تيمية تصنيف/ علي بن عبدالعزيز الشبل ص ١٧٥] .

وتقع ضمن مجموع في مكتبة الشيخ / حماد الأنصاري - رحمه الله - ورقمه [٢٧١] ويحوي ٢٣ رسالة [التبث ص ٨٠-٨١] .

وهي مطبوعة ضمن مجموع الفتاوى (١٠/٦٥٣-٦٦٥) . وأما إجازته لأهل سبتة فقد ذكرها ابن ناصر الدين في الرد الوافر ص ٦٧ قال : ووجدت بخط الذهبي أيضاً على حاشية استدعاء إجازة ما صورته : فوائدها نقلها كاتبها محمد بن أحمد من «إجازة» شيخ الإسلام أبي العباس بن تيمية لأهل «سبتة» انتهى . وكانت هذه الإجازة سنة تسع وسبعمئة بئثر الإسكندرية . وقال الذهبي : ولما كان معتقلاً بالإسكندرية ، التمس منه صاحب «سبتة» أن يجيز له مروياته ، وينص على أسماء جملة منها ، فكتب في عشر ورقات جملة من ذلك بأسانيدها من حفظه ، بحيث يعجز أن يعمل بعضه أكبر محدث يكون . [انظر الرد الوافر ص ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٠ بتحقيق الشيخ الفاضل / زهير الشاويش] . وانظر أيضاً «الذيل على طبقات الحنابلة» لابن رجب (٣٩١/٢) .

(٦) ذكرها ابن رشيقي باسم : «تبريز» [الجامع ص ٢٤٨] .

(٨، ٧) ذكرهما ابن رشيقي [الجامع ص ٢٤٨] .

الجمعة هل يشترط لها الاستيطان؟» وقاعدة في «المسح على الخفين ، وهل يجوز على المقطوع؟»^(١) ، وقاعدة في «حلق الرأس ، هل يجوز في غير النسك لغير عذر»^(٢) ، وقواعد في «الاستجمار، وفي الأرض هل تطهر بالشمس والريح»^(٣)؟ وقواعد في «نواقض الوضوء»^(٤) ، وفي «المحرمات في النكاح» .
 وقاعدة في «الجد هل يجبر البكر على النكاح؟»^(٥)
 وفي «الاستئذان من الأب هل يجب؟» ، وجواب «في المظالم المشتركة وأحكامها»^(٦) .

وجواب في «أهل البدع ، هل يصلى خلفهم؟»^(٧)
 ومسائل وأجوبتها في «قتال التار الذين قدموا مع قازان وغيره»^(٨) ، وفي

(١) ذكرها الصفدي في كتابيه ، وابن شاكر باسم : «قاعدة في جواز المسح على الخفين المنخرقين والجوربين واللفائف» [الجامع ص ٢٩٥ ، ٣١٨ ، ٣٣٣] .
 وتوجد رسالة في المسح على الخفين والجيرة في ١٠ ورقات مخطوطة ضمن الكواكب الدراري المجلد ٣٤ بالمكتبة الظاهرية . [الثبت ص ٩٧] .
 (٢) ذكرها ابن رشيقي [الجامع ص ٢٤٧] .
 (٣) ذكرها الصفدي في كتابيه ، وابن شاكر [الجامع ص ٢٩٥ ، ٣١٨ ، ٣٣٣] ، وذكر ابن رشيقي «قواعد في تطهير الأرض بالشمس والريح» [الجامع ص ٢٤٥] .
 (٤) ذكر ابن رشيقي والصفدي في كتابيه وابن شاكر «قاعدة في نواقض الوضوء» [الجامع ص ٢٤٦ ، ٢٩٥ ، ٣١٨ ، ٣٣٣] .
 (٥) ذكرها ابن رشيقي [الجامع ص ٢٤٧] .
 (٦) مخطوطة في الأوقاف العامة ببغداد برقم (٨/١٣٨٢٢) في ٧ ورقات باسم : «رسالة في المظالم المشتركة» . [الثبت ص ٩٧] ، وتوجد أيضاً برقم [٢/١٣٧٥٤] في ١١ ورقة [الثبت ص ٤٣] ، وطبعت بالقاهرة ١٣٢٣هـ في الحسينية و ١٣٣٠هـ بمطبعة المنار، وهي ضمن مجموع الفتاوى (٣٠/٣٣٧-٣٥٥) .

(٧) ذكره الصفدي في كتابيه، وابن شاكر باسم : «أهل البدع» . [الجامع ص ٢٩٦ ، ٣١٨ ، ٣٣٣]

(٨) قال الصفدي في مرثيته لابن تيمية :

شَدَدَ فِي الْقَوْلِ وَمَا خَفَضًا
 كَالْمَاءِ لَمَّا مَزَقَ الْعَرْمَضًا

وَيَوْمَ غَازَانَ غَدًا عِنْدَمَا
 شَقَّ سَوَادَ الْمُغْلِ زَاهِي الطَّلَا

قتال أهل التينات^(*) من النصارى، ونصارى ملطية، وقتال الأحلاف
والمحاربين، نحو مجلد .

وقاعدة في قوله ﷺ : «استحللتم فروجهن بكلمة الله»^{(١)(٢)} .

وقاعدة في «العينة والتورق، ونحوهما من المتاعا»، وقاعدة في
«القراءة خلف الإمام»^(٣) . وقاعدة في قوله ﷺ : «من بكرّ وابتكرّ وغسّل
واغتسل»^(٤)، وأجوبة في «الصلوات المبتدعة؛ كصلاة الرغائب، ونصف
شعبان»، ونحو ذلك^(٥) .

وأجوبة في «النهي عن أعياد النصارى، وعمّا يفعل من البدع يوم
عاشوراء»^(٦) نحو مجلد .

وله مسألة في «أن الجحد يُسقط الإخوة»، وقاعدة في «تورث ذوي
الأرحام»، ومسألة في «بيع المسلم فيه قبل قبضه، هل يجوز؟»
وله أجوبة في «رؤية هلال»^(٧) ذي الحجة إذا رآه بعض الناس ما حكمهم في
الأضحية؟ وفي قوله : «صومكم يوم تصومون»^(٨)، وفي ما إذا غم هلال
رمضان ليلة الثلاثين، هل يجب الصوم أم لا؟

(*) كذا في النسختين المخطوطين غير أنها غير منقوطة في الاصل، فإن كانت جمع تينة فهي
موضع بجبال الشام والله أعلم .

(١) ذكرها ابن رشيقي [الجامع ص ٢٤٧] والفرجياني ص ٢٤٤ .

(٢) رواه مسلم (١٢١٨) .

(٣) (٤، ٣) ذكرهما ابن رشيقي [الجامع ص ٢٤٧]، والحديث ذكره الهيثمي في المجمع (١٧١/٢)،

وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، وذكر الحاكم أن الحديث واه وذكره الفرجياني ص ٢٤٤ .

(٤، ٥) ذكرهما الصفدي في كتابيه، وابن شاكر باسم «الصلوات المبتدعة»

[الجامع ص ٢٩٦، ٣١٩، ٣٣٣]

(٧) راجع مجموع الفتاوى (١٢٦/٢٥-٢٠١) .

(٨) صححه الشيخ الألباني في «الإرواء» (٩٠٥) .

وله جواب في «الإجارة» ، هل المعقود عليه تهيو العين وصلاحها لنفع المستأجر؟ وهل ما يحدث من العين على ملكه ؟ وهل هي على وفق القياس؟ وله قاعدة في «أن ما كان داعياً إلى الفرقة والاختلاف يجب النهي عنه»، وجواب في «التسمية على الوضوء»، وقواعد في «سباق الخيل، ورمي النشاب»^(١).

وقواعد وأجوبة في «النية في الصلاة»^(٢)، وغير ذلك من العبادات. وأجوبة في «صلاة بعض أصحاب المذاهب خلف بعض» ، وأنه جائز^(٣). وجواب فيمن «تفقه على مذهب، ثم يجد حديثاً صحيحاً بخلاف مذهبه»^(٤). وجواب من يقول : «أنا مذهبي غير موافق للأربعة»^(٥). وجواب لمن يقول : «من لا شيخ له شيخه الشيطان»، وجواب في «المخلوقة من ماء الزاني» ، هل له أن يتزوج بها؟ وجواب في «صلاة الركعتين جالساً بعد الوتر» .

وجواب في «الفتن في الصبح والوتر»^(٦) ، وجواب عن «المرازقة» ، وما يفعلونه من أعمال ، والرد عليهم فيما أخطأوا فيه^(٧) ، وقاعدة في «الحمام

(١) توجد مخطوطة في دار الكتب المصرية باسم «كتاب في المسابقة في الخيل والإبل والمفاضلة ورمي النشاب»، وتقع في ٤٣ لوحة تحت فن [١٦١٢١].

(٢) هناك رسالة اسمها النية ضمن مجموعة الرسائل الكبرى في المجلد الأول طبعت بالمطبعة الشرفية بالقاهرة ١٣٢٣ هـ .

(٣) ذكرها الصفدي وابن شاعر [الجامع ص ٢٩٦ ، ٣١٨ ، ٣٣٣]

(٤) ذكره الصفدي وابن شاعر [الجامع ص ٢٩٤ ، ٣١٧ ، ٣٣٢]

(٥) ذكره الصفدي وابن شاعر «جواب في ترك التقليد في من يقول مذهبي مذهب النبي عليه

السلام وليس أنا محتاج إلى تقليد الأربعة» [الجامع ص ٢٩٤ ، ٣١٧ ، ٣٣٢]

(٦) ذكره الصفدي وابن شاعر [الجامع ص ٢٩٦ ، ٣١٨ ، ٣٣٣] ، وتوجد رسالة بعنوان:

«العبادات الظاهرة التي حصل فيها تنازع بين الأمة في الرواية والرأي مثل الأذان والجهر والبسمة والفتن في الفجر والتسليم في الصلاة». وتوجد مخطوطة في ٢١ صفحة في دار الكتب المصرية [ب ٢٠٣٦٤] ، و ١٠ ورقات [مباحث طلعت ٣٧٠] .

(٧) توجد رسالة مخطوطة في ٤٣ ورقة ، مكتوبة في القرن الحادي عشر ، وهي نسخة =

والاغتسال»^(١) ، وقاعدة في «الصلاة بين الأذنين يوم الجمعة»^(٢) .

وجواب في قوله : «خير القبور الدوارس» ، وجواب في «نصرانية ماتت وفي بطنها ولد مسلم» ، وجواب في «امرأة مسلمة ماتت وفي بطنها إذ ذاك ولد حي متحرك» ، وجواب مبسوط في «السجادة التي تفرس في المسجد قبل الجمعة قبل مجيء المصلي»^(٣) وجواب في «ساعة الجمعة ، هل هي مقدرة بالدرج» .

وله أجوبة في «الوقت في منقطع الوسط وغيره» ، وله مسألة تسمى «الواسطية»^(٤) ، وله «إبطال الكيمياء»^(٥) ، ومسألة «الشفاعة»^(٦) ، ومسألة «الشهادة بالاستفاضة» ، ومسألة في الإجازة على كتاب «المصايح» للبخاري^(٧) .

وأخرى على كتاب «المصايح» أيضاً^(٨) ، وله في الأحاديث وشرحها شيء

= جيدة مصححة ، وعليها سماعات في مركز المخطوطات والوثائق بالكويت برقم [٥/١١٣] ، باسم : «الصلاة خلف المرازة وذكر بدعتهم» .

(١) ذكرها الصفدي وابن شاعر [الجامع ص ٢٩٥، ٣١٨، ٣٣٣]

(٢) طبعت بتصحيح حسن الفيومي ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ج ٢ - ١٣٢٣ هـ - المطبعة

الشرفية .

(٣) ذكره الصفدي وابن شاعر باسم «قاعدة في كراهية بسط سجادة المصلي...» [الجامع

ص ٢٩٦، ٣١٨، ٣٣١]

(٤) منها نسخة في مكتبة الدولة ببرلين برقم [٢/١٩٩٤] (٧-١٨) في ١٢ ورقة باسم «الواسطة

بين الحق والخلق» [الثبت ص ١٧٤] وهي مطبوعة ضمن مجموع الفتاوى (١/١٢١-١٢٨) ، وبالقاهرة بالمطبعة الحسينية ١٣٢٣ هـ ، وبمطبعة المنار ١٣٤٠ هـ باسم : «الواسطة بين الخلق والحق» .

(٥) ذكرها الصفدي وابن شاعر باسم «إبطال الكيمياء ولو صحت وراجت»

[الجامع ص ٢٩٧، ٣٢٠، ٣٣٤]

(٦) توجد رسالة في الشرك والجهاد والشفاعة ضمن مخطوطات الأوقاف العامة ببغداد برقم

[٤١/٤٧٦٧] في ١٣ ورقة . [الثبت ص ٩١] .

(٧) ذكرها الفوجياني في فهرس مؤلفات شيخ الإسلام ص ٢٩ .

(٨) ذكرها الفوجياني في فهرس مؤلفات شيخ الإسلام ص ٣٠ .

كثير جداً ، منها ما يبيّن ، ومنها ما لم يبيّن ، ولو بيّضَ لبلغ مجلدات عديدة ، وكتب كثيراً من مسند الإمام أحمد وغيره ، على أبواب الفقه ، وله مختصر في الكلم الطيب ، جمع فيه الأذكار المستعملة طرفي النهار ، وغير ذلك^(١) ، وشرح حديث أبي ذر الذي أوله : «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي...»^(٢) ، وحديث : «الأعمال بالنيات»^(٣) ، وحديث : «بدأ الإسلام غريباً»^(٤) ، وحديث : «لا يرث المسلم الكافر»^(٥) ، وحديث الدعاء الذي علمه النبي ﷺ لأبي بكر الصديق : «اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً...»^(٦) ، وحديث جبريل في الإيمان والإسلام^(٧) ، غير كتاب الإيمان المتقدم في مجلد لطيف .

(١) طبع بالقاهرة بمطبعة التضامن الاخواني ١٣٤٩هـ ، وينفس التاريخ في الهند بالمطبعة القيمة ببومباي ، وتصحيح / محمد منير الدمشقي ، مكتبة الناشر ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، دون تاريخ ، وتحقيق العلامة الشيخ / محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله - بالمكتب الإسلامي عدة طبعات ، وحققه أيضاً الشيخ / عبد القادر الأرنؤوط .

(٢) مطبوع ضمن مجموع الفتاوى (١٨/١٣٦-٢٠٩) ، وفي الفتاوى الكبرى ص٣٣٦-٣٧٢ وضمن مجموعة الرسائل المنيرة (٣/٢٠٥-٢٤٦) ، وله طبعة أخرى حققها الدكتور/عبدعلي عبد الحميد حامد باسم : «إنعام الباري في شرح حديث أبي ذر الغفاري» طبعة الدار السلفية بالهند ، وعنها طبعة دار الريان للتراث بالقاهرة ١٤٠٧هـ ، وحققه أيضاً الدكتور / الفريوائي . وله طبعة قديمة بالقاهرة بمطبعة الظاهر ١٣٢٤هـ ، والحديث رواه مسلم (٢٥٧٧) .

(٣) مطبوع ضمن مجموع الفتاوى (١٨/٢٤٤-٢٨٤) ، وله طبعة أخرى نشرها الشيخ / قصي محب الدين الخطيب - رحمه الله - في المطبعة السلفية بالقاهرة ط- أولى ١٣٩٤ ، ط- ثانية ١٣٩٧ ، ط- ثالثة ١٤٠٠هـ ، وله طبعة في ثلاثين صفحة صغيرة بالمطبعة المنيرة بمصر ، والحديث في الصحيحين .

(٤) وهو مطبوع في مجموع الفتاوى (١٨/٢٩١-٣٠٦) وفي مجموعة تفسير شيخ الإسلام ص١٣٦-١٤٩ ، وانظر الصحيحة (١٢٧٣) .

(٥) صحيح . رواه البخاري (٨/١٩٤) ، ومسلم كتاب الفرائض (١) ، وذكره الفوجياني ص٧ .

(٦) ذكره ابن رشيقي باسم : «شرح دعاء أبي بكر - رضي الله عنه -» . والحديث رواه البخاري (١/٢١١) ، ومسلم (٢٠٧٨) [الجامع ص٢٤٩]

(٧) ذكره الصفدي وابن شاعر [الجامع ص٢٩٣، ٣١٦، ٣٣١] ، والحديث رواه مسلم (٨) .

وحدیث : « لا یزنی الزانی حین یزنی وهو مؤمن..»^(١) شرحه مرات عديدة
... و حدیث : « أنزل القرآن على سبعة أحرف»^(٢) ، شرحه غیر مرة .
و حدیث النزول^(٣) ، شرحه مرات .

و حدیث الأولیاء الذی رواه البخاری منفرداً به : « من عادى لي ولياً فقد
بارزني بالمحاربة»^(٤) ، شرحه مرات ، تارة يُسأل عن مَجْمُوعِهِ ، وتارة يُسأل عن
التردد المذكور فيه .

(١) منه نسخة في دار الكتب المصرية برقم [٢٠٥٤٥ب] بخط نسخي ، في ٢١ ورقة ، من
القرن التاسع .

وأخرى في ٦ ورقات ، في الظاهرية برقم (٢٦٩٣) من (٢٤١-٢٤٦) من القرن الثامن ،
وانظر كتاب الإيمان لشيخ الإسلام .

والحدیث رواه البخاری (١٧٨/٣) ، (١٣٦/٧) (١٩٥/٨) ، (١٩٧) ، ومسلم «كتاب الإيمان»
رقم (١٠٠) ، (١٠٥) .

(٢) منه نسخة في تشترتي دبلن عاصمة أيرلندا ، وهي مكتبة زاخرة بقيم المخطوطات وتضم
أكثر من خمسة آلاف مخطوط بعضها في مجاميع ، كان قد جمعها المهندس تشترتي ، ولها
فهرس مستقل ضخم في ثلاثة مجلدات في طبعة حديثة ، وفي الفهرس الذي أصدرته المكتبة ،
يقع في تسع مجلدات ، وقد صورتها جامعة الإمام كلها على أفلام ، وحفظتها في مكتبتها بنفس
أرقامها المرقومة لها في أصل المكتبة ، فالرقم المحال إليهما واحد .
وهذه النسخة من المخطوطة برقم [٣٦٥٣] ، (٥٦-٦٠) سنة ٨٥٩هـ .

ونسخة أخرى في المكتبة السليمانية ، خزانة شهيد علي برقم (٢٧٥١) (٧٧-٨٤) مكتوبة سنة
٧٢٤هـ ، في حياة شيخ الإسلام - رحمه الله - [انظر الثب ١٢٠ ص و ٩٥-٩٦ حيث أنني
نقلت كلامه عن مكتبة تشترتي .

وانظر مجموع الفتاوى (٣٩٠-٤٢٠) ، والفتاوى الكبرى (٣١٢/١-٣٢٠) .

والحدیث صححه الشيخ الألباني - رحمه الله - في صحيح الجامع (١٤٩٥) .

(٣) طبع بالقاهرة : مطبعة الإمام ١٣٦٦هـ ، وبدمشق : المكتب الإسلامي ١٣٨١هـ ، وطبع
محققاً عن أربع نسخ خطية بتحقيق الشيخ / محمد الخميس في رسالة ماجستير ، وله عدة نسخ
خطية أخرى ، [انظر الثب ص ١١٩] .

والحدیث رواه البخاری (٦٦/٢) ، ومسلم في صلاة المسافرين (١٦٨) .

(٤) وهو مطبوع في آخر كتاب اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٤٤ ، والحدیث رواه البخاری

كتاب الرقاق (٣٨٠) .

وحدیث حکیم بن حزام : «أسلمت على ما أسلفت من خير»^(١) ،
 وحدیث ابن مسعود في درء الهم ، وحدیث معاذ ، وقول النبي ﷺ :
 «لا تدعن دبر كل صلاة»^(٢) ، وحدیث بريرة ، وقول النبي ﷺ :
 «اشترطي لهم الولاء»^(٣) ، وحدیث : «فحج آدم موسى»^(٤) ، شرحه مرات ،
 وحدیث : «لا يضرب أحد فوق عشرة أسواط إلا في حد من حدود الله»^(٥) .
 وحدیث : «من جعل قاضياً فقد ذبح بغير سكين»^(٦) . وحدیث :
 «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم»^(٧) .
 وشرح أحاديث كثيرة غير ما ذكر .
 وشرح ما روى عن عمر - رضي الله عنه - أنه قال :
 «نعم الرجل صهيب ، لو لم يخف الله لم يعصه»^(٨) .
 وتكلم على «لو»^(٩) ، وشرح قول على - رضي الله عنه - :

(١) رواه مسلم «كتاب الإيمان» (١٩٤)، وذكره عطاء الدين الفوجياني في فهرس مؤلفات شيخ الإسلام ص ١٤ .

(٢) صححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٩٦٩) ، وهو مطبوع في الفتاوى الكبرى (٣٩١/٢) .

(٣) رواه البخاري «كتاب الكفارات» (٨)، وذكره الفوجياني ١٧ .

(٤) ذكر الصفدي وابن شاکر [الجامع ص ٢٩٣، ٣١٦، ٣٣١] .

والحدیث رواه البخاري «كتاب الأنبياء» (٣١) ، ومسلم في «كتاب القدر» (١٣، ١٥) .

(٥) رواه البيهقي (٣٢٨/٨) .

(٦) صححه الشيخ الألباني في المشكاة (٣٧٣٣) .

(٧) متفق عليه .

(٨) قال الشيخ بهاء الدين السبكي : لم أر هذا الكلام في شيء من كتب الحدیث ، لا

مرفوعاً ولا موقوفاً ، لا عن عمر ، ولا عن غيره ، انظر كشف الحفاء (٤٢٨/٢) .

(٩) قال الألويسي في جلاء العينين : ورأيت في كتاب «الشر الذائب في الأفراد والغرائب» من

فنون كتاب «الأشباه والنظائر النحوية» ، للإمام السيوطي عليه الرحمة ما نصه :

«لا يَرَجُونََ عبدَ إلا ربه ، ولا يخافنَّ إلا ذنبه» (١).

وله أجوبة كثيرة في أحاديث يُسأل عنها من صحيح شرحه ، وضعيف يبين ضعفه ، وباطل ينبه على بطلانه ، وله من الأجوبة والقواعد شيء كثير غير ما تقدم ذكره ، يشق ضبطه وإحصاؤه ، ويعسر حصره واستقصاؤه ، وسأجتهد إن شاء الله في ضبط ما يمكنني من أسماء مؤلفاته في موضع آخر غير هذا ، وأبين ما صنفه بمصر ، وما ألفه منها بدمشق ، وما جمعه وهو في السجن ، وأرتبه ترتيباً حسناً غير هذا الترتيب بعون الله وقوته ومشيتته .

قال الشيخ أبو عبد الله : لو أراد الشيخ تقي الدين - رحمه الله - أو غيره حصرها - يعني - مؤلفات الشيخ - لما قدر ؛ لأنه ما زال يكتب ، وقد منَّ الله عليه بسرعة الكتابة ، ويكتب من حفظه من غير نقل .

وأخبرني غير واحد أنه كتب مجلداً لطيفاً في يوم ، وكتب غير مرة أربعين ورقة في جلسة ، وأكثر .

وأحصيت ما كتبه في يوم ، ويبيّضته ، فكان ثمان كراريس في مسألة من أشكال المسائل ، وكان يكتب على السؤال الواحد مجلداً ، وأما جواب يكتب فيه خمسين ورقة وستين وأربعين وعشرين فكثير ، ويكتب الجواب ، فإن حضر من بيّضه ، وإلا أخذ السائل خطه وذهب ، ويكتب قواعد كثيرة في فنون من العلم في الأصول والفروع والتفسير وغير ذلك ، فأجد من ينقله من خطه وإلا لم يشتهر ، ولم يعرف ، وربما أخذه بعض أصحابه فلا يقدر على نقله ، ولا يرده إليه فيذهب ، وكان كثيراً ما يقول : قد كتبت في كذا وفي كذا ، ويسأل عن

= جواب سؤال سائل عن حرف «لو» لسيدنا وشيخنا الإمام العالم الاوحد تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ... بن تيمية [الجامع ص ٦٢١-٦٢٢]. وطبع ضمن الأشباه والنظائر للسيوطي (٣/٢٨٧-٢٩٢) وهو كتاب في النحو .

(١) ذكره الفوجياني ٣٩ .

الشيء فيقول : قد كتبت في هذا ، فلا يدري أين هو ؟ فالتفت إلى أصحابه ، ويقول: ردوا خطي وأظهروه لينقل ، فمن حرصهم عليه لا يردونه ، ومن عجزهم لا ينقلونه ، فيذهب ولا يعرف اسمه ولا أين هو ، فهذه الأسباب وغيرها تعذر إحصاء ما كتبه ، وما صنفه ، وما كفى هذا إلا أنه لما حبس وتفرق أتباعه ، وتفرقت كتبه ، وخوفوا أصحابه من أن يظهروا كتبه ، ذهب كل أحد بما عنده ، وأخفاه ، ولم يظهروا كتبه ، فبقى هذا يهرب بما عنده ، وهذا يبيعه أو يهبه ، وهذا يخفيه ، ويودعه حتى أن منهم من سُرق كتبه أو تجمد فلا يستطيع أن يطلبها ، ولا يقدر على تخليصها فبدون هذا تتمزق الكتب والتصانيف [كل ممزق] (١) ، ولولا أن الله تعالى لطف وأعان ، ومنَّ وأنعم [وجرت] (٢) العادة في حفظ أعيان كتبه وتصانيفه ، لما أمكن أحداً أن يجمعها ، ولقد رأيت من خرق العادة في حفظ كتبه وجمعها ، وإصلاح ما فسد منها ، ورد ما ذهب منها : ما لو ذكرته لكان عجباً ، يعلم به كل منصف أن الله عناية به، وبكلامه ؛ لأنه يذب عن سنة نبيه ﷺ تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين .

قلت: ومن مؤلفاته أيضاً : قاعدة في «تقرير النبوات بالعقل والنقل» (٣) ، وقاعدة في تبديل السيئات حسنات ، وقاعدة في إبطال المجردات ، وقاعدة في التشابهات ، وقاعدة في إثبات الرؤية ، والرد على نفاتها .

وقاعدة وجوب تقديم محبة الله ورسوله على النفس والأهل .

وقاعدة في لفظ «الجسم» ، واختلاف الناس ، واصطلاحاتهم في هذا

الاسم .

(١) من «س» .

(٢) في «س» وخرق .

(٣) ذكرها الصفدي وابن شاكر والألوسي باسم : «ثبوت النبوات عقلاً ونقلاً ، والمعجزات والكرامات» . [الجامع ص ٢٩٢ ، ٣١٥ ، ٣٣٠ ، ٦١٩] .

وقاعدة في تحريم الحشيشة ، وبيان حكم أكلها ، وماذا يجب عليه^(١) ،
وقاعدة في الرد على من قال بفناء الجنة والنار^(٢) . وله الحموية الكبرى^(٣)
والحموية الصغرى .

(١) ذكرها الصفدي وابن شاکر [الجامع ص ٢٩٦ ، ٣١٩ ، ٣٣٣] .

(٢) طبع بتحقيق الدكتور / محمد بن عبدالله السمھري ، بدار بلنسية بالرياض ، الطبعة
الأولى ١٤١٥ھ باسم : «الرد على من قال بفناء الجنة والنار وبيان الأقوال في ذلك» ، وقد ذكر
هذه الرسالة كثير من أهل العلم منهم ابن رشيقي والصفدي في كتابيه ، وابن شاکر .
قال ابن رشيقي : وفي مجسه الأخير عمل قاعدة في الرد على من قال بفناء الجنة والنار ، في
نحو عشرين ورقة .

وقال الصفدي في ذكره لمؤلفات شيخ الإسلام : «في بقاء الجنة والنار وفنائهما» وهو آخر ما
صنّفه في القلعة ، وقد رد عليه العلامة قاضي القضاة^(*) تقي الدين السبكي
[الجامع ص ٢٢٥ ، ٢٩٤ ، ٣١٦ ، ٣٣١] .

قلت : ورسالة السبكي بعنوان : «الاعتبار ببقاء الجنة والنار» . وقد طبعت بمطبعة الترقى
بدمشق عام ١٣٤٧ھ ، وتوجد مخطوطة بمكتبة تشتربتي ضمن مجموعة برقم [٦/٣٤٠٥] .
[راجع مقدمة الدكتور/ السمھري] .

وقد ألف الصنعاني رسالة سماها : «رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار» وحققها
العلامة الألباني - رحمه الله - وذكر فيها قول شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم بفناء
النار .

(٣) مطبوعة ضمن المجلد الخامس من مجموع الفتاوى (٥/١٢٠-٥) وطبعت بالقاهرة :
المطبعة الشرفية ١٣٢٠ھ ، ط . ثانية ١٣٢٣ھ ، وقام بتحقيقها مؤخراً الشيخ / حمد التويجري
في رسالة ماجستير عام ١٤١٢ھ .

كما أن لها طبعات أخرى بتصحيح محمد عبد الرزاق حمزة ، وبحقيق قصي محب الدين
الخطيب [راجع الموسوعة الذهبية ج ١٠٤ / ٢٢٣ برقم ٩٢] .

(*) قال النبي ﷺ : «أخنى الأسماء يوم القيامة عند الله رجل تسمى ملك الأملاك» رواه البخاري برقم
(٦٢٠٥) ، وقاس العلماء على ذلك من تسمى بقاضي القضاة .

فأما الحموية الكبرى: فأملها ما بين الظهر والعصر ، وهي جواب عن سؤال ورد من «حماة» سنة ثمان وتسعين وستمائة وجرى بسبب تأليفها أمور ومحن ، وتكلم الشيخ فيها على آيات الصفات والأحاديث الواردة في ذلك .

وقال في مقدمتها ، وهي عظيمة جداً : قولنا فيها ، قاله الله ورسوله والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، وما قاله أئمة الهدى من بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرائتهم ، وهذا هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب وفي غيره ، فإن الله سبحانه وتعالى بعث محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ، وشهد له بأنه بعثه داعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً ، وأمره أن يقول : ﴿ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ (١) ، ومن المحال في العقل والدين أن يكون السراج المنير ، الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور ، وأنزل معه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وأمر الناس أن يردوا ما تنازعوا فيه من دينهم إلى ما بعث به من الكتاب والحكمة ، وهو يدعو إلى الله وإلى سبيله بإذنه على بصيرة .

وقد أخبر الله [أنه] (٢) أكمل له ولأمة دينهم ، وأتم عليهم نعمته ، محال مع هذا وغيره أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله والعلم به متلبساً مشتبهاً ، ولم يميز ما يجب لله من الأسماء الحسنى والصفات العلى ، وما يجوز عليه ، وما يمتنع عليه ، فإن معرفة هذا أصل الدين ، وأساس الهداية ، وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب ، وحصلته النفوس ، وأدرسته العقول ، فكيف يكون ذلك الكتاب ، وذلك الرسول ، وأفضل خلق الله بعد النبيين ، لم يحكموا هذا الباب

(١) [يوسف الآية : ١٠٨] .

(٢) في «س» : بأنه .

اعتقاداً وقولاً ، ومن المحال أيضاً أن يكون النبي ﷺ قد علم أمته كل شيء حتى الخراءة ، وقال :

«تركتكم على البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»^(١) .

وقال - فيما صح عنه أيضاً - : «ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم» .

وقال أبوذر : «لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقرب جناحيه في السماء ، إلا ذكرنا منه علماً» .

وقال عمر بن الخطاب : «قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ، فذكر بدء الخلق ، حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم ، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه» [رواه البخاري]^(٢) .

ومحال مع هذا ، وتعليمهم كل شيء فيه منفعة في الدين ، وإن دقت ، أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم وقلوبهم في ربهم ومعبودهم - رب العالمين - الذي معرفته غاية المعارف ، وعبادته أشرف المقاصد ، والوصول إليه غاية المطالب ، بل هذا خلاصة الدعوة النبوية ، وزبدة الرسالة الإلهية ، فكيف يتوهم من في قلبه أدنى مسكة من إيمان وحكمة أن لا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول على غاية التمام ، ثم إذا كان قد وقع ذلك منه ، فمن المحال أن يكون خير أمته وأفضل قرونها ، قصرها في هذا الباب ، زائدين فيه أو ناقصين ، ثم من المحال أيضاً أن تكون القرون الفاضلة القرن الذي بعث فيهم رسول الله ﷺ ثم الذين يلونهم ، كانوا غير عالمين ، وغير قائلين في هذا الباب بالحق المبين ، لأن ضد ذلك إما عدم العلم والقول ، وإما اعتقاد نقيض الحق ،

(١) صححه الالباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/٩٩) .

(٢) برقم [٣٠٢٠] .

وقول خلاف الصدق ، وكلاهما ممتنع ، أما الأول ؛ فلأن مَنْ في قلبه أدنى حياة وطلب للعلم ، أو نهمة في العبادة ، يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه ومعرفة الحق فيه أكبر مقاصده ، وأعظم مطالبه .

وليست النفوس الصحيحة إلى شيء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر ، وهذا أمر معلوم بالفطرة الوجدية ، فكيف يتصور مع قيام / هذا المقتضى الذي هو من أقوى المقتضيات أن يتخلف عنه مقتضاه [لأولئك]^(١) السادة في مجموع [عصرهم]^(٢) ، هذا لا يكاد يقع في أبلد الخلق وأشدهم إعراضاً عن الله ، وأعظمهم إكباباً على الدنيا ، والغفلة عن ذكر الله فكيف يقع في أولئك .

وأما كونهم كانوا معتقدين فيه غير الحق ، أو قائله فهذا لا يعتقده مسلم ، ولا عاقل عرف حال القوم .

ثم الكلام في هذا الباب عنهم أكثر من أن يمكن أن يسطر في هذه الفتيا أو أضعافها ، يعرف ذلك مَنْ طَلَبَهُ وَتَبَّعَهُ ، ولا يجوز أيضاً أن يكون الخالفون أعلم من [السالفين]^(٣) ، كما قد يقوله بعض الأغبياء ممن لم يُقدر قدر السلف ، بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة ، المأمور بها من أن طريقة السلف أسلم ، وطريقة الخلف أعلم وأحكم ، فإن هؤلاء المبتدعة الذين يفضلون طريقة الخلف على طريقة السلف ، إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بالفاظ القرآن والحديث ، من غير فقه لذلك بمنزلة الأميين الذين قال الله عنهم :

(١) في «س» : في أولئك .

(٢) في «س» : عصورهم .

(٣) في «س» : [السابقين] .

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾^(١) ، وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات، فهذا الظن الفاسد ، أوجب تلك المقالة ، التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر ، وقد كذبوا على طريقة السلف ، وضلوا في تصويب طريقة الخلف ، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم ، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف ، وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس لله في نفس الأمر صفة دلت عليها .

هذه النصوص بالشبهات الفاسدة التي شركوا فيها إخوانهم من الكافرين ، فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر ، وكان مع ذلك لا بد للنصوص من معنى بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ ، وتفويض المعنى ، وهي التي يسمونها طريقة السلف ، وبين صرف اللفظ إلى معاني بنوع تكلف ، وهي التي يسمونها طريقة الخلف ، فصار به الباطل مركباً من فساد العقل ، والكفر بالسمع ، فإن النفي إنما اعتمدوا فيه على أمور عقلية ظنوها بينات وهي شبهات ، والسمع حرفوا فيه الكلم عن مواضعه ، فلما ابتنى أمرهم على هاتين المقدمتين الكاذبتين الكفريتين كانت النتيجة استجهال السابقين واستبلاهم ، واعتقاد أنهم كانوا قوماً أميين بمنزلة الصالحين من العامة ، لم يتبحروا في حقائق العلم بالله ولم يتفطنوا لدقيق العلم الإلهي ، وأن الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كله .

وهذا القول إذا تدبره الإنسان وجده في غاية الجهالة ، بل في غاية الضلالة؛ كيف يكون هؤلاء المتأخرون - لا سيما والإشارة بالخلف إلى ضرب من المتكلمين ، الذين كثر في باب الدين اضطرابهم ، وغلظ عن معرفة الله

(١) [البقرة الآية : ٧٨] .

حجابهم ، وأخبر الواقف على نهايات إقدامهم بما انتهى [إليه] ^(١) من مرامهم ، حيث يقول :

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كف حائر على ذقن أو قارعاً سن نادم
وأقروا على نفوسهم بما قالوه ، متمثلين به أو [منشئين] ^(٢) له فيما صنفوه
من كتبهم ؛ كقول بعض رؤسائهم :

[ق/٢٣] نهاية إقدام / العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسمنا وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقال
لقد تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفي غليلاً ،
ولا تروي غليلاً ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، أقرأ في الإثبات
﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ ^(٣) ، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ^(٤)
وأقرأ في النفي : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ^(٥) ، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ ^(٦)
قال : ومن جرب مثل تجربتي ، عرف مثل معرفتي .

ويقول الآخر منهم : لقد خضت البحر الخضم ، وتركت أهل الإسلام
وعلومهم ، وخضت في الذي نهوني عنه ، والآن إن لم يتداركني ربي برحمته ،
فالويل لفلان وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي .

ويقول الآخر منهم : أكثر الناس شكاً عند الموت أصحاب الكلام ، ثم
هؤلاء المتكلمون المخالفون للسلف إذا حُقق [الأمر عليهم] ^(٧) ، لم يوجد عندهم

(١) من «س» . [منشئين] .

(٤) [طه : ٥] .

(٦) [طه : ١٠] .

(١) من «س» .

(٣) [فاطر : ١٠] .

(٥) [الشورى : ١١] .

(٧) في «س» : [عليهم الأمر] .

من حقيقة العلم بالله ، وخالص المعرفة به خير ، ولم يقعوا من ذلك على عين
ولا أثر ، كيف يكون هؤلاء المحجوبون المنقوصون المسبوقون المفضلون الحيارى
المتهوكون أعلم بالله وأسمائه وصفاته ، وأحكم في باب ذاته وآياته من السابقين
الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، من ورثة الأنبياء ،
وخلفاء الرسل ، وأعلام الهدى ، ومصايح الدجى ، الذين بهم قام الكتاب ،
وبه قاموا ، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا ، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة
ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء ، فضلاً عن سائر الأمم ، الذين لا كتاب
لهم ، وأحاطوا من حقائق المعارف ، وبواطن الحقائق بما لو جُمعت حكمة
غيرهم إليها لاستحسى من يطلب المقابلة ، ثم كيف يكون خير قرون الأمة ،
أنقص في العلم والحكمة - لا سيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته من هؤلاء
الأصاغر بالنسبة إليهم ، أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة ، وأتباع الهند واليونان
وورثة المجوس والمشركين ، وضلال اليهود والنصارى والصابئين وأشكالهم ،
وأشباههم ، أعلم بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرآن والإيمان ، وإنما قدمت هذه
المقدمة ؛ لأن من استقرت عنده هذه المقدمة علم طريق الهدى أين هو في هذا
الباب وغيره ، وعلم أن الضلال والتهوك إنما استولى على كثير من المتأخرين ،
بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم ، وإعراضهم عما بعث الله به محمداً ﷺ من
البيانات والهدى ، وتركهم البحث عن طريق السابقين والتابعين ، والتماسهم
علم معرفة الله ممن لم يعرف الله بإقراره على نفسه ، وبشهادة الأمة على ذلك .
وبدلالات كثيرة ، وليس غرضي واحداً معيناً ، وإنما أصف نوع هؤلاء ،
وإذا كان كذلك فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره ، وسنة رسول الله ﷺ من
أولها إلى آخرها ، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين ، ثم كلام سائر الأئمة مملوء
بما هو إما نص ، وإما ظاهر في أن الله هو العلي الأعلى ، وهو فوق كل شيء ،
وهو عال على كل شيء ، وأنه فوق العرش ، وأنه فوق السماء ، مقل قوله :

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠] ، ﴿إِنِّي مُتَوَكِّفٌ وَرَافِعٌ
إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: ٥٥] ﴿أَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٧] / ﴿أَمْ
أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الملك: ١٨] ، ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ
إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] ، ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤] ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى
الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٧] ، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠] ، ﴿ثُمَّ
اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ ، في ستة مواضع : [الاعراف: ٥٤] ، [يونس: ٣] ، [الرعد: ٢] ،

[الفرقان: ٥٩] ، [السجدة: ٤] ، [الحديد: ٤]

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] ، ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صِرْحًا
لِّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ [غافر: ٣٦-٣٧] ،
﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] ، ﴿مُنزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ [الأنعام: ١١٤]

إلى أمثال ذلك مما لا يكاد يحصى إلا بكلفة .

وفي الأحاديث الصحاح والحسان ما لا يكاد يحصى إلا بكلفة ، مثل :
قصة معراج الرسول ﷺ إلى ربه ، ونزول الملائكة من عند الله ، وصعودها
إليه ، وقوله في الملائكة الذين يتعاقبون فيكم بالليل والنهار ، فيعرج الذين باتوا
فيكم إلى ربهم ، فيسألهم ، وهو أعلم بهم .
وفي الصحيح ، في حديث الخوارج : «ألا تأمنوني وأنا أمين من في
السماء، يأتييني خبر السماء صباحاً ومساءً»^(١) .

وفي حديث الرقية ، الذي رواه أبو داود وغيره :
«ربنا الله الذي في السماء ، تقدس اسمك ، أمرك في السماء والأرض ،
كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الأرض ، اغفر لنا حوبنا وخطايانا،

(١) صحيح .

رواه البخاري ، كتاب المغازي (٦١) ومسلم (كتاب الزكاة) (١٤٤) .

أنت رب الطيبين ، أنزل رحمة من رحمتك ، وشفاء من شفائك على هذا
الوجع، [فبيراً] (١)(٢) .

قال ﷺ : «إذا اشتكى أحد منكم ، أو اشتكى أخ له ، فليقل : ربنا الله
الذي في السماء ...» وذكره (٣) .

وفي حديث الأوعال والعرش فوق ذلك ، والله فوق عرشه ، وهو يعلم
ما أنتم عليه . رواه أحمد وأبوداود (٤) وغيرهما .

وقوله في الحديث الصحيح للجارية : «أين الله؟» قالت : في السماء ،
قال : «من أنا؟» ، قالت : أنت رسول الله ، قال : «أعتقها فإنها مؤمنة» (٥) .

وقوله في الحديث الصحيح : «إن الله لما خلق الخلق كتب في كتاب ، فهو
موضوع عنده فوق العرش : إن رحمتي سبقت غضبي» (٦) .

وقوله في حديث قبض الروح : حتى يعرج به إلى السماء التي فيها الله
تعالى ..» (٧) .

وقول عبدالله بن رواحة ، الذي أنشده النبي ﷺ وأقره عليه :

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مشوى الكافرين

وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمين (٨)

(١) من «س» .

(٢) ضعيف . ضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٨٣٩) .

(٣) انظر السابق .

(٤) رواه أبو داود «كتاب السنة» (١٨) .

(٥) رواه مسلم (٣٨٢) .

(٦) صححه الألباني في الصحيحة (١٦٢٩) .

(٧) صححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٧٥١) .

(٨) ضعفه الشيخ مشهور حسن في قصص لا تثبت .

وقول أمية بن أبي الصلت ، الذي أنشده للنبي ﷺ هو وغيره من شعره ،
فاستحسنه وقال : «آمن شعره وكفر قلبه»^(١) .

مجدوا الله فهو للمجد أهل ربنا في السماء أمسى كبيرا
بالبناء الأعلى الذي سبق لنا س وسوى فوق السماء سريرا
شرجعا^(٢) ما يناله بصر العين [ترى]^(٣) دونه الملائك صورا
وقوله في الحديث الذي في السنن :

«إن الله حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يده إليه أن يردهما صفرا»^(٤) .

وقوله : «يمد يديه إلى السماء ؛ يا رب ، يا رب»

إلى أمثال ذلك ، مما لا يحصيه إلا الله ، مما هو من أبلغ المتواترات
اللفظية، والمعنوية ، التي تورث علماً يقينياً من أبلغ العلوم الضرورية ، أن
الرسول المبلغ عن الله ألقى إلى أمته المدعوين أن الله سبحانه على العرش ، وأنه
فوق السماء ، كما فطر على ذلك جميع الأمم عربهم وعجمهم، في الجاهلية
والإسلام ، إلا من اجتالته الشياطين عن فطرته ، ثم عن السلف في ذلك من
الأقوال/ ما لو جمع لبلغ مئين أو ألوقاً ، ثم ليس في كتاب الله ، ولا في سنة
رسول الله ﷺ ، ولا عن أحد من سلف الأمة ، ولا من الصحابة ، ولا من
التابعين لهم بإحسان ، ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف
حرقاً واحداً يخالف ذلك ، لا نصاً ولا ظاهراً ، ولم يقل أحد منهم قط ، إن

(١) رواه الفاكهي في أخبار مكة (٢٠٣/٣) برقم (١٩٧٣)، وفي إسناده متروك، وانظر
الإصابة (٢٥١/١) ، والتمهيد (٧/٤) ، والفتح (١٥٣-١٥٤) ، وعزاه الفاكهي وابن منده،
وانظر تهذيب السنن لابن القيم (٣٤-٣٣/١٣) هامش عون المعبود .

(٢) طويلاً .

(٣) في «س» : [ترى] .

(٤) صحيح . انظر : صحيح الجامع (١٧٥٧) .

الله ليس في السماء ، ولا أنه ليس على العرش ، ولا أنه بذاته في كل مكان ،
ولا أن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء ، ولا أنه لا داخل العالم ولا خارجه ،
ولا متصل ولا منفصل ، ولا أنه لا تجوز إليه الإشارة الحسية ، بل قد ثبت في
الصحيح عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ لما خطب خطبته العظيمة يوم عرفات
في أعظم مجمع حضره رسول الله ﷺ - جعل يقول :

«ألا هل بلغت؟» ، فيقولون: نعم ، فيرفع أصبعه إلى السماء ، وينكتها
إليهم ، ويقول : «اللهم اشهد ... غير مرة»^(١) .

وأمثال ذلك كثيرة .

فإن كان الحق يقوله هؤلاء السالبون النافون للصفات الثابتة بالكتاب والسنة
من هذه العبارات ونحوها ، دون ما يفهم من الكتاب والسنة ، إما نصاً وإما
ظاهراً ، فكيف يجوز على الله - تعالى - ثم على رسوله ﷺ ، ثم على خير
الامة ، أنهم يتكلمون دائماً بما هو نص أو ظاهر في خلاف الحق ، ثم الحق الذي
يجب اعتقاده لا ييوحون به قط ، ولا يدلون عليه ، لا نصاً ولا ظاهراً ، حتى
تجيء أنباط الفرس والروم ، وفروخ اليهود والفلاسفة يبينون للامة العقيدة
الصحيحة التي يجب على كل مكلف ، أو كل فاضل أن يعتقدها .

لئن كان الحق ما يقوله هؤلاء المتكلمون المتكلفون ، وهو الاعتقاد
الواجب ، وهم مع ذلك أحيلوا في معرفته على مجرد عقولهم^(٢) ، وأن يدفعوا
بمقتضى قياس عقولهم ما دل عليه الكتاب والسنة ، نصاً أو ظاهراً ، لقد كان ترك
الناس بلا كتاب ولا سنة أهدي لهم وأنفع على هذا التقدير ، بل كان وجود
الكتاب والسنة ضرراً محضاً في أصل الدين .

فإن حقيقة الأمر على ما يقوله هؤلاء : إنكم يا معشر العباد لا تطلبوا

(١) صحيح . رواه البخاري (٢١٧/٢) (٢٢٣/٥) (٦٣/١) .

(٢) في الاصل : عقولهم .

معرفة الله وما يستحقه من الصفات نفيًا وإثباتًا ، لا من الكتاب ولا من السنة ،
ولا من طريق سلف الأمة ، ولكن انظروا أنتم فما وجدتموه مستحقًا له من
الصفات فصنوه به ، سواء كان موجودًا في الكتاب والسنة ، أو لم يكن ، وما لم
تجدوه مستحقًا له في عقولكم ، فلا تصنوه به .

ثم هم ههنا فريقان ؛ أكثرهم يقولون : ما لم تثبتته عقولكم فانفوه ،
ومنهم من يقول : بل توقفوا فيه ، وما نفاه قياس عقولكم الذي أنتم فيه
مختلفون ومضطربون ، اختلافًا أكثر من جميع اختلاف على وجه الأرض ،
فانفوه ، وإليه عند التنازع فارجعوا ، فإنه الحق الذي تَعَبَّدْتُمْ به ، وما كان
مذكورًا في الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هذا ، أو يثبت ما لم تدركه
عقولكم على طريقة أكثرهم ، فاعلموا أنني امتحتكم بتزييله ، لا لتأخذوا الهدى
منه ، لكن لتجتهدوا في تخريجه على شواذ اللغة ، ووحشي الألفاظ ، وغرائب
الكلام ، وأن تسكتوا عنه مفوضين علمه إلى الله ، مع نفي دلالة على شيء من
الصفات ، هذا حقيقة الأمر ، على رأي هؤلاء المتكلمين .

وهذا الكلام قد رأيته صرح بمعناه طائفة منهم ، وهو لازم لجماعتهم لزومًا
لا محيد عنه ، ومضمونه أن كتاب الله لا يهتدى به في معرفة الله ، وأن
الرسول معزول عن التعليم والإخبار بصفات من أرسله ، وأن الناس عند التنازع
لا يردون ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول ، بل إلى مثل ما كانوا عليه في
الجاهلية ، وإلى مثل ما يتحاكم إليه / من لا يؤمن بالأنبياء ؛ كالبراهمة ،
والفلاسفة ، وهم المشركون والمجوس ، وبعض الصابئين ، وإن كان هذا الرد لا
يزيد الأمر إلا شدة ، ولا يرتفع الخلاف به ؛ إذ لكل فريق طواغيت يريدون أن
يتحاكموا إليهم ، وقد أمروا أن يكفروا بهم ، وما أشبه حال هؤلاء المتكلمين
بقوله سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ

مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿النساء: ٦٥-٦٦﴾ .

فإن هؤلاء إذا دعوا إلى ما أنزل الله من الكتاب وإلى الرسول والدعاء إليه بعد وفاته هو الدعاء إلى سنته ، أعرضوا عن ذلك ، وهم يقولون : إنا قصدنا الإحسان علماً وعملاً بهذه الطريق التي سلكناها ، والتوفيق بين الدلائل العقلية والنقلية ، ثم عامة هذه الشبهات التي يسمونها دلائل وإنما تقلدوا أكثرها عن طاغوت من طواغيت المشركين والصابئين ، أو بعض ورثتهم الذين أمروا أن يكفروا بهم ، مثل فلان وفلان ، أو عمن قال كقولهم ؛ لتشابه قلوبهم .

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي

أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢١٣] .

ولازم هذه المقالة أن لا يكون الكتاب هدى للناس ولا بياناً ولا شفاءً لما في الصدور ، ولا نوراً ولا مردداً عند التنازع ؛ لأننا نعلم بالاضطرار أن ما يقوله هؤلاء المتكلفون أنه الحق الذي يجب اعتقاده ، لم يدل عليه الكتاب ولا السنة ، لا نصاً ولا ظاهراً ، وإنما غاية المتحذلق منهم أن يستنتج هذا من قوله تعالى :

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤] ، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] .

وبالاضطرار يعلم كل عاقل أن من دل الخلق على أن الله ليس فوق

العرش، ولا فوق السموات ، ونحو ذلك ، بقوله : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ لقد
أبعد النجعة ، وهو إما ملغز ، وإما مدلس ، لم يخاطبهم بلسان عربي مبين ،
ولازم هذه المقالة : أن يكون ترك الناس بلا رسالة خيراً لهم في أصل دينهم؛
لأن مردهم قبل الرسالة وبعدها واحد ، وإنما الرسالة زادتهم عمىً وضلالاً .
يا سبحان الله ، كيف لم يقل الرسول يوماً من الدهر ولا أحد من سلف
الامة : هذه الآيات والأحاديث لا تعتقدوا ما دلت عليه ، لكن اعتقدوا الذي
تقتضيه [مقاييسكم]^(١) ، أو اعتقدوا كذا وكذا ، فإنه الحق ، وما خالفه ظاهره ،
فلا تعتقدوا ظاهره ، وانظروا فيها ، فما وافق قياس عقولكم فاعتقدوه ، وما لا
فتوقفوا فيه وانفوه ، ثم الرسول ﷺ قد أخبر بأن أمته ستفترق ثلاثاً وسبعين
فرقة ، فقد علم ما سيكون ، ثم قال :

«إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا ، كتاب الله»^(*).

وروى عنه أنه قال في صفة الفرقة الناجية :

«هو من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي»^(**).

فهذا قال من تمسك بالقرآن أو بدلالة القرآن أو بمفهوم القرآن ، أو بظاهر
القرآن في باب الاعتقاد فهو ضال ، وإنما الهدى رجوعكم إلى مقاييس عقولكم ،
وما يحدثه المتكلمون منكم بعد القرون الثلاثة ، وإن كان [قد]^(٢) نبغ أصل هذه
المقالة في أواخر / عصر التابعين ، ثم أصل هذه المقالة مقالة التعطيل للصفات ،
إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين ، [فإن]^(٣) أول من [ق/٢٧]
حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام هو الجعد بن درهم [فأخذها]^(٣) عنه

(١) في «س» : مقاييسكم . (٢) من «س» . (٣) في «س» : وأخذ .

(*) رواه ابن خزيمة (٢٥١/٤) ، وابن حبان (٣١٢/٤) ، (٢٥٧/٩) ، والحاكم في المستدرک

(١٧١/١) .

(**) رواه الطبراني في الأوسط (٢٢/٨) ، والكبير (١٥٢/٨) .

الجهم بن صفوان وأظهرها ، فنُسبت مقالة الجهمية إليه ، وقد قيل : إن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان ، وأخذها أبان من طالوت ابن أخت لبيد بن أعصم ، وأخذها طالوت من لبيد بن أعصم اليهودى الساحر ، الذي سحر النبي ﷺ ، ثم أطلال الشيخ - رحمه الله - الكلام إلى أن قال : الفتوى لا تحتل البسط في هذا الباب ، وإنما أشير إشارة إلى مبادئ الأمور ، والعامل يسير فينظر ، وكلام السلف في هذا الباب موجود في كتب كثيرة ، ولا يمكن أن نذكر هنا إلا قليلاً منه .

إلى أن قال : وإذا كان أصل هذه المقالة مقالة التعطيل والتأويل مأخوذ عن تلامذة المشركين والصابئين واليهود ، فكيف تطيب نفس مؤمن ، بل نفس عاقل أن يأخذ سبيل هؤلاء المغضوب عليهم والضالين ، ويدع سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

قال : ثم القول الشامل في جميع هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله وبما وصفه به السابقون الأولون ، لا نتجاوز القرآن والحديث ومذهب السلف ، أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكيف ولا تمثيل ، ثم ذكر الشيخ - رحمه الله - جملاً نافعة ، وأصولاً جامعة في إثبات الصفات ، والرد على الجهمية ، وذكر من النقول عن سلف الأمة وأئمتها في إثبات العلو ، وغيره ما يضيق هذا الموضوع عن ذكره ، ثم قال في آخر كلامه :

وجماع الأمر أن الأقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها ستة أقسام ،

كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة .

قسمان يقولون : تجري على ظواهرها .

وقسمان يقولون : هي على خلاف ظواهرها . وقسمان يسكتون .

أما الأولون ، فقسمان :

أحدهما: من يجريها على ظاهرها ، ويجعل ظاهرها من جنس صفات المخلوقين ، فهؤلاء هم المشبهة ، ومذهبهم باطل ، أنكره السلف ، وإليهم توجه الرد بالحق .

والثاني: من يجريها على ظاهرها اللاتق بجلال الله تعالى - كما يجري

اسم العليم والقدير ، والرب والإله ، والموجود والذات ، ونحو ذلك ، على ظاهرها اللاتق بجلال الله تعالى ، فإن ظواهر هذه الصفات في حق المخلوقين ، إما جوهر محدث ، وإما عرض قائم به ، فالعلم والكلام والقدرة والمشية ، والرحمة والرضا والغضب ، ونحو ذلك في حق العبد أعراض ، والوجه واليد والعين في حقه أجسام ، فإذا كان الله موصوفاً عند عامة أهل الإثبات بأن له علماً وقدرة وكلاماً ومشية ، وإن لم تكن أعراضاً يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين ، جاز أن يكون وجه الله ويده ليست أجساماً ، يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين ، وهذا هو المذهب الذي حكاه الخطابي وغيره عن السلف ، وعليه يدل كلام جمهورهم ، وكلام الباقرين لا يخالفه ، وهو أمر واضح ، فإن الصفات كالذات ، فكما أن ذات الله ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقين ، فمن قال : لا أعقل علماً ويداً إلا من جنس العلم واليد المعهودين ، قيل له : فكيف تعقل ذاتاً من غير جنس ذوات المخلوقين ، ومن المعلوم أن صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته ، فمن لم يفهم من صفات الرب الذي ليس كمثله شيء ، إلا ما يناسب المخلوق ، فقد ضل في عقله ودينه ، وما أحسن ما قال بعضهم : إذا قال لك الجهمي : كيف استوى؟ وكيف ينزل إلى سماء الدنيا ؟ وكيف يده ؟ ونحو ذلك .

فقل له : كيف هو في نفسه ؟ فإذا قال : لا يعلم ما هو إلا هو ، وكنه
[٢٨/ق] الباري غير معلوم للبشر ، فقل له : فالعلم بكيفية الصفة مستلزم / للعلم بكيفية
الموصوف ، فكيف يمكن أن تعلم كيفية صفة لموصوف لم تعلم كيفيته ، وإنما
تعلم الذات والصفات ، من حيث الجملة على الوجه الذي ينبغي لك ، بل هذه
المخلوقات في الجنة قد ثبت عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال :

ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء ، وقد أخبر الله تعالى - أنه لا تعلم
نفس ما أخفي لهم من قرة أعين .

وقال النبي ﷺ : يقول الله تعالى :

«أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر
على قلب بشر» .

فإذا كان نعيم الجنة ، وهو خلق من خلق الله كذلك ، فما الظن بالخالق
سبحانه وتعالى - وهذه الروح التي في بني آدم قد علم العاقل اضطراب الناس
فيها ، وإمساك النصوص عن بيان كيفيتها ، أفلا يعتبر العاقل بها عن الكلام في
كيفية الله تعالى مع أنا نقطع [أن] ^(١) الروح في البدن ، وأنها تخرج منه ، وتخرج
إلى السماء ، وأنها تسلم منه وقت النزاع كما نطقت بذلك النصوص الصحيحة ،
لا نغالي في تجريدتها غلو المتفلسفة ، ومن وافقهم ، حيث نفوا عنها الصعود
والتزول والاتصال بالبدن ، والانفصال عنه ، وتخبطوا فيها حيث رأوها من غير
جنس البدن وصفاته ، فعدم مماثلتها للبدن لا ينفي أن تكون هذه الصفات ثابتة
بحسبها إلا أن يفسروا كلامهم بما يوافق النصوص فيكونوا قد أخطأوا في اللفظ ،
وأنى لهم بذلك .

(١) في «س» : بأن .

وأما القسمان اللذان يتفیان ظاهرهما، أعنى : الذين يقولون : ليس لها في الباطن مدلول هو صفة لله تعالى قط ، وإن الله لا صفة له ثبوتية ، بل صفاته إما سلب وإما إضافة ، وإما مركبة منهما ، أو يثبتون بعض الصفات ، وهي السبعة أو الثمانية أو الخمسة عشر ، أو يثبتون الأحوال دون الصفات ، على ما قد عرف من مذاهب المتكلمين .

فهؤلاء قسمان : قسم يتأولونها ، ويعيّنون المراد ، مثل قولهم : استوى بمعنى : استولى ، أو بمعنى : علو المكانة والقدر ، أو بمعنى : ظهور نوره للعرش ، أو بمعنى : انتهاء الخلق إليه ، إلى غير ذلك من معاني المتكلمين .
وقسم يقولون : الله أعلم بما أراد بها ، لكننا نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجة عما علمناه .

وأما القسمان الواقفان ، فقسم يقولون : يجوز أن يكون المراد ظاهرها اللائق بالله ، ويجوز أن لا يكون المراد صفة لله ، ونحو ذلك ، وهذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم .

وقوم يسكون عن هذا كله ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة الحديث ، معرضين بقلوبهم وألسنتهم عن هذه التقديرات ، فهذه الأقسام الستة لا يمكن أن يخرج الرجل عن قسم منها .

والصواب في كثير من آيات الصفات وأحاديثها القطع بالطريقة الثانية كالآيات والأحاديث الدالة على أنه سبحانه فوق عرشه ، ويعلم طريقة الصواب في هذا وأمثاله بدلالة الكتاب والسنة والإجماع على ذلك ، دلالة لا تختمل النقيض ، وفي بعضها قد يغلب على الظن ذلك ، مع احتمال النقيض ، وتردد المؤمن في ذلك هو بحسب ما يؤتاه من العلم والإيمان .

﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [سورة النور الآية: ٤٠].

ومن اشتبه عليه ذلك أو غيره ، فليدعُ بما رواه مسلم في صحيحه ، عن عائشة - رضي الله عنها قالت :

كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يصلي يقول :

«اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»^(١) .

وفي رواية أبي داود^(٢) أنه كان يكبر في صلاته ، ثم يقول ذلك .

فإذا افتقر العبد إلى الله تعالى ودعاه ، وأدمن النظر في كلام الله تعالى ،

وكلام رسوله ﷺ ، وكلام الصحابة والتابعين ، وأئمة المسلمين ، انفتح له

طريق الهدى ، ثم إن كان قد خبرَ نهايات إقدام المتفلسفة ، والمتكلمين في هذا

الباب ، وعرف غالب ما يزعمونه برهاناً ، وهو شبهة ، ورأى أن غالب ما

يعتمدونه يثول إلى دعوى لا حقيقة لها ، أو شبهة / مركبة من قياس فاسد ، أو [ق/٢٩]

قضية كلية لا تصح إلا جزئية أودعوى إجماع لا حقيقة له ، والتمثيل في

المذهب والدليل بالألفاظ المشتركة ، ثم إن ذلك إذا ركب بالفاظ كثيرة طويلة

غريبة عن من لم يعرف اصطلاحهم ، أوهمت الغرّ ما يوهمه السراب للعطشان ،

ازداد إيماناً وعلماً بما جاء به الكتاب والسنة ، فإن الضد يُظهِرُ حسنه الضد ،

وكل من كان بالباطل أعلم ، كان للحق أشد تعظيماً ، وبقدرة أعرف .

فأما المتوسط من المتكلمين فيُخاف عليه ما لا يخاف على من لم يدخل

فيه ، وعلى من قد أنهاها نهايته ، فإن من لم يدخل فيه هو في عافية ، ومن

(١) رواه مسلم ، كتاب صلاة المسافرين (٢٠٠) .

(٢) رواه أبو داود برقم (٧٦٨) .

أنهاه فقد عرف الغاية ، فما بقى يخاف عليه من شيء آخر ، فإذا ظهر له الحق ، وهو عطشان إليه قبله .

وأما المتوسط فمتوهم بما يلقاه من المقالات المأخوذة تقليدًا لمعظمه وتهويلًا ، وقد قال الناس : أكثر ما يفسد الدنيا نصف متكلم ونصف متفقه ونصف متطبب ونصف نحوي ؛ هذا يفسد الأديان ، وهذا يفسد البلدان ، وهذا يفسد الأبدان ، وهذا يفسد اللسان .

ومن علم أن المتكلمين من المتفلسفة وغيرهم في الغالب في قول مختلف ، يؤفك عنه من أفك ، يعلم الذكي منهم ، العاقل أنه ليس هو فيما يقوله على بصيرة ، وأن حجته ليست بينة ، وإنما هي كما قيل فيها :

حَجَجٌ تَهَافَّتَ كَالزَّجَاجِ تَخَالُهَا حَقًّا وَكُلُّ كَاسِرٍ مَكْسُورٌ

ويعلم البصير العالم أنهم من وجه مستحقون ما قاله الشافعي - رضي الله عنه - حيث قال : حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ، ويطاف بهم في القبائل والعشائر ، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة ، وأقبل على علم الكلام .

ومن وجه آخر : إذا نظرت إليهم بعين القدر والحيرة مستولية عليهم ، والشيطان مستحوذ عليهم ، رحمتهم ورفقت عليهم ، أتوا ذكاءً ، وما أوتوا ذكاءً ، وأعطوا فهومًا ، وما أعطوا علومًا ، وأعطوا سمعًا وأبصارًا وأفئدةً

﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا

يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الاحقاف: ٢٦].

ومن كان عالمًا بهذه الأمور تبين له بذلك حذق السلف وعلمهم وخبرتهم

حيث حذروا عن الكلام ، ونهوا عنه ، وذموا أهله ، وعابوهم ، وعلم أن من

ابتغى الهدى في غير الكتاب والسنة لم يزد إلا بعداً ، فنسأل الله العظيم أن يهدينا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم عليهم ، غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين . آمين .

هذا آخر الحموية الكبرى ، وهي في ست كراريس بقطع نصف البلدي ، ألفها الشيخ - رحمه الله - قبل سنة سبعمائة ، وعمره إذ ذاك دون الأربعين سنة ، ثم انفتح له بعد ذلك من الرد على الفلاسفة والجهمية وسائر أهل الأهواء والبدع ما لا يوصف ولا يعبر عنه .

وجرى له من المناظرات العجيبة ، والمباحث الدقيقة في كتبه وغير كتبه مع أقرانه وغيرهم في سائر أنواع العلوم ما تضيق العبارة عنه . وقد ذكرنا عن ابن الزمكاني فيما تقدم أنه قال : لا يعرف أنه ناظر أحداً فانقطع معه ، وقد رأيت بخط بعض أصحابه ما صورته :

تلخيص مبحث جرى بين شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية وبين

ابن المرحل ، كان الكلام في الحمد والشكر ، وأن الشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح ، والحمد لا يكون إلا باللسان .

فقال ابن المرحل : قد نقل بعض المصنفين ، وسمّاهُ أن مذهب أهل السنة والجماعة أن الشكر لا يكون إلا بالاعتقاد ، ومذهب الخوارج : أنه يكون بالاعتقاد والقول والعمل . وبنوا على هذا أن من ترك الأعمال يكون كافراً ؛ لأن الكفر نقيض الشكر ، فإذا لم يكن شاكراً كان كافراً .

قال الشيخ تقي الدين : هذا المذهب المحكي عن أهل السنة خطأ ، والنقل عن أهل السنة خطأ ؛ فإن مذهب أهل السنة أن الشكر يكون بالاعتقاد والقول والعمل .

قال الله تعالى : ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾ [سورة سبأ : ١١٣] .

[ق/٣٠] وقام النبي ﷺ حتى تورمت قدماه ، فقيل له / أتفعل هذا ، وقد غفر الله

لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال : «أفلا أكون عبداً شكوراً»^(١).

وقال ابن المرحل : أنا لا أتكلم في الدليل ، وأسلم ضعف هذا القول ،

لكن أنا أنقل أنه مذهب أهل السنة .

قال الشيخ تقي الدين : نسبة هذا إلى أهل السنة خطأ ؛ فإن القول إذا ثبت

ضعفه كيف يُنسب إلى أهل الحق ، ثم قد صرح من شاء الله من العلماء

المعروفين بالسنة أن الشكر يكون بالاعتقاد والقول والعمل .

وقد دل على ذلك الكتاب والسنة .

قلت : وباب سجود الشكر أشهر من أن يذكر ، وقد قال النبي ﷺ عن

سجدة «ص» : «سجدها داود توبة ، ونحن نسجدها شكراً» .

ثم من الذي قال من أئمة السنة أن الشكر لا يكون إلا بالاعتقاد ؟

قال ابن المرحل : هذا قد نقل ، والنقل لا يمنع ، لكن يستشكل ، ويقال :

هذا مذهب مشكل .

قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية : النقل نوعان :

أحدهما : أن ينقل ما سمع أو رأى .

والثاني : ما ينقل باجتهاد واستنباط .

وقول القائل : مذهب فلان كذا ، أو مذهب أهل السنة كذا ، قد يكون

نسبه إليه ؛ لاعتقاد أن هذا مقتضى أصوله ، وإن لم يكن فلان قال ذلك ، ومثل

هذا يدخله الخطأ ، ألا ترى أن كثيراً من المصنفين يقولون : مذهب الشافعي أو

غيره كذا ، ويكون منصوصه بخلافه ، وعذرهم في ذلك أنهم رأوا أن أصوله

(١) رواه البخاري برقم (١٠٧٨ ، ٤٥٥٦ ، ٦١٠٦) ، ومسلم (٢١٧٢ ، ٢١٧١/٤) برقم

(٢٨١٩) ، عن المغيرة بن شعبة ، ورواه مسلم برقم (٢٨٢٠) ، عن عائشة .

(٢) رواه النسائي في الكبرى (٣٣١/١) برقم (١٠٢٩) و (٤٤٢/٦) برقم (١١٤٣٨) ، وفي

المجتبى (١٥٩/٢) برقم (٩٥٧) وغيره عن ابن عباس .

تقتضي ذلك القول ، فنسبوه إلى مذهبه من جهة الاستنباط ، لا من جهة النص .
وكذلك هذا ؛ لما كان أهل السنة لا يكفرون بالمعاصي ، والخوارج يكفرون
بالمعاصي ، ثم رأى المصنف أن الكفر ضد الشكر ، اعتقد أنا إذا جعلنا الأعمال
شكراً لزم انتفاء الشكر بانتفائها ، ومتى انتفى الشكر خلفه الكفر ، ولهذا قال :
إنهم بنوا على ذلك التكفير بالذنوب ، فلهذا عزا إلى أهل السنة إخراج الأعمال
عن الشكر .

قلت: كما أن كثيراً من المتكلمين أخرج الأعمال عن الإيمان لهذه العلة .

قال: وهذا خطأ ؛ لأن الكفر نوعان :

أحدهما : كفر النعمة .

والثاني : الكفر بالله .

والكفر الذي هو ضد الشكر إنما هو كفر النعمة ، لا الكفر بالله .

فإذا زال الشكر خلفه كفر النعمة ، لا الكفر بالله .

قلت : على أنه لو كان ضده الكفر بالله ، فمن ترك الأعمال شاكراً بقلبه

ولسانه ، فقد أتى ببعض الشكر وأصله ، والكفر إنما يثبت إذا عدم الشكر

بالكلية ، كما قال أهل السنة : إن من ترك فروع الإيمان لا يكون كافراً حتى

يترك أصول الإيمان ، وهو الاعتقاد .

ولا يلزم من زوال فروع الحقيقة التي هي ذات شعب ، وأجزأ زوال

اسمها ، كالإنسان إذا قطعت يده ، أو الشجرة إذا قطعت بعض فروعها .

قال الصدر بن المرحل : فإن أصحابك قد خالفوا الحسن البصري في تسمية

الفاسق كافر النعمة ، كما خالفوا الخوارج في جعله كافراً بالله .

قال الشيخ تقي الدين : أصحابي لم يخالفوا الحسن في هذا ، فعن من

تنقل من أصحابي هذا ، بل يجوز عندهم أن يسمى الفاسق كافر النعمة ، حيث

أطلقته الشريعة .

قال ابن المرحل : إن أنا ظننت أن أصحابك قد قالوا هذا ، لكن أصحابي قد خالفوا الحسن في هذا .

قال الشيخ تقي الدين : ولا أصحابك خالفوه ؛ فإن أصحابك قد تأولوا أحاديث النبي ﷺ التي أطلق فيها الكفر على بعض الفسوق مثل ترك الصلاة ، وقاتل المسلمين ، على أن المراد به كفر النعمة ، فعلم أنهم يطلقون على المعاصي في الجملة أنها كفر النعمة ، فعلم أنهم موافقوا الحسن لا مخالفوه ، ثم عاد ابن المرحل فقال : أنا أنقل هذا عن المصنف ، والنقل لا يمنع ، لكن يستشكل .

قال الشيخ تقي الدين : إذا دار الأمر بين أن ينسب أهل السنة [إلى] (١) مذهب باطل ، أو ينسب الناقل عنهم إلى تصرفه في النقل ، كان نسبة الناقل إلى التصرف أولى من نسبة الباطل إلى طائفة الحق ، مع أنهم قد صرحوا في غير موضع أن الشكر يكون بالقول والعمل / والاعتقاد ، وهذا أظهر من أن ينقل عن واحد بعينه ، ثم إنا نعلم بالاضطرار أنه ليس من أصول أهل الحق إخراج الأعمال أن تكون شكراً لله ، بل قد نص الفقهاء على أن الزكاة شكر [ق/٣١] نعمة المال ، وشواهد هذا أكثر من أن تحتاج إلى نقل . وتفسير الشكر بأنه يكون بالقول والعمل في الكتب التي يتكلم فيها علي لفظ الحمد والشكر مثل : كتب التفسير واللغة ، وشروح الحديث ، يعرفه آحاد الناس .

والكتاب والسنة قد دلا على ذلك ، فخرج ابن المرحل إلى شيء غير هذا ، فقال : الحسن البصري يسمي الفاسق منافقاً ، وأصحابك لا يسمونه منافقاً .

قال الشيخ تقي الدين له : بل يسمى منافقاً النفاق الأصغر ، لا النفاق الأكبر ، والنفاق يطلق على النفاق الأكبر ، الذي هو إضمار الكفر ، وعلى النفاق الأصغر الذي هو اختلاف السر والعلانية في الواجبات .

قال له ابن المرحل : ومن أين قلت إن الاسم يطلق على هذا وعلى هذا؟

(١) من «س» .

قال الشيخ تقي الدين : هذا مشهور عند العلماء ، وبذلك فسروا قول النبي ﷺ : «آية المنافق ثلاث ؛ إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان» وقد ذكر ذلك الترمذي ، وغيره .

وحكوه عن العلماء ، وقال غير واحد من السلف : كفر دون كفر ، ونفاق دون نفاق ، وشرك دون شرك .

وإذا كان النفاق جنسًا تحته نوعان ، فالفاسق داخل في أحد نوعيه .
قال ابن المرحل : كيف تجعل النفاق اسم جنس وقد جعلته لفظًا مشتركًا ، وإذا كان اسم جنس كان متواطئًا .

والأسماء المتواطئة غير المشتركة ، فكيف تجعله مشتركًا متواطئًا؟

قال الشيخ تقي الدين: أنا لم أذكر أنه مشترك ، وإنما قلت: يطلق على هذا وعلى هذا ، والإطلاق أعم .

ثم لو قلت : إنه مشترك ، لكان الكلام صحيحًا ؛ فإن اللفظ الواحد قد يُطلق على شيئين بطريق التواطؤ وبطريق الإشتراك ، فأطلقت لفظ النفاق على إبطان الكفر وإبطان المعصية ، تارة بطريق الإشتراك ، وتارة بطريق التواطؤ ، كما أن لفظ الوجود يطلق على الواجب والممكن عند قوم باعتبار الإشتراك ، وعند قوم باعتبار التواطؤ ، ولهذا سمي مشككًا .

قال ابن المرحل : كيف يكون هذا ؟ وأخذ بكلام لا يحسن ذكره .

قال له الشيخ تقي الدين : المعاني الدقيقة تحتاج إلى إصغاء ، واستماع ، وتدبر ، وذلك أن الماهيتين إذا كان بينهما قدر مشترك وقدر مميز ، واللفظ يطلق على كل منهما ، فقد يطلق عليهما باعتبار ما به تمتاز كل ماهية عن الأخرى ،

(١) رواه البخاري برقم (٣٣ ، ٥٣٦ ، ٥٩٨ ، ٥٧٤٤) ، ومسلم برقم (٥٩) ، عن أبي هريرة .

(٢) قال الترمذي (١٩/٥) : وإنما معنى هذا عند أهل العلم نفاق العمل ، وإنما كان نفاق

التكذيب على عهد رسول الله ﷺ هكذا ، روي عن الحسن البصري شيئًا من هذا أنه قال: النفاق نفاقان : نفاق العمل ، ونفاق التكذيب .

فيكون مشتركاً الاشتراك اللفظي ، وقد يكون مطلقاً باعتبار القدر المشترك بين الماهيتين ، فيكون لفظاً متواطئاً .

قلت: ثم إنه في اللغة يكون موضوعاً للقدر المشترك ثم يغلب عرف الاستعمال على استعماله في هذا تارة ، وفي هذا تارة ، فيبقى دالاً بعرف الاستعمال على ما به الاشتراك والامتنياز ، وقد يكون قرينة مثل لام التعريف ، أو الإضافة تكون هي الدالة على ما به الامتنياز ، مثال ذلك : اسم الجنس إذا غلب في العرف على بعض أنواعه ، كلفظ الدابة إذا غلب على الفرس قد نطقه على الفرس ، باعتبار القدر المشترك بينها وبين سائر الدواب ، فيكون متواطئاً ، وقد نطقه باعتبار خصوصية الفرس ، فيكون مشتركاً بين خصوص الفرس ، وعموم سائر الدواب ، ويصير استعماله في الفرس ، تارة بطريق الاشتراك ، وتارة بطريق التواطؤ ، وهكذا اسم الجنس إذا غلب على بعض الأشخاص ، وصار علماً بالغلبة ، مثل ابن عمر ، والنجم ، فقد نطقه عليه باعتبار القدر المشترك بينه وبين سائر النجوم ، وسائر بني عمر ، فيكون إطلاقه عليه بطريق التواطؤ ، وقد نطقه باعتبار ما به يمتاز عن غيره من النجوم ، ومن بني عمر ، فيكون بطريق الاشتراك بين هذا المعنى الشخصي ، وبين المعنى النوعي ، وهكذا كل اسم عام غلب على بعض أفرادها يصح استعماله في / ذلك الفرد بالوضع [ق/٣٢]

الأول العام ، فيكون بطريق التواطؤ بالوضع الثاني ، فيصير بطريق الاشتراك .
ولفظ النفاق من هذا الباب ؛ فإنه في الشرع إظهار الدين ، وإبطان خلافه ، وهذا المعنى الشرعي أخص من مسمى النفاق في اللغة ؛ فإنه في اللغة أعم من إظهار الدين ، ثم إبطان ما يخالف الدين إما أن يكون كفرًا ، أو فسقًا ، فإن أظهر أنه مؤمن ، وأبطن التكذيب فهذا هو النفاق الأكبر ، الذي أُوعدَ صاحبه بأنه في الدرك الأسفل من النار ، وإن أظهر أنه صادق أو موف أو أمين ،

وأبطن الكذب والغدر والحيانة ، ونحو ذلك ، فهذا هو النفاق الأصغر ، الذي يكون صاحبه فاسقًا ، فإطلاق النفاق عليهما في الأصل بطريق التواطؤ ، وعلى هذا فالنفاق اسم جنس تحته نوعان ، ثم إنه قد يُراد به النفاق في أصل الدين ، مثل قوله : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ [النساء: ١٤٥] . و ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ [المنافقون: ١] .

والمنافق هو الكافر ، وقد يُراد به النفاق في فروعه ، مثل قوله ﷺ :

« آية المنافق ثلاث ... »

وقوله : « أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا .. »^(١)

وقول ابن عمر فيمن يتحدث عن الإيماء ثم يخرج فيقول بخلافه ، كنا نعد هذا على عهد رسول الله ﷺ نفاقًا .

فإذا أردت أحد النوعين ، فإما أن يكون تخصيصه لقريئة لفظية ، مثل لام العهد والإضافة ، فهذا لا يخرج عن أن يكون متواطئًا ؛ كما إذا قال الرجل : جاء القاضي ، وعني به قاضي بلده ؛ لكون اللام للعهد ، كما قال سبحانه : ﴿ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ﴾ [الزمل: ١٦] .

إن اللام هي أوجبت قصر الرسول على موسى ، لا نفس لفظ رسول ، وإما أن يكون لغلبة الاستعمال عليه ، فيصير مشتركًا بين اللفظ العام والمعنى الخاص ، فكذلك قوله : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ﴾ .

فإن تخصيص هذا اللفظ بالكافر إما أن يكون لدخول اللام التي تفيد العهد ، والمنافق المعهود هو الكافر ، أو تكون لغلبة هذا الاسم في الشرع على نفاق الكفر ، وقوله : « ثلاث من كن فيه كان منافقًا ... »^(٢) يعني به منافقًا بالمعنى العام ، وهو إظهاره من الدين خلاف ما يبطن ، فإطلاق لفظ النفاق على الكافر

(١) رواه البخاري برقم (٣٤ ، ٢٣٢٧) ، ومسلم برقم (٥٨) عن عبدالله بن عمرو .

(٢) رواه البخاري برقم (١٦ ، ٢١ ، ٦٥٤٢) ، ومسلم برقم (٤٣) عن أنس .

وعلى الفاسق إن أطلقته باعتبار [المعنى العام كان متواطئًا ، وإن أطلقته على الكافر]^(١) بما يمتاز به عن الفاسق كان إطلاقه عليه ، وعلى الفاسق باعتبار الاشتراك ، وكذلك يجوز أن يُراد به الكافر خاصة ، ويكون متواطئًا إذا كان الدال على الخصوصية غير لفظ منافق بل لام التعريف ، وهذا البحث الشريف جاز في كل لفظ عام استعمل في بعض أنواعه إما لغلبة الاستعمال ، أو لدلالة لفظية خصته بذلك النوع .

مثل تعريف الإضافة ، أو تعريف اللام ، فإن كان لغلبة الاستعمال صح أن يقال : إن اللفظ مشترك ، وإن كان لدلالة لفظية ، كان اللفظ باقياً على مواطئه ، فلهذا صح أن يقال : النفاق اسم جنس تحته نوعان ؛ لكون اللفظ في الأصل عامًا متواطئًا .

وصح أن يقال : هو مشترك بين النفاق في أصل الدين ، وبين مطلق النفاق في الدين ؛ لكونه في عرف الاستعمال الشرعي غلب على نفاق الكفر .



(١) من «س» .

بحث ثان جري

أن الحمد والشكر بينهما عموم وخصوص؛

فالحمد أعم من جهة أسبابه التي يقع عليها ، فإنه يكون على جميع الصفات ، والشكر لا يكون إلا على إحسان ، والشكر أعم من جهة ما به يقع ، فإنه يكون بالاعتقاد والقول والفعل والحمد يكون [بالفعل]^(١) أو بالقول أو بالاعتقاد .

أورد الشيخ الإمام زين الدين بن المنجا الحنبلي ، أن هذا الفرق إنما هو من جهة متعلق الحمد والشكر ؛ لأن كونه يقع على كذا ، ويقع بكذا خارج عن ذاته ، فلا يكون فرقاً في الحقيقة ، والحدود إنما يتعرض فيها لصفات الذات ، لا لما خرج عنها .

فقال شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية :

المعاني على قسمين : مفردة ، ومضافة ، فالمعاني المفردة حدودها لا توجد فيها متعلقاتها ، وأما المعاني الإضافية فلا بد أن توجد في حدودها تلك الإضافات ، فإنها داخلة في حقيقتها ولا يمكن تصورها / إلا بتصور تلك المتعلقات ، فتكون المتعلقات جزءاً من حقيقتها ، فتعين ذكرها في الحدود ، والحمد والشكر معينان متعلقان بالمحمود عليه ، والمشكور عليه ، فلا يتم ذكر حقيقتهما إلا بذكر متعلقهما ، فيكون متعلقهما داخل في حقيقتهما ، فاعترض الصدر بن المرحل ، بأنه ليس للمتعلق من المتعلق صفة ثبوتية ، فلا يكون للحمد والشكر من متعلقهما صفة ثبوتية ، فإن التعلق صفة نسبية ، والنسب أمور عدمية ، وإذا لم تكن صفة ثبوتية ، لم تكن داخلة في الحقيقة؛ لأن العدم لا يكون جزءاً من الوجود .

(١) في الأصل [بالقول] وكتب في الهامش [لعله بالفعل] وما أثبتناه هو الموافق للسياق .

فقال الشيخ تقي الدين : قولك ليس للمتعلق من المتعلق صفة ثبوتية ليس على العموم ، بل قديكون للمتعلق من المتعلق صفة ثبوتية ، وقد لا يكون ، وإنما الذي يقوله أكثر المتكلمين ، ليس [ملحق]^(١) القول من القول صفة ثبوتية ، ثم الصفات المتعلقة نوعان :

أحدهما : إضافة محضة مثل الأبوة والبنوة والفوقية والتحتية ، ونحوها ، فهذه الصفة هي التي يقال فيها هي مجرد نسبة وإضافة والنسب أمور عديمة .
والثاني : صفة ثبوتية مضافة إلى غيرها كالحب والبغض والإرادة والكرهية والقدرة وغير ذلك من الصفات ، فإن الحب صفة ثبوتية متعلقة بالمحسوب ، فالحب معروض للإضافة بمعنى أن الإضافة صفة عرضت له ؛ لأن نفس الحب هو الإضافة ففرق بينهما هو إضافة ، وبينما هو صفة مضافة ، فالإضافة يقال فيها : إنها عديمة [وأما الصفة المضافة ، فقد تكون ثبوتية ؛ كالحب]^(٢) .

قال ابن المرحل : الحب أمر عديم ؛ لأن الحب نسبة ، والنسب عديمة .
قال الشيخ تقي الدين : كون الحب والبغض والإرادة والكرهية أمراً عديمياً باطل بالضرورة ، وهو خلاف إجماع العقلاء ، ثم هو مذهب بعض المعتزلة في إرادة الله ، فإنه زعم أنها صفة سلبية ، بمعنى أنه غير مغلوب ولا مستكره ، وأطبق الناس على بطلان هذا القول ، وأما إرادة المخلوق ، وجهه وبغضه ، فلم نعلم أحداً من العقلاء قال : إنه [أمر]^(٣) عديم ، فأصرَّ ابن المرحل على أن الحب الذي هو ميل القلب إلى المحبوب أمر عديم .

وقال : المحبة أمر وجودي .

(١) في الأصل [للمتعلق] وما أثبتناه من «س» .

(٢) ما بين [] مكرر بالأصل .

(٣) من «س» .

قال الشيخ تقي الدين : المحبة هي الحب ، فإنه يقال : أحبه وحبته حباً ومحبة ، ولا فرق ، وكلاهما مصدر .

قال ابن المرحل : وأنا أقول : إنهما إذا كانا مصدرين فهما أمر عدمي .

قال له الشيخ تقي الدين : الكلام إذا انتهى إلى المقدمات الضرورية ، فقد

انتهى ، وتم .

وكون الحب والبغض أمراً وجودياً معلوم بالاضطرار ، فإن كل أحد يعلم أن الحي إن كان خالياً عن الحب كان هذا [الخلو]^(١) صفة عدمية ، فإذا صار محباً ، فقد تغير الموصوف ، وصار له صفة زائدة على ما كان قبل أن يقوم به الحب ، وهو يحسن ذلك من نفسه ، ويجده كما يجد شهوته ونفرته ورضاه وغضبه ولذته وآله ، ودليل ذلك أنك تقول : أحب يحب محبة ، ونقيض أحب : لم يحب ، ولم يحب : صفة عدمية ، ونقيض العدم : الإثبات .

قال ابن المرحل : هذا ينتقض بقولهم امتنع يمتنع ، فإن نقيض الامتناع لا

امتناع ، والامتناع : صفة عدمية .

قال الشيخ تقي الدين : الامتناع أمر اعتباري عقلي ، فإن الممتنع له وجود

خارجي حتى تقوم به صفة ، وإنما هو معلوم بالعقل باعتبار كونه معلوماً له ثبوت علمي ، وسلب هذا الثبوت العلمي : عدم هذا الثبوت ، فلم ينتقض هذا قولنا : نقيض العدم ثبوت ، وأما الحب فإنه صفة قائمة بالمحب ، فإنك تشير إلى عين خارجة ، وتقول : هذا الحي صار محباً ، بعد أن لم يكن محباً ، فتخبر عن الوجود الخارجي بصفة ، فإن كان نقيضها عدماً خارجياً ، كانت وجوداً خارجياً ، وفي الجملة : فكون الحب والبغض صفة ثبوتية وجودية معلوم بالضرورة فلا يقبل فيه نزاع ولا يناظر صاحبه إلا مناظرة السوفسطائية .

(١) في الأصل [الخلو] وهو خطأ ، وما أثبتناه من «س» .

قلت: وإذا كان الحب والبغض ونحوهما من الصفات المضافة المتعلقة بالغير صفات وجودية ، وظهر الفرق بين الصفات التي هي إضافة ، ونسبة ، وبين الصفات التي هي مضافة منسوبة ، فالحمد والشكر من القسم الثاني ، فإن الحمد أمر وجودي متعلق بالمحمود عليه ، وكذلك / الشكر أمر وجودي متعلق [ق/٣٤] بالمشكور عليه ، فلا يتم فهم حقيقتهما إلا بفهم الصفة الثبوتية لهما التي هي متعلقة بالغير ، وتلك الصفة داخلة في حقيقتهما ، فإذا كان متعلق أحدهما أكثر من متعلق الآخر ، وذلك التعلق إنما هو عارض لصفة ثبوتية لهما ، وجب ذكر تلك الصفة الثبوتية في ذكر حقيقتهما ، والدليل على هذا أن من لم يفهم الإحسان امتنع أن يفهم الشكر ، فعلم أن تصور متعلق الشكر داخل في تصور الشكر .

قلت: لو قيل : إنه ليس هذا إلا أمراً عديمياً ، فالحقيقة إن كانت مركبة من وجود وعدم وجب ذكرهما في تعريف الحقيقة ، كما أن من عرف الأب من حيث هو أب فإن تصوره موقوف على تصور الأبوة التي هي نسبة ، وإضافة وإن كان الأب أمراً وجودياً ، فالحمد والشكر متعلقان بالمحمود عليه والمشكور عليه ، وإن لم يكن هذا المتعلق عارضاً لصفة ثبوتية ، فلا يفهم الحمد والشكر إلا بفهم هذا [التعلق]^(١) ، كما لا يفهم معنى الأب إلا بفهم معنى الأبوة ، الذي هو التعلق ، وكذلك الحمد والشكر أمران متعلقان بالمحمود عليه والمشكور عليه ، وهذا التعلق جزء من هذا المسمى ، بدليل أن من لم يفهم الصفات الجميلة ، لم يفهم الحمد ، ومن لم يفهم الإحسان لم يفهم الشكر ، فإذا كان فهمهما موقوفاً على فهم متعلقهما فوقوفه على فهم التعلق أولى ؛ فإن التعلق فرع على المتعلق وتبع له ، فإذا توقف فهمهما على فهم التعلق الذي هو أبعد عنهما من التعلق فتوقفه على فهم التعلق أولى . وإن كان المتعلق أمراً عديمياً ، والله أعلم .

(١) في الأصل [التعلق] وما أثبتناه من «س» .

مبحث ثالث

ادعى مدع أن قوله تعالى : ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ [البقرة: ٢٧٥] [عام]^(١) في كل ما يسمى بيعاً .

قال له الشيخ تقي الدين ابن تيمية : قوله : ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ قد أتبع بقوله : ﴿وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥] .

وعامة أنواع الربا يسمى بيعاً ، والربا إن كان اسماً مجملاً فهو مجهول ، واستثناء المجهول من المعلوم يُوجب جهالة المستبقي ، فيبقى المراد إحلال البيع الذي ليس برّبياً ، فما لم يثبت أن الفرد المعين ليس برّبياً لم يصح إدخاله في البيع الحلال ، وهذا يمنع دعوى العموم ، وإن كان الربا اسماً عاماً فهو مستثنى من البيع أيضاً ، فيبقى البيع لفظاً مخصوصاً ، فلا يصح ادعاء العموم على الإطلاق [فيه]^(٢) .

قال ابن المرحل : هذا من باب التخصيص ، وهنا عمومان تعارضاً ، وليس من باب الاستثناء فإن صيغ الاستثناء معلومة ، وإذا كان هذا تخصيصاً لم يمنع ادعاء العموم فيه .

قال الشيخ تقي الدين : هذا كلام متصل بعضه ببعض ، وهو من باب التخصيص المتصل ، وتسميه الفقهاء استثناء ، كقوله له : هذه الدار ، ولي منها هذا البيت ، فإن هذا بمنزلة قوله : إلا هذا البيت ، وكذلك لو قال : الزم هؤلاء القوم ، ولا تكرم فلاناً ، وهو منهم ، كان بمنزلة قوله : إلا فلاناً ، وإذا كان كذلك صار بمنزلة قوله : «وأحل الله البيع إلا ما كان ربياً» ، فمن ادعى بعد هذا أنه عام في كل ما يسمى بيعاً فهو مخطئ .

(٢) من «س» .

(١) من «س» .

قال ابن المرحل : أنا أسلم أنه إنما هو عام في كل بيع لا يسمى ربياً .

قال له الشيخ تقي الدين : وهذا كان المقصود ، لكن بطل بهذا دعوى
عمومه على الإطلاق ، فإن دعوى العموم على الإطلاق ينافي دعوى العموم في
بعض الأنواع دون بعض ، وهذا كلام بين .

وادعى مدع أن فيه قولين :

أحدهما : أنه عام مخصوص .

والثاني : أنه عموم مراد .

قال الشيخ تقي الدين : فإن دعوى أنه عموم مراد باطل قطعاً ، فإننا نعلم
أن كثيراً من أفراد البيع حرام ، فاعترض ابن المرحل بأن تلك الأفراد حُرمت بعد
ما أحلت ، فتكون نسخاً .

قال الشيخ تقي الدين : فيلزم من هذا أن لا يحرم شيئاً من البيوع بخبر
واحد ، ولا بقياس ؛ فإن نسخ القرآن لا يجوز بذلك ، وإنما يجوز تخصيصه به .
وقد اتفق [الفقهاء]^(١) على التحريم بهذه الطريقة .

قال ابن المرحل : رجعت عن هذا السؤال ، لكن أقول : هو عموم مراد
في كل ما يسمى بيعاً في الشرع ، فإن البيع من الأسماء المنقولة إلى كل بيع
صحيح شرعي .

قال الشيخ تقي الدين : البيع ليس من الأسماء المنقولة / فإن مسماه في [ق/٣٥]
الشرع والعرف هو المسمى اللغوي ، لكن الشارع اشترط لحله وصحته شروطاً
كما قد كان أهل الجاهلية لهم شروط أيضاً بحسب اصطلاحهم ، وهكذا سائر
أسماء العقود ، مثل الإجارة والرهن والهبة والقرض والنكاح ، إذا أريد به
العقد ، وغير ذلك هي باقية على مسمياتها .

(١) في «س» : [العلماء] .

والنقل إنما يحتاج إليه إذا أحدث الشارع معاني لم تكن العرب تعرفها،
مثل الصلاة والزكاة والتيمم ، فحيثُذ يُحتاج إلى النقل ، ومعاني هذه العقود ما
زالت معروفة .

قال ابن المرحل : أصحابي قالوا : إنها منقولة .

قال الشيخ تقي الدين : لو كان لفظ البيع في الآية المراد به البيع الصحيح
الشرعي لكان التقدير : «أحل الله البيع الصحيح الشرعي» أو «أحل الله البيع
الذي هو عنده حلال» ، وهذا مع أنه تكرير ، فإنه يمنع الاستدلال بالآية ، فإنما
لا نعلم دخول بيع من البيوع في الآية حتى نعلم أنه بيع صحيح شرعي .
ومتى علمنا ذلك استغنينا عن الاستدلال بالآية .

قال ابن المرحل : متى ثبت أن هذا الفرد يسمى بيعاً في اللغة ؟

قلت : هو بيع في الشرع ؛ لأن الأصل عدم النقل ، وإذا كان بيعاً في
الشرع دخل في الآية .

قال الشيخ تقي الدين : هذا إنما يصح لو لم يثبت أن الاسم منقول ، فأما
إذا ثبت أنه منقول ، لم يصح إدخال فرد فيه ، حتى يثبت أن الاسم المنقول واقع
عليه ، وإلا فيلزم من هذا أن كل ما سُمي في اللغة صلاة وزكاة وتيمماً وصوماً
وبيعاً وإجارة ورهنًا ، أنه يجوز إدخاله في المسمى الشرعي بهذا الاعتبار ، وعلى
هذا التقدير ، فلا يبقى فرق بين الأسماء المنقولة وغيرها ، وإنما يقال : الأصل
عدم النقل إذا لم يثبت ، بل متى ثبت النقل ، فالأصل عدم دخول هذا الفرد
في هذا الاسم المنقول حتى يثبت أنه داخل فيه بعد النقل فلتأمل هذه الأبحاث
الثلاثة وكل ما فيها .

قلت: فإنه من كلام الشيخ تقي الدين قرره بعد المناظرة .

قال الحافظ أبو عبدالله الذهبي في أثناء كلامه في ترجمة الشيخ - رحمه الله- : وله باع طويل في معرفة مذاهب الصحابة والتابعين ، وقل أن يتكلم في مسألة إلا ويذكر فيها مذاهب الأربعة ، وقد خالف الأربعة في مسائل معروفة ، وصف فيها واحتج لها بالكتاب والسنة ، ولما كان معتقلاً بالإسكندرية التمس منه صاحب «سبته» أن يجيز له مروياته ، وينص على أسماء جملة منها، فكتب في عشر ورقات جملة من ذلك بأسانيدها من حفظه ، بحيث يعجز أن يعمل بعضه أكبر محدث يكون ، وله الآن عدة سنين لا يفتي بمذهب معين ، بل بما قام الدليل عليه عنده ، ولقد نصر السنة المحضة والطريقة السلفية ، واحتج لها ببراهين ومقدمات ، وأمور لم يُسبق إليها ، وأطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرين ، وهابوا ، وجسُرُ هو عليها حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام قياماً لا مزيد عليه ، وبدعوه ، وناظروه وكابروه ، وهو ثابت ولا يدهن ولا يحابي ، بل يقول الحق المر الذي أذاه إليه اجتهاده وحدة ذهنه وسعة دائرته في السنن والأقوال مع ما اشتهر منه من الورع وكمال الفكرة وسرعة الإدراك ، والخوف من الله العظيم ، والتعظيم لحرمة الله ، فجرى بينه وبينهم حملات حربية ، ووقعات شامية ومصرية ، وكم من نوبة قد رموه عن قوس واحدة فينجيه الله ، فإنه دائم الابتهاج ، كثير الاستغاثة ، قوي التوكل ، ثابت الجأش ، له أوراد وأذكار يُدمنها بكيفية وجمعيه^(١) ، وله من الطرف الآخر محبوبون من العلماء والصلحاء ، ومن الجند والأمراء ، ومن التجار والكبراء ، وسائر العامة تحبه ؛ لأنه منتصب لنفعهم ليلاً ونهاراً بلسانه وقلمه ، وأما شجاعته فيها تُضرب الأمثال ، وبيعضها تشبه أكابر الأبطال ، فلقد أقامه الله في نوبة غازان ، والتقى أعباء الأمر بنفسه ، وقام وقعد ، وطلع وخرج ، واجتمع بالملك مرتين ،

(١) اجتماع القلب مع اللسان في الذكر ومع الجوارح في العبادة .

ويخطلو شاه ، وبيولاي ، وكان قبجق يتعجب من إقدامه وجرأته على المغول ، وله حدة قوية تعتريه في البحث ، حتى كأنه ليث حرب ، وهو أكبر من أن ينبه مثلي على نعوته ؛ فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت / أني ما رأيت بعيني مثله ، ولا والله رأى هو مثل نفسه في العلم .

قلت: ما فعله الشيخ - رحمه الله - في نوبة غازان من جميع أنواع الجهاد، وسائر أنواع الخير ؛ من إنفاق الأموال وإطعام الطعام ، ودفن الموتى ، وغير ذلك ، معروف مشهور ، ثم بعد ذلك بعام سنة سبعمائة لما قدم التتار إلى أطراف البلاد ، وبقي الخلق في شدة عزيمة ، وغلب على ظنهم أن عسكر مصر قد تخلوا عن الشام ، ركب الشيخ وساق على البريد إلى الجيش المصري في سبعة أيام ، ودخل القاهرة في اليوم الثامن يوم الإثنين حادي عشر جمادى الأولى وأطلاب المصريين داخله ، وقد دخل السلطان الملك الناصر ، فاجتمع بأركان الدولة ، واستصرخ بهم وحضهم على الجهاد ، وتلا عليهم الآيات والأحاديث ، وأخبرهم بما أعدَّ الله للمجاهدين من الثواب ، فاستفاقوا وقويت هممهم ، وأبدوا له العذر في رجوعهم مما قاسوا من المطر والبرد بيدعرس^(١) ، ونودي بالغزاه وقوي العزم وعظموه وأكرموه وتردد الأعيان إلى زيارته ، واجتمع به في هذه السنة الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد ، وسمع كلامه ، وذكر أنهم سألوه عنه ، بعد انقضاء المجلس ، فقال: هو رجل حَفِظَةٌ ، قيل له: فهلا تكلمت معه؟ فقال: هذا رجل يحب الكلام ، وأنا أحب السكوت ، وقد أخبرني الذهبي عن الشيخ - رحمه الله - أنه أخبره أن ابن دقيق العيد قال له بعد سماع كلامه : ما كنت أظن أن الله بقى يخلق مثلك^(٢) .

(١) في «س» [بيدعرش] .

(٢) نقل هذا النص ابن ناصر الدين في الرد الوافر ص ١٠٧ وزاد : وقال الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد أيضاً : لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلاً العلوم كلها بين عينيه ، يأخذ منها ما يريد ويدع ما يريد .

وفي يوم السابع والعشرين من شهر جمادى المذكور وصل الشيخ إلى دمشق على باب البريد ، وكتب في هذه الحادثة كتاباً ، وصورته هذا :

بسم الله الرحمن الرحيم

صورة كتاب كتبه شيخ الإسلام علامة الزمان

تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية

- رحمه الله ورضي عنه -

إلى من يصل إليه من المؤمنين والمسلمين .

سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته ، فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، وهو للحمد أهل ، وهو على كل شيء قدير ، ونسأله أن يصلي على صفوته من خليقته وخيرته من بريته ، محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً - أما بعد ؛

فقد صدق الله وعده ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥] ، والله تعالى يحق لنا تمام الكلام بقوله:

﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّوها وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٦-٢٧].

فإن هذه الفتنة التي ابتلى بها المسلمون مع هذا العدو المفسد الخارج عن شريعة الإسلام قد جرى فيها شبيه ما جرى للمسلمين مع عدوهم على عهد رسول الله ﷺ في المغازي التي أنزل الله فيها كتابه ، وابتلى بها نبيه والمؤمنين مما هو أسوة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً إلى يوم القيامة ، فإن نصوص الكتاب والسنة الذين هما دعوة محمد ﷺ يتناولان عموم الخلق بالعموم

اللفظي والمعنوي ، أو بالعموم المعنوي ، وعهود الله في كتابه وسنة رسوله تنال آخر هذه الأمة ، كما نالت أولها ، وإنما قص الله علينا قصص من قبلنا من الأمم لتكون عبرة لنا ، فنشبه حالنا بحالهم ، ونقيس أواخر الأمم بأوائلها ، فيكون للمؤمن من المتأخرين شبه بما كان للمؤمنين من المتقدمين ، ويكون للكافر والمنافق من المتأخرين شبه بما كان للكافر والمنافق من المتقدمين ، كما قال تعالى **لَمَّا قَصَّ قِصَّةَ يُونُسَ مِفْصَلَةَ ، وَأَجْمَلَ ذَكَرَ قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾** [يوسف: ١١١] .

أي : هذه القصص المذكورة في الكتاب ليست بمنزلة ما يفترى من القصص المكذوبة ، كنحو ما يذكر في الحروب في السير المكذوبة ، وقال تعالى لما ذكر قصة فرعون **﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾** (٢٥) **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى﴾** [النازعات: ٢٥-٢٦] .

وقال في سيرة نبينا محمد ﷺ مع أعدائه بيدر وغيرها : **﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ التَّافِتَاتِ فَمَّا تَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾** [آل عمران : ١٣]

وقال تعالى في محاصرته / لبني النضير : **﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾** [الحشر: ٢]

فأمرنا أن نعتبر بأحوال المتقدمين علينا من هذه الأمة ومن قبلها من

الأمم، وذكر في غير موضع أن سنته في ذلك سنة مطردة ، وعادته مستمرة ،
فقال تعالى :

﴿لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ
لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الاحزاب: ٦٠-٦٢] إلى قوله :

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الاحزاب: ٦٠-٦٢]

وقال تعالى : ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا

نَصِيرًا﴾ (٢٢) سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح: ٢٢-٢٣]

وأخبر - سبحانه - أن دأب الكافرين من المستأخرين كدذب الكافرين من
المستقدمين ، فينبغي للعقلاء أن يعتبروا بسنة الله وأيامه في عباده ، ودأب الأمم
وعاداتهم ، لا سيما في مثل هذه الحادثة العظيمة التي طبقت الخافقين خبرها ،
واستطار في جميع ديار الإسلام شررها ، وأطلع فيها النفاق ناصية رأسه ،
وكشر فيها الكفر عن أنيابه وأضراسه ، وكاد فيها عمود الكتاب أن يجتث
ويخترم ، وحبل الإيمان أن ينقطع ويصطم ، وعقر دار المؤمنين أن يحل به
البوار ، وأن يزول هذه الدين باستيلاء الفجرة التتار ، وظن المنافقون والذين في
قلوبهم مرض أن ما وعدهم الله ورسوله إلا غرورا ، وأن لن ينقلب حزب الله
ورسوله إلى أهلهم أبداً ، وزين ذلك في قلوبهم وظنوا ظن السوء وكانوا قوماً
بوراً ، ونزلت فتنة تركت الحليم فيها حيران ، وأنزلت الرجل الصاحي منزلة
السكران ، وتركت الرجل اللبيب لكثرة الوسواس ليس بالنائم ولا اليقظان ،
وتناكرت فيها قلوب المعارف والإخوان حتى بقى للرجل بنفسه شغل عن أن
يغيث اللفهان ، وميز الله فيها أهل البصائر والإيقان من الذين في قلوبهم مرض
أو نفاق وضعف إيمان ، ورفع بها أقواماً إلى الدرجات العالية ، كما خفض بها

أقواماً إلى المنازل الهاوية ، وكفّر بها عن آخرين أعمالهم الخاطئة ، وحدث من أنواع البلوى ما جعلها قيامة مختصرة من القيامة الكبرى ، فإن الناس تفرقوا فيها ما بين شقي وسعيد ، كما يتفرقون كذلك في اليوم الموعود ، وفرّ الرجل فيها عن أخيه وأمه وأبيه ، إذ كان لكل امرئ منهم شأن يغنيه ، وكان من الناس من أقصى همته النجاة بنفسه لا يلوي على ماله ولا ولده ، ولا غرسه ، كما أن منهم من فيه قوة على تخليص الأهل والمال وآخر فيه زيادة معونة لمن هو منه ببال ، وآخر منزلته منزلة الشفيح المطاع ، وهم درجات عند الله في المنفعة والدفاع ، ولم تنفع المنفعة الخالصة من الشكوى إلا الإيمان والعمل الخالص والبر والتقوى ، وبليت فيها السرائر ، وظهرت الخبايا ، التي كانت تكتمها الضمائر .

وتبين أن البهرج من الأقوال والأعمال يخون صاحبه أحوج ما كان إليه في المآل وذم سادته وكبرائه من أطاعهم فأضلوه السبيلا ، كما حمد ربه من صدق في إيمانه فاتخذ مع الرسول سبيلا ، وبان صدق ما جاءت به الآثار النبوية من الأخبار بما يكون ، وواطأها قلوب الذين هم في هذه الأمة محدثون ، كما تواطأت عليه المبشرات التي أريها المؤمنون ، وتبين فيها الطائفة المنصورة الظاهرة على الدين ، الذين لا يضرهم من خالفهم ، ولا من خذلهم إلى يوم القيامة ، بحيث تحزب الناس ثلاثة أحزاب ، حزب مجتهد في نصر الدين ، وآخر خاذل له ، وآخر خارج عن شريعة الإسلام ، وانقسم الناس ما بين ماجور ومعذور ، وآخر قد غره بالله الغرور ، وكان هذا الامتحان تمييزاً من الله وتقسيماً ، ليجزي الصادقين بصدقهم ، ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفوراً رحيماً .

ووجه الاعتبار في هذه الحادثة العظيمة ، أن الله - سبحانه وتعالى - بعث

[٣٨/ق] محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق / ليظهره على الدين كله ، وشرع له الجهاد ،

إباحة له أولاً ، ثم إيجاباً له ثانياً لما هاجر إلى المدينة ، وصار له فيها أنصار ينصرون الله ورسوله ، فغزا بنفسه ﷺ مدة مقامه بدار الهجرة ، وهو نحو عشر سنين ، بضعاً وعشرين غزوة ، أولها : بدر ، وآخرها غزوة تبوك ، أنزل الله في أول مغازيه سورة الأنفال ، وفي آخرها سورة براءة ، وجمع بينهما في المصحف لتشابه أول الأمر وآخره ، كما قال أمير المؤمنين عثمان ، لما سُئِلَ عن القرآن بين السورتين من غير فصل بالبسملة ، وكان القتال منها في تسع غزوات ، فأول غزوات القتال بدر ، وآخرها حنين والطائف ، وأنزل الله معه فيها ملائكته ، كما أخبر به القرآن ، ولهذا صار الناس يجمعون بينهما في القول ، وإن تباعد ما بين الغزوتين مكاناً وزماناً ؛ فإن بدرًا كانت في شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة ، ما بين المدينة ومكة ، شامي مكة ، وغزوة حنين في آخر شوال من السنة الثامنة ، وحنين واد قريب من الطائف ، شرقي مكة ، ثم قسم النبي ﷺ غنائمها بالجرعانة ، واعتمر عمرة الجعرانة ، ثم حاصر الطائف ، فلم يقاتله أهل الطائف زحفاً وصفوفاً ، وإنما قاتلوه من وراء جدار ، فأخر غزوة كان فيها القتال زحفاً واصطفافاً هي غزوة حنين ، وكانت غزوة بدر أول غزوة ظهر فيها المسلمون على صناديد الكفار ، [وقتلهم] ^(١) الله ، وأسر رؤوسهم ؛ مع قلة المسلمين وضعفهم ، فإنهم كانوا ثلاثمائة وبضع عشر ، ليس معهم إلا فرسان ، وكان [يعتقب] ^(٢) الاثنان والثلاثة على البعير الواحد ، وكان عدوهم بقدرهم أكثر من ثلاث مرات في قوة وعدة وهيئة وخيلاء ، فلما كان من العام المقبل غزا الكفار المدينة ، وفيها النبي ﷺ وأصحابه ، فخرج إليهم النبي ﷺ وأصحابه في نحو من ربيع الكفار ، وتركوا عيالهم بالمدينة لم ينقلوهم إلى موضع آخر ،

(١) في الأصل [وقتل] وما أثبتناه من «س» .

(٢) في «س» يتعقب ، وهما بمعنى واحد ، وهو أن يعقب أحدهما الآخر .

وكانت أولاً الكرة للمسلمين عليهم ، ثم صارت للكفار فانهم عامة عسكر المسلمين إلا نفرًا قليلاً حول النبي ﷺ منهم من قتل ، ومنهم من جرح ، وحرسوا على قتل النبي ﷺ حتى كسروا ربايعته، وشجوا جبينه ، وهشموا البيضة على رأسه ، وأنزل الله فيها نحواً من شطر سورة آل عمران ، من قوله :

﴿وَأَذِّدُوا غَدَوَاتٍ مِّنْ أَهْلِكَ تَبَوَّأُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ . . .﴾ [آل عمران: ١٦٦] .

وقال فيها : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ

الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥٥] .

وقال فيها : ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ

وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ

مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى

الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٢] .

وقال فيها : ﴿أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ

مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥] .

وكان الشيطان قد نعق في الناس أن محمداً قد قتل ، فمنهم من تزلزل

لذلك وهرب ، ومنهم من ثبت فقاتل ، فقال الله تعالى :

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ

عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ

الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] ، فكان هذا مثل حال المسلمين لما انكسروا في العام

الماضي ، وكانت هزيمة المسلمين في العام الماضي لذنوب ظاهرة، وخطايا واضحة

من فساد النيات، والفخر والخيلاء والظلم والفواحش والإعراض عن حكم

الكتاب والسنة، وعن المحافظة على فرائض الله، والبغي على كثير من المسلمين

الذين بأرض الجزيرة والروم ، وكان عدوهم في أول الأمر راضياً منهم بالموادعة

والمسألة شارعاً في الدخول في الإسلام ، وكان مبتدئاً في الإيمان والأمان ، وكانوا هم قد أعرضوا عن كثير من أحكام الإيمان ، فكان من حكمة الله ورحمته بالمؤمنين أن ابتلاهم بما ابتلاهم به ، ليمحص الله الذين آمنوا / وينبوا إلى [ق/٣٩] ربهم ، وليظهر من عدوهم ما ظهر من البغي والمكر والنكث والخروج عن شرائع الإسلام فيقوم بهم ما يستوجبون به النصر ، وبعدهم ما يستوجب به الانتقام ، فقد كان في نفوس كثير من مقاتلة المسلمين ورعيتهم من الشر الكبير ما لو يقترن به ظفر بعدوهم الذي هو على الحال المذكورة لأوجب لهم ذلك من فساد الدين والدنيا ما لا يوصف ، كما أن نصر الله [للمسلمين]^(١) يوم بدر ، كان من رحمة الله ونعمه وهزيمتهم يوم أحد ، كان باطنها رحمة ونعمة على المؤمنين ؛ فإن النبي ﷺ قال :

«لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء فشكر الله ، كان خيراً له ، وإن أصابته ضراء فصبر كان خيراً له»^(٢).

فلما كانت حادثة المسلمين عام أول شبيهة بأحد ، وكان بعد أحد بأكثر من سنة ، وقيل : بستين ، قد ابتلى المسلمون بغزوة الخندق كذلك في هذا العام ابتلى المسلمون بعدوهم بنحو ما ابتلى المسلمون مع النبي ﷺ عام الخندق . وهي غزوة الأحزاب التي أنزل الله فيها سورة الأحزاب ، وهي سورة تضمنت ذكر هذه الغزاة التي نصر الله فيها عبده ﷺ وأعز فيها جنده المؤمنين ، وهزم الأحزاب ، الذين تحزبوا [عليه وحده]^(٣) بغير قتال .

(١) في «س» [للمؤمنين].

(٢) رواه مسلم برقم (٢٩٩٩) ، عن صهيب بلفظ عجباً لأمر المؤمن

ورواه أحمد (١٥/٦) ، والطبراني في الكبير (٨) برقم (٧٣١٦) ، عن صهيب أيضاً بلفظ :

عجبت من قضاء الله للمؤمن

(٣) في «س» [عليهم]

بل بشبات المؤمنين بإزاء عدوهم ، ذكر فيها خصائص رسول الله ﷺ
وحقوقه وحرمة ، وحرمة أهل بيته ، لما كان هو القلب الذي نصره الله فيها بغير
قتال ، كما كان ذلك في غزوتنا هذه سواء ، وظهر فيها سر تأييد الدين ، كما
ظهر في غزوة الخندق .

وانقسم الناس فيها كاتقسامهم عام الخندق ؛ وذلك أن الله تعالى - منذ
بعث محمداً ﷺ وأعزه بالهجرة والنصرة صار الناس ثلاثة أقسام :

قسماً مؤمنين ، وهم الذين آمنوا به ظاهراً وباطناً .

وقسماً كفاراً ، وهم الذين أظهروا الكفر به .

وقسماً منافقين ، وهم الذين آمنوا به ظاهراً لا باطناً ، ولهذا افتتح الله
سورة البقرة بأربع آيات في صفة المؤمنين ، وآيتين في صفة الكافرين ، وثلاثة
عشرة آية في صفة المنافقين ، وكل واحد من الإيمان والكفر والنفاق له دعائم
وشعب ، كما دلت عليه دلائل الكتاب والسنة ، وكما فسره أمير المؤمنين علي بن
أبي طالب - رضي الله عنه - في الحديث المأثور عنه في الإيمان ودعائمه
وشعبه ، فمن النفاق ما هو أكبر ، يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار ،
كنفاق عبدالله بن أبي وغيره ، بأن يظهر تكذيب الرسول ، أو جحود بعض ما
جاء به ، أو بغضه أو عدم اعتقاد وجوب اتباعه ، أو المسرة بانخفاض دينه أو
المساءة بظهور دينه ، ونحو ذلك مما لا يكون صاحبه إلا عدواً لله ورسوله ،
وهذا القدر كان موجوداً في زمن رسول الله ﷺ ، وما زال بعده بل هو بعده
أكثر منه على عهده ، لكن موجبات الإيمان على عهده أقوى .

فإذا كانت مع قوتها ، كان النفاق معها موجوداً ، فوجوده فيما دون ذلك
أولى .

وكما أنه ﷺ كان يعلم بعض المنافقين ولا يعلم بعضهم ، كما بينه قوله :
﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ ﴾

كذلك خلفاؤه بعده وورثته قد يعلمون بعض المنافقين ولا يعلمون بعضهم ،
وفي المنتسبين إلى / الإسلام من عامة الطوائف منافقون كثيرون في الخاصة [ق/٤٠]
والعامة ، ويسمون الزنادقة .

وقد اختلف العلماء في قبول توبتهم في الظاهر ؛ لكون ذلك لا يُعْلَمُ إذ
هم دائما يُظهِرُونَ الإسلام ، وهؤلاء يكثرون في المتفلسفة من المنجمين ونحوهم ،
ثم في الأطباء ، ثم في الكُتَّابِ أقل من ذلك ، ويوجدون في المتصوفة والمتفقهة
وفي المقاتلة ، والأمراء وفي العامة أيضاً .

ولكن يوجدون كثيراً في نَحْلِ أهل البدع ، لا سيما الرافضة ، ففيهم من
الزنادقة والمنافقين ما ليس في أحد من أهل النحل ، ولهذا كانت الحرمة
والباطنية، والقرامطة ، والإسماعيلية ، والنُصيرية ، ونحوهم من المنافقين
الزنادقة منتسبة إلى الرافضة ، وهؤلاء المنافقون في هذه الأوقات لكثير منهم ميل
إلى دولة هؤلاء التتار ؛ لكونهم لا يلزمونهم شريعة الإسلام ، بل يتركونهم وما
هم عليه ، وبعضهم إنما ينفرون عن التتار لفساد سيرتهم في الدنيا ، واستيلائهم
على الأموال واجترائهم على الدماء والسبي ، لا لأجل الدين ، فهذا ضرب
النفاق الأكبر ، وأما النفاق الأصغر فهو النفاق في الأعمال ، ونحوها مثل أن
يكذب إذا حدث أو يخلف إذا وعد ، أو يخون إذا أوّمن ، أو يفجر إذا خاصم .
وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال :

«آية المنافق ثلاث؛ إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أوّمن خان»^(١).

وفي رواية صحيحة : «وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم»^(٢).

(١) سبق تخريجه .

(٢) رواها إسحاق بن راهويه في مسنده برقم (٣٨٣) ، وأبو عوانة (١/٣٠) ، وابن حبان
برقم (٢٥٧) ، والبيهقي في السنن الكبير (٦/٢٨٨) ، وغيرهم عن أبي هريرة .

وفي الصحيحين ، عن عبدالله بن عمرو ، عن النبي ﷺ قال :
«أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا ، ومن كانت فيه خصلة منهن ، كانت
فيه خصلة من النفاق ، حتى يدعها ، إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا
عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر»^(١) .

ومن هذا الباب الإعراض عن الجهاد فإنه من خصال المنافقين .
قال النبي ﷺ : «من مات ولم يغز ، ولم يحدث نفسه بالغزو ، مات على
شعبة من نفاق» [رواه مسلم]^(٢) .

وقد أنزل الله سورة براءة التي تسمى الفاضحة ؛ لأنها فضحت المنافقين ،
أخرجها في الصحيحين عن ابن عباس قال :
«هي الفاضحة ، ما زالت تنزل ، ومنهم ومنهم ، حتى ظنوا أن لا يبقى
أحد إلا ذكر فيها» .

وعن المقداد بن الأسود قال :

«هي سورة البحوث ؟ لأنها بحثت عن سرائر المنافقين» .

وعن قتادة قال :

«هي المثيرة ؛ لأنها أثارت مخازي المنافقين» .

وعن ابن [عباس]^(٣) قال : «هي المبعثرة ، والبعثرة والإثارة متقاربان» .

وعن ابن عمر : «إنها المقشقة ؛ لأنها تبرئ من مرض النفاق»

يقال : تقشش المريض إذا برأ .

قال الأصمعي : وكان يقال لسورتي الإخلاص المقشقتان ؛ لأنهما يبرئان

من النفاق .

(٢) برقم (١٩١٠) ، عن أبي هريرة .

(١) سبق تخريجه .

(٣) في «س» [اسحاق] .

وهذه السورة نزلت في آخر مغازي النبي ﷺ غزوة تبوك عام تسع من الهجرة وقد عز الإسلام وظهر فكشف الله فيها أحوال المنافقين ووصفهم فيها بالجبن ، وترك الجهاد ، ووصفهم بالبخل عن النفقة في سبيل الله ، والشح على المال ، وهذان داءان عظيمان البخل والجبن . قال النبي ﷺ :

«شر ما في المرء شح هالع ، وجبن خالع»^(١) حديث صحيح .

ولهذا قد يكونان من الكبائر الموجبة للنار ، كما دل عليه قوله :

﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ

لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

وقال تعالى : ﴿وَمَنْ يُؤَلِّمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحِيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ

فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٦].

فأما وصفهم بالجبن والفرع ، فقال تعالى :

﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ^(٥٦) لَوْ

يَجِدُونَ مَلْجَأًا أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مَدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ [التوبة: ٥٧].

فأخبر سبحانه أنهم وإن حلفوا أنهم من المؤمنين فما هم منهم ، ولكن

يفزعون من العدو ، فلو يجدون ملجأ يلجأون / إليه من المعقل والحصون التي [ق/٤١]

يفر إليها من يترك الجهاد ، أو مغارات ، وهي جمع مغارة ، ومغارات سميت

بذلك لأن الداخل يغور فيها ، أي : يستتر ، كما يغور الماء ، أو مدخلاً ، وهو

الذي يتكلف الدخول فيه ، إما لضيق بابه أو لغير ذلك . أي : مكاناً يدخلون

إليه ، ولو كان الدخول بكلفة ومشقة لولوا عن الجهاد إليه ، وهم يجمحون: أي

يسرعون إسراعاً لا يردهم شيء ، كالفرس الجموح الذي إذا حلّ لا يرده اللجام .

(١) رواه أبو داود برقم (٢٥١١) ، وأحمد (٣٠٢/٢) ، وغيرهم عن أبي هريرة بلفظ: شر ما

في الرجل...»

وهذا وصف منطبق على أقوام كثيرين في حادثتنا ، وفيما قبلها من

الحوادث ، وبعدها ، وكذلك قال في سورة محمد ﷺ :

﴿فَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٠].

أي : فبعداً لهم .

﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [سجدة: ٢٦].

وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا

الصَادِقُونَ﴾ [الحجرات: ٧٥]. فحصر المؤمنين فيمن آمن وجاهد .

وقال تعالى : ﴿لَا يَسْتَنْدِئُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا

بَأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَنْدِئُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: ٤٤-٤٥].

فهذا إخبار من الله بأن المؤمن لا يستأذن الرسول في ترك الجهاد ، وإنما

يستأذنه الذي لا يؤمن ، فكيف بالتارك من غير استئذان ، ومن تدبر القرآن ،

وجد نظائر هذا متظافرة على هذا المعنى .

قال في وصفهم بالشح :

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ

الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤].

فهذه حال من أنفق كارهًا ، فكيف بمن ترك النفقة رأسًا ، وقال :

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ

يَسْتَخْطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨].

قال : ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ

الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [التوبة: ٧٥-٧٦].

وقال في السورة :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥].

فانتظمت هذه الآية [على] (١) حال من أخذ المال بغير حقه أو منعه عن مستحقه من جميع الناس ، فإن الأحرار هم العلماء ، والرهبان هم العباد، وقد أخبر أن كثيراً منهم يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون أي : يعرضون ويمنعون، يقال: صدّ عن الحق صدوداً ، وصد غيره [صدأ] (٢) .

وهذا يندرج فيه ما يؤكل بالباطل من وقف أو عطية على الدين ؛ كالصلّات والنذور التي تنذر لأهل الدين ، ومن الأموال المشتركة كأموال بيت المال ، ونحو ذلك .

فهذا فيمن يأكل المال بالباطل بشبهة دين ، ثم قال :

﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٤].

فهنا يندرج فيه من كنز المال عن النفقة الواجبة في سبيل الله ، والجهاد أحق الأعمال باسم سبيل الله ، سواء كان ملكاً ، أو مقدماً ، أو غنياً ، أو غير ذلك .
وإذا دخل في هذا ما كثر من المال الموروث والمكسوب ، فما كثر من الأموال المشتركة التي يستحقها عموم الأمة ومستحقها مصالحهم أولى وأحرى .

(١) من «س» .

(٢) من «س» .

فصل

فإذا تبين بعض معنى المؤمن والمنافق ، فإذا قرأ الإنسان سورة الأحزاب [ق/٤٢] وعرف من المنقولات في الحديث والتفسير والفقه/ والمغازي ، كيف كانت صفة الواقعة التي نزل فيها القرآن ثم اعتبر هذه الحادثة بتلك ، وجد مصداق ما ذكرنا، وأن الناس انقسموا في هذه الحادثة إلى الأقسام الثلاثة ، كما انقسموا في تلك، وتبين له كثير من التشابهات ، افتتح الله السورة بقوله :

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الأحزاب: ١].

وذكر في أثنائها قوله :

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ (٤٧) وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ

وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الأحزاب: ٤٧-٤٨].

ثم قال :

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (٢) وَتَوَكَّلْ

عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢-٣].

فأمره باتباع ما أوحى إليه من الكتاب والحكمة التي هي سنته ، وبأن يتوكل على الله .

[فبالأولى] (١) تحقق قوله : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥].

وبالثاني تحقق قوله : ﴿وَأِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

ومثل ذلك قوله : ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [مرد: ٢٣].

وقوله : ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٠].

(١) في «س» [فباول].

وهذا وإن كان مأموراً به في جميع الدين ، فإن ذلك في الجهاد أؤكد؛ لأنه يحتاج إلى أن يجاهد الكفار والمنافقين ، وذلك لا يتم إلا بتأييد قوي من الله .
ولهذا كان الجهاد سنام العمل ، وانتظم سنام جميع الأحوال الشريفة ،
ففيه سنام المحبة ، كما في قوله :

﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى
الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ [المائدة: ٥٤].

وفيه سنام التوكل ، وسنام الصبر ؛ فإن المجاهد أحوج الناس إلى الصبر
والتوكل ، ولهذا قال تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ
الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤١) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿ [النحل: ٤١-٤٢].
﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ
مِنَ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الاعراف: ١٢٨].

ولهذا كان الصبر واليقين الذي هو أصل التوكل يوجبان الإمامة في الدين ،
كما دل عليه قوله تعالى :

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا
يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤].

ولهذا كان الجهاد موجباً للهداية التي هي محيطة بأبواب العلم ، كما دل
عليه قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [المنكوت: ٦٩].
فجعل لمن جاهد فيه هدايته جميع سبيله تعالى ، ولهذا قال الإمامان
عبدالله بن المبارك ، وأحمد بن حنبل ، وغيرهما :

إذا اختلف الناس في شيء فانظروا ما عليه أهل الشجر ، فإن الحق معهم ؛

لأن الله تعالى قال :

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(١) [المنكوت: ٦٩].

وفي الجهاد أيضاً حقيقة الزهد في الحياة الدنيا ، وفي الدار الدنيا ، وفيه أيضاً حقيقة الإخلاص ، فإن الكلام فيمن جاهد في سبيل الله ، لا في سبيل الرياضة ، ولا في سبيل المال ، ولا سبيل الحمية ، وهذا لا يكون إلا لمن قاتل ليكون الدين كله لله ، ولتكون كلمة الله هي العليا ، وأعظم مراتب الإخلاص : تسليم النفس والمال للمعبود ، كما قال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ [التوبة: ١١١]. والجنة اسم للدار التي حوت كل نعيم ، أعلاه: النظر إلى الله ، إلى ما دون ذلك مما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين ، مما قد نعرفه وقد لا نعرفه ، كما قال تعالى : فيما رواه رسوله : «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر»^(٢).

فقد [تبين]^(٣) بعض أسباب افتتاح هذه السورة بهذا ، ثم إنه قال تعالى :
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [الاحزاب : ٤٩]..
وكان مختصر هذه القصة : أن المسلمين تحزب عليهم عامة المشركين الذين حولهم ، وجاءوا بجموعهم إلى المدينة ليستأصلوا المؤمنين ، فاجتمعت قريش وحلفاؤها [ومواليها من كنانة وأهل نجد والأحابيش ، واجتمعت غطفان]^(٤).

(١) من 'س' .

(٢) رواه البخاري برقم (٣٠٧٢ ، ٤٥٠١ ، ٤٥٠٢ ، ٧٠٥٩) ، ومسلم برقم (٢٨٢٤) عن أبي

هريرة .

(٤) من 'س' .

(٣) في الأصل [بين].

وحلفاؤها من بني أسد وأشجع وفزارة ، وغيرهم من قبائل نجد ، واجتمعت أيضاً اليهود من قريظة والنضير ، فإن بني النضير كان النبي ﷺ قد أجلاهم قبل ذلك ، كما ذكره الله في سورة الحشر ، فجاءوا في الأحزاب إلى قريظة وهم معاهدون للنبي ﷺ ومجاورون له قريباً من المدينة ، فلم يزالوا بهم حتى نقضت قريظة العهد ، ودخلوا في الأحزاب ، فاجتمعت هذه الأحزاب العظيمة ، وهم بقدر المسلمين مرات متعددة ، فرفع النبي ﷺ الذرية من النساء والصبيان / في أطام المدينة ، وهي مثل الجواسق ولم ينقلهم إلى مواضع أخر [ق/٤٣] وجعل ظهرهم إلى سلع ، وهو الجبل القريب من المدينة من ناحية الغرب والشام، وجعل بيه وبين العدو خندقاً .

والعدو قد أحاط بهم من العالية والسافلة ، وكان عدواً شديداً ، ولو تمكن من المدينة لكانت نكايته فيهم أعظم النكيات .

وفي هذه الحادثة تحزب هذا العدو من مغل وغيرهم من أنواع الترك ، ومن فرس ومستعربة ونحوهم ، من أجناس المرتدة ، ومن نصارى من الأرض وغيرهم ، ونزل هذا العدو بجانب ديار المسلمين ، وهو بين الإقدام والإحجام مع قلة من بإزائهم من المسلمين ومقصودهم الاستيلاء على الدار ، واصطلام أهلها كما نزل أولئك [بنواحي]^(١) المدينة ، ودام الحصار على المسلمين عام الخندق على ما قيل بضعاً وعشرين ليلة ، وقيل: عشرين ليلة ، وهذا العدو عبر الفرات سابع عشر ربيع الأول ، وكان أول انصرافه راجعاً عن حلب ، لما رجع مقدمهم الكبير قازان ، بمن معه يوم الإثنين حادي أو ثاني عشر جمادى الأول ، يوم دخل عسكر المسلمين إلى مصر المحروسة ، واجتمع بهم الداعي وخاطبهم في

(١) في 'س' : 'بضواحي' .

هذه القضية ، وكان الله سبحانه وتعالى - لما ألقى في قلوب المؤمنين ما ألقى من الاهتمام والعزم وألقى في قلوب عدوهم الروح والانصراف ، وعام الخندق برد شديد ، وريح شديدة منكرة ، بها صرف الله الأحزاب عن المدينة ، كما قال تعالى : ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٤٩].

وهكذا هذا العام أكثر الله فيه الثلج والمطر والبرد على خلاف أكثر العادات حتى كره أكثر الناس ذلك ، وكنا نقول لهم : لا تكرهوا ذلك ؛ فإن الله فيه حكمة ورحمة ، وكان ذلك من أعظم الأسباب التي صرف الله بها العدو ، فإنه كثر عليهم الثلج والمطر والبرد حتى هلك من خيلهم ما شاء الله ، وهلك أيضاً منهم ما شاء الله ، وظهر فيهم وفي بقية خيلهم من الضعف والعجز بسبب البرد والجوع ما رأوا أنهم لا طاقة لهم معه بقتال ، حتى بلغني عن بعض كبار المقدمين في أرض [الشام]^(١) أنه قال : لا يبض الله وجوهنا ، عدونا في الثلج إلى شعره ، ونحن [قعود]^(٢) لا نأخذهم ، وحتى علموا أنهم كانوا صيداً للمسلمين لو يصطادونهم ، لكن لله في تأخير اصطيداهم حكمة عظيمة ، وقال الله تعالى في شأن الأحزاب :

﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ [الأحزاب: ١٠].

وهكذا هذا العام جاء العدو من ناحيتي علو الشام [شمال الفرات] ، وقبلتي [الفرات]^(٣) ، فزاغت الأبصار زيباً عظيماً ، وبلغت القلوب الحناجر؛ لعظم البلاء

(٢) في «س» : «نعود» .

(١) في «س» : «الشمال» .

(٣) من «س» وفي الاصل : «وهو شمال الفرات وهو قبلي الفرات» .

لا سيما لما استفاض الخبر بانصراف العسكر إلى مصر وتقرب العدو وتوجهه إلى دمشق ، وظن الناس بالله الظنونا؛ هذا يظن أنه لا يقف قدامهم أحد من جند الشام حتى يظلموا أهل الشام ، وهذا يظن أنهم لو وقفوا لكسروهم شرّ كسرة، وأحاطوا بهم إحاطة الهالة بالقمر ، وهذا يظن أن أرض الشام ما بقيت تسكن ولا بقيت تكون تحت مملكة الإسلام ، وهذا يظن أنهم يأخذونها ثم يذهبون إلى مصر ، فيستولون عليها ، ولا يقف قدامهم أحد ، فيحدث نفسه بالفرار إلى اليمن ونحوها ، وهذا إذا أحسن ظنه ، قال : إنهم لا يملكونها العام كما ملكوها عام هولاكو سنة سبع وخمسين ، ثم قد يخرج العسكر من مصر فيستقذها منهم كما خرج ذلك العام ، [وهذا]^(١) ظن خيارهم ، وهذا يظن أن ما أخبره به أهل الآثار النبوية وأهل التحديث والمبشرات أماني كاذبة وخرافات لاغية ، وهذا قد استولى عليه الرعب والفرع حتى يمر الظن بفؤاده مر السحاب ليس له عقل يتفهم ولا لسان يتكلم ، وهذا قد تعارضت عنده الإمارات ، وتقابلت عنده الإرادات ، لا سيما وهو لا يفرق من المبشرات من الصادق والكاذب ولا يميز في التحديث بين المخطئ والصائب ، ولا يعرف النصوص الأثرية معرفة العلماء ، بل إما أن يكون جاهلاً بها ، أو قد سمعها سماع العبراء ، ثم قد لا يتفطن لوجوه دلالتها الخفية ، ولا يهدى لدفع ما يتخيل أنه معارض لها في بادئ الرؤية ، فلذلك استولت / الحيرة على من كان متسماً [ق/٤٤] بالاهتداء وتراجمت به الآراء تراجم الصبيان بالخصباء ﴿هَذَاكَ ابْتَلَى الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزَلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الاحزاب: ١١]، ابتلاههم الله بهذا الابتلاء الذي يكفر به خطاياهم ، ويرفع به درجاتهم، وزلزلوا بما حصل لهم من الرجفات ما استوجبوا به أعلى الدرجات ، قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ

(١) في «س» : «وهكذا» .

مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١١٢﴾ [الاحزاب: ١١٢] . وهكذا قالوا في هذه الفتنة فيما وعدهم أهل الوراثة النبوية، والخلافة الرسالية ، وحزب الله المحدثون عنه حتى حصل لهؤلاء التأسى برسول الله ﷺ ، كما قال الله تعالى :

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الاحزاب: ٢١]

فأما المنافقون فقد مضى التنبيه عليهم ، وأما الذين في قلوبهم مرض ، فقد تكرر ذكرهم في هذه السورة ، فذكروا هنا ، وفي قوله :

﴿لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ [الاحزاب: ٦٠] ، وفي قوله :

﴿فَيَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الاحزاب: ٣٢]

وذكر الله تعالى مرض القلب في مواضع ، فقال تعالى :

﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠]

وقال تعالى :

﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾ [الأنفال: ٤٩]

والمرض في القلب كالمرض في الجسد ، فكما أن هذا هو ما أحاله عن الصحة والاعتدال من غير موت ، فكذلك قد يكون في القلب مرض يحيله عن الصحة والاعتدال ، من غير أن يموت القلب ، سواء فسد إحساس القلب وإدراكه ، أو فسد عمله وحركته ، وذاك كما فسروه هو من ضعف الإيمان، إما بضعف علم القلب واعتقاده ، وإما بضعف عمله وحركته ، فيدخل فيه من ضعف تصديقه، ومن غلب عليه الجبن والفرع ، فإن أدواء القلب من الشهوة المحرمة والحسد والجبن والبخل ، وغير ذلك كلها أمراض ، وكذلك الجهل والشكوك والشبهات التي فيه ، وعلى هذا ، فقوله :

﴿فَيَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الاحزاب: ٣٢] هو إرادة الفجور، وشهوة الزنا،

كما فسروا به ، ومنه قول النبي ﷺ : «وأي داء أدوى من البخل»^(١) .

وقد جعل الله تعالى كتابه شفاء لما في الصدور ، وقال النبي ﷺ :

«إنما شفاء العي السؤال»^(٢) .

وكان يقول في دعائه :

«اللهم إنني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء»^(٣) .

ولن يخاف الرجل غير الله إلا لمرض في قلبه ؛ كما ذكروا أن رجلاً شكى إلى أحمد بن حنبل خوفه من بعض الولاة ، فقال : لو صححت لم تخف أحدًا، أي: خوفك من أجل زوال الصحة من قلبك ، ولهذا أوجب الله على

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٣٢/٥) ، عن جابر مرفوعًا .

وذكره الهيثمي في المجمع (٣١٩/٩) من حديث جابر مرفوعًا ، وقال :

رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبراني ، وذكره أيضًا

(١٢٦/٣) من حديث جابر مرفوعًا ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط وفيه أبو الربيع .

ورواه الطبراني في الكبير (١٩) برقم (١٦٣) ، عن كعب بن مالك مرفوعًا ، وبرقم (١٦٤) ،

عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك مرفوعًا .

ورواه الحاكم (٢٤٢/٣) ، (١٨٠/٤) ، عن أبي هريرة وقال : هذا الحديث صحيح على

شرط مسلم ولم يخرجاه .

ورواه الطبراني في الصغير (١٩٩/١) ، عن أبي هريرة ، وقال : لم يروه عن الزهري إلا

إبراهيم بن سعد ، تفرد به الأوسي .

ورواه في الأوسط برقم (٣٦٥٠) ، عن أبي هريرة ، وقال : لم يرو هذا الحديث عن عمرو بن

دينار إلا إبراهيم بن يزيد ، ولا عن إبراهيم إلا سليمان بن مروان ، تفرد به سهيل بن إبراهيم .

والحديث رواه البخاري برقم (٤١٢٢) ، وأحمد (٣٠٧/٣) من قول أبي بكر الصديق - رضي

الله عنه - .

(٢) رواه البيهقي (٢٢٨/١) في السنن الكبير عن جابر ، ورواه ابن أبي عاصم في الأحاد

(٤٤٩/٥) عن علي ، ورواه القضاعي في مسند الشهاب ، عن أبي هريرة .

(٣) رواه الترمذي برقم (٣٥٩١) ، عن قطبة بن مالك ، وقال : هذا حديث حسن غريب .

عباده ألا يخافوا حزب الشيطان ، بل لا يخافوا غيره فقال :
﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]

وقال لعموم بني إسرائيل تنبيهاً لنا : ﴿وَأَيَّي فَا رَهْبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]

وقال : ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُونِ﴾ [المائدة: ٤٤]

وقال لنا : ﴿لَسَلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا
تَخْشَوْهُمْ وَآخِشُونِي﴾ [البقرة: ١٥٠] وقال تعالى : ﴿الْيَوْمَ يَتَسَّأَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ
دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَآخِشُونِ﴾ [المائدة: ٣]

وقال : ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ
وَأَتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨]

وقال : ﴿الَّذِينَ يَبُلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا

اللَّهِ﴾ [الاحزاب: ٣٩]

وقال : ﴿أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ إلى قوله :

﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾ [التوبة: ١٣] .

فدلت هذه الآية وهو قوله : ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
مَّرَضٌ﴾ [الاحزاب: ١٢] على أن المرض والنفاق والقلب يوجب الريب في الأنبياء
الصادقة التي توجب [أمن]^(١) الإنسان من الخوف حتى يظنوا أنها كانت غروراً له
كما وقع في حادثتنا هذه سواء .

ثم قال تعالى :

﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ [الاحزاب: ١٣]

(١) في الأصل «كفر» وما أثبتناه من «س» .

وكان النبي ﷺ قد عسكر بالمسلمين عند «سلع» ، وجعل الخندق بينه وبين العدو ، فقالت طائفة منهم : لا مقام لكم هنا لكثرة / العدو ، فارجعوا إلى المدينة ، وقيل : لا مقام لكم على دين محمد ، فارجعوا إلى دين الشرك .

[ق/٤٥]

وقيل : لا مقام لكم على القتال ، فارجعوا إلى الاستئمان والاستجارة بهم ، وهكذا لما قدم هذا العدو من المنافقين مَنْ قال : ما بقيت الدولة الإسلامية تقوم ، فينبغي الدخول في دولة التتار ، وقال بعض الخاصة : ما بقيت الشام تسكن ، بل نتقل عنها ، إما إلى الحجاز واليمن ، وإما إلى مصر ، وقال بعضهم : بل المصلحة الاستسلام لهؤلاء كما قد استسلم لهم أهل العراق ، والدخول تحت حكمهم ، فهذه المقالات الثلاث قد قيلت في هذه النازلة ، كما قيلت في تلك ، وهكذا فالطائفة من المنافقين والذين في قلوبهم مرض لأهل دمشق خاصة والشام عامة لا مقام لكم بهذه الأرض ، ونفي المقام بها أبلغ من نفي المقام ، وإن كان قد قُرئت - بالضم - أيضاً ، فإن مَنْ لم يقدر أن يقوم بالمكان ، فكيف يقيم فيه ، قال الله تعالى : ﴿ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ [الاحزاب: ٤١٣] .

كان قوم من هؤلاء المذمومين يقولون والناس مع النبي ﷺ عند «سلع» داخل الخندق ، والنساء والصبيان في أطام المدينة : يا رسول الله إن بيوتنا عورة ، أي : مكشوفة ليس بينها وبين العدو حائل ، وأصل العورة : الخالي الذي يحتاج إلى حفظ وستر ، يقال : أعور مجلسك ، إذا ذهب ستره أو سقط جداره ، ومنه : عورة العدو .

قال مجاهد والحسن : أي : ضائعة يُخشى عليها السراق .

وقال قتادة : قالوا بيوتنا مما يلي العدو ، ولا نأمن على أهلنا ، فأذن لنا

لنذهب إليها لحفظ النساء والصبيان ، قال الله تعالى : ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ ، لأن الله يحفظها ﴿إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الاحزاب: ١٣] فهم يقصدون الفرار من الجهاد ويحتجون بحجة العائلة ، وهكذا أصاب كثيراً من الناس في هذه الغزاة ، صاروا يفرون من الثغر إلى المعازل والحصون ، وإلى الأماكن البعيدة كمصر ، ويقولون: ما مقصودنا إلا حفظ العيال ، وما يمكن إرسالهم مع غيرنا ، وهم يكذبون [في ذلك] (١) ، فقد كان يمكنهم جعلهم في حصن دمشق ، لو دنا العدو كما فعل المسلمون على عهد رسول الله ﷺ ، وقد كان يمكنهم إرسالهم ، والمقام للجهاد ، فكيف بمن فر بعد إرسال عياله .

قال الله تعالى : ﴿وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لآتَوْهَا وَمَا

تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾ [الاحزاب: ١٤]

فأخبر أنه لو دخلت عليهم المدينة من جوانبها ثم طلبت منهم الفتنة وهي الافتتان عن الدين بالكفر أو النفاق لأعطوا الفتنة ولجأوها من غير توقف ، وهذه حال أقوام لو دخل عليهم هذا العدو المنافق المجرم ثم طلب منهم موافقته على ما هو عليه من الخروج عن شريعة الإسلام وتلك فتنة عظيمة ، لكنوا معه على ذلك كما ساعدهم في العام الماضي أقوام بأنواع من الفتنة في الدين والدنيا ما بين ترك واجبات وفعل محرمات ، إما في حق الله وإما في حق العباد ، كترك الصلاة ، وشرب الخمر ، وسب السلف ، وسب جنود المسلمين ، والتجسس لهم على المسلمين ، ودلالتهم على أموال المسلمين ، وحریمهم وأخذ أموال الناس ، وتعذيبهم ، وتقوية دولتهم الملعونة ، وإرجاف قلوب [المسلمين] (٢) منهم ، إلى غير ذلك من أنواع الفتنة ، ثم قال تعالى :

(١) من «س» .

(٢) في «س» : «المؤمنين» .

﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ لَا يُؤْتُونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ

مَسْئُولًا﴾ [الاحزاب: ١٥]

وهذه حال أقوام عاهدوا ثم نكثوا قديماً وحديثاً في هذه الغزوة ، فإن في العام الماضي ، وفي هذا العام: في أول الأمر كان من أصناف الناس من عاهد على أن يقاتل ولا يفر ، ثم فر منهزماً لما اشتد الأمر ، ثم قال تعالى :

[ق/٤٦]

﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ / الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تَمْتَعُونَ إِلَّا

قَلِيلًا﴾ [الاحزاب: ١٦] فأخبر الله أن الفرار لا ينفع لا من الموت ولا من القتل ، فالفرار من الموت، كالفرار من الطاعون ، ولذلك قال النبي ﷺ :

«إذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه» ، والفرار من القتل كالفرار من الجهاد ، وحرف «لن» ينفي الفعل في الزمن المستقبل والفعل نكرة، والنكرة في سياق النفي تعم جميع أفرادها ، فاقضى ذلك أن الفرار من الموت أو القتل ليس فيه منفعة أبداً، وهذا خبر الله الصادق، فمن اعتقد أن ذلك [منفعة] (١) فقد كذب الله في خبره ، والتجربة تدل على مثل ما دل عليه القرآن ، فإن هؤلاء الذين فروا في هذا العام لم ينفعهم فرارهم، بل خسروا الدين والدنيا وتفاوتوا في المصائب ، والمرابطون الثابتون نفعهم ذلك في الدين والدنيا، حتى الموت الذي فروا منه كثر فيهم وقل في المقيمين، فمات مع الهرب من شاء، والطالبون للعدو والمعاقبون لهم، لم يميت منهم أحد ولا قتل . بل الموت حلّ بالبلد من حين خرج الفارون .

وهكذا سنة الله قديماً وحديثاً .

ثم قال تعالى : ﴿وَإِذَا لَا تَمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الاحزاب: ١٦]

يقول : لو كان الفرار ينفعكم ، لم ينفعكم إلا حياة قليلة ، ثم تموتون ،

(١) كتب في هامش الأصل «ينفعه» نسخة .

فإن الموت لا بد منه ، وقد خفي عن بعض الحمقى أنه قال : فنحن نريد ذلك القليل ، وهذا جهل منه بمعنى الآية ، فإن الله لم يقل : إنهم يتمتعون بالفرار قليلاً ، لكنه ذكر أنه لا منفعة فيه أبداً ، ثم ذكر جواباً ثانياً: أنه لو كان ينفع لم يكن فيه إلا متاعاً قليلاً، ثم ذكر أنه جواباً ثالثاً وهو أن الفار يأتيه ما قُضى له من المضرة ، ويأتي الثابت ما قُضي له من المسرة ، فقال:

﴿ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [الاحزاب: ٧]

ونظيره قوله في سياق آيات الجهاد :

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ ﴾ [النساء: ٧٨]

وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٥٦]

فمضمون الأمر أن المنايا محتومة ، فكم ممن حضر الصفوف فسلم ، وكم ممن فر من المنية فصادفته ، كما قال خالد بن الوليد لما احتضر :

لقد حضرت كذا وكذا صفًا ، وإن بيدني بضعاً وثمانين ما بين ضربة سيف ، وطعنة برمح ، ورمية بسهم ، وها أنا ذا أموت على فراشي كما يموت [العيبر]^(١) فلا قرت أعين الجبناء .

ثم قال تعالى : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ

إِلَيْنَا ﴾ [الاحزاب: ١٨]

قال العلماء : كان من المنافقين من يرجع من الخندق فيدخل المدينة ، فإذا

(١) في الاصل [العنز] .

جاءهم أحد قالوا له : ويحك اجلس فلا تخرج ، ويكتبون بذلك إلى إخوانهم الذين بالعسكر أن اتونا بالمدينة ، فإننا نتظركم يشبطونهم عن القتال ، وكانوا لا يأتون العسكر إلا أن يجدوا بدأ فيأتون العسكر ليرى الناس وجوههم ، فإذا غفل عنهم عادوا إلى المدينة ، فانصرف بعضهم من عند النبي ﷺ ، فوجد أخاه لأبيه وأمه ، وعنده شواء ونيذ ، فقال له : أنت هاهنا ورسول الله ﷺ بين الرماح والسيوف ، فقال : هلم فقد أحيط بك وبصاحبك ، فوصف المثبتين عن الجهاد وهم صنفان ، لأنهم إما أن يكونوا في بلد الغزاة ، أو في غيره ، فإن كانوا فيه عَوْقُوهُمْ عن الجهاد بالقول أو بالعمل أو بهما ، وإن كانوا في غيره راسلوهم وكتبوهم بأن يخرجوا إليهم من بلد الغزاة ؛ ليكونوا معهم بالحصون ، أو بالبعد؛ كما جرى في هذه الغزاة ، فإن أقواماً في العسكر والمدينة وغيرها / [ق/٤٧]

إخوانهم : هلموا إلينا ، قال الله تعالى فيهم :

﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٨) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ﴿[الاحزاب: ١٨-١٩] [أي] (١)

بخلاء عليكم بالقتال معكم والنفقة في سبيل الله ، وقالوا: بخلاء عليكم بالخير والظفر والغنيمة، وهذه حال من بخل على المؤمنين بنفسه وماله ، أو شح عليهم بفضل الله من نصره ورزقه الذي يجريه بفعل غيره ، فإن أقواماً يشحون

بمعروفهم ، وأقواماً يشحون بمعروف الله وفضله ، وهم الحساد

﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ

الْمَوْتِ﴾ [الاحزاب: ١٩]، من شدة الرعب الذي في قلوبهم يشبهون المغشى عليه

وقت النزاع ، فإنه يخاف ويزيل عقله ويشخص بصره ، ولا يطرف ، فكذلك

هؤلاء ؛ لأنهم يخافون القتل .

﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِاللِّسَانِ حِدَادٍ﴾ [الاحزاب: ١٩]

(١) في «س» : «قالوا» .

ويقال في اللغة : صلقوم ، وهو رفع الصوت بالكلام المؤذي ، ومنه : الصالقة ، وهي التي ترفع صوتها بالمصيبة ، يقال : سلقه وصلقه .

وقد قرأ طائفة من السلف بها ، لكنها خارجة عن المصحف إذا خاطبه خطاباً شديداً قوياً ، ويقال : خطيب مسلاق ، إذا كان بليغاً في خطبته ، لكن الشدة هنا في الشر لا في الخير ؛ كما قال :

﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ [الاحزاب: ١٩]

وهذا السلق بالالسنه الحادة ، وهذا يكون بوجوه ؛ تارة يقول المنافقون للمؤمنين : هذا الذي جرى علينا بشؤمكم ، فإنكم أنتم الذين دعوتم الناس إلى هذا الدين ، وقاتلتهم عليه ، وخالفتموهم فإن هذا مقالة المنافقين للمؤمنين من الصحابة .

وتارة يقولون : أنتم الذين أشرتم علينا بالمقام هنا والثبات بهذا الثغر إلى هذا الوقت ، وإلا فلو كنا قد سافرنا قبل هذا ، لما أصابنا هذا .

وتارة يقولون : أنتم مع قلتكم وضعفكم تريدون أن تكسروا العدو ، وقد غرکم دينکم ، كما قال تعالى :

﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الانفال: ٤٩]

وتارة يقولون : أنتم مجانين ، لا عقل لكم ؛ تريدون أن تهلكوا أنفسكم ، والناس معكم .

وتارة يقولون أنواعاً من الكلام المؤذي الشديد ، وهم مع ذلك أشحه على الخير ، أي : حراس على الغنيمة والمال الذي قد حصل لكم .

قال قتادة : [إذا] ^(١) كان وقت قسمة الغنيمة بسطوا ألسنتهم فيكم ، يقولون : أعطونا فلستم بأحق بها منا ، فأما عند البأس ، فأجبن قوم ، وأخذلهم

(١) في الاصل «إن» ، وما أثبتناه من «س» .

للحق ، وأما عند الغنيمة ، فأشح قوم ، وقيل : أشحة على الخير ، أي : بخلاء به ، لا ينفعون ، لا بنفوسهم ولا بأموالهم ، وأصل الشح : شدة الحرص الذي يتولد عنه البخل والظلم ، من منع الحق ، وأخذ الباطل ، كما قال النبي ﷺ : «إياكم والشح ؛ فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، أمرهم بالبخل فبخلوا ، وأمرهم بالظلم فظلموا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا ، فهؤلاء أشحاء على إخوانهم»^(١) . أي : بخلاء عليهم .

وأشحاء على الخير : أي : حراس عليه فلا ينفقونه ، كما قال :

﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [العاديات : ٨]

ثم قال تعالى :

﴿ يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي

الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٢٠] .

فوصفهم بثلاثة أوصاف :

الأول : أنهم لفرط خوفهم يحسبون الأحزاب لم ينصرفوا عن البلد ، وهذه

حال الجبان الذي في قلبه مرض ، فإن قلبه مبادر إلى تصديق الخبر المخوف ، وتكذيب خبر الأمن .

الوصف الثاني : أن الأحزاب إذا جاءوا تمنوا أن لا يكونوا بينكم ، بل

يكونوا في البادية بين الأعراب يسألون عن أنبائكم ، أيش خبير المدينة ، وأيش جرى للناس .

الوصف الثالث : أن الأحزاب إذا أتوا وهم فيكم لم يقاتلوا إلا قليلاً ،

وهذه الصفات / الثلاثة منطبقة على كثير من الناس في هذه الغزوة كما يعرفونه [ق/٤٨]

(١) انظر الصحيحة للألباني برقم (٨٥٨) .

من أنفسهم ويعرفونه منهم من خبرهم ، ثم قال تعالى :

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

فأخبر سبحانه أن الذين يتلون بالعدو كما ابتلي به رسول الله ﷺ فلهم فيه
أسوة حسنة ، حيث أصابهم مثل ما أصابه فليتأسوا به في التوكل والصبر ، ولا
يظنوا أن هذه المصائب نقمة لصاحبها ، وإهانة له ، فإنه لو كان كذلك ما ابتلي
بها خير الخلائق ، بل بها تنال الدرجات العالية ، وبها يكفر الله الخطايا لمن كان
يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً .

وإلا فقد يتلى بذلك من ليس كذلك ، فيكون في حقه عذاباً كالكفار
والمناققين ، ثم قال تعالى :

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْرَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

قال العلماء : كان الله قد أنزل في سورة البقرة :

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُّ
الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ
نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

فبين الله سبحانه منكرًا على من حسب خلاف ذلك ، أنهم لا يدخلون
الجنة إلا بعد أن يتلوا مثل هذه الأمم قبلهم بالبأساء وهي الحاجة والفاقة ،
والضراء وهي الوجد والمرض ، والزلزال وهي زلزلة العدو ، فلما جاء الأحزاب
عام الخندق فرأوهم قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ،
وعلموا أن الله قد ابتلاهم بالزلزال ، وأتاهم مثل الذين من قبلهم ، وما زادهم
إلا إيمانًا وتسليمًا لحكم الله وأمره .

وهذا حال أقوام في هذه الغزوة ، قالوا ذلك ، وكذلك قوله :
﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

أي : عهده الذي عاهد الله عليه ، فقاتل حتى قتل أو عاش ، والنحب: النذر والعهد ، وأصله من النحيب ، وهو الصوت ، ومنه الانتحاب في البكاء ، وهو الصوت الذي تكلم به في العهد ، ثم لما كان عهدهم هو نذر الصدق في اللقاء ، ومن صدق في اللقاء فقد يقتل ، صار يفهم من قوله : ﴿ قَضَىٰ نَحْبَهُ ﴾ [الأحزاب: ٢٣]. أنه استشهد ، لا سيما إذا كان النحب نذر الصدق في جميع المواطن ، فإنه لا يقضيه إلا بالموت ، وقضاء النحب هو الوفاء بالعهد ، كما قال تعالى :

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

أي : أكمل الوفاء ، وذلك لمن كان عهده مطلقاً بالموت أو القتل ، ومنهم من ينتظر قضاءه إذا كان قد وفى البعض ، فهو ينتظر إتمام العهد وأصل القضاء الإكمال والإتمام ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٤].

بين الله سبحانه وتعالى أنه أتى بالأحزاب ليجزى الصادقين بصدقهم ، حيث صدقوا في إيمانهم ، كما قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات: ١٥].

فحصر الإيمان في المؤمنين المجاهدين ، وأخبرهم أنهم هم الصادقون في قولهم آمنا ، لا من قال كما قالت الأعراب: آمنا ، والإيمان لم يدخل في

قلوبهم بل انقادوا واستسلموا ، وأما المنافقون ، فهم بين أمرين إما أن يعذبهم ، وإما أن يتوب عليهم ، فهذا حال الناس في الخندق ، وفي هذه الغزاة ، وأيضاً فإن الله ابتلى الناس بهذه الفتنة ليجزي الصادقين بصدقهم ، وهم الثابتون الصابرون لينصروا الله ورسوله ، ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم .

[ق/٤٩]

ونحن نرجوا من الله أن يتوب على خلق كثير من هؤلاء المذمومين / فإن منهم من ندم ، والله سبحانه يقبل التوبة عن عباده ، ويعفو عن السيئات ، وقد فتح الله للتوبة باباً من قبل المغرب عرضه أربعون سنة ، لا يغلقه حتى تطلع الشمس من قبله ، وقد ذكر أهل المغازي منهم ابن إسحاق أن النبي ﷺ قال في الخندق : «الآن نغزوهم ولا يغزونا».

فما غزت قريش ولا غطفان ولا اليهود للمسلمين بعدها ، بل غزاهم المسلمون ففتحوا خيبر ، ثم فتحوا مكة ، كذلك إن شاء الله هؤلاء الأحزاب من المغل وأصناف الترك ، ومن الفرس والمستعربة ، والنصارى ، ونحوهم من أصناف الخارجين عن شريعة الإسلام الآن نغزوهم ولا يغزونا ، ويتوب الله على من شاء من المسلمين الذين خالط قلوبهم مرض أو نفاق ، بأن ينيبوا إلى ربهم ويحسن ظنهم في الإسلام وتقوى عزيمتهم على جهاد عدوهم ، فقد أراهم الله من الآيات ما فيه عبرة لأولى الأبصار ، كما قال :

﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب: ٢٥].

فإن الله صرف الأحزاب عام الخندق بما أرسل عليهم من ريح الصبا ، ريح شديدة باردة ، وبما فرق به بين قلوبهم حتى شتت شملهم ، ولم ينالوا خيراً ، إذ كان همتهم فتح المدينة والاستيلاء على الرسول والصحابة ، كما كان همة هذا العدو فتح الشام والاستيلاء على من بها من المؤمنين ، فردهم الله بغيظهم حيث

أصابهم من الثلج العظيم والبرد الشديد والريح العاصف والجوع المزعج ، ما الله به عليم ، وقد كان بعض الناس يكره تلك الثلوج والأمطار العظيمة التي وقعت في هذا العام حتى طلبوا الاستصحاء غير مرة ، وكنا نقول لهم : هذا فيه خيرة عظيمة وفيه لله حكمة وسر فلا تكرهوه ، وكان من حكمته أنه فيما قيل أصاب قازان وجنوده حتى أهلكهم ، وهو كان فيما قيل سبب رحيلهم ، وابتلي به المسلمون ليتبين من يصبر على أمر الله وحكمه ممن يفر عن طاعته وجهاد عدوه ، وكان مبدأ رحيل قازان فيمن معه من أرض الشام أراضي حلب يوم الإثنين حادي عشر جمادى الأولى يوم دخلت مصر عقيب العسكر ، واجتمعت بالسلطان وأمراء المسلمين ، وألقى الله في قلوبهم من الاهتمام بالجهاد ما ألقاه ، فلما ثبت الله قلوب المسلمين ، صرف العدو ، جزاء منه وبيانا أن النية الخالصة والهمة الصادقة ينصر الله بها ، وإن لم يقع الفعل ، وإن تباعدت الديار ، وذكر أن الله تعالى فرق بين قلوب هؤلاء المغل والكرج ، وألقى بينهم تباضاً وتعادياً؛ كما ألقى سبحانه عام الأحزاب بين قريش وخطفان وبين اليهود ، كما ذكر ذلك أهل المغازي ، فإنه لم يتسع هذا المكان لأن نصف فيه قصة الخندق ، بل من طالعتها علم صحة ذلك ، كما قد ذكره أهل المغازي مثل: عروة بن الزبير، والزهري ، وموسى بن عقبة ، وسعيد بن يحيى الأموي ، ومحمد بن عائذ ، ومحمد بن إسحاق ، والواقدي ، وغيرهم ، ثم تبقى منهم بالشام بقايا سار إليهم من عسكر دمشق أكثرهم مضافاً إلى عسكر حماة وحلب ، وما هنالك ، وثبت المسلمون بإزائهم ، وكانوا أكثر من المسلمين بكثير ، لكن في ضعف شديد ، وتقربوا إلى حماة ، وأذلهم الله تعالى ، فلم يقدموا على المسلمين قط ، وصار من المسلمين من يريد الإقدام عليهم فلم يوافقهم غيره ، فجرت مناوشات صغاراً ، كما قد كان يجري في غزوة الخندق ، حيث قتل علي بن أبي طالب -رضي الله عنه - فيها

[ق/٥٠] كذلك صار يتقرب بعض العدو فيكسرهم المسلمون / مع كون العدو المتقرب أضعاف من قد سرى إليه من المسلمين ، وما من مرة إلا وقد كان المسلمون مستظهريهم عليهم ، وساق المسلمون خلفهم في آخر النوبات ، فلم يدركوهم إلا عند عبور الفرات ، وبعضهم في جزيرة فيها فرأوا أوائل المسلمين فهربوا منهم وخالطوهم ، وأصاب المسلمون بعضهم ، وقيل : إنه غرق بعضهم ، وكان عبورهم وخلو الشام منهم في أوائل رجب بعد أن جرى ما بين عبور قازان أولاً ، وهذا العبور رجفات ووقعات صغار ، وعزمنا على الذهاب إلى حماة غير مرة ؛ لأجل الغزاة ، لما بلغنا أن المسلمين يريدون غزو الذين بقوا ، وثبت بإزائهم المقدم الذي بحماه ، ومن معه من العسكر ، ومن أتاه من مدد دمشق ، وعزموا على لقائهم ، ونالوا أجراً عظيماً ، قيل : إنهم كانوا عدة طمانات إما ثلاثة أو أربعة ، وكان من المقدر أنه إذا عزم الأمر ، وصدق المؤمنون الله ، يلقي في قلوب عدوهم الرعب ، فيهربون لكن أصابوا من البلديات بالشمال مثل تيزين والفوعة ومعرة مصرين وغيرها ما لم يكونوا وطئوه في العام الماضي ، وقيل : إن كثيراً من تلك البلاد كان فيهم ميل إليهم بسبب الرفض ، وإن عند بعضهم فرامين منهم ، لكن هؤلاء ظلمة ، ومن أعان ظالماً بلي به ، والله تعالى يقول :

﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الانعام: ٢٢٩].

ولقد ظاهرهم على المسلمين الذين كفروا من أهل الكتاب من أهل «سيس» والإفرنج ، فنحن نرجوا من الله أن ينزلهم من صياصبيهم ، وهي الحصون ، ويقال للقرون الصياصي ، ويقذف في قلوبهم الرعب ، وقد فعل ، ويفتح الله تلك البلاد ، ونغزوهم إن شاء الله تعالى ففتح أرض العراق ، وغيرها ، وتعلو كلمة الله ويظهر دينه ، فإن هذه الحادثة كان فيها أمور عظيمة حازت حد القياس

وخرجت عن سنن العادة ، وظهر لكل ذي عقل من تأييد الله لهذا الدين وعنايته بهذه الأمة وحفظه الأرض التي بارك فيها للعالمين بعد أن كاد الإسلام أن^(١) . . . وكر العدو وكرة فلم يلوعن^(٢) وخذل الناصرون فلم يلووا على . . .^(٣) ، وتحير السائرون فلم يدروا من ولا إلى ، وانقطعت الأسباب الظاهرة [واهطعت]^(٤) الأحزاب القاهرة ، وانصرفت الفئة الناصرة ، وتخاذلت القلوب المتناصرة ، وثبتت الفئة الصابرة ، وأيقن بالنصر القلوب الطاهرة ، واستنجزت من الله وعده للعصاة المنصورة الظاهرة ، ففتح الله أبواب سماواته لجنوده القاهرة ، وأظهر على الحق آياته الباهرة ، وأقام عمود الكتاب بعد ميله ، وثبت لواء الدين بقوته وحوله ، وأرغم معاطس^(٥) أهل الكفر والنفاق ، وجعل ذلك آية للمؤمنين إلى يوم التلاق بالله تعالى ، فالله يتم هذه النعمة ، بجمع قلوب أهل الإيمان على جهاد أهل الطغيان ، ويجعل هذه المنة الجسيمة مبدأ لكل منحة كريمة [وأمنًا شاملًا]^(٦) ، لإقامة الدعوة النبوية القويمة ، ويشفي صدور المؤمنين من أعاديهم ، ويمكنهم من دانيهم وقاصيهم .

والحمد لله رب العالمين .

وصلى الله على سيدنا محمد

وآله وصحبه وسلم

تسليماً .

(١) كذا في النسختين ، وفي هامش الأصل : «في الأصل بياض بين حرف «أن» ولفظ «وكر» ،

ولعل ما بينهما لفظة «يضعف» أو ما في معناها .

(٢) كذا بالأصل .

(٣) كذا بالأصل .

(٤) في «س» : «وانطوت» ومعنى هطع هطوعاً : أشرع مقبلاً خائفاً .

(٥) جمع مَعَطَسٍ ومَعَطَسٌ وهو الأنف ، وإرغام المعاطس ، أي : إلصاقها بالرغام ، أي التراب ،

وهو كناية عن الذل والصغار .

(٦) في الأصل : «وأساساً» .

قال [الشيخ]^(١) - رحمه الله - كتبت أول هذا الكتاب بعد رحيل قازان وجنوده، لما رجعت من مصر في جمادى الآخرة ، وأشاعوا أنه لم يبق منهم أحد، ثم لما بقيت تلك الطائفة اشتغلنا بالاهتمام بجهادهم ، وقصد الذهاب إلى إخواننا بحماة ، وتحريض الأمراء على ذلك حتى جاءنا الخبر بانصراف المتبقين منهم فكملته في رجب، والله أعلم ، والحمد لله وحده وصلى الله على أشرف الخلق محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

قلت: وفي أول شهر رمضان سنة اثنتين وسبعمائة ، كانت وقعة «شقحب» المشهورة ، حصل / للناس شدة عظيمة ، وظهر فيها من كرامات الشيخ وإجابة دعائه ، وعظيم جهاده وقوة إيمانه ، وفرط نصحه للإسلام ، وفرط شجاعته ونهاية كرمه ، وغير ذلك من صفاته ما يفوق النعت ويتجاوز الوصف ، ولقد قرأت بخط بعض أصحابه ، وقد ذكر هذه [الواقعة]^(٢) ، وكثرة من حضرها من جيوش المسلمين ، قال : وافقت كلمة إجماعهم على تعظيم الشيخ تقي الدين، ومحبته وسماع كلامه ونصيحته ، واتعظوا بمواعظه ، وسأله بعضهم مسائل في أمر الدين ، ولم يبق من ملوك الشام تركي ولا عربي إلا واجتمع بالشيخ في تلك المدة ، واعتقد خيره وصلاحه ونصحه لله ولرسوله وللمؤمنين ، قال :

ثم ساق الله سبحانه - جيش الإسلام العرمرم^(٣) المصري صحبة أمير المؤمنين والسلطان الملك الناصر [وولاية الأمر]^(٤) وزعماء الجيش ، وعظماء

(١) في الأصل : «المؤلف» .

(٢) في «س» : الوقعة .

(٣) العرمرم: الشديد ، والجيش الكثير .

(٤) في «س» الامراء .

المملكة ، والأمراء المصريين عن آخرهم ، بجيوش الإسلام سوقًا حثيثًا ، للقاء التتار المخدولين ، فاجتمع الشيخ المذكور بالخليفة والسلطان وأرباب الحل والعقد ، وأعيان الأمراء عن آخرهم وكلهم بمرج الصفر قبلي دمشق المحروسة ، وبينهم وبين التتار أقل من مقدار ثلاث ساعات ، مسافة ، ودار بين الشيخ المذكور وبينهم ما دار بينه وبين الشاميين ، وكان معهم وبينهم كأحد أعيانهم ، واتفق له من اجتماعهم ما لم يتفق لأحد قبله ، من أبناء جنسه ؛ حيث اجتمعوا بجملتهم فى مكان واحد فى يوم واحد ، على أمر جامع لهم وله ، مهم عظيم يحتاجون فيه إلى سماع كلامه ، هذا توفيق عظيم كان من الله تعالى - له لم يتفق لمثله ، وبقي الشيخ المذكور - رضي الله عنه - هو وأخوه وأصحابه ومن معه من الغزاة قائمًا بظهوره وجهاده ولأمة حربه يوصي الناس بالثبات ، ويعدهم النصر ، ويبشرهم بالغنيمة والفوز بإحدى الحسينين إلى أن صدق الله وعده وأعز جنده وهزم التتار وحده ، ونصر المؤمنين ، وهزم الجمع ، وولوا الدبر ، وكانت كلمة الله العليا وكلمة الكفار السفلى ، وقطع دابر القوم الكفار ، والحمد لله رب العالمين .

ودخل جيش الإسلام المنصور إلى دمشق المحروسة ، والشيخ فى أصحابه شاكًا فى سلاحه ، داخلًا معهم ، عالية كلمته ، قائمة حجته ، ظاهرة ولايته ، مقبولة شفاعته ، مجابة دعوته ، ملتزمة بركته ، مكرمًا معظمًا ، ذا سلطان وكلمة نافذة ، وهو مع ذلك يقول المداحين له : أنا رجل ملة لا رجل دولة ، ولقد أخبرني حاجب من الحجاب الشاميين - أمير من أمرائهم ، ذو دين متين ، وصدق لهجة ، معروف فى الدولة - ، قال : قال لي الشيخ يوم اللقاء ونحن بمرج الصفر وقد تراءى الجمعان : يا فلان ، الدين أوقفني موقف الموت ،

قال: فسقته إلى مقابلة العدو ، وهم [منحدرون]^(١) كالسيل ، تلوح أسلحتهم من تحت الغبار المتعقد عليهم ، ثم قلت له : يا سيدي هذا موقف الموت ، وهذا العدو قد أقبل تحت هذه الغبرة المنعقدة ، فدونك وما تريد .

قال : فرفع طرفه إلى السماء ، وأشخص ببصره ، وحرك شفثيه طويلاً ، ثم انبعث وأقدم على القتال ، وأما أنا فخيّل إليّ أنه دعا عليهم ، وأن دعاءه استجيب منه في تلك الساعة ، قال: ثم أحال القتال بيننا والالتحام وما عدت رأيت حتى فتح الله ونصر ، وانحاز التتار إلى جبل صغير ، عصموا نفوسهم به من سيوف المسلمين تلك الساعة ، وكان آخر النهار .

قال : وإذا أنا بالشيخ وأخيه يصيحان بأعلى صوتيهما تحريضاً على القتال ، وتخويقاً للناس من الفرار ، فقلت له : يا سيدي لك البشارة بالنصر ، فإنه قد فتح الله ونصر ، وها هم التتار محصورون بهذا السفح ، وفي غد إن شاء الله يؤخذون عن آخرهم قال: فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله ، ودعا لي في ذلك الموطن بدعاء ، وجدت / بركته في ذلك الوقت وبعده . هذا كلام الأمير الحاجب . [٥٢/ق]

قال: ثم لم يزل الشيخ بعد ذلك على زيادة في الحال والقاب والجاه [والتعمق]^(٢) والتحقيق في العلم والعرفان حتى حرك الله تعالى عزمات نفوس ولاة الأمر لقتال «أهل جبل كسروان»، وهم الذين بغوا وخرجوا على الإمام ، وأخافوا السبل ، وعارضوا المارين بهم من الجيش بكل سوء ، فقام الشيخ في ذلك أتم قيام ، وكتب إلى أطراف الشام في الحث على قتال المذكورين ، وأنها غزاة في سبيل الله ، ثم تجهز هو ومن معه لغزوهم بالجبل ، صحبه ولي الأمر

(١) من «س» وفي الأصل : منحدون .

(٢) من «س» .

نائب الملكة المعظمة أعز الله نصره ، والجيوش الشامية المنصورة ، وما زال مع ولي الأمر في حصارهم وقتالهم حتى فتح الله الجبل ، وأجلى أهله ، وكان من أصعب الجبال مسلكتاً وأشقها ساحة ، وكانت الملوك المتقدمة لا تقدّم على حصاره مع علمها ما أهله عليه من البغي والخروج على الإمام والعصيان ، وليس إلا لصعوبة المسلك ، ومشقة النزول عليهم ، وكذلك لما حاصرهم «بيدرا» بالجيش رحل عنهم ، ولم ينل منهم منالاً ؛ لذلك السبب ، ولغيره ، وذلك عقيب فتح قلعة الروم ، ففتح الله على يدي «ولي الأمر نائب الشام المحروس» أعز الله نصره ، وكان فتحه أحد المكرمات والكرامات المعدودة للشيخ [بسبين]^(١) على ما يقوله الناس :

أحدهما : لكون أهل هذا الجبل بغاة رافضة سبابة تعين قتالهم .

والثاني : لأن أهل جبل الصالحية ، لما استولت الرافضة عليه في حال استيلاء الطاغية غازان ، أشار بعض كبرائهم بنهب الجبل ، وسبي أهله وقتلهم وحريق مساكنهم انتقاماً لكونهم سنية ، وسماهم ذلك المشير نواصب ، فكان ما كان من أمر جبل الصالحية بذلك القول وتلك الإشارة .

قالوا: فكوفيء الرافضة بمثل ذلك بإشارة كبير من كبراء أهل السنة وزناً بوزن جزاء على يد ولي الأمر وجيوش الإسلام ، والمشير المذكور هو الشيخ المشار إليه .

ولما فتح الجبل وصار الجيش بعد الفتح إلى دمشق المحروسة، عكف خاص الناس وعامتهم على الشيخ بالزيارة له، والتسليم عليه، والتهنئة بسلامته، والمسألة له منهم عن كيفية الحصار للجبل وصورة قتال أهله، وعمما وقع بينهم

(١) في «س» : بشيتين .

وبين الجيش من المراسلة وغيرها ، فحكى الشيخ ذلك ، وحكى أيضاً أنه تجادل مع كبير من كبراء أهل جبل كسروان له اطلاع على مذهب الرافضة .

قال: وكان الجدل والبحث في عصمة الإمام ، وعدم عصمته ، وفي أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - معصوم من الكبائر والصغائر ، وفي كل قول وفعل ، وهذه دعوى الجبلي ، وأن الشيخ حاجه في أن العصمة لم تثبت إلا للأنبياء عليهم السلام ، قال: وإنني قلت له : إن علياً ، وعبدالله بن مسعود - رضي الله عنهما - اختلفا في مسائل وقعت ، وفتاوى أفتيا بها ، وأن تلك الفتاوى والمسائل عرضت على النبي ﷺ ، فصوب فيها قول ابن مسعود - رضي الله عنه - .

هذا معنى كلام الشيخ في حديثه عن المجادلة مع الرافضي الجبلي ، وإن اختلفت العبارة . انتهى ما ذكره .

وكان توجه الشيخ - رضي الله عنه - تقي الدين إلى «الكسروانيين» في مستهل ذي الحجة من سنة أربع وسبعمائة ، وصحبته «الأمير قراقوش» ، وتوجه نائب السلطنة «الأمير جمال الدين الأفرم» بمن تأخر من عسكر دمشق إليهم لغزوهم واستئصالهم في ثاني شهر المحرم من سنة خمس وسبعمائة ، وكان قد توجه قبله العسكر طائفة بعد طائفة في ذي الحجة ، وفي يوم الخميس سابع عشر صفر وصل النائب والعسكر معه إلى دمشق بعد أن نصرهم الله على حزب الضلال من «الروافض والنصيرية وأصحاب العقائد الفاسدة» ، وأبادهم من تلك الأرض ، والحمد لله رب العالمين .

[رسالة الشيخ إلى السلطان الملك الناصر]^(١)

ثم إن الشيخ - رحمه الله - بعد وقعة جبل كسروان - أرسل رسالة إلى «السلطان الملك الناصر» ، يذكر فيها ما أنعم الله / على السلطان وعلى أهل الإسلام ، بسبب فتوح الجبل المذكور ، وهي هذه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من الداعي أحمد بن تيمية إلى سلطان المسلمين ، ومن أيد الله في دولته الدين ، [و]^(٢) أعزبها عباده المؤمنين ، وقمع فيها الكفار والمنافقين والخوارج المارقين ، نصره الله ونصر به الإسلام ، وأصلح له وبه أمور الخاص والعام ، وأحى به معالم الإيمان ، وأقام به شرائع القرآن ، وأذل به أهل الكفر والفسوق والعصيان .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فإننا نحمد إلكم الله الذي لا إله إلا هو ، وهو للحمد أهل ، وهو على كل شيء قدير . ونسأله أن يصلي على خاتم النبیین ، وإمام المتقين محمد عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا .

أما بعد : فقد صدق الله وعده ، ونصر عبده وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، وأنعم الله على السلطان ، وعلى المؤمنين في دولته نعمًا لم تعهد في القرون الخالية ، وجدد الإسلام في أيامه تجديدًا بانته فضيلته على الدول الماضية ، وتحقق في ولايته خبر الصادق المصدوق ، أفضل الأولين والآخرين ، الذي أخبر فيه عن تجديد الدين في رءوس المثين ، والله تعالى يوزعه

(١) من المطبوع .

(٢) ليست في الاصل ، وهي زيادة يقتضيها السياق .

والمسلمين شكر هذه النعم العظيمة في الدنيا والدين ، ويتمها بتمام النصر على سائر الأعداء المارقين .

وذلك : أن السلطان - أتم الله نعمته - حصل للأمة بيمين ولايته وحسن نيته ، وضحة إسلامه وعقيدته ، وبركة إيمانه ومعرفته ، وفضل همته ، وشجاعته ، وثمرة تعظيمه للدين وشرعته ، ونتيجة اتباعه لكتاب الله وحكمته ، ما هو شبيه بما كان يجري في أيام الخلفاء الراشدين ، وما كان يقصده أكابر الأئمة العادلين ؛ من جهاد أعداء الله المارقين من الدين ، وهم صنفان :

أهل الفجور والطغيان ، وذوو الغي والعدوان ، الخارجون عن شرائع الإيمان ، طلباً للعلو في الأرض والفساد ، وتركاً لسبيل الهدى والرشاد ، وهؤلاء هم التار ، ونحوهم من كل خارج عن شرائع الإسلام وإن تمسك بالشهادتين ، أو ببعض سياسة [الأنام]^(١) .

والصنف [الباقى]^(١) أهل البدع المارقون ، وذوو الضلال المنافقون ، الخارجون عن السنة والجماعة ، المارقون للسرعة والطاعة ، مثل هؤلاء الذين غزوا بأمر السلطان من أهل الجبل ، والجرد ، والكسروان . فإن ما من الله به من الفتح والنصر على هؤلاء الطغام ، هو من عزائم الأمور التي أنعم الله بها على السلطان وأهل الإسلام .

وذلك : أن هؤلاء وجنسهم من أكابر المفسدين في أمر الدنيا والدين ، فإن اعتقادهم أن أبا بكر وعمر وعثمان ، وأهل بدر ، وبيعة الرضوان ، وجمهور المهاجرين والأنصار ، والتابعين لهم بإحسان ، وأئمة الإسلام وعلمائهم أهل المذاهب الأربعة وغيرهم ، ومشايخ الإسلام وعبادهم ، وملوك المسلمين

(١) كذا في الأصل ، وفي المطبوع : الإسلام ، و«الصنف الثاني» بدلاً من «الباقى» .

وأجنادهم ، وعوام المسلمين وأفرادهم . كل هؤلاء عندهم كفار مرتدون ، أكفر من اليهود والنصارى ، لأنهم مرتدون عندهم ، والمرتد شر من الكافر الأصلي ، ولهذا السبب يقدمون الفرنج والتتار على أهل القرآن والإيمان .

ولهذا لما قدم التتار إلى البلاد ، وفعلوا بعسكر المسلمين ما لا يحصى من الفساد وأرسلوا إلى أهل قبرص فملكوا بعض الساحل ، وحملوا راية الصليب ، وحملوا إلى قبرص من خيل المسلمين وسلاحهم وأسراهم ما لا يُحصى عدده إلا الله ، وأقام سوقهم بالساحل عشرين يوماً يبيعون فيه المسلمين والخيل والسلاح على أهل قبرص ، وفرحوا بمجيء التتار ، هم وسائر أهل هذا المذهب الملعون ، مثل أهل جزين ، وما حواليتها ، وجبل [عاملة]^(١) ونواحيه .

ولما خرجت العساكر الإسلامية من الديار المصرية ، ظهر فيهم من الخزي والنكال ما عرفه الناس منهم ، ولما نصر الله الإسلام النصر العظمى عند قدوم السلطان ، كان بينهم شبيه بالعزاء .

كل هذا ، وأعظم منه ، عند هذه الطائفة التي كانت من أعظم الأسباب في خروج «جنكسخان» إلى بلاد الإسلام ، وفي استيلاء «هولاكو» على بغداد ، وفي قدومه إلى حلب ، وفي نهب الصالحية ، وفي غير ذلك من أنواع العداوة للإسلام وأهله .

لأن عندهم أن كل من لم يوافقهم على ضلالهم فهو كافر مرتد ، ومن استحل الفُحَّاق فهو كافر ، ومن مسح على الخفين فهو عندهم كافر ، ومن حرم المتعة فهو عندهم كافر ، ومن أحب أبا بكر أو عمر أو عثمان ، أو ترضى عنهم أو عن جماهير الصحابة فهو عندهم كافر ، ومن لم يؤمن بمتنظريهم فهو عندهم كافر . هذا المنتظر صبي عمره ستان أو ثلاث أو خمس ، يزعمون أنه دخل

(١) كذا في الأصل ، وفي المطبوع : عامل .

السرداب «بسامرا» من أكثر من أربعمئة سنة ، وهو يعلم كل شيء ، وهو حجة الله على أهل الأرض ، فمن لم يؤمن به فهو عندهم كافر ، وهو شيء لا حقيقة له ، ولم يكن هذا في الوجود قط .

وعندهم من قال : إن الله يُرى في الآخر فهو كافر ، ومن قال : إن الله تكلم بالقرآن حقيقة فهو كافر ، ومن قال : إن الله فوق السموات فهو كافر ، ومن آمن بالقضاء والقدر وقال : إن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، وأن الله يقب قلبوب عباده ، وأن الله خالق كل شيء فهو عندهم كافر ، وعندهم أن من آمن بحقيقة أسماء الله وصفاته التي أخبر بها في كتابه وعلى لسان رسوله ، فهو عندهم كافر .

هذا هو المذهب الذي تلقنه لهم أئمتهم ، مثل «بني العود» ، فإنهم شيوخ أهل هذا الجبل ، وهم الذين كانوا يأمرونهم بقتال المسلمين ، ويفتونهم بهذه الأمور .

وقد حصل بأيدي المسلمين طائفة من كتبهم تصنيف ابن العود وغيره ، وفيها هذا وأعظم منه ، وهم اعترفوا لنا بأنهم الذين علموهم وأمروهم ، لكنهم مع هذا يظهرون التقية والنفاق ، ويتقربون ببذل الأموال إلى من يقبلها منهم ، وهكذا كان عادة هؤلاء الجبلية ، فلإنما أقاموا بجبلهم لما كانوا يظهرونه من النفاق ، ويبذلونه من البرطيل^(٢) لمن يقصدهم .

والمكان الذي لهم في غاية الصعوبة ، ذكر «أهل أنجرة» أنهم لم يرو مثله ، ولهذا كثر فسادهم فقتلوا من النفوس وأخذوا من الأموال ما لا يعلمه إلا الله . ولقد كان جيرانهم من أهل البقاع وغيرها معهم في أمر لا يضبط شره ،

(١) كذا في الأصل ، وفي المطبوع : ويتظاهرون .

(٢) الرشوة .

كل ليلة تنزل عليهم منهم طائفة ، ويفعلون من الفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد .

وكانوا في قطع الطرقات ، وإخافة سكان البيوت على أقبح سيرة عرفت من أهل الجنايات ، يرد إليهم النصارى من أهل قبرص فيضيفونهم ويعطونهم سلاح المسلمين ، ويقعون بالرجل الصالح من المسلمين ، فإما أن يقتلوه أو يسلبوه ، وقليل منهم من يفلت منهم بالحيلة .

فأعان الله ويسر بحسن نية السلطان وهمته ، في إقامة شرائع الإسلام ، وعنايته بجهاد المارقين أن غزوا غزوة شرعية ، كما أمر الله ورسوله ، بعد أن كشفت أحوالهم ، وأزيحت عللهم ، وأزيلت شبههم ، وبذل لهم من العدل والإنصاف ما لم يكونوا يطمعون به ، وبين لهم أن غزوهم اقتداء بسيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في قتال الحورية المارقين ، الذين تواتر عن النبي ﷺ الأمر بقتالهم ونعت حالهم ، من وجوه متعددة ؛ أخرج منها أصحاب الصحيح عشرة أوجه : من حديث علي بن أبي طالب^(١) وأبي سعيد الخدري^(٢) ، وسهل بن حنيف^(٣) ، وأبي ذر الغفاري^(٤) ، ورافع بن عمرو^(٥) ، وغيرهم^(٦) من أصحاب النبي ﷺ .

(١) رواه البخاري برقم (٦٩٣٠-٣٦١١-٥٠٥٧) ، ومسلم برقم (١٠٦٦) ، عن علي بن أبي طالب .

(٢) رواه البخاري برقم (٥٠٥٨ - ٣٦١٠ - ٦٩٣١ - ٦٩٣٣) ، ومسلم برقم (١٠٦٤-١٠٦٥) عن أبي سعيد الخدري .

(٣) رواه البخاري برقم (٦٩٣٤) ومسلم برقم (١٠٦٨) ، عن سهل بن حنيف .

(٤) رواه مسلم برقم (١٠٦٧) ، عن أبي ذر الغفاري .

(٥) رواه مسلم برقم (١٠٦٧) عن عبدالله بن الصامت ، عن أبي ذر ، فقال ابن الصامت :

فلقيت رافع بن عمرو الغفاري .. فذكره .

(٦) وفي الباب أيضاً عن جابر بن عبد الله ، رواه مسلم برقم (١٠٦٣) ، وعن عبد الله بن

عمر رواه البخاري برقم (٦٩٣٢) ، وأيضاً عن عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ عند مسلم برقم (١٠٦٦ / ١٥٧) .

قال فيهم : «يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، وقراءته مع قراءتهم ، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد ، لو يعلم الذين يقاتلونهم ماذا لهم على لسان محمد ﷺ لانكلوا عن العمل ، يقتلون أهل الإسلام ، ويدعون أهل الأوثان ، يقرأون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم ، شر قتلى تحت أديم السماء ، خير قتلى من قتلوه» .

وأول ما خرج هؤلاء ، زمن أمير المؤمنين - رضي الله عنه - وكان لهم من الصلاة والصيام ، والقراءة ، والعبادة ، والزهادة ما لم يكن لعموم الصحابة ، لكن كانوا خارجين عن سنة / رسول الله ﷺ ، وعن جماعة المسلمين ، وقتلوا من المسلمين رجلاً اسمه «عبدالله بن خباب» وأغاروا على دواب للمسلمين . [ق/ ٥٥]

وهؤلاء القوم كانوا أقل صلاة وصياماً ، ولم نجد في جبلهم مصحفاً ولا فيهم قارئاً للقرآن ، وإنما عندهم عقائدهم التي خالفوا فيها الكتاب والسنة ، وأباحوا بها دماء المسلمين ، وهم مع هذا فقد سفكوا من الدماء وأخذوا من الأموال ما لا يُحصي عدده إلا الله تعالى .

فإذا كان علي بن أبي طالب قد أباح لعسكره أن ينهبوا ما في عسكر الخوارج ، مع أنه قتلهم جميعهم ، كان هؤلاء أحق بأخذ أموالهم ، وليس هؤلاء بمنزلة المتأولين الذين نادى فيهم علي بن أبي طالب يوم الجمل «أنه لا يقتل مدبرهم ، ولا يجهز على جريحهم ، ولا يغنم لهم مالا ، ولا يسبى لهم ذرية» لأن مثل أولئك لهم تأويل سائغ ، وهؤلاء ليس لهم تأويل سائغ ، ومثل أولئك إنما [يكون خارجاً] ^(١) عن طاعة الإمام ، وهؤلاء خرجوا عن شريعة رسول الله

(١) في المطبوع : يكونون خارجين ، وهو الصواب .

ﷺ وسنته ، وهم شر من التتار من وجوه متعددة ؛ لكن التتر أكثر وأقوى ،
فلذلك يظهر كثرة شرهم .

وكثير من فساد التتر هو لمخالطة هؤلاء لهم ، كما كان في زمن قازان
وهولاكو ، وغيرهما ، فإنهم أخذوا من أموال المسلمين أضعاف ما أخذوا من
أموالهم ، وأرضهم في بيت المال .

وقد قال كثير من السلف : إن الرافضة لا حق لهم من الفياء ، لأن الله
إنما جعل الفياء للمهاجرين والأنصار :

﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ
وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) .

فمن لم يكن قلبه سليماً لهم ، ولسانه مستغفراً لهم ، لم يكن من هؤلاء .
وقطعت أشجارهم لأن النبي ﷺ لما حاصر بني النضير قطع أصحابه
نخلهم وحرقوه ، فقال اليهود : هذا فساد ، وأنت يا محمد تنهي عن الفساد ،
فأنزل الله في القرآن :

﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ
الْفَاسِقِينَ ﴾ (٢) .

وقد اتفق العلماء على جواز قطع الشجر ، وتخریب العامر ، عند الحاجة
إليه ، فليس ذلك بأولى من قتل النفوس وما أمكن غير ذلك .

فإن القوم لم يحضروا كلهم من الأماكن التي اختفوا فيها ، وأيسوا من
المقام في الجبل إلا حين قطعت الأشجار ، وإلا كانوا يختفون حيث لا يمكن

(١) [سورة الحشر : ١٠]

(٢) [سورة الحشر : ٥] .

العلم بهم ، وما أمكن أن يسكن الجبل غيرهم ، لأن التركمان إنما قصدهم الرعي ، وقد صار لهم مرعى ، وسائر الفلاحين لا يتركوا عمارة أرضهم ويجيئون إليه .

فالحمد لله الذي يسر هذا الفتح في دولة السلطان بهمته وعزمه وأمره ، وإخلاء الجبل منهم وإخراجهم من ديارهم .
وهم يشبهون ما ذكره الله في قوله :

﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبُهمُ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤) مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (١)

وأيضاً فإنه بهذا قد انكسر من أهل البدع والنفاق بالشام ومصر والحجاز، واليمن والعراق ، ما يرفع الله به درجات السلطان ، ويعز به أهل الإيمان .

فصل

تمام هذا الفتح وبركته تقدم مراسم السلطان بحسم مادة أهل الفساد ، وإقامة الشريعة في البلاد ، فإن هؤلاء القوم لهم من المشايخ والإخوان في قرى كثيرة من يقتدون بهم ويستصرون لهم ، وفي قلوبهم غل عظيم ، وإبطان معادة شديدة ، لا يؤمنون معها على ما يمكنهم ، ولو أنه مباطنة العدو ، فإذا أمسك رءوسهم الذين يضلونهم - مثل بني العود - زال بذلك من الشر ما لا يعلمه إلا الله .

(١) [سورة الحشر: ٢-٥] .

ويتقدم إلى قراهم وهي قرى متعددة بأعمال دمشق ، وصفد ، وطرابلس ،
وحماة ، وحمص ، وحلب بأن يقام فيهم شرائع الإسلام : الجمعة ،
والجماعة ، وقراءة القرآن ، ويكون لهم خطباء ومؤذنون ، كسائر قرى المسلمين ،
وتقرأ فيها الأحاديث النبوية ، وتنتشر فيهم المعالم الإسلامية ، ويعاقب من عُرِفَ
منه البدعة والنفاق بما توجهه شريعة الإسلام .

فإن هؤلاء المحاربين وأمثالهم قالوا: نحن قوم جبال ، وهؤلاء كانوا
يعلموننا ويقولون لنا : أنتم إذا قاتلتم هؤلاء تكونون مجاهدين ، ومن قتل منكم
فهو شهيد .

وفي هؤلاء خلق كثير لا يقرون بصلاة ، ولا صيام ، ولا حج ، ولا
عمرة ، ولا يحرمون الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير ، ولا يؤمنون بالجنة والنار ،
من جنس الإسماعيلية ، والنصيرية والحاكمية ، والباطنية ، وهم كفار أكفر من
اليهود والنصارى بإجماع المسلمين .

فتقدم المراسيم السلطانية بإقامة شعائر الإسلام : من الجمعة ، والجماعة ،
وقراءة القرآن ، وتبليغ أحاديث النبي ﷺ في قرى هؤلاء من أعظم المصالح
الإسلامية ، وأبلغ الجهاد في سبيل الله .

وذلك سبب لانقماص من يباطن العدو من هؤلاء ، ودخولهم في طاعة الله
ورسوله ، وطاعة أولي الأمر من المسلمين .

وهو من الأسباب التي يعين الله بها على قمع الأعداء .

فإن ما فعلوه بالمسلمين في أرض «سيس» نوع من غدرهم الذي به ينصر
الله المسلمين عليهم ، وفي ذلك لله حكمة عظيمة ، ونصرة للإسلام جسيمة .
قال ابن عباس : «ما نقض قوم العهد إلا أدبيل عليهم العدو» .

ولولا هذا وأمثاله ما حصل للمسلمين من العزم بقوة الإيمان ، وللعُدو من الخذلان ، ما ينصر الله به المؤمنين ، ويذل به الكفار والمنافقين .
والله هو المسئول أن يتم نعمته على سلطان الإسلام خاصة ، وعلى عباده المؤمنين عامة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
تسليماً كثيراً .

عنوان الكتاب ظاهره

سلطان المسلمين ، ومن أيد [الله]^(١) في دولته الدين ، وقمع الكفار والمنافقين ، أيد الله به الإسلام ، ونشر عدله في الأنام .

[موقف من مواقف الشيخ

في

إبطال حيل أهل الطرق الدجالين]^(١)

وفي يوم السبت تاسع جمادى الأولى من هذه السنة - سنة خمس [وسبعمائة]^(١) - اجتمع جماعة من الأحمديّة الرفاعيّة عند نائب السلطنة بالقصر، وحضر الشيخ تقي الدين ، وطلبوا أن يسلم إليهم حالهم ، وأن الشيخ تقي الدين لا يعارضهم ولا ينكر عليهم ، وأرادوا أن يظهرُوا شيئاً مما يفعلونه ، فانتدب لهم الشيخ ، وتكلم باتباع الشريعة ، وأنه لا يسع أحداً الخروج عنها

(١) من المطبوع .

بقول ولا فعل ، وذكر أن لهم حيلاً يتحيلون بها في دخول النار وإخراج الزبدة من الحلوق .

وقال لهم : من أراد دخول النار فليغسل جسده في الحمام ، ثم يدلكه بالخل ، ثم يدخل ، ولو دخل لا يلتفت إلى ذلك ، بل هو نوع من فعل الدجال عندنا . وكانوا جمعاً كثيراً .

وقال الشيخ صالح شيخ المنييع : نحن أحوالنا تنفق عند التتار ، ما تنفق قدام الشرع .

وانفصل المجلس على أنهم يخلعون أطواق الحديد ، وعلى أن من خرج عن الكتاب والسنة ضربت رقبته . وحفظ هذه الكلمة الحاضرون من الأمراء والأكابر وأعيان الدولة ، وكتب الشيخ عقيب هذه الواقعة جزءاً في حال الأحمدية ومبدئهم وأصل طريقتهم وذكر شيخهم ، وما في طريقتهم من الخير والشر ، وأوضح الأمر في ذلك .

* * *

[محنة الشيخ وقيام المبتدعين عليه لتأليفه الحموية]^(١)

وقال الذهبي في أثناء كلامه في ترجمة الشيخ ، ولما صنف المسألة الحموية في الصفات سنة ثمان وتسعين [وستمائة]^(٢) تحزبوا له ، وآل بهم الأمر إلى أن طافوا به على قسبة من جهة القاضي الحنفي ، ونودي عليه بأن لا يستفتى ، ثم قام بنصره طائفة آخرون ، وسلم الله .

فلما كان في سنة خمس وسبعمائة ، جاء الأمر من مصر بأن يُسأل عن معتقده ، فجمع له القضاة والعلماء بمجلس «نائب دمشق الأفرم» / ، فقال : أنا كنت قد سئلت عن معتقد أهل السنة ، فأجبت عنه في جزء من سنين ، وطلبه من داره فأحضر ، وقرأه ، فنازعوه في موضعين أو ثلاثة منه وطال المجلس ، فقاموا واجتمعوا مرتين أيضاً لتتمة الجزء ، وحاققوه ، ثم وقع الاتفاق على أن هذا معتقد سلفي جيد ، وبعضهم قال ذلك كرهاً ، وكان المصريون قد سعوا في أمر الشيخ ، وملأوا «الأمير ركن الدين الشاشنكير» الذي تسلطن عليه ، فطلب إلى مصر على البريد ، فثاني يوم دخوله اجتمع القضاة والفقهاء بقلعة مصر ، وانتصب «ابن عدلان» له خصماً ، وادعى عليه عند «ابن مخلوف» القاضي المالكي أن هذا يقول : إن الله تكلم بالقرآن بحرف وصوت ، وأنه تعالى على العرش بذاته ، وأن الله يشار إليه الإشارة الحسية وقال : أطلبُ عقوبته على ذلك .

فقال القاضي : ما تقول يا فقيه ؟

فحمد الله ، وأثنى عليه ، فقيل [له]^(٣) : أسرع ما أحضرناك لتخطب ،

فقال : أُمْنَعُ من الثناء على الله ؟

(١) من المطبوع .

(٢) من «س» .

فقال القاضي : أجب ، فقد حمدت الله ، فسكت فألح عليه ، فقال :
[من الحاكم في^(١)] ؟ فأشاروا له إلى القاضي ابن مخلوف .

فقال : أنت خصمي ، كيف تحكم فيّ؟ وغضب وانزعج وأسكت
القاضي ، فأقيم الشيخ وأخواه وسجنوا بالجب بقلعة الجبل ، وجرت أمور
طويلة ، وكتب إلى الشام كتاب سلطاني بالخط عليه ، فقريء بالجامع وتألم
الناس له ، ثم بقي سنة ونصفاً ، وأخرج وكتب لهم ألفاظاً اقترحوها عليه ،
وهُدِّد وتُوِّعِد بالقتل إن لم يكتبها ، وأقام بمصر يقرئ العلم ، ويجتمع عنده
خلق إلى أن تكلم في الإتحادية القائلين بوحدة الوجود ، وهم «ابن سبعين ، وابن
عربي ، والقونوي» ، وأشباههم ، فتحزب عليه صوفية وفقراء ، وسعوا فيه ،
وأنه يتكلم في صفوة الأولياء ، فعمل له محفل ، ثم أخرجوه على البريد ، ثم
ردوه على مرحلة من مصر ، ورأوا مصلحتهم في اعتقاله فسجنوه في حبس
القضاة سنة ونصفاً ، فجعل أصحابه يدخلون إليه في السرِّ ، ثم تظاهروا ،
فأخرجته الدولة على البريد إلى الإسكندرية ، وحبس ببرج منها ، وشنع بأنه
قتل ، وأنه غرق غير مرة ، فلما عاد السلطان أيده الله تعالى من الكرك ، وأباد
أضداده ، بادر باستحضار الشيخ إلى القاهرة مكرماً ، واجتمع به وحادثه ،
وساره بحضرة القضاة والكبار ، وزاد في إكرامه ثم نزل وسكن في دار ،
واجتمع بعد ذلك بالسلطان ولم يكن [الشيخ من رجال الدولة ، ولا يسلط معهم
تلك النواميس]^(٢) ، فلم يعد السلطان يجتمع به ، فلما قدم السلطان لكشف
العدو عن الرحبة جاء الشيخ إلى دمشق سنة اثني عشرة [وسبعمئة]^(٣) ، ثم
جرت أمور ومحن ، انتهى كلامه .

(١) في «س» : فمن الحاكم ؟

(٢) من «س» .

(٣) من المطبوع .

[محنة الشيخ في دمشق]^(١)

وقال الشيخ علم الدين : وفي شهر ربيع الأول من سنة ثمان وتسعين وستمائة وقع بدمشق محنة للشيخ الإمام تقي الدين بن تيمية وكان الشروع فيها من أول الشهر ، وظهرت يوم الخامس منه ، واستمرت إلى آخر الشهر ، وملخصها أنه كان كتب جواباً سئل عنه من حماة في الصفات ، فذكر فيه مذهب السلف ، ورجحه على مذهب المتكلمين ، وكان قبل ذلك بقليل أنكر أمر المنجمين ، واجتمع «سيف الدين جاغان» في ذلك في حال نيابته بدمشق وقيامه ، فقام نائب السلطنة ، وامتلأ أمره ، وقبل قوله ، والتمس منه كثرة الاجتماع به فحصل بسبب ذلك ضيق لجماعة مع ما كان عندهم قبل ذلك من كراهية الشيخ وتألمهم لظهوره وذكره الحسن ، فانضاف شيء إلى أشياء ولم يجدوا مساعاً للكلام فيه لزهده وعدم إقباله على الدنيا ، وترك المزاحمة على المناصب ، وكثرة علمه وجودة أجوبته وفتاويه ، وما يظهر فيها من غزارة العلم وجودة الفهم ، فعمدوا إلى الكلام في العقيدة لكونهم يرجحون مذهب المتكلمين في الصفات والقرآن على مذهب السلف ، ويعتقدونه الصواب ، فأخذوا الجواب الذي كتبه وعملوا / عليه أوراقاً في رده ، ثم سعوا السعي الشديد إلى القضاة والفقهاء واحداً واحداً ، وأغروا خواطريهم ، وحرفوا الكلام ، وكذبوا الكذب الفاحش ، وجعلوه يقول بالتجسيم وحاشاه من ذلك ، وأنه قد أوعز ذلك المذهب إلى أصحابه ، وأن العوام قد فسدت عقائدهم بذلك ، ولم يقع من ذلك شيء ، والعياذ بالله ، وسعوا في ذلك سعياً شديداً في أيام كثيرة المطر ، والوحل ، والبرد ، فوافقهم جلال الدين الحنفي قاضي الحنفية

(١) من المطبوع .

يومئذ على ذلك ، ومشى معهم إلى دار الحديث الأشرفية ، وطلب حضوره ، وأرسل إليه فلم يحضر ، وأرسل إليه في الجواب أن العقائد ليس أمرها إليك ، وأن السلطان إنما ولاك لتحكم بين الناس وأن إنكار المنكرات ليس مما يختص به القاضي ، فوصلت إليه هذه الرسالة ، فأوغروا خاطره ، وشوشوا قلبه ، وقالوا: لم يحضر ورد عليك ، فأمر بالنداء على بطلان عقيدته في البلدة ، فأجاب إلى ذلك فنودي في بعض البلد ، ثم بادر سيف الدين جاغان ، وأرسل طائفة فُضِرَبَ المنادي وجماعة ممن حوله ، وأُخْرِقَ بهم فرجعوا مضرويين في غاية الإهانة ، ثم طلب سيف الدين جاغان من قام في ذلك ، وسعى فيه فدارت الرسل والأعوان عليهم في البلد فاختلفوا ، واحتمى مقدمهم بيدر الدين الأتابكي ، ودخل عليه في داره ، وسأل منه أن يُجِيرَهُ من ذلك ، فترفق في أمره إلى أن سكن غضب سيف الدين جاغان ، ثم إن الشيخ جلس يوم الجمعة على عادته ثالث عشر الشهر ، وكان تفسيره في قوله تعالى :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾^(١) وذكر الحلم ، وما ينبغي استعماله ، وكان ميعاداً جليلاً ، ثم إنه اجتمع بالقاضي إمام الدين الشافعي ، وواعده لقراءة جزئه الذي أجب فيه وهو المعروف «بالحموية» ، فاجتمعوا يوم السبت رابع عشر الشهر من بُكْرَةِ النهار إلى نحو الثلث من ليلة الأحد ميعاداً طويلاً مستمراً وقرئت فيه جميع العقيدة ، وبيّن مراده من مواضع أشكلت ، ولم يحصل إنكار عليه من الحاكم ، ولا ممن حضر المجلس بحيث انفصل منهم والقاضي يقول : كل من تكلم في الشيخ [فأنا خصمه ، وقال أخوه جلال الدين بعد هذا الميعاد : كل من تكلم في الشيخ]^(٢) نعره ، وانفصل عنهم عن طيبة .

(١) [سورة القلم آية : ٤] .

(٢) من «س» .

وخرج الناس ينتظرون ما يسمعون من طيب أخباره فوصل إلى داره في ملاء
كثير من الناس ، وعندهم استبشار وسرور به ، وهو في ذلك كله ثابت الجأش ،
قوي القلب ، واثق بالنصر الإلهي ، لا يلتفت إلى نصر مخلوق ولا يعول
عليه ، وكان سعيهم في حقه أتم السعي ، لم يبقوا ممكناً من الاجتماع بمن
[يرتجون]^(١) منه أدنى نصر لهم ، وتكلموا في حقه بأنواع الأذى وبأمور يستحي
الإنسان من الله - سبحانه - أن يحكيها فضلاً أن يخلقها ويلفها ، فلا حول
ولا قوة إلا بالله .

والذين سعوا فيه معروفون عندنا وعند كل أحد ، قد اشتهر عنهم هذا
الفعل الفظيع ، وكذلك من ساعدتهم بقول أو تشنيع ، أو إغراء ، أو إرسال
رسالة ، أو إفتاء ، أو شهادة ، أو أذى لبعض أصحاب الشيخ ومن يلوذ به ، أو
شتم ، أو غيبة ، أو تشويش باطن ، فإنه وقع من ذلك شيء كثير من جماعة
كثيرة ، ورأى جماعة من الصالحين والأخيار في هذه الواقعة ، وعقبيها للشيخ
مراثي حسنة جليلة لو ضبطت كانت مجلداً تاماً . انتهى ما ذكره .

* * *

(١) في «س» : يرجون .

[احضار الشيخ بمجلس نائب السلطنة

ومناقشته في العقيدة]^(١)

ثم بعد هذه الواقعة بمدة كثيرة ، وذلك يوم الإثنين ثامن رجب من سنة خمس وسبعمائة طلب القضاة والفقهاء ، وطلب الشيخ تقي الدين إلى القصر ، إلى مجلس نائب السلطنة الأفرم ، فلما اجتمعوا عنده ، سأل الشيخ تقي الدين وحده عن عقيدته ، وقال له : هذا المجلس عقد لك ، وقد ورد مرسوم السلطان أن أسألك عن اعتقادك ، فأحضر الشيخ عقيدته الواسطية وقال : هذه كتبها من نحو سبع سنين ، قبل مجيء التتار إلى الشام ، فقرئت في المجلس / ، [ق/٥٩] وبحث فيها وبقي مواضع أخرت إلى مجلس آخر ، ثم اجتمعوا يوم الجمعة بعد الصلاة ثاني عشر رجب المذكور ، وحضر المخالفون ، ومعهم الشيخ صفى الدين الهندي ، واتفقوا على أنه يتولى المناظرة مع الشيخ تقي الدين ، فتكلم معه ، ثم إنهم رجعوا عنه واتفقوا على الشيخ كمال الدين ابن الزمكاني ، فناظر الشيخ وبحث معه وطال الكلام ، وخرجوا من هناك ، والأمر قد انفصل ، وقد أظهر الله قيام الحجة وما أعز به أهل السنة ، وانصرف الشيخ تقي الدين إلى منزله ، واختلفت نقول المخالفين للمجلس ، وحرفوه ووضعوا مقالة الشيخ على غير موضعها ، وشنع ابن الوكيل وأصحابه بأن الشيخ قد رجع عن عقيدته ، فالله المستعان .

والذي حمل نائب السلطنة على هذا الفعل كتاب ورد عليه من مصر في هذا المعنى وكان القائم في ذلك بمصر القاضي ابن مخلوف المالكي ، والشيخ نصر

(١) من المطبوع .

المنبجي ، والقونوي ، واستعانوا بركن الدين الشاشنكير ، ثم بعد ذلك عزّر بعض القضاة بدمشق شخصاً يلوذ بالشيخ تقي الدين ، وطلب جماعة ثم أطلقوا ، ووقع هرج في البلد ، وكان الأمير نائب السلطنة قد خرج للصيد ، وغاب نحو جمعة ثم حضر ، وكان الحافظ «جمال الدين المزي» يقرأ «صحيح البخاري» ؛ لأجل الاستسقاء فقرأ في يوم الإثنين الثاني والعشرين من رجب في أثناء ذلك فصلاً في الرد على الجهمية وأن الله فوق العرش من كتاب أفعال العباد ، تأليف البخاري تحت النسر ، فغضب لذلك بعض الفقهاء الحاضرين ، وقالوا: نحن المقصودون بهذا ، ورفعوا الأمر إلى قاضي القضاة الشافعية ، فطلبه ، ورسم بحبسه ، فبلغ ذلك الشيخ تقي الدين ، فتألم له وأخرجه من الحبس بيده ، وخرج إلى القصر وإلى ملك الأمراء وتخاصم هو والقاضي هناك ، وأثنى على الشيخ جمال الدين ، وغضب القاضي وانزعج ، وقال: لئن لم يرد إلى حبسي عزلت نفسي ، فأرضاه ملك الأمراء بأن أعاد الشيخ جمال الدين إلى حبسه ، فاعتقله بالقوصية أياماً ، وذكر الشيخ تقي الدين للنائب ما وقع في غيبته في حق بعض أصحابه من الأذى ، فرسم بحبس جماعة من أصحاب ابن الوكيل ، وأمر فنودي في البلد إنه من تكلم في العقائد حل ماله ودمه [ونهبت]^(١) داره وحنوته ، وقصد بذلك تسكين الشر والفتن ، وفي يوم الثلاثاء سابع شعبان عقد للشيخ تقي الدين مجلس ثالث بالقصر ، ورضي الجماعة بالعقيدة ، وفي هذا اليوم عزل قاضي القضاة نجم الدين بن صصري نفسه عن الحكم بسبب كلام سمعه من الشيخ كمال الدين بن الزملكاني ، لا أحب حكايته .

وفي اليوم السادس والعشرين من شعبان ورد كتاب السلطان إلى القاضي

(١) في الأصل : «نهب» وما أثبتته من «س» .

بإعادته إلى الحكم ، وفيه إنا كنا رسمنا بعقد مجلس للشيخ تقي الدين ، وقد بلغنا ما عقد له من المجالس ، وإنه على مذهب السلف ، وما قصدنا بذلك إلا براءة ساحته .

[ملخص ما حصل للشيخ في تلك المجالس] (١)

وقد ذكر الشيخ - رحمه الله - صورة ما جرى في هذه المجالس ملخصاً وعلق في ذلك شيئاً مختصراً ، فقال : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم . ملك يوم الدين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ولا ظهير ولا معين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أرسله إلى الخلق أجمعين صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً ، وعلى سائر عباد الله الصالحين ، أما بعد :

فقد سئلت أن أكتب ما حضرني ذكره مما جرى في المجالس الثلاثة المعقودة للمناظرة في أمر الاعتقاد بمقتضى ما ورد به كتاب السلطان من الديار المصرية إلى نائبه أمير البلاد لما سعى إليه قوم من الجهمية والاتحادية والرافضة وغيرهم من ذوي الأحقاد ، فأمر الأمير بجمع القضاة الأربعة ، قضاة المذاهب الأربعة وغيرهم من نوابهم والمفتين والمشايخ مما له حرمة وبه اعتداد ، وهم لا يدرون فيما قصد بجمعهم في هذا الميعاد ، وذلك يوم الإثنين / ثاني رجب المبارك عام [ق/٦٠] خمس وسبعمئة ، فقال لي : هذا المجلس عقد لك ، فقد ورد مرسوم السلطان أن أسألك عن اعتقادك ، وعمّا كتبت به إلى الديار المصرية من الكتب التي تدعو بها الناس إلى الاعتقاد ، وأظنه قال : وأن أجمع القضاة والفقهاء وتباحثون في

(١) من المطبوع .

ذلك، فقلت: / أما الاعتقاد ، فإنه لا يؤخذ عني ولا عن من هو أكبر مني ، بل يؤخذ عن الله ورسوله وما أجمع عليه سلف الأمة ، فما كان في القرآن وجب اعتقاده ، وكذلك ما ثبت في الأحاديث الصحيحة مثل «صحيح البخاري ومسلم»، وأما الكتب فما كتبت إلى أحد كتاباً ابتداءً أدعوه به إلى شيء من ذلك ، ولكنني كتبت أجوبة أجبت بها من يسألني من أهل الديار المصرية ، وغيرهم ، وكان قد بلغني أنه زور عليّ كتاب إلى الأمير ركن الدين الجاشنكير ، أستاذ دار السلطان يتضمن ذكر عقيدة محرفة ، ولم أعلم بحقيقته ، لكن علمت أن هذا مكذوب ، وكان يرُدُّ عليّ من مصر وغيرها من يسألني عن مسائل في الاعتقاد أو غيره ، فأجيبه بالكتاب والسنة ، وما كان عليه سلف الأمة ، فقال: نريد أن تكتب لنا عقيدتك، فقلت: اكتبوا ، فأمر الشيخ كمال الدين أن يكتب ، فكتب له جمل الاعتقاد في أبواب الصفات ، والقدر ، ومسائل الإيمان والوعيد والإمامة والتفضيل ، وهو أن اعتقاد أهل السنة والجماعة: الإيمان بما وصف الله به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود ، والإيمان بأن الله خالق كل شيء من أفعال العباد وغيرها ، وأنه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وأنه أمر بالطاعة وأحبها ورضيها ، ونهى عن المعصية وكرهها ، والعباد فاعل حقيقة ، والله خالق فعله ، وأن الإيمان والدين قول وعمل ، يزيد وينقص ، وأن لا تكفر أحداً من أهل القبلة بالذنوب ، ولا يخلد في النار من أهل الإيمان أحد ، وأن الخلفاء بعد رسول الله ﷺ - أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي - رضي الله عنهم - وأن مرتبتهم في الفضل كمرتبتهم في الخلافة ، ومن قدم علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار ، وذكرت هذا ونحوه .

فإني الآن قد بعد عهدي ، ولم أحفظ لفظ ما أمليته إذ ذاك ، ثم قلت
للأمير وللحاضرين : أنا أعلم أن أقواماً يكذبون عليّ كما قد كذبوا عليّ غير
مرة، وإن أملت الاعتقاد من حفطي ربما يقولون كتم بعضه أو داهن ودارى ،
فأنا أحضر عقيدة مكتوبة من نحو سبع سنين قبل مجيء التتار إلى الشام ،
وقلت قبل حضورها كلاماً قد بعد عهدي به ، وغضبت غضباً شديداً ، لكنني
أذكر أنني قلت : أنا أعلم أن أقواماً كذبوا عليّ ، وقالوا للسلطان أشياء ،
وتكلمت بكلام احتجت إليه ، مثل أن قلت : من قام بالإسلام في أوقات
الحاجة غيري ؟ ومن الذي أوضح دلائله ، وبينه وجاهد أعداءه ، وأقامه لما
مال، حين تخلى عنه كل أحد؟ فلا أحد ينطق بحجته ، ولا أحد يجاهد عنه ،
وقمت مظهرًا لحجته ، مجاهدًا عنه ، مرغباً فيه ، فإذا كان هؤلاء يطمعون في
الكلام فيّ / فكيف يصنعون بغيري ؟ ولو أن يهودياً طلب من السلطان الإنصاف [ق/٦١]
لوجب عليه أن ينصفه ، وأنا قد [أعفو]^(١) عن حقي وقد لا [أعفو]^(١)، بل قد
أطلب الإنصاف منه، وأن يحضر هؤلاء الذين يكذبون ، ليحاققوا على
افتراءهم، وقلت كلاماً أطول من هذا، من هذا الجنس، لكن بعد عهدي به،
فأشار الأمير إلى كاتب الدرج محيي الدين بأن يكتب ذلك كله ، وقلت أيضاً :
كل من خالفني في شيء مما كتبه فأنا أعلم بمذهبه منه ، وما أدري هل قلت هذا
قبل حضورها أو بعدها ، لكنني قلت أيضاً بعد حضورها وقراءتها ما ذكرت فيها
فضلاً إلا وفيه مخالف من المتتبعين إلى القبلة ، وكل جملة فيها خلاف لطائفة
من الطوائف ، ثم أرسلت من أحضرها ، ومعها كراريس بخطي من المنزل ،
فحضرت العقيدة الواسطية ، وقلت لهم هذه كانت سبب كتابتها أنه قدم من

(١) في «س» : أغفر .

أرض واسط بعض قضاة نواحيها شيخ يقال له رضي الدين الواسطي قدم علينا حاجاً ، وكان من أهل الخير والدين ، وشكى ما الناس فيه بتلك البلاد في دولة التتر من غلبة الجهل والظلم ، ودرّوس الدين والعلم ، وسألني أن أكتب عقيدة تكون عمدة له ، ولأهل بيته ، فاستعفيت من ذلك ، وقلت : قد كتب الناس عقائد متعددة فخذ بعض عقائد أئمة السنة ، فألح في السؤال وقال : ما أحب إلا عقيدة تكتبها أنت ، فكتبت له هذه العقيدة وأنا قاعد بعد العصر ، وقد انتشرت بها نسخ كثيرة في مصر والعراق وغيرهما ، فأشار الأمير بأن لا أقرأها أنا لدفع الريبة ، وأعطائها لكتابه الشيخ كمال الدين [فقرأها]^(١) على الحاضرين حرقاً حرقاً ، [والجماعة الحاضرون]^(٢) يسمعونها ، ويورد المورد منهم ما شاء ، ويعارض فيما شاء ، والأمير أيضاً يسأل عن مواضع فيها ، وقد علم الناس ما كان في نفوس طائفة من الحاضرين من الخلاف والهوى ما قد علم الناس بعضه ، وبعضه بسبب الاعتقاد وبعضه بغير ذلك ، ولا يمكن ذكر ما جرى من الكلام والمناظرات في هذه المجالس فإنه كثير لا ينضبط ، لكن أكتب ملخص ما حضرني من ذلك ، مع بُعد العهد بذلك ، ومع أنه كان يجري رفع أصوات ولغط لا ينضبط ، فكان مما اعترض عليه بعضهم لما ذكر في أولها :

ومن الإيمان بالله : الإيمان بما وصف به نفسه ، ووصفه به رسوله محمد

ﷺ ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ولا تكيف ولا تمثيل .

فقال : ما المراد بالتحريف والتعطيل ، ومقصوده أن هذا ينفي التأويل الذي

يثبته أهل التأويل ، الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره إما وجوباً وإما جوازاً ،

فقلت : تحريف الكلم عن مواضعه كما ذمه الله في كتابه ، وهو إزالة اللفظ عما

(١) في «س» : يقرؤها .

(٢) في «س» : وهم .

دل عليه من المعنى مثل تأويل بعض الجهمية لقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾^(١) أي : جرحه بأظافير الحكمة تجريحًا ، ومثل تأويلات القرامطة والباطنية وغيرهم من الجهمية والرافضة والقدرية وغيرهم ، فسكت وفي نفسه ما فيها ، وذكرت في غير هذا المجلس أنني عدلت عن لفظ التأويل إلى لفظ التحريف ؛ لأن التحريف اسم جاء القرآن بدمه ، وأنا تحريت في هذه العقيدة اتباع الكتاب والسنة فنفيت ما ذمه الله من التحريف ، ولم أذكر فيها لفظ التأويل بنفي ولا إثبات ؛ لأنه لفظ له عدة معاني ، كما بيته في موضعه من القواعد ، فإن معنى لفظ التأويل في كتاب الله غير لفظ التأويل في اصطلاح المتأخرين من أهل الأصول والفقه ، وغير معنى لفظ التأويل في اصطلاح كثير من أهل التفسير والسلف ، ولأن من المعاني التي قد تسمى تأويلاً ما هو صحيح منقول عن السلف ، فلم أنف ما تقوم به الحجة على صحته إذ ما قامت الحجة على صحته وهو منقول عن السلف فليس من التحريف ، وقلت له أيضاً : ذكرت في النفي التمثيل : ولم أذكر التشبيه ؛ لأن التمثيل نفاه الله بنص كتابه ، حيث قال : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٢) ، وقال : ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾^(٣) ، وكان أحب إليّ من لفظ ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله .

وإن كان قد يعني بنفيه معنى صحيح ، كما قد يعني به معنى فاسد ، ولما ذكرت أنهم لا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته جعل بعض الحاضرين يمتعض من ذلك ؛ لاستشعاره ما في ذلك من الرد ، ولما هو عليه ، ولكن لم يتوجه له ما يقوله

(١) [النساء : ١٦٤] .

(٢) [الشورى : ١١] .

(٣) [مريم : ٦٥] .

وأراد أن يدور عليَّ بالأسئلة التي أعلمها فلم يتمكن لعلمه بالجواب .

ولما ذكرت آية الكرسي أظن سأل الأمير عن قولنا: «لا يقربه شيطان حتى يصبح» فذكرت له حديث أبي هريرة - رضي الله عنه- في الذي كان يسرق صدقة الفطر ، وذكرت أن البخاري رواه في صحيحه^(١) .

وأخذوا يذكرون نفي التشبيه والتجسيم ويطنبون في هذا ويُعَرِّضُونَ بما ينسبه بعض الناس إلينا من ذلك فقلت : قولي من غير تكييف ولا تمثيل ينفي كل باطل، وإنما [اخترت]^(٢) هذين الاسمين ؛ لأن التكييف ماثور نفيه عن السلف، كما قال ربيعة ، ومالك ، وابن عيينة ، وغيرهم المقالة التي تلقاها العلماء بالقبول: الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، فاتفق هؤلاء السلف على أن الكيف غير معلوم لنا ، فنفيت ذلك اتباعاً لسلف الأمة ، وهو أيضاً منفي بالنص ، فإن تأويل آيات الصفات يدخل فيها حقيقة الموصوف وحقيقة صفاته ، وهذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله ، كما قد قررت ذلك في قاعدة مفردة ، ذكرتها في التأويل والمعنى ، والفرق بين علمنا بمعنى الكلام ، وبين علمنا بتأويله ، وكذلك التمثيل منفي بالنص والإجماع القديم مع دلالة العقل على نفيه ونفي التكييف إذ كنهه الباري غير معلوم للبشر، وذكرت في ضمن ذلك كلام الخطابي الذي نقل أنه مذهب السلف وهو إجراء آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه عنها ؛ إذ الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات يحتذي فيه حذوه ويتبع فيه مثاله ، فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات تكييف^(٣) ، فكذلك إثبات الصفات

(١) برقم (٣٢٧٥ ، ٥٠١٠) .

(٢) في الأصل : أخذت .

(٣) في «س» : كيفية .

إثبات وجود لا إثبات تكييف ، فقال أحد كبراء [المخالفين]^(١) :

فحينئذ يجوز أن يقال : هو جسم لا كالأجسام ، فقلت له أنا وبعض الفضلاء الحاضرين : إنما قيل إنه يوصف الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ، وليس في الكتاب والسنة أن الله جسم حتى يلزم هذا السؤال وأخذ بعض القضاة الحاضرين والمعروفين بالديانة يريد إظهار أن ينفي عنا ما يقوله ، فجعل يزيد في المبالغة في نفي التشبيه والتجسيم ، فقلت : قد ذكر فيها في غير موضع من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل .

قلت في صدرها : «ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف الله به نفسه في

كتابه/ وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل» .

ثم قلت : «وما وصف الرسول به ربه من الأحاديث الصحاح التي تلقاها

أهل المعرفة بالقبول وجب الإيمان بها كذلك» .

إلى أن قلت : «إلى أمثال هذه الأحاديث الصحاح التي يخبر فيها رسول

الله ﷺ بما يخبر به ، فإن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك كما

يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا

تمثيل ، بل هم الوسط في فرق الأمة ، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم فهم

وسط في باب صفات الله بين أهل التعطيل الجهمية ، وأهل التمثيل المشبهة ، ولما

رأى هذا الحاكم العدل ، تمالؤهم وتعصبهم ورأى قلة المعاون منهم والناصر ،

وخافهم ، قال : أنت قد صنفت اعتقاد الإمام أحمد فنقول :

هذا اعتقاد أحمد ، يعني والرجل يصنف على مذهبه فلا يعترض عليه ،

(١) في «س» : المجلس .

فإن هذا مذهب متبوع ، وغرضه بذلك قطع مخاصمة الخصوم ، فقلت : [ما خرَّجت] ^(١) إلا عقيدة السلف الصالح جميعهم ، ليس للإمام أحمد اختصاص بهذا ، والإمام أحمد إنما هو مبلغ العلم الذي جاء به النبي ﷺ ، ولو قال أحمد من تلقاء نفسه ما لم يجيء به الرسول لم قبله ، وهذه عقيدة محمد ﷺ ، وقلت مرات : قد أمهلت من خالفني في شيء منها ثلاث سنين ، فإن جاء بحرف واحد عن القرون الثلاثة التي أثنى عليها رسول الله ﷺ . . . حيث قال :

«خير القرون القرن الذي بعثت فيه ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم» ^(٢) يخالف ماذكرته ، فأنا أرجع عن ذلك ، وعلى أن آتي بنقول جميع الطوائف عن القرون الثلاثة توافق ماذكرته من الحنفية ، والمالكية ، والشافعية ، والحنبلية ، والأشعرية ، وأهل الحديث ، والصوفية ، وغيرهم .

وقلت أيضاً في غير هذا المجلس : الإمام أحمد - رضي الله عنه - لما انتهى إليه من السنة ونصوص رسول الله ﷺ أكثر مما انتهى إلى غيره ، وابتلى بالحنة ، والرد على أهل البدع أكثر من غيره ، كان كلامه وعمله في هذا الباب أكثر من غيره ، فصار إماماً في السنة أظهر من غيره ، وإلا فالأمر كما قاله بعض شيوخ المغاربة العلماء الصلحاء قال : المذهب لمالك والشافعي ، والظهور لأحمد بن حنبل ، يعني : أن الذي كان عليه أحمد عليه جميع أئمة الإسلام ، وإن كان لبعضهم من زيادة العلم والبيان ، وإظهار الحق ، ودفع الباطل ما ليس لبعضهم ، ولما جاء حديث أبي سعيد المتفق عليه في الصحيحين عن النبي ﷺ ، «يقول الله يوم القيامة : يا آدم ، فيقول : لبيك وسعديك ، فينادي بصوت :

(١) في الأصل : ما جمعت ، وما أثبتته من «س» .

(٢) رواه البخاري برقم (٣٦٥٠) ، ومسلم برقم (٢٥٣٥) ، عن عمران بن حصين ،

والحديث عندهما أيضاً من غير حديث عمران .

إن الله يأمرك أن تبعث بعثاً إلى النار...» الحديث^(١) .

سألهم الأمير : هل هذا الحديث صحيح ؟ فقلت : نعم ، هو في الصحيحين ، ولم يخالفوا في ذلك ، واحتاج المنازع إلى الإقرار به ، وطلب الأمير الكلام في مسألة الحرف والصوت ؛ لأن ذلك طلب منه ، فقلت : هذا الذي يحكى عن أحمد وأصحابه أن صوت القارئ ومداد المصاحف قديم أزلي كذب مفترى لم يقل ذلك أحمد ولا أحد من علماء المسلمين ، وأخرجت كراساً كان قد أحضر مع العقيدة وفيه ما ذكره الشيخ أبو بكر الخلال في كتاب السنة عن الإمام أحمد وما جمعه صاحبه أبو بكر الروذي من كلام أحمد ، وكلام أئمة زمانه في أن من قال : لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ، ومن قال : غير مخلوق فهو مبتدع .

قلت : فكيف بمن يقول : لفظي قديم أزلي ؟ ، فكيف بمن يقول : صوتي

غير مخلوق؟ ، فكيف بمن يقول : صوتي قديم؟/ ، وأحضرت جواب مسألة [ق/٦٤] كنت سئلت قديماً عنها فيمن حلف بالطلاق في مسألة الحرف والصوت ، ومسألة الظاهر في العرش .

وقلت : هذا جوابي ، وكانت هذه المسألة قد أرسل بها طائفة من المعاندين المتجهمة ممن كان بعضهم حاضراً في المجلس ، فلما وصل إليهم الجواب أسكتهم وكانوا قد ظنوا أنني إن أجبت بما في ظنهم أن أهل السنة تقوله ، حصل مقصوده من الشفاعة ، وإن أجبت بما يقولونه هم حصل مقصودهم من الموافقة ، فلما أجيئوا بالفرقان الذي عليه أهل السنة ، وليس هو ما يقولونه هم ، ولا ما ينقلونه عن أهل السنة ، إذ يقوله بعض الجهال بهتوا لذلك ، وفيه أن القرآن

(١) رواه البخاري برقم (٣٣٤٨) ، ومسلم برقم (٢٢٢) ، عن أبي سعيد الخدري .

كلام الله ، حروفه ومعانيه ليس القرآن اسماً لمجرد الحروف ، ولا لمجرد المعاني ، ولما جاءت مسألة القرآن [فقلت] (١) : ومن الإيمان به الإيمان بأن القرآن كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود ، نازع بعضهم في كونه منه بدأ وإليه يعود ، وطلبوا تفسير ذلك ، فقلت : أما هذا القول فهو المأثور الثابت عن السلف ، مثل ما نقله عمرو بن دينار قال : أدركت الناس منذ سبعين سنة يقولون : الله الخالق ، وما سواه مخلوق ، إلا القرآن فإنه كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود ، وقد جمع غير واحد ما في ذلك من الآثار عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين ، وأما معناه فإن قوله : منه بدأ ، أي : هو المتكلم به ، وهو الذي أنزله من لدنه ، ليس هو كما تقوله الجهمية أنه خلق في الهواء أو غيره ، وبدأ من عند غيره ، وأما إليه يعود ، فإنه يُسرى به في آخر الزمان من المصاحف والصدور ، فلا يبقى في الصدور منه كلمة ، ولا في المصاحف منه حرف ، ووافق على ذلك غالب الحاضرين ، وسكت المنازعون وخاطبت بعضهم في غير هذا المجلس بأن أريته العقيدة التي جمعها الإمام القادر بالله ، التي فيها أن القرآن كلام الله خرج منه ، فتوقف في هذا اللفظ ، فقلت :

هكذا قال النبي ﷺ ، وما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه ، يعني

القرآن .

وقال خباب بن الأرت : «يا هنتاه تقرب إلى الله بما استطعت ، فلن تتقرب

إليه بشيء أحب إليه مما خرج منه» .

وقال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - لما قرئ عليه قرآن مسيلمة

الكذاب : إن هذا الكلام لم يخرج من إلٍ ، يعني : رب .

(١) ليست في الاصلين ونقلتها من المطبوع .

ومما فيها : ومن الإيمان به الإيمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ، منه بدأ ، وإليه يعود ، وأن الله تكلم به حقيقة ، وأن هذا القرآن الذي أنزله الله على محمد ﷺ هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره ، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله ، أو عبارة ، بل إذا قرأ الناس القرآن أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله ، فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئاً ، لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً ، فامتعض بعضهم من إثبات كونه كلام الله حقيقة ، بعد تسليمه أن الله تكلم به حقيقة ثم إنه سلم ذلك لما بين له أن المجاز يصح نفيه ، وهذا لا يصح نفيه ، ولما بين له أن أقوال المتقدمين المأثورة عنهم ، وشعر الشعراء المضاف إليهم هو كلامهم حقيقة فلا يكون نسبة القرآن إلى الله بأقل من ذلك ، ولما ذكر فيها أن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئاً لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً استحسنا هذا الكلام وعظموه ، وأخذ أحد كبراء الخصوم يظهر تعظيم هذا الكلام / وأنه أزال عنه الشبهات ، ويذكر أشياء من هذا النمط .

ولما جاء ذكر ما ذكر من الإيمان باليوم الآخر وتفصيله ونظمه استحسنا ذلك وعظموه ، وكذلك لما جاء ذكر الإيمان بالقدر وأنه على درجتين ، إلى غير ذلك مما فيه من القواعد الجليلة .

وكذلك لما جاء الكلام في الفاسق الملي ، وفي الإيمان ، لكن اعترضوا على ذلك بما ساء ذكره ، وكان مجموع ما اعترض من المنازعون المعاندون بعد انقضاء قراءة جميعها ، والبحث فيها ، أربعة أسئلة :

السؤال الأول: قولنا: ومن أصول الفرقة الناجية : أن الإيمان والدين قول وعمل ، يزيد وينقص ، قول القلب واللسان ، وعمل القلب واللسان والجوارح . قالوا : إذا قيل إن هذا من أصول الفرقة الناجية ، خرج عن الفرقة الناجية

من لم يقل بذلك مثل أصحابنا المتكلمين الذي يقولون : إن الإيمان هو التصديق ، ومن يقول الإيمان هو التصديق والإقرار ، وإذا لم يكونوا من الناجين لزم أن يكونوا هالكين ؟ .

وأما الأسئلة الثلاثة : وهي التي كانت عمدتهم فأوردوها على قولنا : وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله والإيمان بما أخبر الله به في كتابه وتواتر عن رسوله ، وأجمع عليه سلف الأمة من أنه سبحانه فوق سماواته وأنه على عرشه ، علا على خلقه ، وهو معهم أينما كانوا يعلم ما هم عاملون ، كما جمع بين ذلك في قوله : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (١) .

وليس معنى قوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ ، أنه مختلط بالخلق ؛ فإن هذا لا توجهه اللغة ، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة ، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق ، بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته وهو موضوع في السماء ، وهو مع المسافر ، وغير المسافر أينما كان وهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه ، مهيمن عليهم ، مطلع إليهم ، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته ، وكل هذا الكلام الذي ذكره الله من أنه فوق العرش وأنه معنا حق على حقيقته ، لا يحتاج إلى تحريف ولكن يصاب عن الظنون الكاذبة . .

والسؤال الأول قال بعضهم :

نقر باللفظ الوارد مثل حديث العباس - رضي الله عنه - حديث الأوعال ، والله فوق العرش ، ولا نقول : فوق السموات ، ولا نقول : على العرش .

(١) [سورة الحديد : ٤] .

وقالوا أيضاً : نقول الرحمن على العرش استوى ، ولا نقول : الله على العرش استوى ، ولا نقول : مستوي ، وأعادوا هذا المعنى مراراً ، أن اللفظ الذي ورد يقال اللفظ بعينه ، ولا يُبدل بلفظ يرادفه ، ولا يفهم له معنى أصلاً ، ولا يقال : إنه يدل على صفة لله أصلاً وانبسط الكلام في هذا المجلس الثاني ، كما سنذكره إن شاء الله تعالى .

والسؤال الثاني:

قالوا: التشبيه بالقمر ، فيه تشبيه كون الله في السماء بكون القمر في السماء.

والسؤال الثالث :

قالوا : قولك حق على حقيقته ، الحقيقة هي المعنى اللغوي ، ولا يفهم من الحقيقة اللغوية إلا استواء الأجسام ، وفوقيتها ، ولم تضع العرب ذلك إلا لها ، فإثبات الحقيقة هو محض التجسيم ، ونفي التجسيم ، مع هذا تناقض أو مصانعة .

فأجبتهم عن الأسئلة بأن قولي : اعتقاد الفرقة الناجية هي الفرقة التي وصفها النبي ﷺ بالنجاة / حيث قال :

[ق/٦٦]

«تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ثنتان وسبعون في النار ، وواحدة في الجنة ، وهي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»^(١)

فهذا الاعتقاد هو المأثور عن النبي ﷺ وأصحابه ، وهم ومن اتبعهم الفرقة الناجية ، فإنه قد ثبت عن غير واحد من الصحابة أنه قال : الإيمان يزيد وينقص .

(١) صححه الألباني في الصحيحة برقم (٢٠٣) ، وعزاه لأبي داود والترمذي وابن ماجه

وغيرهم .

وكل ما ذكرته في ذلك ، فإنه مأثور عن الصحابة - رضي الله عنهم -
 بالأسانيد الثابتة لفظه أو معناه ، وإذا خالفهم من بعدهم لم يضرني ذلك ، قلت
 لهم: وليس كل مخالف في شيء من هذا الاعتقاد يجب أن يكون هالكًا ، فإن
 المنازع قد يكون مجتهدًا مخطئًا ، يغفر الله له خطأه ، وقد لا يكون بلغه في
 ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة ، وقد يكون له من الحسنات ما [يحو] (١)
 الله به سيئاته ، وإذا كانت ألفاظ الوعيد المتناولة لا يجب أن يدخل فيها المتأول ،
 والتائب وذو الحسنات الماحية والمغفور له وغير ذلك ، فهذا أولى بل موجب هذا
 الكلام أن من اعتقد ذلك نجا في هذا الاعتقاد ، ومن اعتقد ضده فقد يكون
 ناجيًا ، وقد لا يكون ناجيًا ، كما قال : من صمت نجا .

وأما السؤال الثاني : فأجبتهم أولاً بأن كل لفظ قلته هو مأثور عن النبي

ﷺ ، مثل لفظ : فوق السموات ، ولفظ : على العرش ، وفوق العرش .

وقلت : اكتبوا الجواب ، فأخذ الكاتب في كتابته ثم قال بعض الجماعة :

قد طال المجلس اليوم فيؤخر هذا إلى مجلس آخر فتكتبون أتم الجواب
 وتحضرونه في ذلك المجلس ، وأشار بعض الموافقين بأن يتم الكلام بكتابة
 الجواب لثلاث تتشر أسئلتهم ، واعتراضهم ، وكأن الخصوم كان لهم غرض في
 تأخير كتابة الجواب ، ليستعدوا لأنفسهم ويطالعوا ويحضروا من غاب من
 أصحابهم ، ويتأملوا العقيدة فيما بينهم ليتمكنوا من الطعن ، والاعتراض
 فحصل الاتفاق على أن يكون تمام الكلام يوم الجمعة ، وقمنا على ذلك وقد
 أظهر الله من قيام الحجة ، وبيان المحجة ، ما أعز به السنة والجماعة ، وأرغم به
 أهل البدعة والضلالة ، وفي نفوس كثير من الناس أمور لما يحدث في المجلس

(١) في «س» : يغفر .

الثاني وأخذوا في تلك الأيام يتأملونها ويتأملون[ما أجبتم]^(١) به في مسائل تتعلق بالاعتقاد ، مثل المسألة الحموية في الاستواء والصفات الخيرية وغيرها .

فصل

فلما كان المجلس الثاني بعد صلاة الجمعة ثاني عشر رجب وقد أحضروا أكبر شيوخهم ممن لم يكن حاضراً ذلك [اليوم]^(٢) وبحوثها فيما بينهم ، واتفقوا وتواطئوا وحضروا بقوة واستعداد غير ما كانوا عليه ؛ لأن المجلس الأول أتاهام بغتة ، وإن كان أيضاً بغتة للمخاطب الذي هو المسئول والمجيب والمناظر ، فلما اجتمعنا وقد أحضرت ما كتبت من الجواب عن أسئلتهم المتقدمة التي طلب تأخيرها إلى هذا اليوم حمدت الله بخطبة الحاجة ، خطبة ابن مسعود -رضي الله عنه - ثم قلت : إن الله أمرنا بالجماعة والاتلاف ، ونهانا عن الفرقة والاختلاف ، وقال لنا في القرآن : ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

وقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام :

١٥٩] ، وقال : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [ق/٦٧]

[آل عمران : ١٠٥] .

وربنا واحد ، وكتابتنا واحد ، ونبينا واحد ، وأصول الدين لا تحتمل التفرق والاختلاف ، وأنا أقول ما يوجب الجماعة بين المسلمين ، وهو متفق عليه بين السلف فإن وافق الجماعة ، فالحمد لله ، وإلا فمن خالفني بعد ذلك كشفت الأسرار ، وهتكت الأستار ، وبينت المذاهب الفاسدة التي أفسدت الملل والدول . وأنا أذهب إلى سلطان الوقت على البريد ، وأعرفه من الأمور ما لا أقوله

(١) في الأصل ما أجب ، وما أثبتته من «س» .

(٢) في «س» : المجلس .

في هذا المجلس ، فإن للسلم كلامًا ، وللحرب كلامًا ، وقلت : لا شك أن الناس يتنازعون فيقول هذا : أنا حنبلي ، ويقول هذا : أنا أشعري ، ويجري بينهم تفرق [وفتن]^(١) واختلاف على أمور لا يعرفون حقيقتها ، وأنا قد أحضرت ما يبين اتفاق المذاهب فيما ذكرته وأحضرت كتاب «تبيين كذب المفتري فيما ينسب إلى الشيخ أبي الحسن الأشعري» تأليف الحافظ أبي القاسم بن عساكر ، وقلت : لم يصنف في أخبار الأشعري المحموده كتاب مثل هذا ، وقد ذكر فيه لفظه الذي ذكره في كتاب «الإبانة» ، فلما انتهيت إلى ذكر المعتزلة ، سألت الأمير عن معنى المعتزلة ، فقلت : كانوا الناس في قديم الزمان قد اختلفوا في الفاسق المِلِّيِّ ، وهو أول اختلاف حدث في الملة ، هل هو كافر أو مؤمن ؟ فقالت الخوارج : إنه كافر ، وقالت الجماعة : إنه مؤمن ، فقال طائفة : نقول : هو فاسق لا مؤمن ولا كافر ، ننزله منزلة بين المنزلتين ، وخلدوه في النار ، واعتزلوا حلقة الحسن البصري ، وأصحابه ، فسموا معتزلة .

فقال الشيخ الكبير : نحسبه ورد ليس كما قلت ، ولكن أول مسألة اختلف فيها المسلمون : مسألة الكلام ، وسمي المتكلمون متكلمين ، لأجل تكلمهم في ذلك ، وكان أول من قالها عمرو بن عبيد ، ثم خلفه بعد موته عطاء بن واصل ، هكذا قال ، وذكر نحوًا من هذا ، فغضبت عليه وقلت : أخطأت ، وهذا كذب مخالف للإجماع ، وقلت له : لا أدب ولا فضيلة ، لا تأدبت معي في الخطاب ولا أصبت في الجواب ، قلت : الناس اختلفوا في مسألة الكلام في خلافة المأمون ، وبعدها في أواخر المائة الثانية ، وأما المعتزلة ، فقد كانوا قبل ذلك بكثير في زمن عمرو بن عبيد ، بعد موت الحسن البصري في أوائل المائة

(١) من «س» .

الثانية ، ولم يكن أولئك قد تكلموا في مسألة الكلام ، ولا تنازعوا فيها ، وإنما أول بدعتهم تكلمهم في مسائل الأسماء والأحكام والوعيد ، فقال : هذا ذكره الشهرستاني في كتاب «الملل والنحل» .

فقلت : الشهرستاني ذكر ذلك في اسم المتكلمين ، لم سُموا متكلمين ، لم يذكره في اسم المعتزلة ، والأمير إنما سأل عن اسم المعتزلة ، وأنكر الحاضرون عليه وقال : غلطت ، وقلت في ضمن كلامي : أنا أعلم كل بدعة حدثت في الإسلام ، وأول من ابتدعها ، وما كان سبب ابتداعها ، وأيضاً فما ذكره الشهرستاني ليس بصحيح في اسم المتكلمين ؛ فإن المتكلمين كانوا يسمون بهذا الاسم قبل تنازعهم في مسألة الكلام ، وكانوا يقولون عن واصل بن عطاء : إنه متكلم ، ويصفونه بالكلام ، ولم يكن الناس اختلفوا في مسألة الكلام ، وقلت أنا وغيري : إنما هو واصل بن عطاء ، / قلت : وواصل لم يكن بعد موت عمرو بن عبيد ، وإنما كان قرينه ، وقد روي أن واصلاً تكلم مرة بكلام ، فقال عمرو بن عبيد: لو بعث نبي [ما كان]^(١) يتكلم بأحسن من هذا.

[ق/٦٨]

وفصاحته مشهورة ، حتى قيل إنه كان ألثغ ، فكان يحترز عن الرء ، حتى قيل له : أمر الأمير أن يحفر بئر في قارعة الطريق ، فقال : أوعز القائد أن يقلب قلب في الجادة .

قال الشيخ المتقدم : لا ريب أن الإمام أحمد إمام عظيم القدر ، ومن أكبر أئمة الإسلام ، ولكن قد انتسب إليه أناس ابتدعوا أشياء .

فقلت : أما هذا فحق ، وليس هذا من خصائص أحمد ، بل ما من إمام إلا وقد انتسبت إليه أقوام هو منهم بريء ، قد انتسب إلى مالك أقوام هو منهم

(١) في الأصلين : «لكان» وما أثبتته من المطبوع .

بريء ، وانتسب إلى الشافعي كذلك ، وانتسب إلى أبي حنيفة كذلك .

وقد انتسب إلى عيسى أناس هو منهم بريء ، وكذلك إلى موسى ، وكذلك إلى علي بن أبي طالب ، ونبينا ﷺ قد انتسب إليه من القرامطة والباطنية وغيرهم من أصناف الملحدة والمنافقين من هو بريء منهم ، وذكر في كلامه أنه انتسب إلى أحمد أناس من الحشوية والمشبهة ونحو هذا الكلام ، فقلت : المشبهة والمجسمة في غير أصحاب الإمام أحمد أكثر منهم فيهم ، هؤلاء أصناف الأكراد كلهم شافعية ، وفيهم من التشبيه والتجسيم ما لا يوجد في صنف آخر ، وأهل جيلان فيهم شافعية وحنبلية ، وأما الحنبلية المحضة ، فليس فيهم من ذلك ما في غيرهم ، وكان من تمام الجواب أن الكرامية المجسمة كلهم حنفية ، وتكلمت على لفظ الحشوية ، وقلت : هذا اللفظ أول من ابتدعه المعتزلة ، فإنهم يسمون الجماعة والسواد الأعظم الحشوية ، كما تسميهم الرافضة : الجمهور ، وحشو الناس : هو عموم الناس وجمهورهم ، وهم غير الأعيان المتميزين ، يقولون : هذا من حشو الناس ، كما يقال : هذا من جمهورهم ، وأول من تكلم بهذا عمرو بن عبيد ، وقال : كان عبدالله بن عمر حشويًا ، فالمعتزلة سمو الجماعة ، حشويًا ، كما تسميهم الرافضة الجمهور ، وقلت : لا أدري في المجلس الأول أو الثاني أول من قال إن الله جسم : هشام بن الحكم الرافضي ، وقلت لهذا الشيخ : مَنْ في أصحاب أحمد الإمام من الأعيان حشوي بالمعنى الذي تريده ؟ الأثرم ؟ أبو داود ؟ المروزي ؟ الخلال ؟ أبو بكر عبد العزيز ؟ أبو الحسن التميمي ؟ ابن حامد ؟ القاضي أبو يعلى ؟ أبو الخطاب ؟ ابن عقيل ؟ ورفعتُ صوتي وقلت : سمهم ، قل لي من هم من هم ؟

أبكذب ابن الخطيب وافترائه على الناس في مذاهبهم تبطل الشريعة ،

وتندرس معالم الدين؟ كما نقل هو وغيره عنهم أنهم يقولون : إن القرآن القديم هو أصوات القارئ ، ومداد الكاتيبين ، وإنَّ الصوت والمداد قديم أزلي مَنْ قال هذا ، أو في أي كتاب وجد هذا عنهم ؟ قل لي .

وكما نقل عنهم «أن الله لا يُرى في الآخرة باللزوم الذي ادعاه والمقدمة التي نقلها عنهم ، وأخذت أذكر ما يستحقه هذا الشيخ^(١) من أنه كبير الجماعة وشيخهم ، وإن فيه من العقل والدين ، ما يستحق أن يعامل بموجبه ، وأمرت بقراءة العقيدة جميعها عليه ، فإنه لم يكن حاضراً في المجلس الأول ، وإنما أحضروه في الثاني ؛ انتصاراً به ، وحدثني الثقة عنه بعد خروجه من المجلس أنه اجتمع به ، وقال له : أخبرني عن هذا المجلس ، فقال : ما لفلان ذنب / ولا لي ، فإن الأمير سأل عن شيء ، فأجابه عنه ، فظننته سأل عن شيء آخر ، وقال : قلت لهم ما لكم على الرجل اعترض ، فإنه نصرَ ترك التأويل وأنتم تنصرون قول التأويل ، وهما قولان للأشعري ، وقال : أنا أختار قول ترك التأويل ، وأخرج وصيته التي أوصى بها ، وفيها : قول ترك التأويل ، قال الحاكمي لي : فقلت له : فبلغني عنك أنك قلت في آخر المجلس ، لما أشهدوا الجماعة على أنفسهم بالموافقة : لا تكتبوا عني نفيًا ولا إثباتًا ، فلم ذاك ؟ فقال : لوجهين :

أحدهما : أنني لم أحضر قراءة جميع العقيدة في المجلس الأول .

والثاني : لأن أصحابي طلبوني ليتصروا بي ، فما كان يليق أن أظهر مخالفتهم ، فسكتُ عن الطائفتين ، وأمرت غير مرة أن تعاد قراءة العقيدة جميعها على هذا الشيخ فرأى بعض الجماعة أن ذلك يطول ، وأنه لا يُقرأ عليه إلا المواضع التي لهم عليه سؤال ، وأعظمه لفظ الحقيقة ، فقرأه عليه ، وذكر هو

(١) كتب في هامش الأصل : أظنه الصفي الهندي كذا في المنقول عنه .

بحثًا حسنًا يتعلق بدلالة اللفظ ، فحسنه ومدحته عليه ، وقلت : لا ريب أن الله حي حقيقة ، عليم حقيقة ، سميع حقيقة ، بصير حقيقة ، وهذا متفق عليه بين أهل السنة ، والصفاتية من جميع الطوائف ، ولو نازع بعض أهل البدع في بعض ذلك ، فلا ريب أن الله موجود ، والمخلوق موجود ، ولفظ الوجود سواء كان مقولاً عليهما بطريق الاشتراك اللفظي فقط ، وبطريق التواطؤ المتضمن للاشتراك لفظاً ومعنى ، أو بالتشكيك ، الذي هو نوع من التواطؤ .

فعلى كل قول : فالله موجود حقيقة ، والمخلوق موجود حقيقة ، ولا يلزم من إطلاق الاسم على الخالق والمخلوق بطريق الحقيقة محذور ، ولم أرجح في ذلك المقام قولاً من هذه الثلاثة على الآخر ؛ لأن غرضي يحصل على كل مقصود ، وكان مقصودي تقرير ما ذكرته على قول جميع الطوائف ، وأن أبين اتفاق السلف ومن تبعهم على ما ذكرته ، وأن أعيان المذاهب الأربعة والأشعري وأكابر أصحابه على ما ذكرته ؛ فإنه قبل المجلس الثاني اجتمع بي من أكابر الشافعية ، والمتسبين إلى الأشعرية والحنفية وغيرهم ممن عظم خوفهم من هذا المجلس ، وخافوا انتصار الخصوم فيه ، وخافوا على نفوسهم أيضاً من تفرق الكلمة ، فلو ظهرت الحجة التي ينتصر بها ما ذكرته ، أو لم يكن من أئمة أصحابهم من يوافقها لصارت فرقة ، ولصعب عليهم أن يُظهروا في المجالس العامة الخروج عن أقوال طوائفهم ؛ لما في ذلك من تمكن أعدائهم من أغراضهم ، فإذا كان من أئمة مذاهبهم من يقول ذلك ، وقامت عليه الحجة وبان أنه مذهب السلف ، أمكنهم إظهار القول به مع ما يعتقدونه في الباطن من أنه الحق ، حتى قال بعض الأكابر من الحنفية وقد اجتمع بي : لو قُلتَ هذا مذهب أحمد ، وثبتَّ على ذلك ، لانتقطع النزاع ، ومقصوده أن يحصل دفع الخصوم

عنك بأنه مذهب متبوع ، ويستريح المنتصر ، والمنازع من إظهار الموافقة .

فقلت : لا والله ليس لأحمد بن حنبل بهذا اختصاص وإنما هذا اعتقاد سلف الأمة ، وأئمة أهل الحديث ، وقلت أيضاً : هذا اعتقاد رسول الله ﷺ وكل لفظ ذكرته ، فأنا أذكر به آية أو حديثاً ، أو إجماعاً سلفياً ، وأذكر من ينقل الإجماع عن السلف من جميع طوائف المسلمين أتباع الفقهاء الأربعة والمتكلمين ، وأهل الحديث ، والصوفية ، وقلت لمن خاطبني من أكابر الشافعية ، لأبين أن ما ذكرته هو قول السلف ، وقول أئمة / أصحاب الشافعي ، وأذكر قول الأشعري وأئمة أصحابه التي ترد على هؤلاء الخصوم ، وليتصرن كل شافعي ، وكل من قال بقول الأشعري الموافق لمذهب السلف ، وأبين أن القول المحكي عنه في تأويل الصفات الخبرية قول لا أصل له في كلامه ، وإنما هو قول طائفة من أصحابه ، فللأشعرية قولان ، وليس للأشعري قولان ، ولَمَّا ذكرت في المجلس أن جميع أسماء الله التي يُسمى بها المخلوق كلفظ الوجود الذي هو مقول بالحقيقة على الواجب والممكن على الأقوال الثلاثة ، تنازع كبيران ، هل هو مقولٌ بالاشتراك أو بالتواطؤ؟ فقال أحدهما : هو متواطئ ، وقال الآخر : هو مشترك لثلا يلزم التركيب ، وقال هذا قد ذكر فخر الدين أن هذا النزاع مبني على أن وجوده هل هو عين ماهيته أم لا ؟ فمن قال : إن وجود كل شيء عين ماهيته ، قال : إنه مقول بالاشتراك ، ومن قال إن وجوده قدر زائد على ماهيته ، قال : إنه مقول بالتواطؤ ، فأخذ الأول يُرجح قول من يقول : إن الوجود زائد عن الماهية ، لينصر أنه مقول بالتواطؤ .

فقال الثاني : ليس مذهب الأشعري ، وأهل السنة أن وجوده عين ماهيته ،

فأنكر الأول ذلك .

فقلت : أما متكلموا أهل السنة ، فعندهم أن وجود كل شيء عين ماهيته ،
وأما القول الآخر ، فهو قول المعتزلة ، أن وجود كل شيء قدر زائد على
ماهيته ، وكل منهما أصاب من وجه ، فإن الصواب أن هذه الأسماء مقولة
بالتواطؤ ، كما قد قررته في غير هذا الموضوع ، وأجبت عن شبهة التركيب ،
بالجوابين المعروفين ، وأما بناء ذلك على كون وجود الشيء عين ماهيته ، أو
ليس [عينها]^(١) فهو من الغلط المضاف إلى ابن الخطيب ، فإننا وإن قلنا إن وجود
الشيء عين ماهيته ، لا يجب أن يكون الاسم مقولاً عليه ، وعلى نظيره
بالاشتراك اللفظي فقط كما في جميع أسماء الأجناس ، فإن اسم السواد مقول
على هذا السواد ، وهذا السواد بالتواطؤ ، وليس عين هذا السواد هو عين هذا
السواد ، إذ الاسم دال على القدر المشترك بينهما ، وهو المطلق الكلي ، لكنه لا
يوجد مطلقاً كلياً بشرط الإطلاق إلا في الذهن ، ولا يلزم من ذلك نفي القدر
المشترك بين الأعيان الموجودة في الخارج ، فإنه على ذلك تنتفي الأسماء
المتواطئة ، وهي [جميع]^(٢) الأسماء الموجودة في اللغات ، وهي أسماء الأجناس
اللغوية ، وهو الاسم المطلق على الشيء ، وعلى كل ما شابهه سواء كان اسم
عين أو اسم صفة ، جامداً أو مشتقاً ، وسواء كان جنساً منطقياً أو فقهيّاً ، أو لم
يكن ، بل اسم الجنس في اللغة يدخل فيه الأجناس والأصناف والأنواع ، ونحو
ذلك ، وكلها أسماء متواطئة ، وأعيان مسمياتها في الخارج متميزة ، وطلب
بعضهم إعادة قراءة الأحاديث المذكورة في العقيدة ، ليظعن في بعضها فعرفت
مقصوده ، فقلت : كأنك قد استعددت للظعن في حديث الأوعال - حديث

(١) من المطبوع .

(٢) في الأصل [جمهور] وما أثبتته من «س» .

العباس بن عبد المطلب^(١) - ، وكانوا قد تعنتوا حتى ظفروا بما تكلم به زكي الدين عبد العظيم من قول البخاري في «تاريخه» عبدالله بن عميرة لا يعرف له سماع من الأحنف.

فقلت : هذا الحديث مع أنه رواه أهل السنن كأبي داود، والترمذي ، وابن ماجه، وغيرهم ، وهو مروى من طريقين مشهورين ، فالقدح في أحدهما لا يقدح في الآخر، فقال : أليس مداره على ابن عميرة ، وقد قال البخاري : لا يعرف له سماع من الأحنف ؟ ، فقلت : قد رواه إمام الأئمة ابن خزيمة في «كتاب التوحيد» ، الذي اشترط/ فيه أنه لا يحتج فيه إلا بما نقله العدل عن [ق/٧١] العدل موصولاً إلى النبي ﷺ .

قلت : والإثبات مقدم على النفي .

والبخاري إنما نفى معرفته لسماعه من الأحنف ، لم ينف معرفة الناس بهذا ، وإذا عرف غيره كإمام الأئمة الإسناد كانت معرفته وإثباته مقدماً على نفي غيره ، وعدم معرفته .

ووافق الجماعة على ذلك ، وأخذ بعض الجماعة يذكر من المدح ما لا يليق أن أحكيه ، وأخذوا يناظرون في أشياء لم تكن في العقيدة ، ولكن لها تعلق بما

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب العرش برقم (٩) ، وقال محققه : «حديث ضعيف» ، وقال : قال الحافظ في التهذيب (٥/٣٤٤) : عبدالله بن عميرة كوفي روى عن الأحنف بن قيس عن العباس حديث الأوعال ، وعنه سماك بن حرب ، وفيه عن سماك اختلاف ، قال البخاري : لا يعلم له سماع من الأحنف ، وقال مسلم في الوجدان : تفرد سماك بالرواية عنه ، وقال إبراهيم الحربي : لا أعرفه ، وذكره ابن حبان في الثقات ١.هـ .
والوليد بن أبي ثور هو ابن عبدالله بن أبي ثور الهمداني ضعفه أحمد وصالح جزرة ، وقال ابن معين : ليس بشيء ، وقال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به .
وشيوخ المصنف النضر بن سعيد أبو صهيب ضعفه ابن قانع كفا في الميزان . ١.هـ

أجبت به في مسائل ، ولها تعلق بما قد يفهمونه من العقيدة ، فأحضر بعض أكابرهم كتاب «الأسماء والصفات» للبيهقي ، فقال : هذا فيه تأويل الوجه عن السلف ، فقلت : لعلك تعني قوله تعالى :

﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

فقال : نعم ، قد قال مجاهد والشافعي ، يعني : قبله الله .

فقلت : نعم هذا صحيح عنهما ، وعن غيرهما ، وهذا حق وليست هذه الآية من آيات الصفات ، ومن عدّها من آيات الصفات فقد غلط ، كما فعل طائفة ، فإن سياق الكلام يدل على المراد حيث قال :

﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

والمشرق والمغرب الجهات ، والوجه هو الجهة ؛ يقال : أي وجه تريد ؟

أي : أي جهة ، وأنا أريد هذا الوجه ، أي : هذه الجهة ، كما قال تعالى :

﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوَلِيَّهَا﴾ [البقرة: ١٤٨] ، ولهذا قال :

﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

أي : تستقبلوا وتتوجهوا ، والله أعلم .

هذا آخر ما علقه الشيخ فيما تعلق بالمناظرة بحضرة نائب السلطان والقضاة

والفقهاء وغيرهم بالقصر .



[كتاب السلطان بإرسال الشيخ إلى مصر]^(١)

وفي يوم الاثنين خامس شهر رمضان من سنة خمس وسبعمائة، وصل كتاب السلطان بالكشف عما وقع للشيخ تقي الدين في ولاية سيف الدين جاغان، وفي ولاية القاضي إمام الدين، وبإحضاره وإحضار القاضي نجم الدين ابن صِصْرِي إلى الديار المصرية، وطلب نائب السلطان الشيخ وجماعة من الفقهاء، وسألهم عن تلك الواقعة، قُرئ عليهم المرسوم، فأجاب كل منهم بما كان عنده من تلك القضية، وكتبه عنهم صاحب الديوان محيي الدين [بن فضل الله].

وفي يوم الإثنين ثاني عشر رمضان توجه الشيخ تقي الدين^(٢)، والقاضي نجم الدين بن صصري إلى مصر على البريد، وخرج مع الشيخ خلق كثير، ويكوا وخافوا عليه من أعدائه، وأخبرت أن نائب السلطنة كان قد أشار على الشيخ بترك التوجه إلى مصر، وأنه يكاتب في ذلك، فامتنع الشيخ من ذلك ولم يقبل.

وذكر أن في توجهه إلى مصر مصالح كثيرة، وقرأت بخط بعض أصحاب الشيخ قال: ولما توجه الشيخ في اليوم الذي توجه فيه من دمشق المحروسة، كان يومًا مشهودًا غريب المثل في كثرة ازدحام الناس لوداعه ورؤيته، حتى انتشروا من باب داره إلى قريب «الجسورة» فيما بين دمشق والكسوة التي هي أول منزل منها، وهم ما بين باك وحزين، ومتعجب ومتنزه ومزاحم متغالٍ فيه.

ودخل الشيخ مدينة غزة يوم السبت، وعمل في جامعها مجلسًا عظيمًا. وفي يوم الخميس الثاني والعشرين من رمضان وصل الشيخ والقاضي إلى القاهرة.

(١) من المطبوع.

(٢) من «س».

وفي ثاني يوم بعد صلاة الجمعة جمع القضاة وأكابر الدولة بالقلعة لمحفل الشيخ ، وأراد الشيخ أن يتكلم ، فلم يمكن من البحث والكلام على^(١) [عادته وانتدب له الشمس بن عدلان خصمًا ، احتسابًا ، وادعى عليه عند القاضي ابن مخلوف المالكي أنه يقول :

إن الله فوق العرش حقيقة ، وإن الله يتكلم بحرف وصوت ، وسئل جوابه .

فأخذ الشيخ في حمد الله والثناء عليه .

فقيل له : أجب ، ما جئنا بك لتخطب .

فقال : ومن الحاكم فيّ ؟

فقيل له : القاضي المالكي .

قال : كيف يحكم فيّ وهو خصمي ؟ وغضب غضبًا شديدًا وانزعج .

فأقيم مرسومًا عليه وحبس في / برج أيامًا .

[٧٢/ق]

ثم نقل منه ليلة عيد الفطر إلى الحبس المعروف بالجلب هو وأخوه شرف

الدين عبدالله ، وزين الدين عبد الرحمن .

ثم إن نائب السلطنة «سيف الدين سيلار» بعد أكثر من سنة ، وذلك ليلة

عيد الفطر من سنة ست وسبعمائة أحضر القضاة الثلاثة ، الشافعي والمالكي

والحنفي ، ومن الفقهاء الباجي ، والجزري ، والنمراوي ، وتكلم في إخراج

الشيخ من الحبس ، فانفقوا على أنه يشترط عليه أمور ، ويلزم بالرجوع عن

بعض العقيدة ، فأرسلوا إليه من يحضره ليتكلموا معه في ذلك ، فلم يجب إلى

الحضور ، وتكرر الرسول إليه في ذلك مرات ، وصمم على عدم الحضور ،

فطال عليهم المجلس وانصرفوا عن غير شيء .

(١) إلى هنا انتهت النسخة «س» .

[إرسال الشيخ كتاباً من سجنه إلى دمشق]^(١)

وفي اليوم الثامن والعشرين من ذي الحجة من سنة ست وسبعمائة ، أخبر نائب السلطنة بدمشق ، بوصول كتاب إليه من الشيخ تقي الدين من الجب ، وأعلم بذلك جماعة ممن حضر مجلسه ، وأثنى عليه ، وقال : ما رأيت مثله ، ولا أشجع منه .

وذكر ما هو عليه في السجن : من التوجه إلى الله تعالى ، وأنه لم يقبل شيئاً من الكسوة السلطانية ، ولا من الإدرار السلطاني ، ولا تدنس بشيء من ذلك .

وفي هذا الشهر أيضاً - شهر ذي الحجة - في يوم الخميس اليوم السابع والعشرين منه طلب أخو الشيخ تقي الدين : شرف الدين عبدالله ، وزين الدين عبد الرحمن إلى مجلس نائب السلطنة سلا ، وحضر القاضي زين الدين بن مخلوف المالكي ، وجرى بينهم كلام كثير ، وأعيدا إلى موضعهما ، بعد أن بحث الشيخ شرف الدين مع القاضي المالكي ، وظهر عليه في النقل والمعرفة ، وخطأه في مواضع ادّعى فيها الإجماع ، وكان الكلام في مسألة العرش ، وفي مسألة الكلام ، وفي مسألة النزول .

وفي يوم الجمعة ثاني اليوم المذكور أحضر الشيخ شرف الدين وحده إلى مجلس نائب السلطنة ، وحضر ابن عدلان ، وتكلم معه الشيخ شرف الدين وناظره ، وبحث معه ، وظهر عليه .

وفي اليوم الرابع والعشرين من صفر من سنة سبع وسبعمائة اجتمع القاضي بدر الدين بن جماعة بالشيخ تقي الدين في دار الأوحدي بالقلعة ، بكرة الجمعة ، وتفرقا قبل الصلاة ، وطال بينهما الكلام .

(١) من المطبوع .

[إخراج ابن مهنا الشيخ من الجب]^(١)

وفي شهر ربيع الأول من سنة سبع وسبعمائة دخل الأمير حسام الدين مهنا ابن عيسى ملك العرب إلى مصر ، وحضر بنفسه إلى الجب ، فأخرج الشيخ تقي الدين بعد أن استأذن في ذلك ، فخرج يوم الجمعة الثالث والعشرين من الشهر إلى دار نائب السلطنة بالقلعة ، وحضر بعض الفقهاء ، وحصل بينهم بحث كثير ، وفرقت صلاة الجمعة بينهم .

ثم اجتمعوا إلى المغرب ، ولم ينفصل الأمر .

ثم اجتمعوا يوم الأحد بعد يومين بمرسوم السلطان مجموع النهار ، وحضر جماعة أكثر من الأولين : حضر نجم الدين بن الرفعة ، وعلاء الدين الباجي ، وفخر الدين بن بنت أبي سعد ، وعز الدين النمراوي ، وشمس الدين بن عدلان ، وجماعة من الفقهاء .

ولم يحضر القضاة ، وطلبوا ، فاعتذر بعضهم بالمرض ، وبعضهم بغيره ، وقبِلَ عذرهم نائب السلطنة ، ولم يكلفهم الحضور ، بعد أن رسم السلطان بحضورهم وانفصل المجلس على خير .

وبات الشيخ عند نائب السلطنة .

وكتب كتاباً إلى دمشق بكرة الاثنين السادس والعشرين من الشهر يتضمن خروجه ، وأنه أقام بدار ابن شقير بالقاهرة ، وأن الأمير سيف الدين سلار رسم بتأخيره عن مدة / مقام الشيخ في الجب ثمانية عشر شهراً . [ق/٧٣]

ففرح خلق كثير بخروجه ، وسرّوا بذلك سروراً عظيماً ، وحزن آخرون

(١) من المطبوع .

وغضبوا ، وامتدحه الشيخ الإمام نجم الدين سليمان بن عبد القوي بقصيدة ،
منها :

فاصبر ، ففي الصبر ما يغنيك عن حيل وكل صعب إذا صابرت هانا
ولست تعدم من خطب رميت به إحدى اثنتين : فأيقن ذلك إيقانا :
تمحيص ذنب ، لتلقى الله خالصة أو امتحاناً به تزداد قربانا
يا سعد ، إنا لنرجوا أن تكون لنا سعداً ، ومرعاك للوراد سعدانا
وأن يضربك الرحمن طائفة ولت ، وينفع من بالود والانا
يا أهل تيمية العالين مرتبة ومنصباً فرع الأفلاك تبياناً
جواهر الكون أنتم ، غير أنكم في معشر أشربوا في العقل نقصانا
لا يعرفون لكم فضلاً ، ولو عقلوا لصيروا لكم الأجفان أوطانا
يا من حوى من علوم الخلق ما قصرت عنه الأوائل مذ كانوا إلى الآنا
إن تبئلى بئلام الناس يرفعهم دهر^(١) عليك لأهل الفضل قد خانا
إني لا قسم ، والإسلام معتقدي ، وإنني من ذوي الإيمان : أيماناً :
لم ألق قبلك إنساناً أسرُّ به فلا برحت لعين المجد إنساناً
في أبيات كثيرة غير هذه ، يمدح فيها الشيخ ويذم أعداءه .

* * *

(١) قال : في هامش الأصل : قوله : «يرفعهم دهر ... إلخ» في كلامه نظر ، ففي
الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ، قال الله تعالى :
«يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر ، وأنا الدهر ، أقلب الليل والنهار» .
وفي رواية : «لا تسبوا الدهر ، فإن الله هو الدهر» .

وفي يوم الجمعة صلى الشيخ في جامع الحاكم ، وجلس ، فاجتمع إليه خلق عظيم ، وسأله بعضهم أن يتكلم بشيء يسمونه منه ، فلم يجبههم إلى ذلك بل كان يتبسم ، وينظر يمينا ويسرة .

فقال له رجل : قال الله في كتابه الكريم :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ (١) .

فنهض الشيخ قائمًا ، وابتدأ بخطبة الحاجة : خطبة ابن مسعود - رضي

الله عنه - ، ثم استعاذ بالله من الشيطان الرجيم ، وقرأ :

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦)

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧) ﴾ [الفاتحة : ١-٧]

وتكلم على تفسير قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وفي معنى

العبادة ، والاستعانة إلى أن أذن مؤذن العصر .

وفي يوم الخميس السادس من شهر ربيع الآخر من سنة سبع وسبعمائة

عقد للشيخ مجلس آخر بالمدرسة الصالحية بالقاهرة ، واجتمع فيه القضاة وغيرهم .

وكان مما جرى في المجلس - فيما بلغني - أنه قيل للشيخ : نستغفر الله

العظيم ، ونتوب إليه .

فقال الشيخ : كلنا نستغفر الله العظيم ، ونتوب إليه .

والتفت إلى رجل منهم ، فقال له : استغفر الله العظيم وتب إليه .

(١) [سورة آل عمران : ١٨٧] .

فقال : أستغفر الله العظيم وأتوب إليه ، وكذلك قال لآخر ، ولآخر ،
وكلهم يقول كذلك .

فقيل للشيخ : تب إلى الله عز وجل من كذا وكذا - وذكر له كلام .

فقال : إن كنت قلت كلاماً يستوجب التوبة فأنا تائب منه .

فقال له قائل : هذه ليست توبة .

فرد عليه الشيخ ، وجهله . ووقع كلام يطول ذكره .

ووصل كتاب الشيخ مؤرخاً بليلة الجمعة الرابع عشر من الشهر ، يذكر فيه

أنه عقد له مجلس ثالث بالمدرسة الصالحية بالقاهرة ، بعد خروج مهنا في يوم

الخميس سادس الشهر ، وأنه حصل فيه خير ، وأن في إقامته مصالح وفوائد .

* * * *

[كتاب الشيخ إلى والدته وإلى غيرها]^(١)

وقد وقفت على عدة كتب بخط الشيخ ، بعثها من مصر إلى والدته ، وإلى أخيه لأمه : بدر الدين ، وإلى غيرهما .

منها كتاب إلى والدته يقول فيه :

من أحمد بن تيمية إلى الوالدة السعيدة ، أقر الله عينها بنعمه ، وأسبغ عليها جزيل كرمه ، وجعلها من خيار إمامه وخدمه .
سلام عليكم ، ورحمة الله وبركاته .

[ق/٧٣] فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، وهو للحمد / أهل ، وهو على كل شيء قدير ، ونسأله أن يصلي على خاتم النبيين ، وإمام المتقين ، محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً .

كتابي إليكم عن نعم من الله عظيمة ، ومنز كريمة ، وآلاء جسيمة نشكر الله عليها ، ونسأله المزيد من فضله ، ونعم الله كلما جاءت في نحو وازدياد ، وأياديه جلت عن التعداد .

وتعلمون أن مقامنا الساعة في هذه البلاد ؛ إنما هو لأمر ضرورية متى أهملناها فسد علينا أمر الدين والدنيا ، ولسنا والله مختارين للبعد عنكم ، ولو حملتنا الطيور لسرنا إليكم ، ولكن الغائب عذره معه ، وأنتم لو اطلعتم على باطن الأمور ، فإنكم - والله الحمد - ما تختارون الساعة إلا ذلك ، ولم نعزم على المقام والاستيطان شهراً واحداً ، بل كل يوم نستخير الله لنا ولكم ، وادعوا لنا بالخير ، فنسأل الله العظيم أن يخير لنا ولكم وللمسلمين ، ما فيه الخير في خير وعافية .

(١) من المطبوع .

ومع هذا فقد فتح الله من أبواب الخير والرحمة والهداية والبركة ، ما لم يكن يخطر بالبال ، ولا يدور في الخيال ، ونحن في كل وقت مهمون بالسفر ، مستخIRON الله سبحانه وتعالى ، فلا يظن الظان أنا نؤثر على قربكم شيئاً من أمور الدنيا قط ، بل ولا نؤثر من أمور الدين ، ما يكون قربكم أرجح منه ، ولكن ثمّ أمور كبار ، نخاف الضرر الخاص والعام من إهمالها ، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب .

والمطلوب ، كثرة الدعاء بالخيرة ، فإن الله يعلم ، ولا نعلم ، ويقدر ، ولا نقدر ، وهو علام الغيوب ، وقد قال النبي ﷺ :

«من سعادة ابن آدم استخارته الله ، ورضاه بما يقسم الله ، ومن شقاوة ابن آدم ترك استخارة الله وسخطه بما يقسم الله له»^(١) .

والتاجر يكون مسافراً فيخاف ضياع بعض ماله ، فيحتاج أن يقيم حتى يستوفيه ، وما نحن فيه أمر يجلب عن الوصف ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، كثيراً كثيراً ، وعلى سائر من في البيت من الكبار والصغار ، وسائر الجيران ، والأهل والأصحاب واحداً ، واحداً .
والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم
تسليماً .

(١) رواه أحمد (١٦٨/١) ، والترمذي برقم (٢١٥١) ، والبزار (٣٠٥/٣) برقم (١٠٩٧) و (١٨/٤) برقم (١١٧٨) البحر الزخار) ، والحاكم (٦٩٩/١) ، وغيرهم عن سعد بن أبي وقاص . قال الترمذي : وهذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن أبي حميد ، ويقال له أيضاً : حماد بن أبي حميد ، وهو أبو إبراهيم المدني ، وليس هو بالقوي عند أهل الحديث . وقال البزار : وهذا الحديث لا نعلمه يروى بهذا اللفظ إلا عن سعد ، ولا نعلم رواه عن سعد إلا ابنه محمد ، ورواه عن إسماعيل محمد بن أبي حميد ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ، ثم قال في الإسناد الأول : وعبد الرحمن بن أبي بكر هذا لين الحديث . قلت : ولين جرح شديد عند البزار .

وصححه الحاكم ، وقال الهشيمي في المجمع (٢٧٩/٢) : وفيه محمد بن أبي حميد ، وقال ابن عدي : ضعفه بين على ما يرويه وحديثه مقارب .

[كتاب آخر للشيخ بعثه من مصر إلى دمشق] (١)

ومنها كتاب ، قال فيه : بعد حمد الله تعالى ، والصلاة على نبيه ﷺ .
 أما بعد : فإن الله - وله الحمد - قد أنعم عليّ من نعمه العظيمة ومنتها
 الجسيمة ، وآلائه الكريمة ، ما هو مستوجب لعظيم الشكر ، والثبات على
 الطاعة ، واعتياد حسن الصبر ، على فعل المأمور ، والعبد مأمور بالصبر في
 السراء أعظم من الصبر في الضراء ، قال تعالى :

﴿ وَلَئِن أَدَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَا مِنْهُ إِنِّه لَيُثْوِسُ كَفُورًا ۖ وَلَئِن أَدَقْنَا
 نَعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسْتَه لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورًا ۖ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝ (٢) ﴾ .

وتعلمون أن الله سبحانه منّ في هذه القضية من المنن التي فيها من أسباب
 نصر دينه ، وعلو كلمته ، ونصر جنده ، وعزة أوليائه ، وقوة أهل السنة
 والجماعة ، وذل أهل البدعة والفرقة ، وتقدير ما قرر عندكم من السنة ، وزيادات
 على ذلك بانفتاح أبواب من الهدى والنصر ، والدلائل ، وظهور الحق ، لأمم
 لا يُحصى عددهم إلا الله تعالى ، وإقبال الخلائق إلى سبيل السنة والجماعة ،
 وغير ذلك من المنن ، ما لا بد معه من عظيم الشكر ، ومن الصبر ، وإن كان
 صبراً في سراء .

وتعلمون أن من القواعد العظيمة ، التي هي من جماع الدين : تأليف
 القلوب ، واجتماع الكلمة ، وصلاح ذات البين ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ
 وَأَصْلِحُوا / ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۝ (٣) ﴾ ، ويقول : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۝ (٤) ﴾ ، [٧٤/ق]

(١) من المطبوع ، وكتب في هامش الأصل : كتاب آخر له - رضي الله عنه - .

(٢) [سورة هود : ٩ : ١١] .

(٣) [سورة الأنفال : الآية الأولى] .

(٤) [سورة آل عمران : ١٠٣] .

ويقول : «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» (١) .

وأشال ذلك من النصوص التي تأمر بالجماعة والاتلاف ، وتنهاي عن
الفرقة والاختلاف .

وأهل هذا الأصل : هم أهل الجماعة ، كما أن الخارجين عنه ، هم أهل
الفرقة .

وجماع السنة : طاعة الرسول ، ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح
الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة :

«إن الله يرضى لكم ثلاثاً : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعصموا
بِحبل الله جميعاً ، ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أموركم» (٢) .

وفي السنن من حديث زيد بن ثابت (٣) ، وابن مسعود (٤) - فقيهي
الصحابة - عن النبي ﷺ أنه قال :

«نضّر الله امرأ سمع منا حديثاً فبلغه إلى من لم يسمعه ، فرب حامل فقه
غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم :
إخلاص العمل لله ، ومناصحة ولاة الأمر ، ولزوم جماعة المسلمين ، فإن دعوتهم
تحيط من وراءهم» .

(١) [سورة آل عمران: ١٠٥] .

(٢) برقم (١٧١٥) .

(٣) رواه أبو داود برقم (٣٦٦٠) ، والترمذي برقم (٢٦٥٦) ، وابن ماجه برقم (٢٣٠) .

قال الترمذي : وفي الباب عن عبدالله بن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وجبير بن مطعم ، وأبي
الدرداء ، وأنس ، قال : أبو عيسى : حديث زيد بن ثابت حديث حسن .

(٤) رواه الحميدي برقم (٨٨) ، والترمذي برقم (٢٦٥٧) ، وقال : هذا حديث حسن

صحيح . ورواه الترمذي برقم (٢٦٥٨) .

وقوله : « لا يغفل » : أي : لا يحقد عليهن ، فلا يبغض هذه الخصال قلب المسلم ، بل يحبهن ويرضاهن .

وأول ما أبدا به من هذا الأصل : ما يتعلق بي ، فتعلمون - رضي الله عنكم - أنني لا أحب أن يؤذى أحد من عموم المسلمين - فضلاً عن أصحابنا - بشيء أصلاً ، لا باطنًا ولا ظاهراً ، ولا عندي عتب على أحد منهم ، ولا لوم أصلاً ، بل لهم عندي من الكرامة ، والإجلال والمحبة ، والتعظيم أضعاف أضعاف ما كان ، كل بحسبه ، ولا يخلو الرجل ، إما أن يكون مجتهداً مصيباً ، أو مخطئاً ، أو مذنباً ، فالأول : ماجور مشكور ، والثاني مع أجره على الاجتهاد : فمغفور عنه ، مغفور له ، والثالث : فالله يغفر لنا وله ، ولسائر المؤمنين .
فنظوي بساط الكلام المخالف لهذا الأصل .

كقول القائل : فلان قصر ، فلان ما عمل ، فلان أوزي الشيخ بسببه ، فلان كان سبب هذه القضية ، فلان كان يتكلم في كيد فلان ، ونحو هذه الكلمات ، التي فيها مذمة لبعض الأصحاب ، والإخوان ، فإني لا أسامح من آذاهم ، من هذا الباب ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

بل مثل هذا يعود على قائله بالملام ، إلا أن يكون له من حسنه ممن يغفر الله له إن شاء ، وقد عفا الله عما سلف .

وتعلمون أيضاً : أن ما يجري من نوع تغليظ ، أو تخشين على بعض الأصحاب والإخوان ، ما كان يجري بدمشق ، ومما جرى الآن بمصر ، فليس ذلك غضاضة ولا نقصاً في حق صاحبه ، ولا حصل بسبب ذلك تغير منا ، ولا بغض ، بل هو بعدما عومل به من التغليظ والتخشين ، أرفع قدراً ، وأنبه ذكراً ، وأحب وأعظم ، وإنما هذه الأمور هي من مصالح المؤمنين ، التي يصلح

الله بها بعضهم ببعض ، فإن المؤمن للمؤمن كاليدين ، تغسل إحداهما الأخرى ، وقد لا ينقلع الوسخ إلا بنوع من الخشونة ، لكن ذلك يوجب من النظافة والنعمة ، ما نحمد معه ذلك التخشين .

وتعلمون أنا جميعاً متعاونون على البر والتقوى ، واجب علينا نصر بعضنا بعضاً ، أعظم مما كان وأشد ، فمن رام أن يؤدي بعض الأصحاب ، أو الإخوان ، لما قد يظنه من نوع تخشين - عومل به بدمشق ، أو بمصر الساعة ، أو غير ذلك - : فهو الغالط .

وكذلك ، من ظن أن المؤمنين يخلون عما أمروا به من التعاون والتناصر ، فقد ظن ظن سوء و ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ وما غاب عنا أحد من الجماعة ، أو قدم إلينا الساعة ، إلا ومنزلته عندنا اليوم أعظم مما كانت ، وأجل ، وأرفع .

وتعلمون / - رضي الله عنكم - : أن ما دون هذه القضية من الحوادث [ق/٧٦] يقع فيها من اجتهاد الآراء ، واختلاف الأهواء ، وتنوع أحوال أهل الإيمان ، وما لا بد منه - من نزغات الشيطان - ما لا يتصور أن يعترى عنه نوع الإنسان ، وقد قال تعالى : ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (٧٢) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٧٣) ^(١) بل أنا أقول ما هو أبلغ من ذلك - تنبيهاً بالأدنى على الأعلى ، وبالأقصى على الأدنى - فأقول :

تعلمون كثرة ما وقع في هذه القضية من الأكاذيب المفتراة والأغاليط المظنونة ، والأهواء الفاسدة ، وأن ذلك أمر يجلب عن الوصف ، وكل ما قيل : من كذب وزور ، فهو في حقنا خير ونعمة ، قال تعالى :

(١) آخر سورة الاحزاب .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ
أَمْرٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١)

وقد أظهر الله من نور الحق وبرهانه ، ما رد به إفك الكاذب وبهتانه .
فلا أحب أن ينتصر من أحد بسبب كذبه على ، أو ظلمه وعدوانه ، فإني
قد أحللت كل مسلم ، وأنا أحب الخير لكل المسلمين ، وأريد بكل مؤمن من
الخير ما أحبه لنفسي .

والذين كذبوا وظلموا فهم في حل من جهتي .

وأما ما يتعلق بحقوق الله ، فإن تابوا تاب الله عليهم ، وإلا فحكم الله نافذ
فيهم ، فلو كان الرجل مشكوراً على سوء عمله ، لكنت أشكر كل من كان سبباً
في هذه القضية ، لما يترتب عليه من خير الدنيا والآخرة ، لكن الله هو المشكور
على حسن نعمه وآلائه ، وأياديه التي لا يقضي للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له .
وأهل القصد الصالح يشكرون على قصدهم ، وأهل العمل الصالح
يشكرون على عملهم ، وأهل السيئات نسأل الله أن يتوب عليهم وأنتم تعلمون
هذا من خلقي ، والأمر أزيد مما كان وأؤكد ، لكن حقوق الناس بعضهم مع
بعض ، وحقوق الله عليهم ، هم فيه تحت حكم الله .

وأنتم تعلمون أن الصديق الأكبر في قضية الإفك ، التي أنزل الله فيها
القرآن ، حلف لا يصل مسطح بن أثانة ، لأنه كان من الخائضين في الإفك ،
فأنزل الله تعالى :

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ
وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴾ (٢)

(٢) [سورة النور: ٢٢] .

(١) [سورة النور: ١١] .

فلما نزلت ، قال أبو بكر : بلى ، أحب أن يغفر الله لي ، فأعاد إلى
مِسْطَحِ النَّفْقَةِ الَّتِي كَانَ يَنْفِقُ » .

ومع ما ذكر من العفو والإحسان ، وأمثاله ، وأضعافه ، والجهاد على ما
بعث الله به رسوله من الكتاب والحكمة أمر لا بد منه

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ
يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ
عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ
الْغَالِبُونَ﴾^(١).

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين ،

وصلى الله على سيدنا

محمد وآله وسلم

تسليماً .

وقد بعث الشيخ رحمه الله إلى أقاربه وأصحابه بدمشق كتاباً غير هذه .

(١) [سورة المائدة: ٥٤-٥٦].

[شكوى الصوفية الشيخ إلى السلطان

وأمره بحبسہ] (١)

ولم يزل بمصر يعلم الناس ، ويفتيهم ، ويذكر بالله ويدعو إليه ، ويتكلم في الجوامع على المنابر بتفسير القرآن وغيره من بعد صلاة الجمعة إلى العصر ، إلى أن ضاق منه وانحصر ، واجتمع خلق كثير من أهل الخوانق والربط [ق/٧٧] والزوايا، واففقوا على / أن يشكو الشيخ إلى السلطان ، فطلع منهم خلق إلى القلعة ، وكان منهم خلق تحت القلعة ، فكانت لهم ضجة شديدة ، حتى قال السلطان : ما لهؤلاء ؟

ف قيل له : هؤلاء كلهم قد جاءوا من أجل الشيخ تقي الدين بن تيمية ، يشكون منه ، ويقولون : إنه يسبُّ مشايخهم ، ويضع من قدرهم عند الناس ، واستغاثوا [منه] (٢) وأجلبوا عليه ، ودخلوا على الأمراء في أمره ، ولم يُسقوا مكنًا .

وكان بعض الناس يأتون إلى الشيخ فيقولون له : إن الناس قد جمعوا لك جمعًا كثيرًا .

فيقول : حسبنا الله ونعم الوكيل .

وأمر من يعقد له [مجلسًا] (٣) بدار العدل .

(١) من المطبوع .

(٢) في الأصل : فيه .

(٣) في الأصل : «مجلس» وكتب في الهامش لعله : مجلسًا .

فقد له مجلس يوم الثلاثاء في العشر الأول من شوال ، من سنة سبع وسبعمائة ، وظهر في ذلك المجلس من علم الشيخ وشجاعته ، وقوة قلبه ، وصدق توكله ، وبيان حجته ، ما يتجاوز الوصف ، وكان وقتاً مشهوداً ، ومجلساً عظيماً .

وقال له كبير من المخالفين : من أين لك هذا ؟

فقال له الشيخ : من أين لا تعلمه .

وذكر بعض من حضر ذلك المجلس : أن الناس لما تفرقوا منه قام الشيخ ومعه جماعة من أصحابه .

قال : فجاء وجئت معه إلى موضع - ذكره - في دار العدل .

قال : فلما جلسنا استلقى الشيخ على ظهره ، وكان هناك حَجْر لَأَجْلِ تثقيب الحصير ، فأخذه ووضع تحت رأسه ، فاضطجع قليلاً ، ثم جلس وقال له إنسان : يا سيدي قد أكثر الناس عليك .

فقال : إن هم إلا كالذباب ، ورفع كفه إلى فيه ونفخ فيه .

قال : وقام ، وقمنا معه ، حتى خرجنا ، فأتى بحصان ، فركبه وهو يختال بدؤابته ، فلم أر أحداً أقوى قلباً ، ولا أشد بأساً منه .

قال : فلما أكثروا الشكاية منه والملام ، وأوسعوا من أجله الكلام ، رُسم بتسفيره إلى بلاد الشام .

فخرج للسفر ليلة الخميس ثاني عشر الشهر إلى جهة الشام ، ثم رُد في يوم الخميس المذكور ، وحُبِس بسجن الحاكم بحارة الديلم ، في ليلة الجمعة تاسع عشر شوال .

قال : ولما دخل الحبس وجد المحاييس مشغولين بأنواع من اللعب ، يلتهون بها عماءً هم فيه ، كالشطرنج والنرد ، ونحو ذلك من تضييع الصلوات .

فأنكر الشيخ عليهم ذلك أشد الإنكار ، وأمرهم بملازمة الصلاة ، والتوجه إلى الله بالأعمال الصالحة ، والتسبيح ، والاستغفار ، والدعاء ، وعلمهم من السنة ما يحتاجون إليه ، ورغبهم في أعمال الخير ، وحضهم على ذلك ، حتى صار الحبس بما فيه من الاشتغال بالعلم والدين خيراً من الزوايا والربط ، والخواتق والمدارس ، وصار خلق من المحاييس إذا أُطلقوا يختارون الإقامة عنده ، وكثر المترددون إليه ، حتى كان السجن يمتلئ منهم .

فلما كثر اجتماع الناس به ، وترددهم إليه ساء ذلك أعداءه ، وحصرت صدورهم ، فسألوا نقله إلى الإسكندرية ، وظنوا أن قلوب أهلها عن محبته عريّة ، وأرادوا أن يبعد عنهم خبره ، أو لعلهم يقتلونه فينقطع أثره .

فأرسل به إلى ثغر الإسكندرية ، في ليلة يسفر صباحها عن يوم الجمعة سلخ صفر من سنة تسع وسبعمائة .



[ما ذكره البرزالي في حبس الشيخ بالإسكندرية]^(١)

وذكر الشيخ البرزالي وغيره : أن في شهر شوال من سنة سبع وسبعمائة ،
شكا شيخ الصوفية بالقاهرة - كريم الدين الإبلي ، وابن عطاء ، وجماعة نحو
الخمسمائة - من الشيخ تقي الدين ، وكلامه في ابن عربي وغيره إلى الدولة .
فردَّ الأمر في ذلك إلى القاضي الشافعي .

وعقد له مجلس وادعى عليه ابن عطاء بأشياء لم يثبت شيء منها ، لكنه
قال : إنه لا يستغاث إلا بالله ، حتى لا يستغاث بالنبي ﷺ استغاثته - بمعنى
العبادة - ولكنه يتوسل به ، ويتشفع به إلى الله .

فبعض الحاضرين قال : ليس في هذا شيء .

ورأى قاضي القضاة : بدر الدين ، أن هذا فيه قلة أدب .

فحضرت رسالة إلى القاضي أن يعمل معه / ما تقتضيه الشريعة في ذلك ، [ق/٧٨]
فقال القاضي : قد قلت له ما يقال لمثله .

ثم إن الدولة خيروه بين أشياء وهي : الإقامة بدمشق ، أو الإسكندرية
بشروط ، أو الحبس ، فاختار الحبس .

فدخل عليه جماعة في السفر إلى دمشق ملتزمًا ما شرط ، فأجابهم
فأركبهم خيل البريد ليلة الثامن عشر من شوال .

ثم أرسل خلفه من الغد بريدًا آخر فردّه ، وحضر عند قاضي القضاة
بحضور جماعة من الفقهاء .

(١) من المطبوع .

فقال بعضهم له : ما ترضى الدولة إلا بالحبس .

وقال قاضي القضاة : وفيه مصلحة له .

واستتاب شمس الدين التونسي المالكي وأذن له أن يحكم عليه ، فتحير .

فقال الشيخ : أنا أمضي إلى الحبس وأتبع ما تقتضيه المصلحة .

فقال نور الدين المأذون له في الحكم : فيكون في موضع يصلح لمثله .

فقيل له : ما ترضى الدولة إلا بمسمى الحبس ، فأرسل إلى حبس

القاضي ، وأجلس في الموضع الذي أجلس فيه القاضي تقي الدين ابن بنت

الأعز ، لما حبس ، وأذن أن يكون عنده من يخدمه .

وكان جميع ذلك بإشارة الشيخ نصر المنبجي ووجاهته في الدولة .

واستمر الشيخ في الحبس يُستفتى ويقصده الناس ويزورونه ، وتأتيه

الفتاوى المشكلة من الأمراء وأعيان الناس .

قال علم الدين : وفي ليلة الأربعاء ، العشرين من شوال من سنة ثمان

وسبعمائة ، طلب أخوا الشيخ تقي الدين ، فوجد زين الدين وعنده جماعة ،

فرسم عليهم ، ولم يوجد شرف الدين ، ثم أطلق الجماعة سوى زين الدين ،

فإنه حمل إلى المكان الذي فيه الشيخ ، وهو قاعةُ الترسيم بالقاهرة ، ثم إنه

أخرج في خامس صفر سنة تسع وسبعمائة .

قال : وفي الليلة الأخيرة من شهر صفر هذا ، وهي ليلة الجمعة توجه

الشيخ تقي الدين من القاهرة إلى الإسكندرية ، مع أمير مقدم ولم يمكن أحد من

جماعته من السفر معه .

ووصل هذا الخبر إلى دمشق بعد عشرة أيام ، فحصل التألم لأصحابه
ومحبته ، وضائق الصدور وتضاعف الدعاء له .

وبلغنا : أن دخوله الإسكندرية كان يوم الأحد دخل من باب الخوخة إلى
دار السلطان ، ونقل ليلاً إلى برج في شرقي البلد .

ثم وصلت الأخبار : أن جماعة من أصحابه توجهوا إليه بعد ذلك ،
وصار الناس يدخلون إليه ويقرأون عليه ، ويتحدثون معه ، وكان الموضع الذي
هو فيه فسيحاً متسعاً .



[كتاب الشيخ شرف الدين إلى أخيه بدر الدين]^(١)

وقد رأيت كتاباً بخط الشيخ شرف الدين كتبه إلى أخيه بدر الدين بعد
توجه الشيخ إلى الإسكندرية ، يقول فيه :

من أخيه عبدالله بن تيمية :

سلام الله ورحمته وبركاته على الشيخ الإمام العالم الكبير بدر الدين ،
والى الله عليه آلاءه وأتبعها ، وأسبغ عليه نعمه ونوعها ، وأباحه منته وأينعها ،
وأيدّه بالقوة والتأييد لإقامة الحق على القريب والبعيد ، غير مقصّر ولا وانٍ ، ولا
مُفترّ ولا متوانٍ بالرأي السديد ، والعزم الوكيد ، وجمعنا وإياه في هذه الدار على
طاعته ، وفي دار القرار في دار كرامته ، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين أهل ولايته إنه ذو الفضل العظيم ، والمن
الجسيم ، والطول العميم .

(١) من المطبوع ، وكتب في هامش الاصل : كتاب أخي الشيخ - رضي الله عنهما - .

أما بعد : فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، وهو للحمد أهل ، وهو على كل شيء قدير ، وأصلي على سيد ولد آدم ، وخير خلق الله أجمعين ، وسيد رسل العالمين إلى الأسود والأحمر ، والجن والإنس ، بشيراً للمؤمنين ، ونذيراً للكافرين أتمّ الصلاة وأفضلها ، وأشرفها وأكملها ، دائمة إلى يوم الدين ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد : فنحن والجماعة في نعم الله الكاملة ، ومنته الشاملة ، التي تفوت العدّ والإحصاء ، وتعجز العقول عن تصورها ودركها ، وتُحصَرُ الألسنُ عن نعتها ووصفها ، فضلاً عن كتابتها ، فسأل الله العظيم أن يوزعنا شكرها ، وأن يديمها علينا وعلى جميع الإخوان / والمؤمنين . إنه الجواد الكريم . [ق/٧٩]

فمنها : نزول الأخ الكريم بالثغر المحروس ، فإن أعداء الله قصدوا بذلك أموراً ، يكيّدون بها الإسلام وأهله ، وظنوا أن ذلك يحصل عن قريب ، فانقلبت عليهم مقاصدهم الخبيثة المعلومة ، وانعكست من كل الوجوه ، وأصبحوا وما زالوا عند الله وعند العارفين من المؤمنين سود الوجوه ، يتقطّعون حشرات وندماً على ما فعلوه .

وأقبل أهل الثغر أجمعون إلى الأخ ، متقبلين لما يذكره وينشره ، من كتاب الله وسنة رسوله والخطّ والوقية في أعدائهما من أهل البدع والضلالات ، والكفر والجهالات خصوصاً أخصب الملاحة والاتحادية ، ثم الجهمية .

واتفق أنه وجد بها إبليس إلحادهم ، قد باض وفرخ ، ونصب بها عرشه ودوّح وأضلّ بها فريقَي السبعينية والعربية ، فمزق الله بها بقدمه الثغر جموعهم ، شدّر مدّر ؛ وهتك أستارهم [وكشف رمزهم الحاد والكفر وأسرارهم وفضحهم]^(١) ، واستتاب جماعات منهم ، وتوبّ رئيساً من رؤسائهم ، وإن كان

(١) كذا بالأصل .

عند عباد الله المؤمنين حقيراً ، وصنّف هذا التائب كتاباً في كشف كفرهم وإلحادهم ، وكان من خواص خواص اللعين عدو الله ورسوله [نصير]^(١) الملحدين ، واشتهر ذلك عند عموم المؤمنين ، وخواصهم ، من أمير وقاض ، وفقه ومفت وشيخ ، وعموم المجاهدين ، إلا من شدّ من الأغمار الجهال مع الذكّة والصغار ، حذراً على نفسه من أيدي المؤمنين وألستهم ، وعكّت كلمة الله بها على أعداء الله ورسوله ، ولعنوا لعناً ظاهراً في مجامع الناس بالاسم الخاص ، وصار بذلك عند نصير الملحد المقيم المقعد ، ونزل به من الخوف والذي ما لا يعبر عنه ، وهم أن يكيد كيداً آخر ، فوقع ما وقع عندكم بالشام من الأمر المزعج ، والكرب المقلق ، والبلاء العظيم والذل ، واستعطاف من كانوا لا يلتفتون إليه بالأموال والأنفس ، والتذلل حتى رقّ بعض الأصحاب لهم ، فزجر عن ذلك ، وقيل له :

ولا تأخذكم بهم رافة في دين الله ، إلى أمور كثيرة من المحن والبلاء ، مما لا يمكن وصفه ، فنسأل الله العظيم أن يجعل تمام [النقمة]^(٢) عليهم ، وأن يقطع دابرهم ، وأن يريح عباده وبلاده منهم ، وأن ينصر دينه وكتابه ورسوله وعباده عليهم ، وأن يوزعنا شكر هذه النعمة ، وأن يتمها علينا ، وعلى سائر المؤمنين .
وغير خاف عنك سيرتنا :

إذا أعجبتك خصال امريء فكُنْه يُكن [منه]^(٣) ما يعجبك
فليس لدى المجد والمكرامات إذا جئتها حاجب يحجبك

(١) في هامش الأصل : «هو نصر النبي الاتحادي» .

(٢) في الأصل : «النعمة» وكتب في الهامش : لعله «النقمة» .

قلت : وهو الموافق للسياق ، وجاء في المطبوع على الصواب .

(٣) من المطبوع ، وكتب في هامش الأصل : لعله يكن منه أو فيه ، أو ما يقاربه . أبو

إسماعيل يوسف حسين .

فأسأل الله العظيم ، أن يعينك ويمدِّك ، ويؤيدك بروح منه ، وأن يُقرَّ بك
أعين المؤمنين ، وأن يخزي بك الكفار والمنافقين ، وأن يوفقك لما يحبه ويرضاه ،
وأن يتولاك في جميع الأمور ، ويعينك على القيام فيها بما يرضي الله ورسوله .
والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، وعلى السعيدة الكريمة الطيبة التي
رضي الله عنها وأرضاها ، وجعل بعد اجتماعنا بها الجنة دارها ومأواها ، وأراها
وجهه الكريم في دار النعيم : الوالدة التي منحها الله تعالى - في آخر عمرها -
هذه الكرامة العظيمة ، والمنزلة الرفيعة ، والدرجة العلية ، وأكملُ السلام وأتمناه .
وعلى جميع الأهل والإخوان ، والأصحاب ، والمعارف والجيران ، كبيرهم
وصغيرهم ، قريهم ويعيدهم ، كل فرد فرد له السلام .

وغير خاف عنهم العجز عن حصرهم .

فالله تعالى يرضى عن جميعهم ، ويجمعنا وإياهم - بعد نصر دين الله
ورسوله - على ما يحبه ويرضاه .

وكتب والخاطر مشغول بأمر المسلمين ، لحدوث أمر يذكره لكم الشيخ
عبدالله ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
وسلم تسليماً .

* * * *

[ق/ ٨٠] قلت: بقي الشيخ بشجر الإسكندرية ثمانية / أشهر ، مقيماً ببرج مليح
نظيف، له شباكان : أحدهما إلى جهة البحر ، يدخل إليه من شاء ، ويتردد إليه
الأكابر والأعيان ، والفقهاء يقرأون عليه ويبحثون معه ، ويستفيدون منه .

* * * *

[إحضار الشيخ من سجن الإسكندرية إلى القاهرة] ^(١)

فلما دخل السلطان الناصر إلى مصر بعد خروجه من الكرك ، وقدمه إلى دمشق ، وتوجه منها إلى مصر - وكان دخوله إليها يوم عيد الفطر ، من سنة تسع وسبعمائة - نفذَ لإحضار الشيخ من الإسكندرية في اليوم الثامن من شوال . وخرج الشيخ منها متوجهاً إلى مصر ، ومعه خلق من أهلها يودعونه ، ويسألون الله أن يرده إليهم ، وكان وقتاً مشهوداً .

ووصل إلى القاهرة يوم السبت ثامن عشر الشهر .

واجتمع بالسلطان في يوم الجمعة الرابع والعشرين منه ، وأكرمه وتلقاه في مجلس ، حفَلَ فيه قضاة المصريين والشاميين والفقهاء وأصبح بينه وبينهم .

ولقد أخبرني بعض أصحابنا قال :

أخبرني القاضي جمال الدين بن القلانسي ، قاضي العساكر المنصورة ، فيما تذاكرت أنا وهو ذات ليلة ، حين كان الشيخ تقيُّ الدين مُعتقلاً في القلعة المنصورة - يعني قلعة دمشق - وقد أشاع بعض الجهلة وأرجف بعض المبغضين للسنة بأخبار مختلفة ، لا حقيقة لها ، لكن وقع في نفوس أصحاب الشيخ من ذلك ، ما يلقيه الشيطان في قلب الإنسان ، وما ذاك إلا من شدة الشفقة والمحبة .

فقلت له - فيما تحدثنا به : إن الناس يقولون : كيت وكيت ، وأن الشيخ ربما يخرج من القلعة ويدعى عليه ، ويُعزر ويطاق به .

(١) من المطبوع .

فقال : يا فلان هذا لا يقع منه شيء ، ولا يسمح السلطان - خلد الله
سعادته - بشيء من ذلك ، وهو أعلم بالشيخ من كل هؤلاء ويعلمه ودينه .
ثم قال : أخبرك بأمر عجيب ، وقع من السلطان في حق الشيخ تقي
الدين ، وذلك حين توجه السلطان إلى الديار المصرية ، ومعه القضاة والأعيان ،
ونائب الشام «الأفرم» .

فلما دخل الديار المصرية وعاد إلى مملكته ، وهرب سلار والشنكير ،
واستقر أمر السلطان ، جلسا يوماً [في] ^(١) دست السلطنة وأبهة الملك ، وأعيان
الأمراء من الشاميين والمصريين حضور عنده ، وقضاة مصر عن يمينه ، وقضاة
الشام عن يساره - وذكر لي كيفية جلوسهم منه ، كحسب منازلهم - قال :
وكان من جملة من هناك ابن صَصْرِي : عن يسار السلطان ، وتحت الصدر
عليّ قاضي الحنفية ، ثم بعده الخطيب جلال الدين ، ثم بعده ابن الزملكاني ،
قال : وأنا إلى جانب ابن الزملكاني ، والناس جلوس خلفه ، والسلطان على
مقعد مرتفع ، فبينما الناس على ذلك جلوس ، إذ نهض السلطان قائماً ، فقام
الناس ، ثم مشي السلطان ، فنزل عن تلك المقعدة ، ولا ندرى ما به ، وإذا
بالشيخ تقي الدين ابن تيمية - رحمه الله - مقبل من الباب والسلطان قاصداً
إليه ، فنزل السلطان عن الإيوان ، والناس قيام ، والقضاة والأمراء والدولة ،
فتسالم هو والسلطان وتكارشا ، وذهبا إلى صُفَّة في ذلك المكان ، فيها شباك إلى
بستان ، فجلسا فيها حيناً ، ثم أقبلا - ويد الشيخ في يد السلطان - فقام الناس
وكان قد جاء في غيبة السلطان تلك : الوزير فخر الدين بن الخليل ، فجلس
عن يسار السلطان فوق ابن صصري ، فلما جاء السلطان جلس على مقعدته ،

(١) من المطبوع .

وجاء الشيخ تقي الدين فجلس بين يدي السلطان على طرف مقعدته متربعا .
فشرع السلطان يُثني على الشيخ عند الأمراء والقضاة بثناء ما سمعته من
غيره قط ، وقال كلاما كثيرا ، والناس تقول معه ، ومثله القضاة والأمراء .
وكان وقتا عجيبا ، وذلك/ مما يسوء كثيرا من الحاضرين من أبناء جنسه .
وقال في الشيخ من الثناء والمبالغة ما لا يقدر أحد من أخص أصحابه أن
يقوله .

ثم إن الوزير أنهى إلى السلطان أن أهل الذمة قد بذلوا للديوان في كل سنة
سبعمئة ألف درهم ، زيادة على الجالية ، على أن يعودوا إلى لبس العمائم
البيضاء ، المعلّمة بالحمرة والصفرة والزرقة ، وأن يُعقوا من هذه العمائم المصبغة
كلها بهذه الألوان التي ألزمهم بها ركن الدين الشاشنكير .

فقال السلطان للقضاة ومن هناك : ما تقولون ؟

فسكت الناس .

فلما رآهم الشيخ تقي الدين سكتوا جثا على ركبتيه ، وشرع يتكلم مع
السلطان في ذلك بكلام غليظ ، ويردُّ ما عرضه الوزير عنهم رداً عنيفاً ،
والسلطان يسكته بترفق وتؤدة وتوقير .

فبالغ الشيخ في الكلام ، وقال ما لا يستطيع أحد أن يقوم بمثله ، ولا
بقريب منه ، حتى رجع السلطان عن ذلك ، وألزمهم بما هم عليه ، واستمروا
على هذه الصفة .

فهذه من حسنات الشيخ تقي الدين ابن تيمية - رحمه الله ورضي الله

عنه - آمين .

قال : هذا ملخص ما أخبرني به - رحمه الله - .

وكنت جلست يوماً إلى قاضي القضاة : صدر الدين قاضي الحنفية ، فقال

لي وهويضحك : تحب الشيخ تقي الدين ابن تيمية ؟

فقلت : نعم .

فقال : والله تحب شيئاً مليحاً ، وحكى لي قريباً مما ذكر ابن القلانسي ،

لكن سياق ابن القلانسي أبسط وأتم .

* * * *

[حلم الشيخ وعفوه عن ظلمه^(١)]

وسمعت الشيخ تقي الدين ابن تيمية - رحمه الله - يذكر : أن السلطان لما جلسنا بالشباك أخرج من جيبه فتاوى لبعض الحاضرين في قتله ، واستفتاه في قتل بعضهم .

قال : ففهمت مقصوده أن عنده حنقاً شديداً عليهم ، لما خلعوه وبايعوا الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير .

فشرعت في مدحهم والثناء عليهم وشكرهم ، وأن هؤلاء لو ذهبوا لم تجد مثلهم في دولتك ، أما أنا فهم في حلٍّ من حقي ومن جهتي ، وسكنت ما عنده عليهم .

قال : فكان القاضي زين الدين ابن مخلوف - قاضي المالكية - يقول بعد ذلك : ما رأينا [أفتى]^(٢) من ابن تيمية ، لم نبق ممكناً في السعي فيه ، ولما قدر علينا عفا عنا .

ثم إن الشيخ بعد اجتماعه بالسلطان - نزل إلى القاهرة ، وسكن بالقرب من مشهد الحسين ، وعاد إلى بث العلم ونشره ، والخلق يشتغلون عليه ويقرأون ، ويستفتونه ويجيبهم بالكلام والكتابة ، والأمراء والأكابر والناس يترددون إليه ، وفيهم من يعتذر إليه ويتصل بما وقع .

فقال : قد جعلت الكل في حل مما جرى .

وبعث الشيخ كتاباً إلى أقاربه وأصحابه بدمشق ، يذكر ما هو فيه من النعم العظيمة والخير الكثير ، ويطلب فيه جملة من كتب العلم يرسل بها إليه ، وقال في هذا الكتاب :

(٢) في المطبوع : «أفتى» .

(١) من المطبوع .

[كتاب الشيخ إلى أقاربه بدمشق]^(١)

تعلمون أننا بحمد الله في نعم عظيمة ، ومن جسيمة ، وآلاء متكاثرة ،
وأيدٍ متظاهرة لم تكن تخطر لأكثر الخلق ببال ، ولا تدور لهم في خيال ،
والحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، كما يحب ربنا ويرضى ، إلى أن قال :
والحق دائماً في انتصار وعلو وازدياد ، والباطل في انخفاض وسفَل
ونفاد ، وقد أخضع الله رقاب الخصوم وأذلهم غاية الذل ، وطلب أكابره من
السُّلم والانقياد ما يطول وصفه .

ونحن - والله الحمد - قد اشترطنا عليهم في ذلك من الشروط ما فيه عز
الإسلام والسنة ، وانقماص الباطل والبدعة ، وقد دخلوا في ذلك كله ، وامتنعنا ،
حتى يظهر ذلك إلى الفعل ، فلم نثق لهم بقول ولا عهد ، ولم نجبهم إلى
مطلوبهم ، حتى يصير المشروط معمولاً ، والمذكور مفعولاً ، ويظهر من عز
الإسلام والسنة للخاصة والعامة ما يكون من الحسنات التي تمحو سيئاتهم ، وقد
[ق/٨٢] أمد الله من الأسباب التي فيها عز الإسلام / والسنة وقمع الكفر والبدعة ،
بأمور يطول وصفها في كتاب .

وكذلك جرى من الأسباب التي هي عز الإسلام وقمع اليهود والنصارى ،
بعد أن كانوا قد استطالوا وحصلت لهم شوكة ، وأعانهم من أعانهم على أمرٍ
فيه ذلٌّ كبير من الناس ، فلطف الله باستعمالنا في بعض ما أمر الله به ورسوله ،
وجرى في ذلك مما فيه عز المسلمين ، وتأليف قلوبهم ، وقيامهم على اليهود
والنصارى وذل المشركين وأهل الكتاب مما هو من أعظم نعم الله على عباده

(١) من المطبوع .

المؤمنين ، ووصف هذا يطول .

وقد أرسلت إليكم كتاباً أطلب ما صنفته في أمر الكنائس ، وهي كراريس
بخطي ، قطع النصف البلدي ، وترسلون ذلك إن شاء الله تعالى ، وتستعينون
على ذلك بالشيخ جمال الدين المزني فإنه يقلب الكتب ويخرج المقلوب ،
وترسلون أيضاً من تعليق القاضي أبي يعلى الذي بخط القاضي أبي الحسين ، إن
أمكن الجميع ، وهو أحد عشر مجلداً ، وإلا فمن أوله مجلداً ، أو مجلدين ، أو
ثلاثة ، وذكر كتباً يطلبها منهم .

ولم يزل الشيخ مستمراً على عادته من [الاشتغال بتعليم الناس]^(١) ونفعهم
وموعظتهم والاجتهاد في سبيل الخير .



(١) في الأصل : «اشتغال الناس» وما أثبتناه من المطبوع .

[قيام جماعة من الفوغاء على الشيخ بجامع مصر]^(١)

[وضربه وقيام أهل الحسينية وغيرهم انتصاراً للشيخ ثم صفحه هو عن

آذوه]

فلما كان في رابع شهر رجب من سنة إحدى عشرة وسبعمائة جاء رجل -
فيما بلغني - إلى أخيه الشيخ شرف الدين ، وهو في مسكنه بالقاهرة ، فقال
له : إن جماعة بجامع مصر قد تعصبوا على الشيخ ، وتفردوا به وضربوه .
فقال : حسبنا الله ونعم الوكيل ، وكان بعض أصحاب الشيخ جالساً عند
شرف الدين ، قال : فقمنا من عنده ، وجئنا إلى مصر ، فوجدنا خلقاً كثيراً
من الحسينية وغيرها رجالاً وفرساناً يسألون عن الشيخ ، فجئنا فوجدناه بمسجد
الفخر كاتب الممالك على البحر ، واجتمع عنده جماعة ، وتتابع الناس ، وقال
له بعضهم : يا سيدي ، قد جاء خلق من الحسينية ، ولو أمرتهم أن يهدموا
مصر كلها لفعلوا .

فقال لهم الشيخ : لأي شيء ؟ قال : لأجلك .

فقال لهم : هذا [ما يجوز]^(٢) .

فقالوا : نحن نذهب إلى بيوت هؤلاء الذين آذوك فنقتلهم ونخرب

دورهم ، فإنهم شؤشوا على الخلق ، وأثاروا هذه الفتنة على الناس .

فقال لهم : هذا ما يحل .

قالوا : فهذا الذي قد فعلوه معك يحل ؟ هذا شيء لا نصبر عليه ، ولا بد

أن تروح إليهم ونقاتلهم على ما فعلوا .

(١) من المطبوع .

(٢) كذا في الاصل ، وفي المطبوع : «ما يحق» .

والشيخ ينهاهم ويزجرهم .

فلما أكثروا في القول قال لهم : إما أن يكون الحق لي ، أو لكم ، أو لله ، فإن كان الحق لي ، فهم في حل منه ، وإن كان لكم فلإن لم تسمعوا مني فلا تستفتوني ، فافعلوا ما شئتم ، وإن كان الحق لله ، فالله يأخذ حقه إن شاء كما يشاء .

قالوا: فهذا الذي فعلوه معك هو حلال لهم ؟

قال : هذا الذي فعلوه قد يكونون مثابين عليه ماجورين فيه .

قالوا: فتكون أنت على الباطل وهم على الحق ؟ فإذا كنت تقول: إنهم

ماجورين فاسمع منهم ووافقهم على قولهم .

فقال لهم : ما الأمر كما تزعمون ، فإنهم قد يكونون مجتهدين مخطئين ،

ففعلوا ذلك باجتهادهم ، والمجتهد المخطئ له أجر .

فلما قال لهم ذلك ، قالوا: فقم واركب معنا ، حتى نجيء إلى القاهرة .

فقال : لا وسأل عن وقت العصر ، فقيل له : إنه قريب ، فقام قاصداً

إلى الجامع لصلاة العصر :

فقيل له : يا سيدي قد تواصلوا عليك ليقتلوك ، وفي الجامع قد يتمكنون

منك ، بخلاف غيره ، فصل حيث كان .

فأبى إلا المضي إلى الجامع والصلاة فيه .

فخرج وتبعه خلق كثير لا يرجعون عنه ، فضاقت الطريق بالناس ، فقال

له من كان قريباً منه : ادخل إلى هذا المسجد - مسجد في الطريق - واقعد فيه

حتى يخف الناس ، لثلاث يموت أحد من الزحام .

فدخل ولم يجلس فيه ، ووقف وأنا معه ، فلما خف الناس خرج يطلب

الجامع العتيق فمرّ في طريقه على قوم يلعبون بالشطرنج / على مسطبة بعض حوائت الحدادين ، فنفض الرقعة وقلبها ، فبهت الذي يلعب بها والناس من فعله ذلك .

ثم مشى قاصداً للجامع ، والناس يقولون : هنا يقتلونه ، الساعة يقتلونه . فلما وصل إلى الجامع ، قيل : الساعة يغلق الجامع عليه وعلى أصحابه ويقتلون .

فدخل الجامع ودخلنا معه ، فصلى ركعتين ، فلما سلمَ منهما أذن المؤذن بالعصر ، فصلى العصر ، ثم افتتح بقراءة : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ١] ، ثم تكلم في المسألة التي كانت الفتنة بسببها إلى أذان المغرب .

فخرج أتباع خصومه ، وهم يقولون : والله لقد كنا غالطين في هذا الرجل لقيامنا عليه ، والله إن الذي يقوله هذا ، هو الحق ، ولو تكلم هذا بغير الحق لم نمهله إلى أن يسكت ، بل كنا نبادر إلى قتله ، ولو كان هذا يبطن خلاف ما يظهر لم يخف علينا ، وصاروا فرقتين يخاصم بعضهم بعضاً .

قال : ورُحنا مع الشيخ إلى بيت ابن عمه على البحر فبتنا عنده .



[واقعة أخرى في أذى الشيخ بمصر]^(١)

وقال الشيخ علم الدين : وفي العشر الأوسط من رجب من سنة إحدى عشرة وسبعمائة ، وقع أذى في حق الشيخ تقي الدين بمصر ، وظفر به بعض المبغضين له في مكان خال ، وأساء عليه الأدب ، وحضر جماعة كثيرة من الجند وغيرهم إلى الشيخ بعد ذلك لأجل الانتصار له ، فلم يجب إلى ذلك .
وكتب إليّ المقاتلي يذكر أن ذلك وقع من فقيه بمصر ، يعرف بالمبدي ، حصل منه إساءة أدب ثم بعد ذلك طلب وتودّد ، وشفع فيه جماعة ، والشيخ ما تكلم ولا اشتكى ، ولو حصل منه شكوى أهين ذلك غاية الإهانة ، لكن قال : أنا ما أنتصر لنفسي .

وأقام الشيخ بعد هذا مدة بالديار المصرية .



(١) من المطبوع .

[خروج الشيخ إلى الشام

مع الجيش المصري]^(١)

ثم إنه توجه إلى الشام ، صحبة الجيش المصري قاصداً [الفُراة] ، فلما وصل معهم إلى عسقلان توجه إلى بيت المقدس ، وتوجه منه إلى دمشق ، وجعل طريقه على عَجَلون ، وبعض بلاد السواد ، ووزَّعَ ، ووصل إلى دمشق في أول يوم من شهر ذي القعدة سنة اثنتي عشرة وسبعمائة ، ومعه أخواه وجماعة من أصحابه ، وخرج خلق كثير لتلقيه ، وسروا سروراً عظيماً بمقدمه وسلامته وعافيته . وكان مجموع غيبته عن دمشق سبع سنين وسبع جمع .
وقد توفي في أثناء غيبة الشيخ عن دمشق غير واحد من كبار أصحابه وساداتهم .



(١) من المطبوع .

[ترجمة الشيخ عماد الدين ابن شيخ الحزاميين^(١)]

منهم الشيخ الإمام القدوة الزاهد العارف عماد الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الواسطي ، المعروف بابن شيخ الحزاميين^(٢) .

توفي يوم السبت السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر من سنة إحدى عشرة وسبعمائة .

وكان رجلاً صالحاً ، ورعاً ، كبير الشأن ، منقطعاً إلى الله ، متوفراً على العبادة والسلوك .

وكان قد كتب رسالة وبعثها إلى جماعة من أصحاب الشيخ وأوصاهم فيها بملازمة الشيخ ، والحث على اتباع طريقته ، وأثنى فيها على الشيخ ثناءً عظيماً .
وهذه نسخة الرسالة التي كتبها :

[كتاب نفيس جداً للشيخ عماد الدين

في الثناء على الشيخ ابن تيمية والوصاية به^(٣)،^(٤)]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسبحان الله وبحمده ، تقدَّس في علوه وجلاله ، وتعالى في صفات كماله ، وتعاضم في سُبُحات فردانيته وجماله ، وتكرَّم في إفضاله

(١) من المطبوع .

(٢) نسبة إلى فرقة من الأحمدية الرفاعية ، وكان أبوه شيخاً لهم «الشذرات (٤/٦)» .

(٣) من المطبوع .

(٤) هذا الكتاب يعرف باسم : «التذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار» وهو رسالة مطبوعة مستقلة بتحقيق الشيخ الفاضل / علي بن حسن بن عبد الحميد الحلبي، وحققها الدكتور/ عبدالرحمن الفريواني .

وجمال نواله ، جل أن يمثَّل بشيء من مخلوقاته ، أو يحاط به ، بل هو المحيط بمبتدعاته ، لا تصوره الأوهام ولا تُقَلُّه الأجرام ولا يعقل كنه ذاته البصائر ولا الأفهام .

[ق/٨٣] الحمد لله مؤيد الحق وناصره ، [ودامغ]^(١) الباطل وكاسره ، ومعز الطائع وجابره ، ومذل الباغي وداثره^(٢) ، الذي سعد بحظوة الاقتراب من قدسه من قام بأعباء الاتباع في [بنانه]^(٣) وأسَّه ، وفاز بمحبوبيته في ميادين أنسه ، من بذل ما يهواه في طلبه من قلبه وحسه ، وتثبت / في مهامه الشكوك منتظراً زوال لبسه ، وسبحانه وبحمده له المثل الأعلى ، والنور الأتم الأجلي ، والبرهان الظاهر في الشريعة المثلى .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الذي شهدت لوحدانتيه الفطر ، وأسلم لربوبيته ذو العقل والنظر ، وظهرت أحكامه في الآي والسور ، وتمَّ اقتداره في تنزل القدر .

وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله ، الذي شهدت بنوته الهواتف والأخبار ، فكان قبل ظهوره ينتظر ، وتلاحقت عند مبعثه معجزاته من حين الجذع^(٤) وانقياد الشجر^(٥) ، صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه أهل الخشية والحذر ، والعلم المنور ، فهم قدوة التابع للأثر .

(١) في المطبوع : ودافع .

(٢) ماحيه ودارسه .

(٣) كذا بالأصل ، وكتب بالهامش : لعله بنيانه .

(٤) صحيح .

أخرجه أحمد (٣/٣٠) ، والبخاري (٢٠٩٥) ، (٣٥٨٢) من حديث جابر بن عبدالله -

رضي الله عنه - .

(٥) أخرجه مسلم (٣٠١٢) من حديث جابر - رضي الله عنه - .

ويعد : فهذه رسالة سطرّها العبد الضعيف الراجي رحمة ربه وغفرانه
وكرمه وامتنانه أحمد بن إبراهيم الواسطي ، عامله الله بما هو أهله ، فإنه أهل
التقوى وأهل المغفرة .

إلى إخوانه في الله السادة العلماء : والأئمة الأتقياء ، ذوي العلم النافع ،
والقلب الخاشع ، والنور الساطع ، الذين كساهم الله كسوة الاتباع ، وأرجو من
كرمه أن يحققهم بحقائق الانتفاع .

السيد الأجل العالم الفاضل فخر المحدثين ، ومصباح المتعبدین المتوجه إلى
رب العالمين ، تقي الدين أبي حفص عمر بن عبدالله بن عبد الأحد بن شقير .
والشيخ الأجل ، العالم الفاضل السالك المناسك ، ذي العلم والعمل ،
المكتسب من الصفات الحميدة أجمل الحلل ، الشيخ شمس الدين محمد بن
عبدالأحد الأمدي .

والسيد الأخ ، العالم الفاضل ، السالك الناسك ، التقي الصالح ، الذي
سما نور قلبه لائح على صفحات وجهه ، شرف الدين محمد بن المنجّي .
والسيد الأخ ، الفقيه العالم النبيل ، الفاضل فخر المحصلين ، زين الدين
عبد الرحمن بن محمود بن عبيدان البعلبكي .

والسيد الأخ العالم الفاضل ، السالك الناسك ، ذي اللب الراجح والعمل
الصالح ، والسكينة الوافرة ، والفضيلة الغامرة ، نور الدين محمد بن محمد بن
محمد بن الصافغ .

وأخيه السيد الأخ ، العالم التقي الصالح الخيّر الدين ، العالم الثقة الأمين
الراجح ، ذي السمات الحسن ، والدين المتين في اتباع السنن ، فخر الدين محمد .
والأخ العزيز الصالح ، الطالب لطريق ربه ، والراغب في مرضاته ووجهه ،

العالم الفاضل ، الولد شرف الدين محمد بن سعد الدين سعد الله بن نجيح .
 وغيرهم من اللائذين بحضرة شيخهم وشيخنا السيد الإمام [الأمة] (١)
 الهمام، محيي السنة ، وقاطع البدعة ، ناصر الحديث ، مفتي الفرق ، الفائق
 عن الحقائق ، وموصلها بالأصول الشرعية للطالب الذائق ، الجامع بين الظاهر
 والباطن ، فهو يقضي بالحق ظاهراً وقلبه في العلى قاطن ، أنموذج الخلفاء
 الراشدين ، والأئمة المهديين ، الذين غابت عن القلوب سيرهم ، ونسيت الأمة
 حذوهم وسبلهم ، فذكرهم بها الشيخ ، فكان في دارس نهجهم سالكاً ،
 ولموات حذوهم محيياً ، ولأعنة قواعدهم مالكاً : الشيخ الإمام تقي الدين أبو
 العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية ، أعاد الله [علينا] (٢)
 بركته ، ورفع إلى مدارج العلى درجته ، وأدام توفيق السادة المبدؤ بذكرهم
 وتسديدهم ، وأجزل لهم حظهم ومزيدهم :

السلام عليكم معشر الإخوان ورحمة الله وبركاته ، جعلنا الله وإياكم ممن
 ثبت على قرع نوائب الحق جأشه ، واحتسب لله ما بذله من نفسه في إقامة
 دينه ، وما احتوشته من ذلك وحاشة واحتذى حذو السبِّق الأولين ، من
 المهاجرين والأنصار والذين لم تأخذهم في الله لومة لائم ، فما ضرهم من
 خذلهم ولا من خالفهم مع / قلة عددهم في أول الأمر . [ق/٨٥]

فكانوا مع ذلك كلُّ منهم مجاهد بدين الله قائم ، ونرجو من كرم الله
 تعالى أن يوفقنا لأعمالهم ، ويرزق قلوبنا قسطاً من أحوالهم ، وينظمنا في
 سلكهم ، تحت [سجعتهم] (٣) ولوائهم ، مع قائدهم وإمامهم سيد المرسلين ،
 وإمام المتقين ، محمد صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أذكركم رحمكم الله بما أنتم به عالمون ، عملاً بقوله تعالى : ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ

(١) كتب في هامش الأصل : قال ابن مسعود : الأمة معلم الناس الخير . «بغوي» .

(٢) من المطبوع . (٣) في المطبوع : سجتهم .

الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ .

وأبدأ من ذلك بأن أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله ، وهي وصية الله تعالى
إلينا وإلى الأمم من قبلنا ، كما بين سبحانه وتعالى قائلاً وموصياً :

﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (٢) .

وقد علمتم تفاصيل التقوى على الجوارح والقلوب ، بحسب الأوقات
والأحوال ، من الأقوال والأعمال ، والإرادات ، والنيات .

وينبغي لنا جميعاً أن لا نقنع من الأعمال بصورها حتى نطالب قلوبنا بين
يدي الله تعالى بحقائقها ، ومع ذلك فلتكن لنا همة علوية ، تترامى إلى أوطان
القرب ، ونفحات المحبوبة والحب ، فالسعيد من حظي من ذلك بنصيب ،
وكان مولاه منه على سائر الأحوال قريباً بخصوص التقريب فيكتسي العبد من
ذلك ثمرة الخشية والتعظيم للعزیز العظيم ، فالحب والخشية ثابتان في الكتاب
العزیز والسنة الماثورة ، قال تعالى : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ (٣) ، ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ
حُبًّا لِلَّهِ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (٥) .

وفي الحديث :

«أسألك حبك وحب من أحبك ، وحب عمل من يقربني إلى حبك» (٦) .

(١) [سورة الذاريات : ٥٥] .

(٢) [سورة النساء : ١٣١] .

(٣) [سورة المائدة : ٥٤] .

(٤) [سورة البقرة : ١٦٥] .

(٥) [سورة فاطر : ٢٨] .

(٦) رواه أحمد (١/٣٦٨) ، والترمذي (٣٢٣٥) .

وفي الحديث :

«لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله»^(١).

ومعلوم أن الناس يتفاوتون في مقامات الحب والخشية ، في مقام أعلى من مقام ، ونصيب أرفع من نصيب ، فلتكن همة أحدنا من مقامات الحب والخشية أعلاه، ولا يقنع إلا بذروته وذراه ، فالهمم القصيرة تقنع بأيسر نصيب ، والهمم العلية تعلق مع الأنفاس إلى قريب الحبيب لا يشغلنا عن ذلك ما هو دونه من الفضائل ، والعاقل لا يقنع بأمر مفضول عن حال فاضل ، ولتكن الهمة منقسمة على نيل المراتب الظاهرة ، وتحصيل المقامات الباطنة ، فليس من الإنصاف الانصباب إلى الظواهر والتشاغل عن المطالب العلوية ذوات الأنوار البواهر .

وليكن لنا [جميعاً]^(٢) بين الليل والنهار ساعة ، نخلو فيها برينا جل اسمه، وتعالى قدسه ، نجتمع بين يديه في تلك الساعة همومنا ، ونطرح أشغال الدنيا من قلوبنا ، فتزهد فيما سوى الله ساعة من نهار ، فبذلك يعرف الإنسان حاله مع ربه ، فمن كان له مع ربه حال ، تحركت في تلك الساعة عزائمه ، وابتهجت بالمحبة والتعظيم سرائره ، وطارت إلى العلى زفراته وكوامنه، وتلك الساعة أنموذج لحالة العبد في قبره ، حين خلوه عن ماله حبه فمن لم يخل قلبه ساعة من نهار ، لما احتوشه من الهموم الدنيوية ، وذوات [الأصار]^(٣) ، فليعلم

(١) رواه البخاري (١٠٤٤) ، ومسلم (٩٠١) ، إلى قوله : «كثيراً» ، ورواه بنحوه تماماً أحمد (١٧٣/٥) ، وغيره ، وله شاهد من حديث أبي الدرداء ، وصححه الشيخ الألباني -رحمه الله- في صحيح الجامع (٥١٣٨) ، وقوله : «تجأرون» أي : تستغيثون ، والصعدات: الطرق.

وانظر تعليق الشيخ علي بن حسن الحلبي على الحديث ص ٢٦ .

(٢) في الأصل : «جمعاً» وما أثبتته من المطبوع .

(٣) الأصار : الذنوب .

أنه ليس له ثم رابطة علوية ، ولا نصيب من المحبة ولا المحبوبة ، فليكن على نفسه ، ولا يرضى منها إلا بنصيب من قرب ربه وأنسه .

فإذا حصلت لله تلك الساعة ، أمكن إيقاع الصلوات الخمس على غمطها من الحضور والخشوع ، والهيبة للرب العظيم في السجود والركوع .

فلا ينبغي لنا أن نبخل على أنفسنا في اليوم واللييلة من أربع وعشرين ساعة بساعة واحدة لله الواحد القهار ، نعبده فيها حق عبادته ، ثم نجتهد على إيقاع الفرائض على ذلك النهج في رعايته ، وذلك طريق لنا جميعاً إن شاء الله تعالى إلى / النفوذ ، فالفقيه إذا لم ينفذ في علمه حصل له الشطر الظاهر ، وفاته الشطر الباطن ، لاتصاف قلبه بالجمود ، وبعده في العبادة ، والتلاوة عن لين القلوب والجلود ، كما قال تعالى :

﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ

اللَّهِ﴾ (١)

وبذلك يرتقي الفقيه عن فقهاء عصرنا ، ويتميز به عنهم ، فالنافذ من الفقهاء له البصيرة المنورة ، والذوق الصحيح ، والفراسة الصادقة ، والمعرفة التامة ، والشهادة على غيره بصحيح الأعمال وسقيما ، ومن لم ينفذ لم تكن له هذه الخصوصية ، وأبصر بعض الأشياء وغاب عنه بعضها .

فيتعين علينا جميعاً طلب النفوذ إلى حضرة قرب المعبود ، ولقائه بذوق الإيقان ، لنعبده كأننا نراه ، كما جاء في الحديث (٢) .

وبعد ذلك الخطوة في هذه الديار [بلقاء] (٣) رسول الله ﷺ ، غيباً في

(١) [سورة الزمر : ٢٣] .

(٢) رواه البخاري (٥٠) ، ومسلم (٩) ، عن أبي هريرة ، ورواه مسلم (٨) عن عمر .

(٣) في الأصل : «تلقاء» وما أثبتته من المطبوع .

غيب، وسراً في سر ، بالعكوف على معرفة أيامه وسننه واتباعها ، فتبقى البصيرة شاخصة إليه ، تراه عياناً في الغيب ، كأنها معه ﷺ ، وفي أيامه ، فيجاهد على دينه ، ويبدل ما استطاع من نفسه في نصرته .

وكذلك من سلك في طريق النفوذ يُرَجَى له أن يلقي ربه بقلبه غيباً في غيب، وسراً في سر، فيرزق القلب قسطاً من المحبة والخشية ، والتعظيم اليقيني، فيرى الحقائق بقلبه من وراء ستر رقيق ، وذلك هو المعبر عنه بالنفوذ ، ويصل إلى قلبه من وراء ذلك الستر ما يغمره من أنوار العظمة والجلال والبهاء والكمال ، فيتنور العلم الذي اكتسبه العبد ، ويبقى له كيفية أخرى زائدة على الكيفية المعهودة من البهجة والأنوار ، والقوة في الإعلان والإسرار .

فلا ينبغي لنا أن نتشاغل عن نيل هذه الموهبة السنية ، بشواغل الدنيا وعمومها، فنقطع بذلك - كما تقدم - بالشيء المفضول عن الأمر المهم الفاضل، فإذا سلكنا في ذلك برهة من الزمان ، ورزقنا الله تعالى نفوذاً ، وتمكنا في ذلك النفوذ فلا تعود هذه العوارض الجزئيات الكونيات تؤثر فينا إن شاء الله تعالى .

وليكن شأن أحدنا اليوم : التعديل بين المصالح الدنيوية والفضائل العلمية والتوجهات القلبية ، ولا يقنع أحدنا بأحد هذه الثلاثة عن الآخرين ، فيفوته المطلوب ، ومتى اجتهد في التعديل فإنه إن شاء الله تعالى بقدر ما يحصل للعبد جزء من أحدهم ، حصل جزءاً من الآخر ، ثم بالصبر على ذلك تجتمع الأجزاء المحصلة ، فتصير مرتبة عالية عند النهاية - إن شاء الله تعالى - .

هذا ، وإن كنتم - أيكم الله تعالى - بذلك عالمين ، لكن الذكرى تنفع

المؤمنين .

فصل

واعلموا - أيدكم الله - أنه يجب عليكم أن تشكروا ربكم تعالى في هذا العصر ، حيث جعلكم بين جميع أهل هذا العصر كالشامة البيضاء في الحيوان الأسود ، لكن من لم يسافر إلى الأقطار ، ولم يتعرف أحوال الناس ، لا يدري قدر ما هو فيه من العافية ، فأنتم إن شاء الله تعالى في حق هذه الأمة أولى ، كما قال تعالى :

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (١).

وكما قال تعالى : ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (٢).

أصبحتم إخواني تحت سنجق^(٣) رسول الله ﷺ ، إن شاء الله تعالى ، مع شيخكم وإمامكم ، وشيخنا وإمامنا المبدوء بذكره - رضي الله عنه - قد تميزتم عن جميع أهل الأرض ، فقهاؤها وفقرائها ، وصوفيتها ، وعوامها : بالدين الصحيح .

وقد عرفتم ما أحدث الناس من الإحداث ، في الفقهاء والفقراء والصوفية والعوام ، فأنتم اليوم في مقابلة / الجهمية من الفقهاء ، نصرتم الله ورسوله في [ق/٨٧] حفظ ما أضعوه من دين الله ، تصلحون ما أفسدوه من تعطيل صفات الله .

وأنتم أيضاً في مقابلة من لم ينفذ في علمه من الفقهاء إلى رسول الله

(١) [سورة آل عمران : ١١٠] .

(٢) [سورة الحج : ٤١] .

(٣) لوائه ورايته .

ﷺ، وجمد على مجرد تقليد الأئمة فإنكم قد نصرتم الله ورسوله في تنفيذ العلم إلى أصوله من الكتاب والسنة ، واتحاد أقوال الأئمة تأسياً بهم لا تقليداً لهم .

وأنتم أيضاً في مقابلة ما أحدثته أنواع الفقراء من الأحمدية والحيرية من إظهار شعار المكاء والتّصدية ، ومؤاخاة النساء والصبيان ، والإعراض عن دين الله إلى خرافات مكذوبة عن مشايخهم واستنادهم إلى شيوخهم وتقليدهم في صائب حركاتهم وخطائهم ، وإعراضهم عن دين الله الذي أنزله من السماء .

فأنتم بحمد الله تجاهدون هذا الصنف أيضاً كما تجاهدون من سبق ، حفظتم من دين الله ما أضاعوه، وعرفتم ما جهلوه، تُقَوِّمون من الدين ما عوجوه، وتصلحون منه ما أفسدوه .

وأنتم أيضاً في مقابلة رسمية الصوفية والفقهاء ، وما أحدثوه من الرسوم الوضعية ، والأصاير الابتداعية ، من التصنيع باللباس ، والإطراق والسجادة لنيل الرزق من المعلوم ، ولبس البقيار والأكمام الواسعة في حضرة الدرس ، وتميق الكلام، والعدو بين يدي المدرس راكعين ، حفظاً للمناصب ، واستجلاباً للرزق والإدراك .

فخلط هؤلاء في عبادة الله غيره ، وتألهاوا سواه ، ففسدت قلوبهم من حيث لا يشعرون ، يجتمعون لغير الله بل للمعلوم ، ويلبسون للمعلوم ، وكذلك في أغلب حركاتهم يراعون ولاية المعلوم ، فضيعوا كثيراً من دين الله وأماتوه، وحفظتم أنتم ما ضيعوه ، وقومتم ما عوجوه .

وكذلك أنتم في مقابلة ما أحدثته الزنادقة من الفقراء والصوفية من قولهم بالحلول والاتحاد ، وتآله المخلوقات ، كاليونسية ، والعربية ، والصدرية ،

والسبعينية ، والتلمسانية^(١) .

فكل هؤلاء بدلوا دين الله تعالى وقلوبه ، وأعرضوا عن شريعة رسول الله

ﷺ .

فاليونسية يتألهون شيخهم ، ويجعلونه مظهراً للحق ، ويستهيئون بالعبادات ، ويظهرون بالفرعنة والصولة ، والسفاهة والمحالات ، لما وقر في بواطنهم من الخيالات الفاسدة ، وقبلتهم الشيخ يونس ، ورسول الله ﷺ والقرآن المجيد عنهم بمعزل ، يؤمنون بألستهم ، ويكفرون به بأفعالهم .

وكذلك الاتحادية يجعلون الوجود مظهراً للحق ، باعتبار أن لا متحرك في الكون سواه ، ولا ناطق في الأشخاص غيره ، وفيهم من لا يفرق بين الظاهر والمظهر ، فيجعل الأمر كموج البحر ، فلا يفرق بين عين الموجة وبين عين البحر ، حتى إن أحدهم يتوهم أنه الله ، فينطق على لسانه ، ثم يفعل ما أراد من الفواحش والمعاصي ، لأنه يعتقد ارتفاع الثنوية^(٢) .

فَمِنِ العابِدِ ، وَمَنِ المعبودِ ؟ صار الكل واحداً .

اجتمعنا بهذا الصنف في الربط والزوايا .

فانتم بحمد الله قائمون في وجه هؤلاء أيضاً تنصرون الله ورسوله ، وتذوبون عن دينه ، وتعملون على إصلاح ما أفسدوا ، وعلى تقويم ما عوجوا ، فإن هؤلاء مسحوا رسم الدين وقلعوا أثره ، فلا يقال أفسدوا ولا عوجوا ، بل بالغوا في هدم الدين ومحو أثره ، ولا قرينة أفضل عند الله من القيام بجهد هؤلاء بهما أمكن ، وتبيين مذاهبهم للخاص والعام .

(١) انظر مجموع الفتاوى (٢/٢٥٨-٢٥٩) .

(٢) قال الشيخ علي الحلبي في تعليقه : إذ - عندهم - لا خالق ومخلوق ، فيصيرا اثنين ،

إنما الخالق هو عين المخلوق ، والعكس صحيح .

وكذلك جهاد كل من ألد في دين الله وزاغ عن حدوده وشريعته كائنًا في ذلك ما كان من فتنة وقول ، كما قيل :

[٨٨/ق] إذا رَضِيَ / الحبيبُ فلا أبالي
أقام الحيُّ أم جدَّ الرَحِيل
وبالله المستعان .

وكذلك أنتم بحمد الله قائلون بجهاد الأمراء والأجناد ، تصلحون ما أفسدوا من المظالم والإجحافات ، وسوء السيرة الناشئة عن الجهل بدين الله ، بما أمكن ، وذلك لبعث العهد عن رسول الله ﷺ ، لأن اليوم له سبعمائة سنة ، فأنتم بحمد الله تجددون ما دثر من ذلك ودُّثر .

وكذلك أنتم بحمد الله قائلون في وجوه العامة ، مما أحدثوا من تعظيم الميلاد والقلندس ، وخميس البيض ، [والشعانين] (١) ، وتقيل القبور والأحجار والتوسل عندها ، ومعلوم أن ذلك كله من شعائر النصرى والجاهلية ، وإنما بُعث رسول الله ﷺ ليوحِّدَ الله ويُعبد وحده ، [ولا يتأله] (٢) معه شيء من مخلوقاته ، بعثه الله تعالى ناسخًا لجميع الشرائع والأديان والأعياد ، فأنتم بحمد الله قائلون بإصلاح ما أفسد الناس من ذلك .

وقائلون في وجوه من ينصر هذه البدع من مارقي الفقهاء ، أهل الكيد والضرار لأولياء الله ، أهل المقاصد الفاسدة ، والقلوب التي هي عن نصر الحق حائدة .

وإنما أعرض هذا الضعيف عن ذكر قيامكم في وجوه التتر والنصرى واليهود ، والرافضة والمعتزلة والقدرية ، وأصناف أهل البدع والضلالات ، لأن

(١) في الأصل : السعانين ، بالسین المهملة ، وما أثبتته من المطبوع .

(٢) في المطبوع : يُؤَلَّه .

الناس متفقون على ذمهم ، يزعمون أنهم قائمون برد بدعتهم ، ولا يقومون بتوفية حق الرد عليهم كما تقومون ، بل يعلمون ويجنبون عن اللقاء فلا يجاهدون ، وتأخذهم في الله اللائمة ، لحفظ مناصبهم ، وإبقاءً على أعراضهم .

سافرنا البلاد فلم نر من يقوم بدين الله في جوه مثل هؤلاء - حق القيام - سواكم ، فأنتم القائمون في جوه هؤلاء إن شاء الله بقيامكم بنصرة شيخكم وشيخنا - أيده الله - حق القيام ، بخلاف من ادعى من الناس أنهم يقومون بذلك .

فصبراً يا إخواني على ما أقامكم الله فيه ، من نصرة دينه ، وتقويم اعوجاجه ، وخذلان أعدائه ، واستعينوا بالله ، ولا تأخذكم فيه لومة لائم ، وإنما هي أيام قلائل ، والدين منصور ، قد تولى الله إقامته ونصره ، ونصرة من قام به من أوليائه ، إن شاء الله ظاهراً وباطناً .

وابدلوا فيما أقمتم فيه ما أمكنكم من الأنفس والأموال والأفعال والأقوال ، عسى أن تلحقوا بذلك بسلفكم أصحاب رسول الله ﷺ ، فلقد عرفتم ما لقوا في ذات الله ، كما قال خبيب حين صُلب على الجذع :

وذلك في ذات الإله وإن يشأ يُبارك على أوصالِ شلْوٍ مُمزَعٍ (١) .

وقد عرفتم ما لقي رسول الله ﷺ من الضر والفاقة في شعب بني هاشم ، وما لقي السابقون الأولون من التعذيب والهجرة إلى الحبشة ، وما لقي المهاجرون والأنصار في أحد ، وفي بشر معونة ، وفي قتال أهل الردة ، وفي جهاد الشام والعراق ، وغير ذلك .

(١) الشلْو : البقية ، والممزع : المقطع .

وانظروا كيف بذلوا نفوسهم وأموالهم لله ، حباً له وشوقاً إليه ، فكذلك
أنتم ، رحمكم الله ، كل منكم على قدر إمكانه واستطاعته بفعله وبقوله وبخطه
وبقلبه وبدعائه .

كل ذلك جهاد ، أرجو أن لا يخيب من عامل الله بشيء من ذلك ، إذ لا
عيش إلا في ذلك ، ولو لم يكن فيه إلا همتمكم ، مزاحمة لأهل الزينج ، مشوشة
لهم ، تبغضونهم في الله ، وتطلبون استقامتهم في دين الله ، وذلك من الجهاد
الباطن إن شاء الله تعالى .

فصل

[ق/٨٩] ثم اعرفوا إخواني حق ما أنعم الله عليكم من قيامكم بذلك ، واعرفوا /
طريقكم إلى ذلك ، واشكروا الله تعالى عليها ، وهو أن أقام لكم ولنا في هذا
العصر مثل سيدنا الشيخ الذي فتح الله به أفعال القلوب ، وكشف به عن البصائر
عمى الشبهات وحيرة الضلالات ، حيث تاه العقل بين هذه الفرق ، ولم يهتد
إلى حقيقة دين الرسول ﷺ .

ومن العجب أن كلاً منهم يدعي أنه على دين الرسول ، حتى كشف الله
لنا ولكم بواسطة هذا الرجل عن حقيقة دينه الذي أنزله من السماء وارتضاه
لعباده .

واعلموا أن في آفاق الدنيا أقواماً يعيشون أعمارهم بين هذه الفرق ،
يعتقدون أن تلك البدع حقيقة الإسلام ، فلا يعرفون الإسلام إلا هكذا .

فاشكروا الله الذي أقام لكم في رأس السبعمائة من الهجرة من بين لكم
أعلام دينكم ، وهداكم الله به وإيانا إلى نهج شريعته ، وبين لكم بهذا النور

المحمدي ضلالات العباد وانحرافاتهم ، فصرتم تعرفون الزائغ من المستقيم ،
والصحيح من السقيم ، وأرجو أن تكونوا أنتم الطائفة المنصورة ، الذين لا
يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، وهم بالشام إن شاء الله تعالى .



فصل

ثم إذا علمتم ذلك فاعرفوا حقَّ هذا الرجل الذي هو بين أظهركم وقدره ،
ولا يعرف حقه وقدره إلا من عرف دين الرسول ﷺ وحقه وقدره ، فمن وقع
دين الرسول ﷺ من قلبه بموقع يستحقه ، عرف حق ما قام به هذا الرجل بين
أظهر عباد الله ، يُقَوْمُ معوجَّهم ، ويصلح فسادهم ، ويُلْمُ شَعَثَهم جهد إمكانه
في الزمان المظلم ، الذي انحرف فيه الدين ؛ وجهلت السنن ، وعُهدت البدع ،
وصار المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ، والقابض على دينه كالقابض على
الجمر ، فإن أجر من قام بإظهار هذا النور في هذه الظلمات لا يوصف ، وخطره
لا يعرف ، هذا إذا عرفتموه أنتم من حيثية الأمر الشرعي الظاهر ، فهنا قوم
عرفوه من حيثية أخرى من الأمر الباطن ، ومن يقوده إلى معرفة أسماء الله
تعالى وصفاته ، وعظمة ذاته ، واتصال قلبه بأشعة أنوارها ، والاحتذاء من
خصائصها وأعلى أذواقها ونفوذها من الظاهر إلى الباطن ، ومن الشهادة إلى
الغيب ، ومن الغيب إلى الشهادة ، ومن عالم الخلق إلى عالم الأمر ، وغير ذلك
مما لا يمكن شرحه في كتاب .

فشيخكم - أيدكم الله تعالى - عارف بذلك ، عارف بأحكام الله

الشرعية، عارف بأحكامه القدريّة ، عارف بأحكام أسمائه وصفاته الذاتية، ومثل هذا العارف قد يُبصرُ ببصيرته تنزل الأمر بين طبقات السماء والأرض ، كما قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ (١) .

فالناس يحسون بما يجري في عالم الشهادة ، وهؤلاء بصائرهم شاخصة إلى الغيب، ينتظرون ما تجري به الأقدار ، يشعرون بها أحياناً عند تنزلها .

فلا تهونوا أمر مثل هؤلاء في انبساطهم مع الخلق ، واشتغال أوقاتهم بهم، فإنهم كما حكى عن الجنيد - رحمه الله - أنه قيل له : «كم تنادي على الله تعالى بين الخلق؟ فقال : أنا أنادي على الخلق بين يدي الله» .

فالله في حفظ الأدب معه ، والانفعال لأوامره ، وحفظ حرمانه في الغيب والشهادة ، وحب من أحبه ، ومجانبة من أبغضه وتنقصه وردّ غيبته ، والانتصار له في الحق .

واعلموا - رحمكم الله - أن هنا من سافر [إلى] (٢) الأقاليم ، وعرف الناس وأذواقهم وأشرف على غالب أحوالهم / ، فوالله ، ثم والله ، ثم والله ، لم ير تحت أديم السماء مثل شيخكم ، علماً وعملاً وحالاً وخلقاً واتباعاً وكرماً وحلماً ، في حق نفسه ، وقياماً في حق الله عند انتهاك حرمانه أصدق الناس عقداً وأصحهم علماً وعزماً ، وأنفذهم وأعلامهم في انتصار الحق وقيامه همّة ، وأسخطهم كفاً ، وأكملهم اتباعاً لنبية محمد ﷺ .

(١) [سورة الطلاق : ١٢] .

(٢) سقطت من الأصل ، وأثبتها من المطبوع .

ما رأينا في عصرنا هذا من تستجلي النبوة المحمدية [وسنتها]^(١) من أقواله وأفعاله إلا هذا الرجل ، بحيث يشهد القلب الصحيح أن هذا هو الاتباع حقيقة . وبعد ذلك كله فقول الحق فريضة ، فلا ندعي فيه العصمة عن الخطأ ، ولاندعي إكماله لغايات الخصائص المطلوبة ، فقد يكون في بعض الناقصين خصوصية مقصودة مطلوبة ، لا يتم الكمال إلا بهاتيكم الخصوصية ، وهذا القدر لا يجمله منصف عارف ، ولولا أن قول الحق فريضة ، والتعصب للإنسان هوى ، لأعرضت عن ذكر هذا - لكن يجب قول الحق - إن ساء أو سر ، والله المستعان .

إذا علمتم ذلك - أيدكم الله تعالى - فاحفظوا قلبه ، فإن مثل هذا قد يدعى عظيماً في ملكوت السماء ، واعملوا على رضاه بكل ممكن واستجلبوا وده لكم ، وحبه إياكم بمهما قدرتم عليه ، فإن مثل هذا يكون شهيداً ، والشهداء في العصر تبع لمثله ، فإن حصلت لكم محبته رجوت لكم بذلك خصوصية أكتمها ولا أذكرها ، وربما يفتن لها الأذكيا منكم ، وربما سمحت نفسي بذكرها ، كيلا أكتم عنكم نصحي .

وتلك الخصوصية : هي أن ترزقوا قسطاً من نصيبه الخاص الحمدي مع الله تعالى ، فإن ذلك إنما يسري بواسطة محبة الشيخ للمريد ، واستجلاب المريد محبة الشيخ بتأثيره معه ، وحفظ قلبه وخاطره ، واستجلاب وده ومحبته ، فأرجو بذلك لكم قسطاً مما بينه وبين الله تعالى ، فضلاً عما تكسبونه من ظاهر علمه وفوائده وسياسته إن شاء الله تعالى .

وأرجو أنكم إذا فتحتم بينكم وبين ربكم تعالى بصحيح المعاملة بحفظ تلك

(١) في المطبوع : وستها .

الساعة في الصلوات الخمس والتهجد أن يفتح لكم معرفة حقيقة هذا الرجل ونباه
إن شاء الله تعالى .

وإنما ذكرت حفظ الساعة - وإن كان في الصلوات الخمس كفاية ، إذا قام
العبد فيها لحق الله تعالى - وذلك لأن الصلوات قد تهجم على العبد وقلبه
مأخوذ في جواذب الظاهر ، فلا يعرف نصيب قلبه من ربه فيها ، فإذا كان للعبد
ساعة بين الليل والنهار عرف فيها نصيب قلبه من ربه ، فإذا جاءت الصلوات ،
عرف فيها حاله وزيادته ونقصانه باعتبار حالته مع ربه في تلك الساعة ، وبالله
المستعان .

فصل

وإذا عرفتم قدر دين الله تعالى الذي أنزله على رسوله ﷺ ، وعرفتم قدر
حقائق الدين الذي يعبر عنه بالنفوذ إلى الله تعالى ، والحظوة بقربه ، ثم عرفتم
اجتماع الأمرين في شخص معين ، ثم عرفتم انحراف الأمة عن الصراط
المستقيم ، وقيام الرجل المعين الجامع للظاهر والباطن في وجوه المنحرفين ، بنصر
الله تعالى ودينه ، ويقوم معوجهم ويلمُّ شعنتهم ، ويصلح فاسدهم ، ثم سمعتم
بعد ذلك طعن طاعن عليه من أصحابه أو من غيرهم ، فإنه لا يخفى عنكم
مُحِقُّ هو أو مبطل ؛ إن شاء الله تعالى .

وبرهان ذلك . أن المحق طالب الهدى والحق بغرض عند من أنكر عليه
ذلك الفعل الذي أنكره ، إما بصيغة السؤال أو الاستفهام بالتلطف عن ذلك
النقص الذي رآه فيه أو بلغه عنه ، فإن وجد هناك اجتهاداً أو رأياً أو حجة ، قنع
بذلك / وأمسك ، ولم يُفَسِّرِ ذلك إلى غيره ، إلا مع إقامة ما بينه من الاجتهاد
أو الرأي أو الحجة ، ليسدَّ الخلل بذلك ، فمثل هذا يكون طالب هدى ، محباً

[ق/٩١]

ناصحًا ، يطلب الحق ، ويروم تقويم أستاذه عن انحرافه بتعريفه وتفويضه ، كما يروم أستاذه تقويمه ، كما قال بعض الخلفاء الراشدين - ولا يحضرني اسمه : «إذا اعوججت فقوموني»^(١) .

فهذا حق واجب بين الأستاذ والطالب ، فإن الأستاذ يطلب إقامة الحق على نفسه ليقوم به ، ويتهم نفسه أحيانًا ويتعرف أحواله من غيره ، مما عنده من النصفة وطلب الحق ، والحذر من الباطل ، كما يطلب المرید ذلك من شيخه من التقويم وإصلاح الفاسد من الأعمال والأقوال .

ومن براهين المحق : أن يكون عدلاً في مدحه ، عدلاً في ذمه ، لا يحمله الهوى - عند وجود المراد - على الإفراط في المدح ، ولا يحمله الهوى - عن تعذر المقصود - على نسيان الفضائل والمناقب ، وتعدد المساويء والمثالب . فالحق في حالتي غضبه ورضاه ثابت على مدح من مدحه ، وأثنى عليه ، ثابت على ذم ثلبه وخطأ عليه .

وأما من عمل كراسة في عد مثالب هذا الرجل القائم بهذه الصفات الكاملة بين أصناف هذا العالَم المنحرف ، في هذا الزمان المظلم ، ثم ذكر مع ذلك شيئاً من فضائله ، ويعلم أنه ليس المقصود ذكر الفضائل ، بل المقصود تلك المثالب ، ثم أخذ الكراسة يقرؤها على أصحابه واحداً واحداً في خلوة يوقف بذلك همهم عن شيخهم ، ويريهم قدحاً فيه ، فلإني أستخير الله تعالى وأجتهد رأبي في مثل هذا الرجل وأقول انتصاراً لمن ينصر دين الله ، بين أعداء الله في رأس السبعمائة ، فإن نصرة مثل هذا الرجل واجبة على كل مؤمن كما قال ورقة بن نوفل : «لئن أدركني يومك لأنصرك نصراً مؤزراً»^(٢) ، ثم أسأل الله تعالى

(١) كتب في هامش الأصل : هو أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - كذا في المنقول عنه .

(٢) رواه البخاري (٣) وفي مواضع أخرى ، ومسلم (١٦٠) عن عائشة - رضي الله عنها - .

العصمة فيما أقول عن تعدي الحدود والإخلاد إلى الهوى .

أقول : مثل هذا - ولا أعين الشخص المذكور بعينه - لا يخلو من أمور :
أحدها : أن يكون ذا سن تغيّر رأيه لسنّه ، لا بمعنى أنه اضطرب ، بل
بمعنى أن السن إذا كبر يجتهد صاحبه للحق ، ثم يضعه في غير مواضعه ، مثلاً
يجتهد أن إنكار المنكر واجب ، وهذا منكر ، وصاحبه قد راج على الناس ،
فيجب على تعريف الناس ما راج عليهم ، وتغيب عنهم المفاصد في ذلك .

فمنها : تخذيل الطلبة ، وهم مضطرون إلى محبة شيخهم ، ليأخذوا عنه ،
فمتى تغيرت قلوبهم عليه ورأوا فيه نقصاً حرّموا فوائده الظاهرة والباطنة ،
وخيف عليهم المقت من الله أولاً ، ثم من الشيخ ثانياً .

المفسدة الثانية: إذا شعر أهل البدع الذين نحن وشيخنا قائمون الليل والنهار
بالجهاد أو التوجه في وجوههم لنصرة الحق: أن في أصحابنا من ثلب رئيس
القوم بمثل هذا ، فإنهم يتطرقون بذلك إلى الاشتفاء من أهل الحق ويجعلونه
حجة لهم .

المفسدة الثالثة : تعديد المثالب في مقابلة ما يستغرقها ويزيد عليها بأضعاف
كثيرة من المناقب ، فإن ذلك ظلم وجهل .

والامر الثاني من الأمور الموجبة لذلك : تغير حاله وقلبه ، وفساد سلوكه
بحسد كان كامناً فيه ، وكان يكتمه برهة من الزمان ، فظهر ذلك الكمين في
قالب صورته حق ومعناه باطل .



فصل

وفي الجملة - أيديكم الله - إذا رأيتم طاعناً على صاحبكم فانتقدوه في عقله أولاً ، ثم في فهمه ، ثم في صدقه ، ثم / في سنّته ، فإذا وجدتم [ق/٩٢] الاضطراب في عقله ، دلّكم على جهله بصاحبكم ، وبالقول فيه وعنه ، ومثله قلّة الفهم ، ومثله عدم الصدق أو قصوره ، لأن نقصان الفهم يؤدي إلى نقصان الصدق بحسب ما غاب عقله عنه ، ومثله العلو في السنّ فإنه يشيخ فيه الرأي والعقل كما [تشيخ] (١) فيه القوي الظاهرة الحسيّة ، فاتّهموا مثل هذا الشخص واحذروه وأعرضوا عنه إعراض مداراة بلا جدل ولا خصومة .

وصفة الامتحان بصحة إدراك الشخص وعقله وفهمه ، أن تسألوه عن مسألة سلوكية أو علمية ، فإذا أجاب عنها أوردوا على الجواب إشكالاً متوجهاً بتوجيه صحيح ، فإن رأيتم الرجل يروح يميناً وشمالاً ، ويخرج عن ذلك المعنى إلى معانٍ خارجة ، وحكايات ليست في المعنى حتى ينسى ربّ المسألة سؤاله ، حيث تَوَهَّه عنه بكلام لا فائدة فيه ، فمثل هذا لا تعتمدوا على طعنه ، ولا على مدحه ، فإنه ناقص الفطرة ، كثير الخيال ، لا يثبت على تحري المدارك العلمية ، ولا تنكروا مثل إنكار هذا ، فإنه اشتهر قيام ذي الخويصرة التميمي إلى رسول الله ﷺ ، وقوله له : «اعدل فإنك لم تعدل - إن هذه قسمة لم يرد بها وجه الله تعالى» (٢) أو نحو ذلك .

فوقوع هذا وأمثاله من بعض معجزات الرسول ﷺ ، فإنه قال :

(١) في الأصل : يشيخ ، وما أثبتته من المطبوع .

(٢) رواه البخاري (٣٦١٠) ، ومسلم (١٠٦٤) ، عن أبي سعيد الخدري .

«لَتَرْكِبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ»^(١) ، وإن كان ذلك في اليهود والنصارى لكن لما كانوا منحرفين عن نَهْجِ الصواب ، فكذلك يكون في هذه الأمة من يحذو حَذْوَ كل منحرف وجد في العالم ، متقدماً كان أو متأخراً حذو الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ ، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لدخلوه .

يا سبحان الله العظيم ، أين عقول هؤلاء ؟ أعميت أبصارهم وبصائرهم؟ أفلا يرون ما الناس فيه من العمى والخيبة في الزمان المظلم المدلهم ، الذي قد ملكت فيه الكفار معظم الدنيا ؟ وقد بقيت هذه الخطة الضيقة يشمُّ المؤمنون فيها رائحة الإسلام ؟ وفي هذه الخطة الضيقة من الظلمات من علماء السوء والدُّعاة إلى الباطل وإقامته ، ودحض الحق وأهله ما لا يحصر في كتاب .

ثم إن الله تعالى قد رحم هذه الأمة بإقامة رجل قوي الهمة ضعيف التركيب ، قد فرَّق نفسه وهمه في مصالح العالم ، وإصلاح فسادهم والقيام بمهماتهم وحوائجهم ضِمْنًا ما هو قائم بصدد البدع والضلالات وتحصيل مواد العلم النبوي الذي يصلح به فساد العالم ويردهم إلى الدين الأول العتيق جهد إمكانه ، وإلا فأين حقيقة الدين العتيق ؟

فهو مع هذا كله قائم بجملة ذلك وَحْدَهُ ، وهو منفرد بين أهل زمانه ، قليلٌ ناصره كثير خاذله وحاسده والشامت فيه !!

فمثل هذا الرجل في هذا الزمان ، وقيامه بهذا الأمر العظيم الخطير فيه ، أيقال له : لِمَ تردُّ على الأحمدية؟ لِمَ لا تعدل في القسمة ؟ لِمَ تدخل على الأمراء ؟ لِمَ تُقَرِّبُ زيداً وعمراً ؟

أفلا يستحي العبد من الله ؟ يذكر مثل هذه الجزئيات في مقابلة هذا العبد

(١) رواه البخاري (٧٣٢٠) ، ومسلم (٢٦٦٩) ، عن أبي سعيد أيضاً .

الثقيل؟ ولو حُوقق الرجل على هذه الجزئيات وجد عنده نصوص صحيحة ،
ومقاصد ونيات صحيحة!! تغيب عن الضعفاء العقول ، بل عن الكمّل منهم
حتى يسمعوها .

أما رَدّه على الطائفة الفلانية أيها المفرط التائه الذي لا يدري ما يقول ،
أفيقوم دين محمد بن عبدالله الذي أنزل من السماء إلا بالظن على هؤلاء ؟
وكيف يظهر الحق إن لم يخذل الباطل ؟ لا يقول مثل هذا إلاتائه أو مُسنّ أو
حاسد .

وكذا القسمة للرجل ، في ذلك اجتهاد صحيح ، ونظر إلى مصالح تترتب
على إعطاء قوم دون قوم ، / كما خصّ الرسول ﷺ الطلقاء بمائة من الإبل ،
وحرم الأنصار ! حتى قال منهم أحداثهم شيئًا في ذلك ، لا ذووا أحلامهم ،
وفيها قام ذو الخويصرة ، فقال ما قال .

وأما دخوله على الأمراء ، فلو لم يكن كيف كان شمّ الأمراء رائحة الدين
العتيق الخاص ؟ ولو فُتّش المفتش ، لوجد هذه الكيفية التي عندهم من رائحة
الدين ، ومعرفة المنافقين ، إنما اقتبسوها من صاحبكم .

وأما تقريب زيد وعمرو ، فلمصلحة باطنة ، لو فُتّش عنها مع الإنصاف
وجد هنالك ما يرى أن ذلك [من] ^(١) المصلحة ، ونفرض أنك مصيب في ذلك ،
إذ لا نعتقد العصمة إلا في الأنبياء والخطأ جار على غيرهم ، أذكر مثل هذا
الخطأ في مقابلة ما تقدم من الأمور العظام الجسام ؟

لا يذكر مثل هذا في كراسة ويعددها ، ثم يدور بها على واحد واحد ،
كأنه يقول شيئًا ، لإرجل يسأل الله العافية في عقله ، وخاتمة الخير على عمله ،

(١) في الاصل : عن ، وما أثبتته من المطبوع .

وأن يرده عن انحرافه إلى نهج الصواب ، بحيث لا يبقى مَعشَرُهُ يَعِيَهُ بعلمه وتصنيفه، [أولوا]^(١) العقول والأحلام، ونستغفر الله العظيم من الخطأ والزلل في القول والعمل ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

هذا آخر الرسالة التي سماها مؤلفها :

[التذكرة والاعتبار ، والانتصار للأبرار].

فرحم الله من قام بحمل الإصرار ، وتصحيح التوبة النصوح بالاستغفار إلى عالم الأسرار ، نفع الله من وقف عليها ، وأصغى إلى ما يفتح منها ولديها، أمين .

* * *

[فتاوى الشيخ بدمشق وبعض اختياراته

التي خالفت فيها المذاهب الأربعة أو بعضها]^(٢)

ثم إن الشيخ - رحمه الله - بعد وصوله من مصر إلى دمشق واستقراره بها، لم يزل ملازمًا للاشتغال والأشغال ، ونشر العلم وتصنيف الكتب ، وإفتاء الناس بالكلام والكتابة المطوّلة وغيرها ، ونفع الخلق والإحسان إليهم، والاجتهاد في الأحكام الشرعية .

ففي بعض الأحكام يفتي بما أدى إليه اجتهاده ، من موافقة أئمة المذاهب الأربعة ، وفي بعضها قد يفتي بخلافهم ، أو بخلاف المشهور من مذاهبهم .

ومن اختياراته التي خالفهم فيها ، أو خالف المشهور من أقوالهم :

(١) في المطبوع : من أولي .

(٢) من المطبوع .

القول بقصر الصلاة في كل ما يُسمى سفراً ، طويلاً كان أو قصيراً ، كما هو مذهب الظاهرية ، وقول بعض الصحابة .

والقول بأن البكر لا تُستبرأ ، وإن كانت كبيرة ، كما هو قول ابن عمر ، واختاره البخاري صاحب الصحيح .

والقول بأن سجود التلاوة لا يشترط له وضوء ، كما يشترط للصلاة كما هو مذهب ابن عمر ، واختيار البخاري أيضاً .

والقول بأن من أكل في شهر رمضان معتقداً أنه ليل ، فبان نهاراً لا قضاء عليه ، كما هو الصحيح عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، وإليه ذهب بعض التابعين ، وبعض الفقهاء بعدهم .

والقول بأن المتمتع يكفيه سعي واحد بين الصفا والمروة ، كما [هو]^(١) في حق القارن والمفرد ، كما هو قول ابن عباس - رضي الله عنهما - ورواية عن الإمام أحمد بن حنبل ، رواه عنه ابنه عبدالله ، وكثير من أصحاب الإمام أحمد لا يعرفونها .

والقول بجواز المسابقة بلا مُحلّل ، وإن خرج المتسابقان .

والقول باستبراء المختلعة بحيضة ، وكذلك الموطوءة بشبهة ، والمطلقة آخر ثلاث تطليقات .

والقول بإباحة وطء الوثنيات بملك اليمين .

والقول بجواز عقد الرداء في الإحرام ، ولا فدية في ذلك ، وجواز طواف الحائض ، ولا شيء عليها ، إذا لم يمكنها أن تطوف طاهراً .

والقول بجواز بيع الأصل [بالعصر]^(٢) ، كالزيتون بالزيت ، والسهم

بالشیرج .

(٢) في المطبوع : بالعصير .

(١) من المطبوع .

والقول بجواز الوضوء بكل ما يسمى ماءً مطلقاً / كان أو مقيداً .

والقول بجواز بيع ما يتخذ من الفضة للتخلي وغيره ، كالحاتم ونحوه ،
بالفضة متفاضلاً وجعل الزائد من الثمن في مقابلة الصنعة .

والقول بأن المائع لا ينجس بوقوع النجاسة فيه إلا أن يتغير ، قليلاً كان أو
كثيراً .

والقول بجواز التيمم لمن خاف فوات العيد والجمعة باستعمال الماء .

والقول بجواز التيمم في مواضع معروفة .

والجمع بين الصلاتين في أماكن مشهورة .

وغير ذلك من الأحكام المعروفة من أقواله .

وكان يميل أخيراً لتورث المسلم من الكافر الذمي ، وله في ذلك مصنف

وبحث طويل .

ومن أقواله المعروفة المشهورة التي جرى بسبب الإفتاء بها محنٌ وقلاقل:

قوله : بالتكفير في الحلف بالطلاق .

وأن اطلاق الثلاث لا يقع إلا واحدة .

وأن الطلاق المحرم لا يقع .

وله في ذلك مصنفات ومؤلفات كثيرة منها :

قاعدة كبيرة سماها : «تحقيق الفرقان بين التطليق والأيمان» نحو أربعين

كراسة .

وقاعدة سماها : «الفرق المبين بين الطلاق واليمين» بقدر النصف من

ذلك .

وقاعدة في أن جميع أيمان المسلمين مكفرة ، مجلد لطيف .

وقاعدة في تقرير أن الحلف بالطلاق من الأيمان حقيقة .

وقاعدة سماها «التفصيل بين التكفير والتحليل» .

وقاعدة سماها «اللمعة»^(١) .

وغير ذلك من القواعد والأجوبة في ذلك لا ينحصر ولا ينضب .

وله في ذلك جواب اعتراض ، ورد عليه من الديار المصرية ، وهو جواب

طويل في ثلاث مجلدات ، بقطع نصف البلدي .

وكان القاضي شمس الدين بن مسلم الحنبلي - رحمه الله - في يوم

الخميس منتصف شهر ربيع الآخر من سنة ثمان عشرة وسبعمائة قد اجتمع

بالشيخ وأشار عليه بترك الإفتاء في مسألة الحلف بالطلاق ، تقبل الشيخ إشارته

وعرف نصيحته ، وأجاب إلى ذلك .

وكان قد اجتمع إلى القاضي جماعة من الكبار حتى فعل ذلك .

فلما كان يوم السبت ، مستهل جمادى الأولى من هذه السنة ، ورد البريد

إلى دمشق ، ومعه كتاب السلطان بالمنع من الفتوى في مسألة الحلف بالطلاق

التي رآها الشيخ تقي الدين بن تيمية وأفتى فيها ، وصنف فيها والأمر بعقد

مجلس في ذلك .

فعقد يوم الإثنين ثالث الشهر المذكور بدار السعادة ، وانفصل الأمر على

ما أمر به السلطان ، ونودي بذلك في البلد يوم الثلاثاء رابع الشهر المذكور .

ثم إن الشيخ عاد إلى الإفتاء بذلك وقال : لا يسعني كتمان العلم .

فلما كان يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شهر رمضان سنة تسع عشرة

وسبعمائة جمع القضاة والفقهاء عند نائب السلطنة بدار السعادة ، وقرئ عليهم

كتاب السلطان .

وفيه فصل يتعلق بالشيخ ، بسبب الفتوى في هذه المسألة ، وأحضر

وعوتب على فتياه بعد المنع ، وأكد عليه في المنع من ذلك .

(١) كتب في هامش الأصل: لعله «اللمحة» لأن له رحمه الله قاعدة سماها : «لمحة المختطف» .

[سجن الشيخ بسبب فتياه في الطلاق] (١)

فلما كان بعد ذلك بمدة ، في يوم الخميس الثاني والعشرين من رجب من سنة عشرين وسبعمائة ، عقد مجلس بدار السعادة حضره النائب والقضاة ، وجماعة من المفتين ، وحضر الشيخ ، وعاودوه في الإفتاء بمسألة الطلاق ، وعاقبوه على ذلك ، وحبسوه بالقلعة ، فبقي فيها خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً .

ثم ورد مرسوم السلطان بإخراجه ، فأخرج منها يوم الإثنين يوم عاشوراء ، من سنة إحدى وعشرين وسبعمائة ، وتوجه إلى داره .

ثم لم يزل بعد ذلك يعلم الناس ويلقي الدرس بالحنبيلة أحياناً ، ويقرأ [ق/٩٥] عليه في مدرسة / بالقصاعين ، في أنواع من العلم .

وكنت أتردد إليه في هذه المدة أحياناً ، وقرأت عليه «قطعة من الأربعين للرازي» ، وشرحها لي ، وكتب لي على بعضها شيئاً ، وكان يُقرأ عليه في تلك المدة من كتبه ، وهو يصلح فيها ، ويزيد وينقص .

ولقد حضرت معه يوماً في بستان الأمير فخر الدين بن الشمس لؤلؤ ، وكان قد عمل وليمة ، وقرأت على الشيخ في ذلك اليوم أربعين حديثاً ، وكتب بعض الجماعة أسماء الحاضرين ، وأخذ الشيخ بعد ذلك في الكلام في أنواع العلوم ، فهت الحاضرون لكلامه ، واشتغلوا بذلك عن الأكل .

وما حفظت من كلامه في ذلك المجلس قوله :

«يقول الله تعالى في بعض الكتب : أهلُ ذكري أهلُ مشاهدتي ، وأهلُ

(١) من المطبوع .

شكري أهلُ زيارتي ، وأهلُ طاعتي أهل كرامتي ، وأهل معصيتي لا أؤيسهم من
رحمتي ، إن تابوا فأنا حبيهم ، وإن لم يتوبوا فأنا طبيهم ، أبتليهم بالمصائب
لأطهرهم من المعايب».

وحصل في ذلك المجلس خير كثير ، وكان فيه غير واحد من المشايخ ،
واستمر الشيخ بعد ذلك على عادته .



[الكلام على شد الرحال إلى القبور] (١)

فلما كان في سنة ست وعشرين وسبعمائة وقع الكلام في مسألة شد الرحال وإعمال المطيِّ إلى قبور الأنبياء والصالحين ، وظفروا للشيخ بجواب سؤال في ذلك ، كان قد كتبه من سنين كثيرة ، يتضمن حكاية قولين في المسألة ، وحجة كل قول منهما .

وكان للشيخ في هذه المسألة كلام متقدم أقدم من الجواب المذكور بكثير ، ذكره في كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢) وغيره ، وفيه ما هو أبلغ من هذا الجواب الذي ظفروا به .

وكثر الكلام ، والقبيل والقال ، بسبب العثور على الجواب المذكور وعظم التشنيع على الشيخ ، وحرّف عليه ، ونُقِلَ عنه ما لم يَقُلْهُ ، وحصل فتنة طار شررها في الآفاق ، واشتد الأمر ، وخيف على الشيخ من كيد القائمين في هذه القضية بالديار المصرية والشامية وكثر الدعاء والتضرع والابتهاال إلى الله تعالى ، وضعف من أصحاب الشيخ من كان عنده قوة ، وجبنَ من كانت له همة .

وأما الشيخ - رحمه الله - فكان ثابت الجأش ، قوي القلب ، وظهر صدق توكله واعتماده على ربه .

ولقد اجتمع جماعة معروفون بدمشق وضربوا مشورة في حق الشيخ ، فقال أحدهم ينفي ، فنفى القائل .

وقال آخر : يُقَطع لسانه ، فقطع لسان القائل .

وقال آخر : يعزّر ، فعزّر القائل ، وقال آخر : يُجَبَس ، فحبس القائل .

(١) من المطبوع .

(٢) طبع بتحقيق الشيخ / محمد حامد الفقي بمكتبة السنة المحمدية بالقاهرة ، وله عدة طبعات أخرى .

أخبرني بذلك من حضر هذه المشورة ، وهو كاره لها .
 واجتمع جماعة آخرون بمصر ، وقاموا في هذه القضية قياماً عظيماً ،
 واجتمعوا بالسلطان ، وأجمعوا أمرهم على قتل الشيخ ، فلم يوافقهم السلطان
 على ذلك .

* * *

[أمر السلطان بحبس الشيخ بقلعة دمشق]^(١)

ولما كان يوم الإثنين بعد العصر السادس من شعبان من السنة المذكورة ،
 حضر إلى الشيخ من جانب نائب السلطنة بدمشق مشدُّ الأوقاف ، وابن خطير ،
 أحد الحجاب [وأخبراه]^(٢) : أن مرسوم السلطان ورد بأن يكون في القلعة ،
 وأحضرا معهما مركوباً .

فأظهر الشيخ السرور بذلك ، وقال : أنا كنت منتظراً ذلك ، وهذا فيه
 خير عظيم .

وركبوا جميعاً من داره إلى باب القلعة ، وأخليت له قاعة حسنة وأجرى
 إليها الماء ، ورسم له بالإقامة فيها ، وأقام معه أخوه زين الدين يخدمه بإذن
 السلطان ، ورُسم له بما يقوم بكفايته .

وفي يوم الجمعة عاشر الشهر المذكور قريء بجامع دمشق الكتاب السلطاني
 الوارد بذلك ، وبمنعه من الفتيا .

[ق/٩٦] وفي يوم الأربعاء منتصف شعبان أمر القاضي / الشافعي بحبس جماعة
 من أصحاب الشيخ بسجن الحكم ، وذلك بمرسوم النائب وإذنه له في فعل ما
 يقتضيه الشرع في أمرهم .

(١) من المطبوع . (٢) في الأصل : وأخبره ، وما أثبتته من المطبوع .

وأوذي جماعة من أصحابه ، واختفى آخرون ، وعُزِّر جماعة ، ونودي عليهم ، ثم أطلقوا ، سوى الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر إمام الجوزية ، فإنه حبس بالقلعة ، وسكنت القضية .

* * *

وهذه صورة الفتيا ومواقعة البغاددة^(١) له وغيرهم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلواته وسلامه على محمد وآله .

أما بعد : فهذه فتيا أفتى بها الشيخ الإمام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية - رضي الله عنه - .

ثم بعد مدة ، نحو سبع عشرة سنة ، أنكرها بعض الناس ، وشنَّع بها جماعة عند بعض ولاة الأمور ، وذكرت بعبارات شنيعة ففهم منها جماعة غير ما هي عليه ، وانضم إلى الإنكار والشناعة وتغيُّر الألفاظ أمور ، أوجب ذلك كله مكاتبة السلطان - سلطان الإسلام بمصر - أيده الله تعالى ، فجمع قضاة بلده ، ثم اقتضى الرأي حبسه ، فحبس بقلعة دمشق المحروسة ، بكتاب ورد سابع شعبان المبارك سنة ست وعشرين وسبعمائة .

وفي ذلك كله لم يحضر الشيخ المذكور بمجلس حكم ، ولا وقف على خطِّه الذي أنكر ، ولا ادعى عليه شيء .

فكتب بعض الغرباء من بلده هذه الفتيا ، وأوقف عليها بعض علماء بغداد ، فكتبوا عليها بعد تأملها ، وقراءة ألفاظها .

وسئل بعض مالكية دمشق عنها ، فكتبوا كذلك ، وبلغنا أن بمصر من وقف عليها فوافق .

(١) كتب في هامش الاصل : أي أهل بغداد .

ونبدأ الآن بذكر السؤال الذي كتب عليه أهل بغداد ، وبذكر الفتيا ،
وجواب الشيخ المذكور عليها ، وجواب الفقهاء بعده .

وهذه صورة السؤال والأجوبة :

المستول من إنعام السادة العلماء ، والهداة الفضلاء ، أئمة الدين ، وهداة
المسلمين ، وفقهم الله لمرضاته ، وأدام بهم الهداية ، أن ينعموا ويتأملوا الفتوى
وجوابها المتصل بهذا السؤال المنسوخ عقبه ، وصورة ذلك^(١) :

ما يقول السادة العلماء ، أئمة الدين ، نفع الله بهم المسلمين ، في رجل
نوى السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين ، مثل نبينا محمد ﷺ وغيره ، فهل
يجوز له في سفره أن يقصر الصلاة ؟: وهل هذه الزيارة شرعية أم لا ؟

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال :

«من حج ولم يزرني فقد جفاني» ، «ومن زارني بعد موتي ، كمن زارني
في حياتي» وقد روي عنه ﷺ [أيضاً]^(٢) أنه قال : «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة
مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى» .

أفتونا مأجورين رحمكم الله .

الجواب

الحمد لله رب العالمين

أما من سافر لمجرد زيارة قبور الأنبياء والصالحين ، فهل يجوز له قصر
الصلاة؟ على قولين معروفين :

أحدهما: وهو قول متقدمي العلماء الذين لا يجوزون القصر في سفر
المعصية، كأبي عبد الله بن بطة، وأبي الوفاء بن عقيل، وطوائف كثيرة من

(١) كتب في هامش الأصل : «الله در المصنف ابن عبد الهادي ، جزاه الله عن شيخه خيراً» .

(٢) من المطبوع .

العلماء المتقدمين - أنه لا يجوز القصر في مثل هذا السفر ، لأنه سفر منهي عنه ، ومذهب مالك والشافعي وأحمد : أن السفر المنهي عنه في الشريعة لا يقصر فيه .

والقول الثاني : أنه يقصر ، وهذا يقوله من يُجَوِّزُ القصر في السفر المحرم ، كأبي حنيفة ، ويقوله بعض المتأخرين من أصحاب الشافعي وأحمد ، ممن يجوز السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين ، كأبي حامد الغزالي ، وأبي الحسن ابن عبدوس / الحراني ، وأبي محمد بن قدامة المقدسي ، وهؤلاء يقولون : إن هذا السفر ليس بمحرم ، لعموم قوله ﷺ : «زوروا القبور»^(١) .

[ق/٩٧]

وقد يحتج بعض من لا يعرف الحديث ، بالأحاديث المروية في زيارة قبر النبي ﷺ ، كقوله :

«من زارني بعد مماتي ، فكأنما زارني في حياتي»^(٢) ، رواه الدارقطني .

وأما ما ذكره بعض الناس من قوله : «من حج ولم يزرني فقد جفاني»^(٣) ،

فهذا لم يروه أحد من العلماء ، وهو مثل قوله :

«من زارني وزار أبي إبراهيم في عام واحد ضمنت له على الله الجنة»^(٤) .

فإن هذا أيضاً باتفاق العلماء لم يروه أحد ، ولم يحتج به أحد ، وإنما

يحتج بعضهم بحديث الدارقطني ونحوه .

وقد احتج أبو محمد المقدسي على جواز السفر لزيارة القبور بأنه ﷺ كان

يزور مسجد قُباء .

وأجاب عن حديث «لا تشدُّ الرحال» بأن ذلك محمول على نفى

الاستحباب .

وأما الأولون ، فإنهم يحتجون بما في الصحيحين ، عن النبي ﷺ أنه

قال :

(١) صححه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٧٧) . (٢) موضوع كما في الضعيفة (٤٧) .

(٣) موضوع كما في الضعيفة (٤٥) . (٤) موضوع كما في الضعيفة (٤٦) .

«لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد؛ المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ،
والمسجد الأقصى»^(١).

وهذا الحديث مما اتفق الأئمة على صحته والعمل به ، فلو نذر أن يشد
الرحل ليصلي بمسجد ، أو مشهد ، أو يعتكف فيه ويسافر إليه غير هذه الثلاثة ،
لم يجب عليه ذلك باتفاق الأئمة .

ولو نذر أن يسافر ويأتي المسجد الحرام لحج أو عمرة ، وجب عليه ذلك
باتفاق العلماء .

ولو نذر أن يأتي مسجد النبي ﷺ ، أو المسجد الأقصى لصلاة أو
اعتكاف ، وجب عليه الوفاء بهذا النذر عند مالك والشافعي في أحد قوليهِ ،
وأحمد ، ولم يجب عليه عند أبي حنيفة ، لأنه لا يجب عنده بالنذر إلا ما كان
جنسه واجباً بالشرع .

أما الجمهور ، فيوجبون الوفاء بكل طاعة ، كما ثبت في صحيح البخاري
عن عائشة^(٢) - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال :

«من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه» .

والسفر إلى المسجدين طاعة ، فلهذا وجب الوفاء به .

وأما السفر إلى بقعة غير المساجد الثلاثة ، فلم يوجب أحد من العلماء
السفر إليه إذا نذره ، حتى نصَّ العلماء على أنه لا يسافر إلى مسجد قباء لأنه
ليس من المساجد الثلاثة ، مع أن مسجد قباء يستحب زيارته لمن كان في المدينة؛
لأن ذلك ليس بشد رحل ، كما في الحديث الصحيح : «من تطهر في بيته، ثم

(١) رواه البخاري (١١٨٩) ، ومسلم (١٣٩٧) ، عن أبي هريرة ، ورواه مسلم (٨٢٧) ،

عن أبي سعيد .

(٢) برقم (٦٦٩٦ ، ٦٧٠٠) .

أتى مسجد قباء ، لا يريد إلا الصلاة فيه ، كان كعمرة»^(١) .

قالوا : ولأن السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة ، لم يفعلها أحد من الصحابة ولا التابعين ، ولا أمر بها رسول الله ﷺ ، ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين ، فمن اعتقد ذلك عبادة وفعله فهو مخالف للسنة ولإجماع الأئمة .

وهذا مما ذكره أبو عبدالله بن بطة في الإبانة الصغرى من البدع المخالفة للسنة والإجماع .

وبهذا [يظهر بطلان]^(٢) حجة أبي محمد المقدسي ، لأن زيارة النبي ﷺ لمسجد قباء لم تكن بشد رحل ، ولأن السفر إليه لا يجب بالندر .
وقوله : بأن الحديث الذي مضمونه «لا تشد الرحال» محمول على نفي الاستحباب ، يجاب عنه بوجهين :

أحدهما - أن هذا - إن سلم فيه : أن هذا السفر ليس بعمل صالح ، ولا قرينة ولا طاعة ، ولا هو من الحسنات ، فإذا من اعتقد أن السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين قرينة وعبادة وطاعة ، فقد خالف الإجماع ، وإذا سافر لاعتقاده أن ذلك طاعة ، كان ذلك / محرماً بإجماع المسلمين ، فصار التحريم من جهة اتخاذه قرينة ، ومعلوم أن أحداً لا يسافر إليها إلا لذلك .

[٩٨/ق]

وأما إذا نذر الرجل أن يسافر إليها لغرض مباح ، فهذا جائز ، وليس من هذا الباب .

الوجه الثاني : أن هذا الحديث يقتضي النهي ، والنهي يقتضي التحريم ،

(١) رواه ابن ماجه برقم (١٤١٢) ، عن سهل بن حنيف بهذا اللفظ ، ورواه أحمد (٤٨٧/٣) ، والنسائي برقم (٦٩٨) عن سهل بن حنيف بلفظ : «من خرج حتى يأتي هذا المسجد ، مسجد قباء...» .

(٢) من المطبوع .

وما ذكروه من الأحاديث في زيارة قبر النبي ﷺ فكلها ضعيفة ، باتفاق أهل العلم بالحديث ، بل هي موضوعة ، لم يرو أحد من أهل السنن المعتمدة شيئاً منها ، ولم يحتج أحد من الأئمة بشيء منها ، بل مالكٌ - إمام أهل المدينة النبوية الذين هم أعلم الناس بحكم هذه المسألة ، كره أن يقول الرجل : زرت قبر النبي ﷺ ، ولو كان هذا اللفظ معروفاً عندهم ، أو مشروحاً ، أو مأثوراً عن النبي ﷺ لم يكرهه عالم أهل المدينة .

والإمام أحمد أعلم الناس في زمانه بالسنة ، لما سئل عن ذلك ، لم يكن عنده ما يعتمد عليه في ذلك من الأحاديث ، إلا حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

«ما من رجل مسلم يسلم عليَّ إلا ردَّ الله عليَّ روحِي حتى أرد عليه السلام»^(١) .

وعلى هذا اعتمد أبو داود في سننه^(٢) .

وكذلك مالك في الموطأ ، روى عن عبدالله بن عمر :

«أنه كان إذا دخل المسجد قال : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبت ، ثم ينصرف» .

وفي سنن أبي داود^(٣) ، عن النبي ﷺ أنه قال :

«لاتخذوا قبوري عيداً ، وصلُّوا عليَّ ، فإن صلَّاتكم تبلغني حينما كنتم» .

وفي سنن سعيد بن منصور : «أن عبدالله بن حسن بن علي بن

أبي طالب رأى رجلاً يختلف إلى قبر النبي ﷺ ، فقال له : إن رسول الله ﷺ

قال : «لاتخذوا قبوري عيداً ، وصلُّوا عليَّ ، فإن صلَّاتكم حينما [كنتم]^(٤)

تبلغني» فما أنت ورجل بالأندلس منه إلا سواء» .

(١) رواه أحمد (٥٢٧/٢) ، عن أبي هريرة .

(٢) برقم (٢٠٤١) ، عن أبي هريرة .

(٣) برقم (٢٠٤٢) ، عن أبي هريرة . (٤) في الأصل كنت ، وما أثبتته من المطبوع .

وفي الصحيحين عن عائشة : عن النبي ﷺ أنه قال في مرض موته :

«لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، يحذر ما فعلوا ، ولولا ذلك لأبرز قبره ، ولكن كره أن يتخذ مسجدا» (١).

وهم دفنوه ﷺ في حجرة عائشة - رضي الله عنها - خلاف ما اعتادوه من الدفن في الصحراء ، لثلا يصلي أحد عند قبره ويتخذ مسجداً ، فيتخذ قبره وثناً .

وكان الصحابة والتابعون - لما كانت الحجرة النبوية منفصلة عن المسجد ، إلى زمن الوليد بن عبد الملك ، لا يدخل أحد إليه ، لا لصلاة هناك ، ولا تمسح بالقبر ، ولا دعاء هناك ، بل هذا جميعه إنما كانوا يفعلونه في المسجد .

وكان السلف من الصحابة والتابعين إذا سلموا على النبي ﷺ ، وأرادوا الدعاء دعوا مستقبلي القبلة ، ولم يستقبلوا القبر .

وأما الوقوف للسلام عليه ، صلوات الله عليه وسلامه ، فقال أبو حنيفة : يستقبل القبلة أيضاً ، ولا يستقبل القبر .

وقال أكثر الأئمة : يستقبل القبر عند الدعاء .

وليس في ذلك إلا حكاية مكذوبة ، تروى عن مالك ، ومذهبه بخلافها : واتفق الأئمة على أنه لا يمس قبر النبي ﷺ ولا يقبله .

وهذا كله محافظة على التوحيد ، فإن من أصول الشرك بالله اتخاذ القبور

مساجد ، كما قال طائفة من السلف في قوله تعالى :

﴿وَقَالُوا لَا تَدْرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ (٢).

قالوا : «هؤلاء كانوا قومًا صالحين في قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على

(١) رواه البخاري برقم (٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٥٨١٥ ، ٥٨١٦) ، عن عائشة وابن عباس .

ورواه مسلم برقم (٥٢٩) .

(٢) [سورة نوح : ٢٣] .

قبورهم، / ثم صوروا على صورهم تماثيل ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوها .

وقد ذكر البخاري في صحيحه هذا المعنى عن ابن عباس .

وذكره محمد بن جرير الطبري وغيره في التفسير عن غير واحد من السلف

وذكره وثيمة^(*) وغيره في قصص الأنبياء ، من عدة طرق .

وقد بسطت الكلام على أصول هذه المسائل في غير هذا الموضوع .

وأول من وضع هذه الأحاديث في السفر لزيارة المشاهد التي على القبور:

أهل البدع من الرافضة ونحوهم ، الذين يُعطلون المساجد ، ويعظمون المشاهد،

يَدْعُونَ بيوت الله التي أمر الله أن يذكر فيها اسمه ، ويُعبد وحده لا شريك له،

ويعظمون المشاهد التي يشرك فيها ويكذب وبيتدع فيها دين لم ينزل الله به

سلطاناً، فإن الكتاب والسنة ، إنما فيهما ذكر المساجد دون المشاهد ، كما قال

تعالى:

﴿ قُلْ أَمْرُ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ

الدين ﴾^(١)

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾^(٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَبَاشِرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ﴾^(٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾^(٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي

خَرَابِهَا ﴾^(٥) .

(*) كتب في هامش الأصل : وثيمة بفتح الواو وكسر الثاء وإسكان الياء وفتح الميم .

(١) [سورة الأعراف: ٢٩] .

(٢) [سورة التوبة: ١٨] .

(٣) [سورة البقرة: ١٨٧] .

(٤) [سورة الجن: ١٨] .

(٥) [سورة البقرة: ١١٤] .

وقد ثبت عنه ﷺ في الصحيح : أنه كان يقول :

«إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإني أنهاكم عن ذلك»^(١).

هذا آخر ما أجاب به شيخ الإسلام ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وله من الكلام في مثل هذا كثير ، كما أشار إليه في الجواب .

ولما ظفروا في دمشق بهذا الجواب كتبوه ، وبعثوا به إلى الديار المصرية

وكتب عليه قاضي الشافعية :

قابلت الجواب عن هذا السؤال المكتوب على خط ابن تيمية ، فصح - إلى

أن قال : وإنما [المحرف]^(٢) جعله : زيارة قبر النبي ﷺ وقبور الأنبياء صلوات الله عليهم معصية بالإجماع مقطوع بها .

هذا كلامه ، فانظر إلى هذا التحريف على شيخ الإسلام ، والجواب ليس

فيه المنع من زيارة قبور الأنبياء والصالحين ، وإنما ذكر فيه قولين في شد الرحل

والسفر إلى مجرد زيارة القبور ، وزيارة القبور من غير شد رحل إليها مسألة ،

وشد الرحل لمجرد الزيارة مسألة أخرى .

والشيخ لا يمنع الزيارة الخالية عن شد رحل ، بل يستحبها ، ويندب إليها ،

وكتبه ومناسكه تشهد بذلك ، ولم يتعرض الشيخ إلى هذه الزيارة في الفتيا ،

ولا قال : إنها معصية ، ولا حكى الإجماع على منع منها ، والله سبحانه وتعالى

لا تخفى عليه خافية .

* * *

(١) رواه مسلم (٦٧/٢-٦٨) عن جندب بن عبدالله البجلي .

(٢) في الأصل الحجة ، وكتب في الهامش لعله المحرف .

ولما وصل خط القاضي المذكور إلى الديار المصرية ، كثر الكلام وعظمت
الفتنة ، وطلب القضاة بها ، فاجتمعوا وتكلموا ، وأشار بعضهم بحبس الشيخ ،
فرسم السلطان به وجرى ما تقدم ذكره .
ثم جرى بعد ذلك أمور على القائمين في هذه القضية لا يمكن ذكرها في
هذا الموضع .



[انتصار علماء بغداد للشيخ

في مسألة شدِّ الرِّحال للقبور]^(١)

وقد وصل ما أجاب به الشيخ في هذه المسألة إلى علماء بغداد ، فقاموا في
الانتصار له ، وكتبوا بموافقته ، ورأيت خطوطهم بذلك .
وهذا صورة ما كتبوا :

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول العبد الفقير إلى الله تعالى :

بعد حمد الله السابغة نعمه ، السابقة مننه ، والصلاة على أشرف الأنبياء
 والمرسلين ، محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

إنه حيث قد منَّ الله تعالى على عباده ، وتفضَّل برحمته على بلاده بأن
وسَّد أمور الأمة المحمدية ، وأسند أزمة الملة الحنيفية ، إلى من خصصه الله

تعالى بأفضل الكمالات/ النفسانية ، وخصص بأكمل السعادات الروحانية ، [ق/١٠٠]
محيي سنن العدل ، ومُبدي سنن الفضل المعتصم بحبل الله ، المتوكل على الله ،
المكتفي بنعم الله ، القائم بأوامر الله ، المستظهر بقوة الله ، المستضيء بنور الله ،

(١) من المطبوع .

أعز الله سلطانه ، وأعلى على سائر الملوك شأنه ، ولا زالت رقاب الأمم خاضعة لأوامره ، وأعناق العباد طائعة لمراسمه ، ولا زال موالى دولته بطاعته مجبوراً ، ومعادي صولته بخزيه مذموماً مدحوراً .

فالمرجو من أطفاف الحضرة المقدسة - زادها الله تعالى علواً وشرفاً - أن يكون للعلماء الذين هم ورثة الأنبياء ، وصفوة الأصفياء ، وعماد الدين ومدار أهل اليقين ، حظ من المنايا السلطانية وافر ، ونصيب من الرحمة والشفقة ، فإنها منقبة لا يعادلها فضيلة ، وحسنة لا يحيطها سيئة ، لأنها حقيقة التعظيم لأمر الله تعالى ، وخلاصة الشفقة على خلق الله تعالى .

ولا ريب أن المملوك وقف على ما [سئله]^(١) الشيخ الإمام العلامة وحيد دهره وفريد عصره ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية ، وما أجاب به . فوجدته خلاصة ما قاله العلماء في هذا الباب حسب ما اتقضاه الحال من نقله الصحيح وما أدى إليه البحث من الإلزام والالتزام ، لا يداخله تحامل ، ولا يعتريه تجاهل ، وليس - فيه والعياذ بالله - ما يقتضي الإزراء والتنقيص بمنزلة الرسول ﷺ .

وكيف يجوز للعلماء أن يحملهم العصبية : أن يتفوهوا بالإزراء والتنقيص في حق الرسول ﷺ ؟

وهل يجوز أن يتصور متصور : أن زيارة قبره ﷺ تزيد في قدره ، وهل تركها مما ينقص من تعظيمه .
حاشا للرسول من ذلك .

نعم لو ذكر ذاكر ابتداء ، وكان هناك قرائن تدل على الإزراء والتنقيص ، أمكن حمله على ذلك ، مع أنه كان يكون كناية لا صريحاً فكيف وقد قاله في

(١) في المطبوع : سئل عنه .

معرض السؤال وطريق البحث والجدل؟

مع أن المفهوم من كلام العلماء ، وأنظار العقلاء : أن الزيارة ليست عبادة وطاعة لمجردها ؛ حتى لو حلف : أنه يأتي بعبادة أو طاعة لم يبرأ بها .
لكن القاضي ابن كَجْ - من متأخري أصحابنا - ذكر أن نذر هذه الزيارة عنده قربة تلزم نادرها .

وهو منفرد به ، لا يساعده في ذلك نقل صريح ولا قياس صحيح .
والذي يقتضيه مطلق الخبر النبوي في قوله ﷺ :

« لا تشد الرحال ... إلى آخره » أنه لا يجوز شد الرحال إلى غير ما ذكر أو وجوبه ، أو نديته ، [فإن فعله]^(١) كان مخالفاً لصريح النهي ، ومخالفة النهي معصية - إما كفر ، أو غيره - على قدر المنهي عنه ووجوبه ، وتحريمه ، وصفة النهي والزيارة أخص من وجهه ، فالزيارة بغير شد غير منهي عنها ، ومع الشد منهي عنها .

وبالجملة ، فما ذكره الشيخ تقي الدين على الوجه المذكور الموقوف عليه ، لم يستحق عليه عقاباً ، ولا يوجب عتاباً .
والمراحم السلطانية أخرى بالتوسعة عليه ، والنظر بعين الرأفة والرحمة إليه وللآراء الملكية علوّ المزيد .

حرره ابن الكتبي الشافعي ، حامداً الله على نعمه . ١٠ هـ

(١) من المطبوع .

جواب آخر

الله الموفق .

ما أجاب به الشيخ الأجل الأوحى ، بقية السلف ، وقدوة الخلف ، رئيس المحققين ، وخلاصة المدققين ، تقي الملة والحق والدين .

من الخلاف في هذه المسألة : صحيح منقول في غير ما كتاب من كتب أهل العلم ، لا اعتراض عليه في ذلك ، إذ ليس في ذلك ثلبٌ لرسول الله ﷺ ولا غَضٌ من قدره ﷺ .

وقد نص الشيخ أبو محمد الجويني في كتبه على تحريم السفر لزيارة القبور ، وهذا اختيار القاضي الإمام عياض بن موسى بن عياض في إكماله ، وهو من أفضل المتأخرين من أصحابنا .

ومن المدونة / ومن قال : عليّ المشي إلى المدينة ، أو بيت المقدس ، فلا يأتيهما أصلاً إلا أن يريد الصلاة في مسجديهما ، فليأتها ؟ [ق/١٠١]

فلم يجعل نذر زيارة قبره ﷺ طاعة يجب الوفاء بها ، إذ من أصلنا : أن من نذر طاعة لزمه الوفاء بها ، كان من جنسها ما هو واجب بالشرع ، كما هو مذهب أبي حنيفة أو لم يكن .

قال القاضي أبو إسحق إسماعيل بن إسحاق ، عقيب هذه المسألة ، ولولا الصلاة فيهما لما لزمه إتيانها ، ولو كان نذر زيارة طاعة لما لزمه ذلك .

وقد ذكر ذلك القيرواني في تقريبه ، والشيخ وابن سيرين في تنبيهه .

وفي المبسوط قال مالك : ومن نذر المشي إلى مسجد من المساجد ليصلي فيه قال : فإنني أكره ذلك له ، لقوله ﷺ : « لا تُعْمَلُ المطيُّ ، إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجد بيت المقدس ، ومسجدي هذا »^(١) .

(١) رواه مالك ص ١٠٩ ، عن أبي هريرة مطولاً .

ورواه البخاري برقم (١١٨٩) ، ومسلم برقم (١٣٩٧) ، عن أبي هريرة بلفظ :

« لا تشد الرحال ... » .

وروى محمد بن المَوَازِ في المَوَازِيَةِ: إلا أن يكون قريبًا ، فيلزمه الوفاء ،
لأنه ليس بشد رحل .

وقد قال الشيخ أبو عمر بن عبد البر في كتابه «التمهيد» : يحرم على
المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والصالحين مساجد .

وحيث تقرر هذا فلا يجوز أن ينسب من أجاب في هذه المسألة بأنه سفر
منهي عنه إلى الكفر ، فمن كفره بذلك من غير موجب ، فإن كان مستيحيًا ذلك
فهو كافر ؛ وإلا فهو فاسق .

قال الإمام أبو عبدالله محمد بن علي المازري ، في كتاب «المُعلِّم» : من
كفر أحدًا من أهل القبلة فإن كان مستيحيًا ذلك فقد كفر ، وإلا فهو فاسق ،
يجب على الحاكم إذا رُفِع أمره إليه أن يؤديه ، ويُعزِّره بما يكون رادعًا لأمثاله ،
فإن ترك مع القدرة عليه ، فهو آثم ، والله تعالى أعلم . ١٠ هـ .

كتبه محمد بن عبدالرحمن البغدادي ، الخادم للطائفة المالكية بالمدرسة
الشريفة المستنصرية ، رحمة الله على منشئها .

أجاب غيره فقال

الحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد ، وعلى آله
الطاهرين .

ما ذكره مولانا الإمام العالم العامل ، جامع الفضائل والفوائد ، بحر
العلوم ومنشأ الفضل جمال الدين ، كاتب خطه أمام خطي هذا ، جملَّ الله به
الإسلام ، وأسبغ عليه سوابغ الإنعام ، أتى فيه بالحق الجلي الواضح ، وأعرض

فيه عن إغضاء المشايخ ، إذ السؤال والجواب اللذان تقدماه ، لا يخفى على ذي فطنة وعقل ، أنه أتى في الجواب بالمطابق للسؤال ، بحكاية أقوال العلماء الذين تقدموه ، ولم يبق عليه في ذلك إلا أن يعترضه معترض في نقله ، فيبرزه له من كتب العلماء الذين حكى أقوالهم ، والمعترض له بالتشنيع ، إما جاهل لا يعلم ما يقول ، أو متجاهل يحمله حسده وحمية الجاهلية على رد ما هو عند العلماء مقبول . أعاذنا الله تعالى من غوائل الحسد ، وعصمنا من مخائل النكد ، بمحمد وآله الطيبين الطاهرين ، والحمد لله رب العالمين .

كتبه الفقير إلى عفو ربه ورضوانه ، عبد المؤمن بن عبد الحق الخطيب ، غفر الله له وللمسلمين أجمعين .

وأجاب غيره فقال

بعد حمد الله الذي هو فاتح كل كلام ، والصلاة والسلام على رسوله محمد خير الأنام وعلى آله وأصحابه البررة الكرام ، أعلام الهدى ومصابيح الظلام .

يقول أفقر عباد الله ، وأحوجهم إلى عفوهِ : ما حكاه الشيخ الإمام البارع الهمام ، افتخار الأنام ، جمال الإسلام ، ركن الشريعة ، ناصر السنة ، قانع البدعة ، جامع أشتات الفضائل ، قدوة العلماء الأمثال ، في هذا الجواب من أقوال العلماء ، والأئمة النبلاء - رحمة الله عليهم أجمعين - بين لا يُدفع ، [ق/١٠٢] ومكشوف لا يتَّقَع ، بل أوضح من النيرين ، وأظهر من فوق الصبح لذي / عينين ، والعمدة في هذه المسألة : الحديث المتفق على صحته ومنشأ الخلاف بين

العلماء من احتمالي صيغته .

وذلك : أن صيغة قوله ﷺ : « لا تشد الرحال » ذات وجهين ، نفي ونهي ، لاحتمالها لهما ، فإن لُحِظَ معنى النفي [فمقتضاه] ^(١) : نفي فضيلة واستحباب شد الرحال ، وإعمال المطيِّ إلى غير المساجد الثلاثة إذ لو فرض وقوعهما لامتنع رفعهما ، فتعين توجُّه النفي إلى فضيلتهما واستحبابهما دون ذاتهما ، وهذا عام في كل ما يعتقد أن إعمال المطيِّ وشد الرحال إليه قرينة وفضيلة : من المساجد وزيارة قبور الصالحين ، وما جرى هذا المجرى ، بل أعم من ذلك وإثبات ذلك بدليل ضرورة إثبات ذلك المنفي المقدر في صدر الجملة لما بعد «إلا» ، وإلا لما افترق الحكم بين ما قبلها وما بعدها ، وهو مفترق حيثنذ لا يلزم من نفي الفضيلة والاستحباب نفي الإباحة ، فهذا وجه متمسك من قال بإباحة هذا السفر ، بالنظر إلى أن هذه الصيغة نفي ، وبنى على ذلك جواز القصر .

وإن كان النهي ملحوظاً ، فالمعنى نهيته عن إعمال المطيِّ وشد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة ، إذ المقرر عند عامة الأصوليين أن النهي عن الشيء قاض بتحريمه أو كراهته ، على حسب مقتضى الأدلة ، فهذا وجه متمسك من قال بعدم جواز القصر في هذا السفر ، لكونه منهياً عنه ، وممن قال بحرمة : الشيخ الإمام أبو محمد الجويني من الشافعية ، والشيخ أبو الوفاء ابن عقيل من الحنابلة ، وهو الذي أشار القاضي عياض من المالكية إلى اختياره .

وما جاء من الأحاديث في استحباب زيارة القبور ، فمحمول على ما لم يكن فيه شد رحل وإعمال مطيِّ ، جمعاً بينهما .

ويحتمل أن يقال : لا يصلح أن يكون غير حديث « لا تشد الرحال »

(١) كتبت على هامش الأصل : فمعناه ، كذا في الأصل على هامشه .

معارضاً له ، لعدم مساواته إياه في الدرجة ، لكونه من أعلى أقسام الصحيح ،
والله أعلم .

وقد بلغني^(١) أن رُزيءً وضيق على المجيب ، وهذا أمر يحار فيه اللبيب
ويتعجب منه الأريب ، ويقع به في شك مريب .

فإن جوابه في هذه المسألة قاضٍ بذكر خلاف العلماء ، وليس حاكماً
بالغض من الصالحين والأنبياء ، فإن الأخذ بمقتضى كلامه صلوات الله وسلامه
عليه في الحديث المتفق على صحة رفعه إليه ؛ هو الغاية القصوى في تتبع أوامره
ونواهيه ، والعدول عن ذلك محذور ، وذلك مما لا مريّة فيه .

وإذا كان كذلك فأَيُّ حَرَجٍ على مَنْ سُئِلَ عن مسألة فذكر فيها خلاف
الفقهاء ومال فيها إلى بعض أقوال العلماء؟ فإن الأمر لم يزل كذلك على ممرِّ
العصور ، وتعاقب الدهور .

وهل ذلك محمول من القادح إلا على امتطاء نضو الهوى المفضي بصاحبه
إلى التوى فإن مَنْ يُقْتَبَسَ من فوائده ، ويلتقط من فرائده ، لحقيق بالتعظيم ،
وخليق بالتكريم ، ممن له الفهم السليم ، والذهن المستقيم ، وهل حكم المظاهر
عليه في الظاهر ، إلا كما قيل في المثل السائر ، وقول الشاعر : الشعرير يؤكل
ويذم :

جزى بنوه أبا الغيلان عن كِبَرٍ وحسن فعل كما يُجزى سِنِمَارُ
غيره :

وحديث ألذه ، وهو مما ينعتُ النَّاعِثُونَ يُوزَنُ وَزْنَا
منطق رائع ، ويلحنُ أحيَا نا ، وخيرُ الحديثِ ما كانَ لَحْنًا

(١) في الأصل : «بلغ» .

وقال الله تعالى :

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ

شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ

لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا / (٧٠) يُصْلِحْ

لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) (٣)

وقال تعالى : ﴿وَلْيَنْصِرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٤)

ولولا خشية الملاة ، لما نكبت عن الإطالة

نسأل الله الكريم أن يسلك بنا وبكم سبيل الهداية ، وأن يجنبنا وإياكم

مسلك الغواية ، إنه على كل شيء قدير ، وبالإجابة جدير ، حسبنا الله ونعم

الوكيل ونعم النصير .

والحمد لله رب العالمين ، وصلوات الله وسلامه على سيد المرسلين ،

محمد النبي وآله الطاهرين وأصحابه الكرام المتخيين .

هذا جواب الشيخ الإمام العلامة جمال الدين يوسف بن عبد المحمود بن

عبد السلام بن البتي الحنبلي - رحمه الله تعالى - .

قال المؤلف : ومن خطه نقلت .

(٢) [سورة المائدة : ٢] .

(٤) [سورة الحج : ٤٠] .

(١) [سورة المائدة : ٨] .

(٣) [سورة الأحزاب : ٧٠ ، ٧١] .

جواب آخر

لبعض علماء أهل الشام المالكية

الحمد لله ، وهو حسبي .

السفر إلى غير المساجد الثلاثة ليس بمشروع ، وأما من سافر إلى مسجد النبي ﷺ ، ليصلي فيه ويسلم على النبي ﷺ وعلى صاحبيه - رضي الله عنهما - فمشروع ، كما ذكر باتفاق العلماء .

وأما لو قصد إعمال المطي لزيارته ﷺ ، ولم يقصد الصلاة ، فهذا السفر إذا ذكر رجل فيه خلافاً للعلماء : وأن منهم من قال : إنه منهي عنه ، ومنهم من قال : إنه مباح ، وأنه على القولين ليس بطاعة ولا قرية ، فمن جعله طاعة وقرية على مقتضى هذين القولين كان حراماً بالإجماع ، وذكر حجة كل قول منهما ، أو رجح أحد القولين ، لم يلزمه ما يلزم من تنقص ، إذا لاتنقص في ذلك ولا إضرار بالنبي ﷺ .

وقد قال مالك - رحمه الله - لسائل سأله : إنه نذر أن يأتي قبر النبي ﷺ فقال : إن كان أراد مسجد النبي ﷺ فليأته وليصل فيه ، وإن كان أراد القبر فلا يفعل ، للحديث الذي جاء « لا تُعمَلُ المطيُّ إلا إلى ثلاثة مساجد » . والله أعلم .

كتبه أبو عمرو بن أبي الوليد المالكي .

كذلك يقول عبدالله بن أبي الوليد المالكي .

قال المؤلف - رحمه الله - : نقلت هذه الأجوبة كلها من خط المفتين بها .

قال : ووقفت على كتاب ورد مع أجوبة أهل بغداد ، وصورته :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ناصر الملة الإسلامية ، ومُعزَّ الشريعة المحمدية ، بدوام أيام
الدولة المباركة السلطانية ، المالكية ، الناصرية ، ألبسها الله تعالى لباس العزِّ
المقرون بالدوام ، وحلاها بحلوة النَّصْرِ المستمرِّ بمرور الليالي والأيام ، والصلاة
والسلام على النبي المبعوث إلى جميع الأنام ، صلى الله عليه وعلى آله البررة
الكرام .

اللهم إن بابك لم يزل مفتوحًا للسائلين ، ورفدك ما برحَ مبدولاً
للوافدين ، مَنْ عَوَّدته مسألتك وحدك ، لم يسأل أحداً سواك ، وَمَنْ مَنَحته
مناخِ رفدك ، لم يَقْدِ على غيرك ، ولم يَحْتَمِ إلا بحماك ، أنت الرب العظيم
الكريم الأكرم ، قصدُ باب غيرك على عبادك محرم ، أنت الذي لا إله غيرك ،
ولا معبود سواك ، وعزَّ جارك وجلَّ ثناؤك ، وتقدَّست أسماؤك ، وعظم
بلاؤك ، ولا إله غيرك ، ولم تزل سُنَّتُك في خلقك جارية بامتحان أوليائك
وأجبابك ، تفضلاً منك عليهم ، وإحساناً من لدنك إليهم ، ليزدادوا لك في
جميع الحالات ذكراً ، ولإنعامك في جميع التقلبات شكراً ، ولكن أكثر الناس
لا يعلمون ، ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَصْرِيبِهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾^(١) .

اللهم وأنت العالم الذي لا تُعَلِّم ، وأنت الكريم الذي لا تَبْخُل ، قد
علمت يا عالم السرِّ والعلانية ، أن قلوبنا لم تزل ترفع إخلاص الدعاء صادقة ،
وألستنا في حالتي السر والعلانية ناطقة ، أن تسعفنا / بإمداد هذه الدولة المباركة [ق/١٠٤]
الميمونة السلطانية الناصرية بمزيد العلا والرفعة والتمكين ، وأن تحقق آمالنا فيها
بإعلاء الكلمة في ذلك ، برفع قواعد دعائم الدين ، وقمع مكاييد الملحدين ، لأنها
الدولة التي برئت من غشيان الجَنَفِ والحَيْفِ وسلمت من طغيان القَلَمِ والسَّيفِ .

(١) [سورة العنكبوت : ٤٣] .

والذي ينطوي عليه ضمائر المسلمين ، ويشتمل عليه سرائر المؤمنين : أن
السلطان الملك الناصر للدين ممن قال فيه رب العالمين ، وإله السموات
والأرضين : الذي بتمكينه في أرضه حصل التمكين لملوك الأرض وعظماء
السلطين ، في كتابه العزيز الذي يتلى ، فمن شاء فليتبدر :

﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ
وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (١) ، وهو ممن مكَّنه الله تعالى في الأرض تمكينًا ، يقينًا لا
ظنًا ، وهو من يعني بقوله تعالى :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا
اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ
خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ (٢) .

والذي عهدته المسلمون ، وتعوده المؤمنون ، من المراحم الكريمة ،
والعواطف الرحيمة ، إكرام أهل الدين ، وإعظام علماء المسلمين .

والذي حمل على رفع هذه الأدعية الصريحة إلى الحضرة الشريفة - وإن
كانت لم تزل مرفوعة إلى الله سبحانه بالنية الصحيحة - قوله ﷺ :

«الدين النصيحة ، قيل : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولرسوله ، ولأئمة
المسلمين ، وعامتهم» (٣)

وقوله ﷺ : «الأعمال بالنيات» (٤) ، فهذان الحديثان مشهوران بالصحة ،
ومستفاضان في الأمة .

(٢) [سورة النور : ٥٥] .

(١) [سورة الحج : ٤١]

(٣) رواه مسلم برقم (٥٥) عن تميم الداري .

(٤) رواه البخاري برقم (١) ، وفي مواضع أخرى ، ومسلم برقم (١٩٠٧) عن عمر .

ثم إن هذا الشيخ المعظم الجليل، والإمام المكرم النبيل؛ أوحده الدهر،
 وفريد العصر؛ طراز المملكة الملكية، وعلم الدولة السلطانية، لو أقسم مقسم بالله
 العظيم القدير أن هذا الإمام الكبير، ليس له في عصره مماثل ولا نظيره، وكانت
 يمينه برّة، غنية عن التكفير، وقد خلت من وجود مثله السبع الأقاليم، إلا هذا
 الإقليم، يوافق على ذلك كل منصف جُبلَ على الطبع السليم، ولست بالشئ
 عليه أُطْرِيه، بل لو أطنب مُطنِبٌ في مدحه والثناء عليه، لما أتى على بعض
 الفضائل التي هي فيه: أحمد بن تيمية، دُرّةٌ يتيمةٌ يتنافس فيها، تشتري ولا تباع،
 ليس في خزائن الملوك دُرّةٌ تماثلها وتواخيها، انقطعت عن وجود مثله الأطماع .
 لقد أصمَّ الأسماع ، وأوهى قوى المتبوعين والأتباع ، سماعُ رفع أبي
 العباس - أحمد بن تيمية - إلى القلاع .

وليس يقع من مثله أمرٌ ينقم منه عليه ، إلا أنه يكون أمراً قد لبس عليه ،
 ونسب إلى ما لا ينسب مثله إليه ، والتطويل على الحضرة العالية لا يليق ، إن
 يكن في الدنيا قطب فهو القطب على التحقيق ، قد نصب الله السلطان أعلى الله
 شأنه في هذا الزمان ، منصب يوسف الصديق ، صلى الله على نبينا وعليه ، لما
 صرف الله وجوه أهل البلاد إليه حين أمحلت البلاد ، واحتاج أهلها إلى
 [القوت] ^(١) المدخّر لديه ، والحاجة بالناس الآن إلى قوت الأرواح المشار في ذلك
 الزمان إليها، لإخفاء أنها للعلوم الشريفة ، والمعاني اللطيفة .

وقد كانت في بلاد المملكة السلطانية ، حرسها الله تعالى تُكل إلينا جزافاً
 بغير أثمانٍ منحةً عظيمة من الله للسلطان ، ونعمة جسيمة ، إذ خص بلاد
 مملكته، وإقليم دولته ، بما لا يوجد في غيرها من الأقاليم والبلدان / ، وكان قد [ق/١٠٥]

(١) في الاصل : القوات ، وكتب في الهامش : لعله قوت .

قلت : وهو الموافق للسياق .

الملك قد رفع القلاع ، ومثل هذه الميرة لا توجد في غير تلك البلاد لتشتري أو تباع ، فصادف ذلك جذب الأرض ونواحيها جذباً أعطب أهلها ، حتى صاروا من شدة حاجتهم إلى الأقوات كالأموات ، والذي عرض للملك بالتضييق على صاحب صواعه ، مع شدة الحاجة إلى غذاء الأرواح ، لعله لم يتحقق عنده أن هذا الإمام من أكابر الأولياء ، وأعيان أهل الصلاح ، وهذه نزغة من نزغات الشيطان ، قال الله سبحانه : ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ (١) .

وأما إزاء بعض العلماء عليه في فتواه ، وجوابه عن مسألة شدّ الرّحال إلى زيارة القبور ، فقد حمل جواب علماء هذه البلاد إلى نظرائهم من العلماء ، وقرنائهم من الفضلاء ، وكلهم أفتى : أن الصواب في الذي به أجاب ، والظاهر بين الأنام ، أن إكرام هذا الإمام ، ومعاملته بالتبجيل والاحترام ، فيه قوام الملك ، ونظام الدولة ، وإعزاز الملة ، واستجلاب الدعاء ، وكبّت الأعداء ، وإذلال أهل البدع والأهواء ، وإحياء الأمة وكشف الغمة ، ووفور الأجر ، وعلو الذكر ، ورفّع الباس ، ونفع الناس ، ولسان حال المسلمين ، تال قول الكبير المتعال : ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهَلْنَا الضَّرَّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ (٢) .

والبضاعة المزجاة: هي هذه الأوراق المرقومة بالأقلام ، والميرة المطلوبة : هي الإفراج عن شيخ الإسلام ، والذي حمل على هذا الإقدام قوله عليه السلام :
«الدين النصيحة» والسلام.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الكرام ، وسلم تسليمًا .

هذا آخر هذا الكتاب .

(٢) [سورة يوسف : ٨٨] .

(١) [سورة الإسراء : ٥٢] .

قال المؤلف : ووقفت على كتاب آخر من بغداد أيضاً ، صورته :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد النبي وآله وصحبه أجمعين .

اللهم فكما أيدت ملوك الإسلام ، وولاة الأمور ، بالقوة والأيد ، وشيدت لهم ذكراً ، وجعلتهم للمقهور اللائذ بجنابهم ذخرًا ، وللمكسور العائد بأكتاف بابهم جبرًا فاشدد اللهم منهم بحسن معونتك لهم أزرًا وأعل لهم مجدًا وارفع قدرًا ، وزدهم عزًا وزودهم على أعدائك نصرًا ، وامنحهم توفيقًا مسددًا ، وتمكينًا مستمرًا .

وبعد فإنه لما قرع أسمع أهل البلاد الشرقية ، والنواحي العراقية التضييق على شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس - أحمد بن تيمية - سلمه الله ، عظم ذلك على المسلمين ، وشقَّ على ذوي الدين ، وارتفعت رءوس الملحدين ، وطابت نفوس أهل الأهواء والمبتدعين ، ولما رأى علماء أهل هذه الناحية ، عظم هذه النازلة من شماتة أهل البدع وأهل الأهواء بأكابر الأفاضل ، وأئمة العلماء ، أنهوا حال هذا الأمر الفظيع والأمر الشنيع ، إلى الحضرة الشريفة السلطانية ، زادها الله شرفًا ، وكتبوا أجوبتهم في تصويب ما أجاب الشيخ - سلمه الله في فتاوه - وذكروا من علمه وفضائله بعض ما هو فيه ، وحملوا ذلك إلى بين يدي مولانا ملك الأمراء ، أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره ، غيرة منهم على هذا الدين ، ونصيحة للإسلام وأمراء المؤمنين .

والآراء المولوية العالية ، أولى بالتقديم ، لأنها ممنوحة بالهداية إلى

[١٠٦/ق]

الصراط / المستقيم .

وأفضل الصلاة وأشرف التسليم ، على النبي الأمي ، صلى الله عليه
وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ، وسلم تسليماً .

[وفاة الشيخ رحمه الله بالقلعة

وما كتب بها قبل موته]^(١)

ثم إن الشيخ - رحمه الله تعالى - بقي مقيماً بالقلعة ستين وثلاثة أشهر
وأياماً ، ثم توفي إلى رحمة الله ورضوانه ، وما برح في هذه المدة مكباً على
العبادة والتلاوة وتصنيف الكتب ، والرد على المخالفين .

وكتب على تفسير القرآن العظيم جملة كثيرة ، تشتمل على نفائس جليلة
ونكتاً دقيقة ومعاني لطيفة ، وبيّن في ذلك مواضع كثيرة أشكلت على خلقٍ من
علماء أهل التفسير .

وكتب في المسألة التي حُبس بسببها عدة مجلدات :

منها : كتاب في «الرد على ابن الإخنائي» قاضي المالكية بمصر ، تعرف
«بالإخنائية»^(٢) ، ومنها كتاب كبير حافل في الردّ على بعض قضاة الشافعية ،
وأشياء كثيرة في هذا المعنى أيضاً .

* * *

(١) من المطبوع .

(٢) وهي مطبوعة ضمن مجموع الفتاوى (٢٧/٢١٤-٢٨٨) وهي المختصر فقط ، وأما الأصل
فطبع بتحقيق الشيخ العلمي اليماني - رحمه الله - بالمطبعة السلفية بمصر .

[وفاة الشيخ عبد الله أخي الشيخ]^(١)

وفي هذه المدة التي كان الشيخ فيها بالقلعة توفي أخوه الشيخ الإمام العالم العلامة ، البارع ، الحافظ ، الزاهد ، الورع ، جمال الإسلام ، شرف الدين ، أبو محمد عبدالله ، توفي يوم الأربعاء الرابع عشر من جمادى الأولى من سنة سبع وعشرين وسبعمائة ، وصُلِّيَ عليه ظهر اليوم المذكور بجامع دمشق ، وحمل إلى باب القلعة ، فصُلِّيَ عليه مرة أخرى ، وصُلِّيَ عليه أخواه وخلق من داخل القلعة ، وكان الصوت بالتكبير يبلغهما ، وكثر البكاء في تلك الساعة ، وكان وقتاً مشهوداً .

ثم صُلِّيَ عليه مرة ثالثة ورابعة ، وحمل على الرءوس والأصابع إلى مقبرة الصوفية ، فدفن بها ، وحضر جنازته جمع كثير ، وعالم عظيم ، وكثر الثناء والتأسف عليه .

وكان - رحمه الله - صاحب صدق وإخلاص ، قانعاً باليسير ، شريف النفس ، شجاعاً مقداماً مجاهداً ، بارعاً في الفقه ، إماماً في النحو ، مستحضرًا لتراجم السلف ووفياتهم ، له في ذلك يد طولى ، عالمًا بالتواريخ المتقدمة والمتأخرة ، وكان رحمه الله شديد الخوف والشفقة على أخيه شيخ الإسلام .

وكان يخرج من بيته ليلاً ، ويرجع إليه ليلاً ، ولا يجلس في مكان معين ، بحيث يقصد فيه ، ولكنه يأوى إلى المساجد المهجورة ، والأماكن التي ليست بمشهورة .

(١) من المطبوع .

وكان كثير العبادة والتأله والمراقبة والخوف من الله ، ولم يزل على ذلك إلى حين مرضه ووفاته .

ومولده في اليوم الحادي عشر من المحرم سنة ست وستين وستمائة بحران .
وسمع من ابن أبي اليسر ، والجمال عبد الرحمن البغدادي ، وابن الصيرفي ، والشيخ شمس الدين ، وابن البخاري وخلق كثير .
وحدث وسمع الكتب الكبار .

وقد سُئل عنه الشيخ كمال الدين ابن الزمكاني ، فقال : هو بارع في فنون عديدة من الفقه والنحو والأصول ، ملازم لأنواع الخير وتعليم العلم ، حسن العبادة ، قوي في دينه ، جيد التفقه ، مستحضرًا لمذهبه استحضارًا جيدًا ، مليح البحث ، صحيح الذهن ، قوي الفهم .

[معاملة الشيخ في سجنه بالقلعة]^(١)

قلت : وما زال الشيخ تقي الدين - رحمه الله - في هذه المدة معظمًا مكرمًا ، يكرمه نقيب القلعة ونائبها إكرامًا كثيرًا ، ويستعرضان حوائجه ويبالغان في قضائهما .

وكان ما صنفه في هذه المدة قد خرج بعضه من عنده ، وكتبه بعض أصحابه ، واشتهر ، وظهر .

فلما كان قبل وفاته بأشهر ورد مرسوم السلطان بإخراج ما عنده كله ، ولم يبق عنده كتاب ولا ورقة ، ولا دواة ، ولا قلم ، وكان بعد ذلك إذا كتب ورقة إلى بعض أصحابه يكتبها بفحم ، وقد رأيت أوراقًا عدة بعثها إلى أصحابه ، وبعضها مكتوب بفحم ، منها ورقة يقول فيها :

(١) من المطبوع .

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام عليكم ورحمة الله/ وبركاته ، ونحن لله الحمد والشكر في نعم [ق/١٠٧] متزايدة متوافرة ، وجميع ما يفعله الله فيه نصر الإسلام ، وهو من نعم الله العظام . و ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (١) ، فإن الشيطان استعمل حزبه في إفساد دين الله ، الذي بعث به رسله ، وأنزل كتبه .

ومن سنة الله : أنه إذا أراد إظهار دينه ، أقام من يعارضه ، فيُحِقُّ الحق بكلماته ، ويقذفُ بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق .

والذي سعى فيه حزب الشيطان لم يكن مخالفة لشرع محمد ﷺ وحده بل مخالفة لدين جميع المرسلين : إبراهيم ، وموسى والمسيح ، ومحمد خاتم النبيين صلى الله عليهم أجمعين .

وكانوا قد سعوا في أن لا يظهر من جهة حزب الله ورسوله خطاب ولا كتاب، وجزعوا من ظهور «الإخائية»، فاستعملهم الله تعالى حتى أظهروا أضعاف ذلك وأعظم، وألزمهم بتفتيشه ومطالعة، ومقصودهم إظهار عيوبه، وما يحتاجون به، فلم يجدوا فيه إلا ما هو حجة عليهم، وظهر لهم جهلهم وكذبهم وعجزهم، وشاع هذا في الأرض، وأن هذا مما لا يقدر عليه إلا الله، ولم يمكنهم أن يُظهِرُوا علينا فيه عيباً في الشرع والدين، بل غاية ما عندهم: أنه خولف مرسوم بعض المخلوقين، والمخلوق كائناً من كان، إذا خالف أمر الله تعالى ورسوله، لم يجب، بل ولا يجوز طاعته في مخالفة أمر الله ورسوله باتفاق المسلمين .

(١) [سورة الفتح : ٢٨].

وقول القائل : إنه يظهر البدع ، كلام يظهر فسادة لكل مستبصر ويعلم أن الأمر بالعكس ، فإن الذي يظهر البدعة ، إما أن يكون لعدم علمه بسنة الرسول ، أو لكونه له غرض وهوى يخالف ذلك ، وهو أولى بالجهل بسنة الرسول ، واتباع هواهم بغير هدى من الله ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ﴾ (١) ، ممن هو أعلم بسنة الرسول منهم وأبعد عن الهوى والغرض في مخالفتها ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٨) إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) .

وهذه قضية كبيرة لها شأن عظيم ، ولتعلمن نبأه بعد حين .
ثم ذكر الشيخ في الورقة كلاماً ، لا يمكن قراءة جميعه ، لانطماسه .
وقال بعده :

وكانوا يطلبون تمام الإختائية ، فعندهم ما يطعمهم أضعافها ، وأقوى فقهاً منها ، وأشد مخالفة لأغراضهم ، فإن الزملاكانية قد بين فيها من نحو خمسين وجهاً : أن ما حكم به ورسم به ، مخالف لإجماع المسلمين وما فعلوه - لو كان ممن يعرف ما جاء به الرسول ، ويتعمد مخالفته - لكان كفراً وردة عن الإسلام ، لكنهم جهال دخلوا في شيء ما كانوا يعرفونه ، ولا ظنوا أنه يظهر منه أن السلطنة تخالف مرادهم والأمر أعظم مما ظهر لكم ، ونحن والله الحمد ، على عظيم الجهاد في سبيله .

(١) [سورة القصص : ٥٠] .

(٢) [سورة الجاثية : ١٨ ، ١٩] .

ثم ذكر كلاماً وقال :

بل جهادنا في هذا مثل جهادنا يوم قازان ، والجبلية ، والجهمية ،
والاتحادية ، وأمثال ذلك ، وذلك من أعظم نعم الله علينا وعلى الناس ولكن
أكثر الناس لا يعلمون .

* * *

ومنها ورقة قال فيها :

[ورقة أخرى مما كتبه الشيخ في السجن]^(١)

ونحن والله الحمد والشكر ، في نعم عظيمة ، تتزايد كل يوم ، ويجدد الله
تعالى من نعمه نعمًا أخرى ، وخروج الكتب كان من أعظم النعم ، فإني كنت
حريصًا على خروج شيء منها ، لتقفوا عليه ، وهم كرهوا خروج الإخنائية ،
فاستعملهم الله تعالى في إخراج الجميع ، وإلزام المنازعين / بالوقوف عليه ، [ق/١٠٨]
وبهذا يظهر ما أرسل الله به رسوله من الهدى ودين الحق .

فإن هذه المسائل كانت خفية على أكثر الناس ، فإذا ظهرت [لمن]^(٢) كان
قصده الحق هداة الله ، ومن كان قصده الباطل قامت عليه حجة الله ، واستحق
أن يُدَلَّه الله ويخزيه .

وما كتبت شيئًا من هذا ليكتم عن أحد ، ولو كان مبغضًا ، والأوراق التي
فيها جواباتكم غسلت .

وأنا طيبٌ وعيناي طيبتان أطيب ما [كانت]^(٣) .

(١) من المطبوع .

(٢) في المطبوعة : فمن .

(٣) في المطبوع : كانتا .

ونحن في نعم عظيمة لا تحصى ولا نعدُّ ، والحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه .

ثم ذكر كلاماً ، وقال :

كلُّ ما يقضيه الله تعالى ففيه الخير والرحمة والحكمة ، إنَّ ربي لطيف لما يشاء إنه هو القويُّ العزيز العليم الحكيم ، ولا يدخل على أحدٍ ضرراً إلا من ذنوبه .

﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾ (١)

فالعبد عليه أن يشكر الله ويحمده دائماً على كل حال ، ويستغفر من ذنوبه ، فالشكر يوجب المزيد من النعم ، والاستغفار يدفع النقم ، ولا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له «إن أصابته سراءٌ شكر ، فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراءٌ صبر ، فكان خيراً له» (٢).

وهذه الورقة كتبها الشيخ وأرسلها بعد خروج الكتب من عنده بأكثر من ثلاثة

أشهر: في شهر شوال ، قبل وفاته بنحو شهر ونصف .

ولما أخرج ما عنده من الكتب والأوراق ، حمل إلى القاضي علاء الدين

القونوي ، وجعل تحت يده في المدرسة العادلية .

وأقبل الشيخ بعد إخراجها على العبادة والتلاوة والذكر والتهجد حتى أتاه

اليقين .

وختم القرآن مدة إقامته بالقلعة ثمانين ، أو إحدى وثمانين ختمة ، انتهى في

آخر ختمة إلى آخر اقتربت الساعة ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ

(١) [سورة النساء: ٧٩] .

(٢) رواه مسلم (٢٩٩٩) عن صهيب .

عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾^(١) ، ثم كملت عليه بعد وفاته ، وهو مُسَجَّى .
كان كل يوم يقرأ ثلاثة أجزاء ، يختم في عشرة أيام ، هكذا أخبرني أخوه
زين الدين .

وكانت مدة مرضه بضعة وعشرين يوماً ، وأكثر الناس ما علموا بمرضه ،
فلم يفجأ الخلق إلا نعيه ، فاشتد التأسف عليه وكثر البكاء والحزن ، ودخل إليه
أقاربه وأصحابه وازدحم الخلق على باب القلعة والطرق ، وامتلاً جامع دمشق
وصلوا عليه ، وحمل على الرءوس ، رحمه الله ورضي عنه .

[ما كتبه العلماء في وفاة الشيخ]^(٢)

قال الشيخ علم الدين : وفي ليلة الإثنين ، لعشرين من ذي القعدة من سنة
ثمان وعشرين وسبعمائة ، توفي الشيخ الإمام العلامة الفقيه ، الحافظ الزاهد القدوة ،
شيخ الإسلام ، تقي الدين أبو العباس أحمد ، ابن شيخنا الإمام المفتي ، شهاب
الدين أبي المحاسن عبد الحلیم ، بن الشيخ الإمام شيخ الإسلام مجد الدين أبي
البركات عبد السلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني ، ثم
الدمشقي بقلعة دمشق التي كان محبوساً فيها .

وحضر جمع إلى القلعة ، فأذن لهم في الدخول ، وجلس جماعة قبل
الغسل ، وقرأوا القرآن وتبركوا برويته وتقبيله ثم انصرفوا .

وحضر جماعة من النساء [ففععلن]^(٣) مثل ذلك ثم [انصرفن]^(٤) .

واقصر على من يغسله ويعين في غسله ، فلما فرغ من ذلك أخرج ، وقد

(١) [سورة القمر : ٥٥] .

(٢) من المطبوع .

(٣) من المطبوع ، وفي الأصل : ففعلوا .

(٤) من المطبوع ، وفي الأصل : انصرفن .

اجتمع الناس بالقلعة والطريق إلى جامع دمشق ، وامتألاً الجامع وصحنه ، والكلاسة
وباب البريد ، وباب الساعات إلى اللبادين والفوارة .

وحضرت الجنازة في الساعة الرابعة من النهار ، أو نحو ذلك ، ووضعت في
[ق/١٠٩] الجامع والجند يحفظونها من الناس من شدة الزحام ، وصُلِّي عليه / أولاً بالقلعة ،
تقدم في الصلاة عليه الشيخ محمد بن تمام ، ثم صُلِّي عليه بجامع دمشق ، عقب
صلاة الظهر ، وحمل من باب البريد ، واشتد الزحام ، وألقى الناس على نعشه
مناديلهم وعمائمهم للتبرك وصار النعش على الرءوس ، تارة يتقدم وتارة يتأخر ،
وخرج الناس من الجامع من أبوابه كلها من شدة الزحام ، وكل باب أعظم زحمة من
الآخر .

ثم خرج الناس من أبواب البلد جميعها من شدة الزحام ، لكن كان المعظم من
الأبواب الأربعة : باب الفرج الذي أخرجت منه الجنازة ، ومن باب الفراديس ، ومن
باب النصر ، وباب الجاية ، وعظم الأمر بسوق الخيل .

وتقدم في الصلاة عليه هناك أخوه زين الدين عبد الرحمن ، وحمل إلى مقبرة
الصوفية ، فدفن إلى جانب أخيه شرف الدين عبد الله - رحمهما الله - وكان دفنه
وقت العصر أو قبلها بيسير .

وغلق الناس حوانيتهم ، ولم يتخلف عن الحضور إلا القليل من الناس ، أو
من [أعجزه]^(١) الزحام .

وحضرها نساء كثير بحيث [حُزرن]^(٢) بخمسة عشر ألفاً ، وأما الرجال فحزروا
بستين ألفاً وأكثر ، إلى مائتي ألف ، وشرب جماعة الماء الذي فضل من غسله ،
واقتمت جماعة بقية السدر الذي غسل به .

(١) في الأصل : عجز ، وما نقلته من المطبوع .

(٢) من المطبوع ، وفي الأصل : حزرُوا .

وقيل : إن الطاقة التي كانت على رأسه دفع فيها خمسمائة درهم ، وقيل : إن الخيط الذي فيه الزئبق الذي كان في عنقه بسبب القمل دفع فيه مائة وخمسون درهماً ، وحصل في الجنازة ضجيج وبكاء وتضرع ، وختمت له ختم كثيرة بالصالحية والبلد . وتردد الناس إلى قبره أياماً كثيرة ليلاً ونهاراً ، ورؤيت له منامات كثيرة صالحة ورثاه جماعة بقصائد جملة .

وكان مولده يوم الإثنين عاشر ربيع الأول ، بحران سنة إحدى وستين وستمائة . وقدم مع والده وأهله إلى دمشق وهو صغير ، فسمع الحديث من ابن عبد الدايم ، وابن أبي اليسر ، وابن عبد ، والشيخ شمس الدين الحنبلي ، والقاضي شمس الدين بن عطاء الحنفي ، والشيخ جمال الدين بن الصيرفي ، ومجد الدين بن عساكر ، والشيخ جمال الدين البغدادي ، والنجيب المقداد ، وابن أبي الخير ، وابن علان ، وأبي بكر الهروي ، والكمال عبد الرحيم ، والفخر علي ، وابن شيبان ، والشرف ابن القواس ، وزينب بنت مكى ، وخلق كثير .

وقرأ بنفسه الكثير ، وطلب الحديث ، وكتب الطِّبَاق والأَثَبَات ؛ ولازم السماع بنفسه مدة سنين ، واشتغل بالعلوم .

وكان ذكياً كثير المحفوظ ، فصار إماماً في التفسير ، وما يتعلق به ، عارفاً بالفقه ، واختلاف العلماء ، والأصلين ، والنحو ، واللغة وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية ، وما تكلم معه فاضل في فنِّ إلا ظن أن ذلك الفنُّ منه ، ورآه عارفاً به متقناً له .

وأما الحديث فكان حافظاً له مميزاً بين صحيحه وسقيمه ، عارفاً برجاله ، متضلعاً من ذلك .

وله تصانيف كثيرة وتعاليق مفيدة في الفروع والأصول كمل منها جملة ويبيّضت ، وكتبت عنه ، وجملة كثيرة لم يكملها وجملة كملها ولكن لم تبيض .

وأثنى عليه وعلى فضائله جماعة من علماء عصره مثل القاضي الخواري ، وابن دقيق العيد ، وابن النحاس ، وابن الزملكاني ، وغيرهم .

ووجدت بخط الشيخ جمال الدين بن الزملكاني : أنه اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها ، وأن له اليد الطولى في حسن التصنيف ، وجودة العبارة [ق/١١٠] والترتيب والتقسيم والتبيين ، وكتب على تصنيف له^(١) هذه الأبيات الثلاثة/ من نظمه ، وهي :

ماذا يقول الواصفون له	وصفاته جلت عن الحصر
هو حجة لله قاهرة	هو بيننا أعجوبة الدهر
هو آية للخلق ظاهرة	أنوارها أربت على الفجر

وهذا الثناء عليه ، وكان عمره نحو الثلاثين سنة .

وكان بيني وبينه مودة وصحبة من الصغر ، وسماع الحديث والطلب من نحو خمسين سنة ، وله فضائل كثيرة .

وأسماء مصنفاته وسيرته ، وما جرى بينه وبين الفقهاء والدولة وحجسه مرات ، وأحواله : لا يحتمل ذكر جميعها هذا الكتاب .

ولما مات كنت غائباً عن دمشق بطريق الحجاز الشريف ، وبلغنا خبره بعد موته بأكثر من خمسين يوماً ، لما وصلنا إلى تبوك ، وحصل التأسف لفقده - رحمه الله تعالى - .

قلت : وقد قيل : إن الخلق الذين حضروا جنازة الشيخ كانوا أزيد مما ذكر .

ومن الجنازات العظيمة في الإسلام : جنازة الإمام أبي عبد الله أحمد بن

حنبل ، فإن الذين حضروه وصلُّوا عليه ، كانوا أكثر من ألف إنسان .

(١) كتب في هامش الأصل : وهذا التصنيف الذي أشار إليه هو رفع الملام عن الأئمة الاعلام

للشيخ .

وقد قال الإمام أبو عثمان الصابوني : سمعت أبا عبد الرحمن السُّلمي يقول: حضرت جنازة أبي الفتح القواس الزاهد مع الشيخ أبي الحسن الدارقطني . فلما بلغ إلى ذلك الجمع الكثير أقبل علينا وقال : سمعت أبا سهل بن زياد القطان يقول : سمعت عبدالله بن أحمد بن حنبل ، يقول : سمعت أبي يقول : قولوا لأهل البدع : بيننا وبينكم يوم الجنائز .

قال أبو عبد الرحمن ، على إثر هذه الحكاية : إنه حزر الخزارون المصلين على جنازة أحمد ، فبلغ العدد بحزهم ألف ألف وسبعمائة ألف ، سوى الذين كانوا في السفن .



وقد وجد بخط الشيخ أبيات ، قالها بالقلعة ، وهي^(١):

أنا المسكين في مجموع حالاتي	أنا الفقير إلى رب السموات
والخير ، إن جاءنا من عنده ياتي	أنا الظلوم لنفسي وهي ظالمتي
ولا عن النفس في دفع المضرات	لا أستطيع لنفسي جلب منفعة
ولا شفيع إلى رب البريات	وليس لي دونه مولى يُدبرني
رب السماء كما قد جاء في الآيات	إلا بإذن من الرحمن خالقنا
ولا شريك أنا في بعض ذراتي	ولست أملك شيئاً دونه أبداً
كما يكون لأرباب الولايات	ولا ظهيرٌ له كَيْما أعاونه
كما الغنى أبداً وصف له ذاتي	والفقر لي وصف ذات لازم أبدا
وكلهم عنده عبد له آتي	وهذه الحالُ حالُ الخلقِ أجمعهم

فهو الجهول الظلوم المشرك العاتي
ما كان منه ، وما من بعده يأتي
خير البرية من ماضٍ ومن آتي

فمن بغى مطلبًا من دون خالقه
والحمد لله ملء الكون أجمعه
ثم الصلاة على المختار من مُضَرِّ

وله أيضًا:

يعجز الحصرُ عن العَدِّ لها
وله الحمد على الشكر لها

إن لله علينا أنعمًا
فله الحمد على أنعمه

وقد مدح الشيخ - رحمه الله - بقصائد كثيرة في حياته ، ورثى بأكثر
منها بعد وفاته .

فمن القصائد التي مدح بها : قصيدة نجم الدين إسحق بن أبي بكر بن
ألمى التركي وهي :

ومن ندب أطلال اللوى والمحصب
ومن غزلٍ في وصف سرب ورتب
يظل ارتياحًا يزدهني ويطبي
حديثكما في ذكر مجدٍ ومنصب
أقضى لباتات الفؤاد المعذب
فلست أبالي بالقلبي والتجنب /
وإعراض ظبي المس الشجر أشنب
فهل أصبون كهلا بلمة أشيب؟
جهول ، أراه راكبًا غير مركبي
ولي همة تسمو على كل كوكب

ذرائي من ذكري سعاد وزينب
ومن مدح آرام سنحن برامة
ولا تنشداني غير شعر إلى العلا
وإن أنتما طارحتماني ، فليكن
بحب الأعالى ، لا بحب أم جندب
[ق/١١١] خلقت امرءًا جلدًا على حمل الهوى
سواء أرى للوصل تعريض جوذر
ولم أصبُ في عصر الشبيبة والصبأ
يعنّفني في بغيتي رتب العلا
له همة دون الحضيض محلها

فلو كان ذا جهل بسيط عذرتة
يقول: علام اخترت مذهب أحمد
وهل في ابن شيبان مقال لقائل
أليس الذي قد طار في الأرض ذكره
إمام الهدى الداعي إلى سنن الهدى
أتوا بعظيم الإفك ، وانتصروا له
وقالوا: كلام الله خلقاً ، وكذبوا
وأصبح أهل الحق بين معاقب
فقام بما يوهي ثبيراً ويزبلاً
ولم ينته عنهم ، ولما يصده
إلى أن بدا الإسلام أبلج ساطعاً
وهدم من أركانهم كل شامخ
ومزقهم أيدي سبا ، فتفرقت
وأصحابه أهل الهدى لا يضرهم
هم الظاهرون القائمون بدينهم
لنا منهم في كل عصر أئمة
فأيدهم رب العلا من عصابة
وقد علم الرحمن أن زماننا
فجاء بحبر عالم من سراتهم
يقيم قناة الدين ، بعد اعوجاجها
فذاك فتى تيمية ، خير سيد

ولكنه يدلي بجهل مركب
فقلت له : إذ كان أحمد مذهب
وهل فيه من طعن لصاحب مضرب؟
فطبقها ، ما بين شرق ومغرب؟
وقد فاضت الأهواء من كل مسغب
بكل مقال بالدليل مكذب
بما صح نقلاً عن أبي ومصعب
وبين معداً للأذى مترقب
قيام هزبر للفريسة مغضب
عقوبة ذي ظلم ، وجور معذب
وكشّف عن ظلماتهم كل غيب
ودوّخ من شجعانهم كل قرهب
كتائبهم ما بين شرق ومغرب
على دينهم طعن امرئ جاهل غبي
إلى الحشر ، لم يغلبهم ذو تغلب
هداة إلى العليا ، مصابي حمرب
لإظهار دين الله أهل تعصب
تشعب فيه الرأي أي تشعب
لسبع مئين بعد هجرة يثرب
وينقذها من قبضة المتغصب
نجيب أتانا من سلالة منجب

بحكمته ، فعل الطيب المجرب
 قريب إلى أهل التقى ، ذو تحبب
 وعن مشهد الإحسان لم يتغيب
 إذا لم يُطع في الله ، لله يغضب
 وإظهار دين الله أربح مكسب
 ضلالة كذاب ورأي مكذب
 وآخر عن نهج السبيل منكب
 من المصطفى قدما حيي بن أخطب
 من المصطفى في حربه رأس مرحب
 بحبل الهدى ، تقهر عداك وتغلب
 سوى حائر في أمره ومذبذب
 مسيلمة منهم من يلوذ بأشعب
 بمدك منهم موكب بعد موكب
 فليس إذا يصغى لقول مؤنب
 فكل فتى منهم يعد بمقنب/
 لعمر أبي ، قد زاد منهم تعجبي
 ضحى ، وضياء الشمس لم يتحجب؟
 وكم مهلك صد الورى دون مطلب
 صروف زمان بالقوادح مرعب
 فنصبح في روض كناديه مخصب

عليم بأدواء النفوس يسوسها
 بعيد من الفحشاء والبغي والأذى
 يغيب ، ولكن عن مساو وغيبة
 حلیم كريم مشفق ، بيد أنه
 يرى نصرة الإسلام أكرم مغنم
 وكم قد غدا بالقول والفعل مبطلا
 ولم تلق من عاداه غير منافق
 لقد حاولوا منه الذي كان رامة
 ولكن [رأوا]^(١) من بأسه مثلما رأى
 تَمَسَّكُ ، أبا العباس بالدين واعتصم
 ولا تخش من كيد الأعادي ، فما هم
 جنودهم من طامع ومذلل
 وجندك من أهل السماء ملائك
 وكل امرئ قد باع لله نفسه
 ليوث ، إذا أهل الضلال تجمعوا [ق/١١٢]
 لئن جحدت علياء فضلك حسد
 وهل يمكن في العقل أن يجحد السنأ
 أيا مطلبأ حُزنأه من غير مهلك
 بعزم تقيّ الدين أحمد تتقى
 وفي الجذب نستسقي الغمام بوجهه

(١) - في المطبوع : رأى.

ريبب المعالي ، يافع الجود والندی
مفصل ما قد حاز من جهل الهنى
بسيط معان في وجيز عبارة
وليس له في العلم والزهد مشبه
ومن رام حبرا غيره اليوم في الورى
أليس هو الندب الذي بانتصاره
وجاهد في ذات الإله بنفسه
ووازره في حالتيه ابن أمه
عقاب المعالي ، ضيغم الغابة ، الذي
هما ناصرا دين الإله ، وحاميا
مقيمان كالإسلام في دار غربة
خدمتهما مني بعقدٍ منضد
تشنف سمع الدهر حسناً إذا اغتدى
وما جئت في مدحيهما متظليا
ولكنني أبغي رضا الله خالقي
وأجعله لي في المعاد ذخيرة
نجزت ، وهي سبعة وستون بيتا

فتى العلم ، كهل الحلم ، شيخ التأدب
وإيضاحه للفهم غير مقرب
بتهذيبه تعجيز كل مهذب
سوى الحسن البصري وابن المسيب
فذاك الذي قد رام عنقاء مغرب
حبا الدين حبي ، بالإمامة قد حبي
وبالمال والأهلين والأم والأب
فذلك عبد الله ، نعم الفتى الأبي
فرى كل ذي غيٍّ بناب ومخلب
حمى خير خلق الله من نسل يعرب
فيا حبذا في الله حسن التغرب
بفكر سـوائبي درة لم تنقب
به الناظم التركي أفصح معرب
به عرضا يفنى ، ولا نيل منصب
وأرجو به غفران زلة مذنب
أفوز بها في الحشر من خطبة الوبى

* * *

صورة فتيا قدمت في مجلس الشيخ تقي الدين - رضي الله عنه -

فأجاب في المجلس بهذا الجواب وهو [تقدير القدر]

السؤال

أيا علماء الدين ، ذمّي دينكم إذا ما قضى ربي بكفري بزعمكم دعاني ، وسد الباب عني ، فهل إلى قضى بضلالي ، ثم قال : ارض بالقضا فإن كنت بالمقضى ، يا قوم راضياً فهل لي رضا ، ما ليس يرضاه سيدي إذا شاء ربي الكفر مني مشيئة وهل لي اختيار أن أخالف حكمه؟

تحير دكّوه بأوضح حجة ولم يرضه مني ، فما وجه حيلتي؟ دخول سبيل؟ بينوا لي قضيتي [فما] (١) أنا راض بالذي فيه شقوتي فربي لا يرضى بشؤم شكيتي فقد حرت دلوني على كشف حيرتي فهل أنا عاصٍ في اتباع المشيئة؟ فبالله فاسفوا بالبراهين علتي

الجواب

الحمد لله رب العالمين:

سؤالك يا هذا ، سؤال معاند وهذا سؤال ، خاصم الملاء العلاء ومن يك خصماً للمهيمن يرجع

تُخاصمُ رب العرش ، باري البرية قديماً به إبليس أصل البلية على أم رأس هاويًا في الحفيرة

(١) في الأصل : «فها» .

وَيُدْعَى خِصُومَ اللَّهِ يَوْمَ مَعَادِهِمْ
سِوَاءِ نَفْوِهِ ، أَوْ سَعَوْا لِيَخَاصِمُوا
وَأَصْلُ ضَلَالِ الْخَلْقِ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ
فَإِنَّهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا حِكْمَةَ لَهُ
وَإِنْ مَبَادِي الشَّرِّ فِي كُلِّ أُمَّةٍ
بِخَوْضِهِمْ فِي ذَلِكَ ، صَارَ شُرَكَاهُمْ
فَإِنْ جَمِيعَ الْكَوْنِ أَوْجِبَ فَعَلُهُ
وَذَاتُ إِلَهِ الْخَلْقِ وَاجِبَةٌ بِمَا
مَشِيئَتُهُ مَعَ عِلْمِهِ ، ثُمَّ قُدْرَةٌ
فَقَوْلُكَ : لِمَ قَدْ شَاءَ ؟ مِثْلُ سَوْأَلٍ مِنْ
وَذَلِكَ سَوْأَلٌ يَبْطُلُ الْعَقْلُ وَجْهَهُ
وَفِي الْكَوْنِ تَخْصِيصٌ كَثِيرٌ يَدُلُّ مِنْ
وَإِصْدَارِهِ عَنْ وَاحِدٍ بَعْدَ وَاحِدٍ
وَلَا رَيْبَ فِي تَعْلِيقِ كُلِّ مَسَبَّبٍ
بِلِ الشَّأْنِ فِي الْأَسْبَابِ ، أَسْبَابٌ مَا تَرَى
وَقَوْلُكَ : لِمَ شَاءَ الْإِلَهَ ؟ هُوَ الَّذِي
فَإِنَّ الْمَجُوسَ الْقَائِلِينَ بِخَالِقِ
سَوْأَلِهِمْ عَنْ عِلَّةِ الشَّرِّ ، أَوْ قَعَتِ
وَإِنْ مَلَاحِيْدُ الْفَلَسَافَةِ الْأَلَى
بَغَوْا عِلَّةً لِلْكَوْنِ بَعْدَ انْعِدَامِهِ
وَإِنْ مَبَادِي الشَّرِّ فِي كُلِّ أُمَّةٍ

إِلَى النَّارِ طَرًّا ، مَعْشَرَ الْقُدْرَةِ
بِهِ اللَّهُ ، أَوْ مَارَوْا بِهِ لِلشَّرِيعَةِ
هُوَ الْخَوْضُ فِي فِعْلِ الْإِلَهَ بَعْلَةً
فَصَارُوا عَلَى نَوْعٍ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ
ذَوِي مَلَّةٍ قُدْسِيَّةٍ نَبَوِيَّةٍ :
وَجَاءَ دُرُوسَ الْبَيِّنَاتِ بِفِتْرَةٍ / [ق/ ١١٣]
مَشِيئَةُ رَبِّ الْخَلْقِ بَارِي الْخَلِيقَةِ
لَهَا مِنْ صِفَاتٍ وَاجِبَاتٍ قَدِيمَةٍ
لِوَاظِمِ ذَاتِ اللَّهِ قَاضِي الْقَضِيَّةِ
يَقُولُ : فَلِمَ قَدْ كَانَ فِي الْأَزْلِيَّةِ ؟
وَتَحْرِيْمُهُ قَدْ جَاءَ فِي كُلِّ شَرَعَةٍ
لَهُ نَوْعٌ عَسَقَلُ : أَنَّهُ بِإِرَادَةِ
أَوْ الْقَوْلِ بِالتَّجْوِيزِ رَمِيَّةَ حَيْرَةٍ
بِمَا قَبْلَهُ مِنْ عِلَّةٍ مُوجِبِيَّةٍ
وَمَصْدَرُهَا عَنْ حَكْمِ مَحْضِ الْمَشِيئَةِ
أَزَلَّ عَقُولَ الْخَلْقِ فِي قَعْرِ حُفْرَةٍ
لِنَفْعِ ، وَرَبِّ مَبْدَعٍ لِلْمُضَرَّةِ
رِعْوَسِهِمْ فِي شِبْهَةِ الْمُثْنَوِيَّةِ
يَقُولُونَ بِالْفِعْلِ الْقَدِيمِ بَعْلَةً
فَلَمْ يَجِدُوا ذَاكُم ، فَضَلُّوا بِضَلَّةِ
ذَوِي مَلَّةٍ مَيْمُونَةٍ نَبَوِيَّةٍ :

وجاء دروس البينات بفترة
من العذر مردود لدى كل فِطْرة
عليك، وترميهم بكل مذمة
وتُبْغِضُ من ناواك من كل فِرْقَة
كحالك يا هذا ، بأرجح حجة
وكل غَوِيٍّ خارج عن مَحْجَة
على الناس في نفس، ومال، وحرمة
ولا سارق مالا لصاحب فاقه
ولا ناكح فرجا على وجه غِيَّة
ولا مفسد في الأرض في كل وجهة
ولا قاذف للمحصنات بريية
ولا حاكم للعالمين برشوة
ولا تأخذن ذا جُرْمَة بعقوبة
على ربِّهم ، من كل جاءٍ بفرية
يروم فساد النوع ، ثم الرياسة
فأغرق في اليم انتقامًا بعصية
وآخر طاغٍ كافر بنبوة
وقوم لنوح ، ثم أصحاب الأيكة
من الأنبياء محيياً للشريعة
ونالوا من العصي بلوغ العقوبة
ولحظة عين ، أو تحرك شعرة

بخوضهمو في ذاكم ، صار شركهم
ويكفيك نقضًا ، أن ما قد سألته
فأنت تعيب الطاعنين جميعهم
وتَنَحِلُ مَنْ والاك صفو مودَّةٍ
وحالهم في كل قول وفعلَة
وهَبْكَ كفت اللوم عن كل كافر
فيلزمك الإعراض عن كل ظالم
ولا تغضبن يومًا على سافك دمًا
ولاشاتم عرضًا مصونا، وإن علا
ولا قاطع للناس نَهْج سبيلهم
ولا شاهد بالزور إفكا وفرية
ولا مُهْلِك للحرث والنسل عامدًا
وكفَّ لسان الوم عن كل مفسد
وسهّل سبيل الكاذبين تعمدا
وإن قصدوا إضلال من يستجيبهم
وجادل عن الملعون، فرعون، إذ طغى
وكل كفور مشرك بإلهه
كعادي ، وغرودٍ ، وقوم لصالح
وخاصم لموسى، ثم سائر من أتى
على كونهم إذ جاهدوا الناس إذ بغوا
ولا فكل الخلق في كل لفظه

وبطشة كفٌ ، أو تخطى قُدَيْمَةً
 همو تحت أقدار الإله وحكمه
 وهبك رفعت اللوم عن كل فاعل
 فهل تمكن رفعُ الملام جميعه
 وترك عقوبات الذين قد اعتدوا
 فلا تُضْمَنَنَّ نفس ومال بمثله
 وهل في عقول الناس، أو في طباعهم
 ويكفيك نقضًا: ما يجسم ابن آدم
 من الألم المقضي في غير حيلة
 إذا كان في هذا له حكمة، فما
 وكيف؟ ومن هذا عذاب مولد
 كآكل سُمٍّ ، أوجب الموت أكله
 فكفرك يا هذا، كسُمٍّ أكلته
 ألت ترى في هذه الدار من جنى
 ولا عذر للجاني بتقدير خالق
 وتقدير رب الخلق للذنب موجب
 ومن كان من جنس المتاب لرفعه
 كجبرية تمحي الذنوب ، ودعوة
 وقول حليف الشعر: إني مُقَدَّرٌ
 وتقديره للفعل يجلب نقمة
 فهل ينفعن عذر الملووم ، لأنه

وكل حراك ، بل بكل سكينه
 كما أنت فيما قد أتيت بحجة
 فعَال ردى، طردا لهذي المقيسة
 عن الناس طراً عند كل قبيحة؟
 وترك الورى الإنصاف بين الرعية/ [ق/١١٤]
 ولا تعقبن عادٍ بمثل الجريمة
 قبول لقول النَّذْل ، ما وجه حيلتي؟
 صبي ، ومجنون، وكل بهيمة:
 وفيما يشاء الله أكملُ حكمة
 ظن بخلق الفعل، ثم العقوبة؟
 عن الفعل فعل العبد، عبد الطبيعة
 وكل بتقدير لرب البرية
 وتعذيب نارٍ، مثل جرعة غُصّة
 يعاقبُ ، إما بالقضا، أو بشرعة؟
 كذلك في الأخرى بلا مثنوية
 كتقدير عقبي الذنب إلا بتوبة
 عواقب أفعال العباد الخبيثة
 تجاب من الجاني، وربَّ شفاعة
 عليّ، كقول الذيب؛ هذي طبيعتي
 كتقديره الآثار طراً بعلّة
 كذا طبعه، أم هل يقال لعشرة؟

طبيعته فعل الشرور الشنيعة؟
ينجّيك من نار الإله العظيمة
مريداً بأن يهديك نحو الحقيقة
ولا تُعرضن عن فكرة مستقيمة
ولا تعص من يدعو لأقوم ربيعة
وعُج عن سبيل الأمة الغضبية
وزن ما عليه الناس بالمعدلية
تُبشّر من قد جاء بالحفزية
ودين رسول الله خير البرية
به جاءت الرسل الكرام السجية
حوى كل خير في عموم الرسالة
غدا عنه في الأخرى بأقبح جنية
وأما هداه فهو فعل الربوبية
غدا عنه ، بل يجزى بلا وجه حجة
يريد عذاباً ، كاحتجاج مريضة
أمرنا بأن نرضى بمثل المصيبة
وما كان من سوء ، بدون جريمة
فلا تُرتضى مسخوطة لمشيئة
بفعل المعاصي والذنوب الكريهة
لها ، وما فيها فيلقى بسخطة
لمخلوقة ، ليست كفعل الغريزة

أم الذنب والتعذيب أوكد للذي
فإن كنت ترجو أن تجاب بما عسى
فدونك ربّ الخلق ، فاقصده ضارعاً
وذلل قياد النفس للحق ، واسمعن
وما بان من حق فلا تتركه
ودع دين ذا العادات ، لا تتبعه
ومن ضل عن حق فلا تقفونه
هنالك تبدو طالعات من الهدى
بملة إبراهيم ، ذاك إمامنا
فلا يقبل الرحمن ديناً سوى الذي
وقد جاء هذا الحاشر الخاتم الذي
وأخبر عن رب العباد بأن من
فهذي دلالات العباد لحائر
وفقد الهدى عند الورى لا يقبل من
وحجة محتج بتقدير ربه
وأما رضانا بالقضاء فإنما
كسقم ، وفقر ، ثم ذل ، وغربة
فأما الأفاعيل التي كُرهت لنا
وقد قال قوم من أولي العلم: لا رضاً
وقال فريق : تُرتضى لقضائه
كما أنها للرب خلق ، وأنها

فترضى من الوجه الذي هي خلقه ونسخت من وجه اكتساب بحيلة
ومعصية العبد المكلف تركه لما أمر المولى، وإن بمشيئة
فإن إله الخلق حق مقالته بأن العباد في جحيم وجنة
كما أنهم في هذه الدار هكذا بل البهيم في الآلام أيضاً ونعمة
وحكمته العليا اقتضت ما اقتضت من الـ فروق بعلم ثم أيدٍ ورحمة/ [ق/١١٥]
يسوق أولى التعذيب للسبب الذي يقدره نحو العذاب بعزة
ويهدي أولى التنعيم نحو نعيمهم بأعمال صدق، في رجاء وخشية
وأمر إله الخلق تبين ما به يسوق أولى التنعيم نحو السعادة
فمن كان من أهل السعادة أثرت أوامره فيه بتيسير صنعة
ومن كان من أهل الشقاوة لم ينل بأمر ولا نهى بتقدير شقوة
ولا مخرج للعبد عما به قضى ولكنه شاء بخلق الإرادة
ومن أعجب الأشياء: خلق مشيئة بها صار مختار الهدى والضلالة
فقولك: هل أختار تركاً لحكمة؟ كقولك: هل أختار ترك المشيئة؟
وأختار أن لا أختار فعل ضلالة ولو نلت هذا الترك فزت [بتوبة]^(١)
وذا ممكن، لكنه متوقف على من يشاء الله من ذي المشيئة
فدونك، فافهم ما به قد أجبت من إذا انحلت بفهم غريزة
أشارت إلى أصل تشير إلى الهدى ولله رب الخلق أكمل مدحة
وصلى إله الخلق، جل جلاله على المصطفى المختار [خير البرية]^(٢)

(١) في الأصل «بتوبة» .

(٢) كتب في هامش الأصل : «ختم النبوة» نسخة .

تمت بحمد الله وعونه ، وهي مائة وأربعة وثمانون بيتًا ، بل هي مائة
وخمسة أبيات .



الحمد لله رب العالمين

قال القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد البزار : أنا المظفر
هناد بن إراهيم النسفي يقول : سمعت أبا القاسم عب دالواحد بن عبد السلام
بن الواثق يقول :

سمعت بعض الصالحين يقول : رؤي بعض الصالحين في المنام ، فقيل له :
ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي .

قيل : من وجدت أثر أهل الجنة ؟ قال : أصحاب الشافعي .

فقيل : فأين أحمد بن حنبل ؟

قال : سألتني عن أكثر أهل الجنة ، ما سألتني عن أعلى أهل الجنة ،

أصحاب أحمد أعلى أهل الجنة ، وأصحاب الشافعي أكثر أهل الجنة .



[مراثي العلماء والشعراء لشيخ الإسلام

ابن تيمية] (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ الفقيه ، أمين الدين عبد الوهاب بن سلال الشافعي - رضي الله عنه - يرثي الشيخ تقي الدين ، الإمام أحمد بن تيمية :

كل حي له الممات ورود
كل خل مفارق لخليل
ليس يبقى إلا إله البرايا
عين، سحّي بدمع ليس يرقأ
يا لجرح بمهجتي، ليس ييرا
هل لما بي من مسعد، أو معين؟
ويك نفسي، تعاملني باصطبار
قد رزئنا إمام علم ودين
يا لحزن عليه، عم البرايا
كان شيخ الإسلام عقلاً ونقلاً
كان في العلم والشجاعة فذاً
كان بالعرف أمراً ، لا للحظ
كان لله ذاكراً كل وقت
مات لله صابراً وسط سجن

ليس في الدنيا لمرء خلود
كل وصل إلى انفصال يعود
دائم الملك والبقا، لا يبيد
وسهادٍ دائماً ، وأجفان جودا
أو يجودوا بطيفهم ، أو يعودوا
عزّ صبري، وفَرطُ حزني يزيد
فالذي قد قضى بهذا مُريد
عَدِمِ المثل في الزمان فريد
بالنار لها بقلبي وقود
سنن البدع عنده مردود
وهو في الزهد والعفاف يسود
وعن التُّكْر للعَبَاد يذود
وعن اللهو والضلال بعيد
يوم الاثنين ، سره مشهود

(١) من المطبوع.

أبيض الوجه ، في الثرى ملحود
والبرايا من كل حي وقُود
لا ، لك في جنة الخلود خلود
كل أبّ وتقشعر الجلود
كل وقت يمضي ، ووقت يعود/
يا ابن عبد السلام ، سلمك جود
ولحل الأشكال حَبْرًا تفيّد؟
في معانيهما مصيب شديد
إنّ من نال من جنك سعيد
ذاك عند التحقيق عُمُرٌ جديد
بلك ، هل تبدو لنا ، أو تعود؟
ومُنَحّت النعيم مهما تريد

وتولاه الأبرار غسلاً ودفنا
حين وافى على الرؤوس مُسَجَّى
صِحْتُ من فرط ما بدا لي: مه
يا لها من رَزِيَّة طاش فيها
يا ابن تيمية، عليك سلامي برحم
يا ابن عبد الحليم، حلمك يسمو
يا إمام العلوم، من لفتاوى؟
ولفهم الكتاب والنقل بحرٌ
يا بشوشا لكل من رام نفعًا
كل وقت مضى لديك سماعا
ليت شعري ، أيامنا باجتماع
طبت تربًا ، وقدّست منك روح

[ق/١١٦]

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

* * *

وجدت بخط والدي يقول :

أنشد الشيخ الإمام العالم ، مسند الشام ، بهاء الدين القاسم بن محمود
بن عساكر ، أبقاه الله تعالى ، لنفسه في شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن
تيمية هذين البيتين ، في يوم الأربعاء سابع رجب عام عشرين وسبعمئة ، بمنزله
بدمشق .

تقي الدين أضحى بحر علم يجيب السائلين بلا قنوط
أحاط بكل علم فيه نفع فقل ما شئت في الحبر المحيط

وأيضاً وجد بخطه في ابن تيمية يقول :

أنشدنا الشيخ صلاح الدين القواسم من لفظه ونظمه ، في شوال سنة ست
وسبعمئة ببعلبك ، بمسجد الحنابلة :

قالوا: ابن تيمية في السجن، قلت لهم
مات الموفق والقاضي الإمام أبو
ولابن حنبل الصديق نور هدى
وفضله بين أهل الفضل مشتهر
تم والحمد لله وحده .
لا يعجزنكم الأفكار بالقلق
يعلى، ومات أبو الخطاب والخرقي
حتى القيامة مثل البدر في الغسق
وإصبعاه من الزنديق في الحدق

* * *

وجدت بخط الشيخ سعيد الذهلي يقول :

أنشدنا الشيخ الإمام العالم الفاضل الكامل ، أوحده دهره ، وفريد عصره ،
 إمام المحققين ، وقُدوة أئمة المحدثين ، تقي الدين أبو الثناء محمود بن علي بن
 محمود بن مقبل بن سليمان بن داود الدقوقي ، المحدث سامحه الله تعالى لنفسه
 يرثي الشيخ الإمام العلامة ، والبحر الفهامة ، حجة الإسلام ، وقُدوة
 الأنام ، تقي الملة والحق والدين ، أحمد بن الشيخ الإمام شهاب الدين عبد الحلیم
 بن الشيخ الإمام العلامة مجد الدين عبد السلام بن تيمية الحراني - قدس الله
 روحه - ونور ضريحه في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ، ولم ير الشيخ - رحمه
 الله - :

قَفِّ بِالرَّبُوعِ الْهَامِدَاتِ وَعَدِّدْ	وأذِرِ الدَّمُوعَ الْجَامِدَاتِ وَبِدِدْ
وَاحْبَسْ مَطِيكَ فِي الْمَنَازِلِ سَاعَةً	وَاسْأَلْ وَلَا تَكْ فِي سِوَالِكَ مَعْتَدِ
وَاقْطَعْ عَلَائِقَكَ الَّتِي هِيَ فِتْنَةٌ	وَاتَّبِعْ سَبِيلَ أَوْلِيِ الْهَدَايَةِ تَهْتَدِ
وَدَعْ صَبَاكَ ، وَدَعْ أَبَاطِيلَ الْمَنَى	وَاهْجِرْ دُنْيَاتِ الْأُمُورِ وَسَدِّدْ
وَاقْنَعْ مِنَ الدُّنْيَا الْقَلِيلِ ، وَلَا زِمِ الْفِعْلِ	الْجَمِيلِ وَسِرِّ [سِيرِ] (١) مَجْرَدِ
وَتَوَخَّ فِعْلَ الْخَيْرِ وَاصْحَبْ أَهْلَهُ	مُتَحَبِّبًا مُتَجَنِّبًا أَهْلَ الدِّدِ
لَا تَعْتَبِنِ مَفَارِقًا يَبْكِي عَلَى	أَحْبَابِهِ ، وَارْحَمِهِ إِنْ لَمْ تَسْعُدِ
وَدَعْ الْمَرْوَعُ بِالْبَعَادِ وَعَازِلُهُ	فَالْعَذْلُ أَمْضَى مِنْ فِعَالِ مُهَنْدِ
مَاذَا الْوَقُوفُ عَنِ السُّرَى ، وَصَحَابِنَا	سَارُوا وَصَارُوا بِالْعَرَاءِ الْفَدْفَدِ؟

(١) كتب في هامش الاصل : لعله «كسير».

لا اخضر بعدهم العقيق، ولا شدت
أما أنا فلأبكين فإن ونى
أين المعين على الخطوب إذا عرت؟
أو ما درى من كنت تعرف قد مضى/
أين المحامي عن شريعة أحمد؟
مات الإمام العالم الحبر الذي
من لليهود وللنصارى بعده
سل عنه ديان اليهود، أما غدا
نشأت على فعل التقى أطواره
ورث الزهادة كابرًا عن كابر
قف إن مررت بقاسيون على ثرى
واعجب لقبير ضمَّ بحرًا زاخرًا
بشر يُشتر بالغنى من جاءه
كانت به أرض الشمام أمينة
لو تستطيع بنات نعش أن ترى
كانت تسير بنعشه وتحطه
مات الذي جمع العلوم إلى التقى
شيخ الأنام تقي دين محمد
ودّعت قلبي يوم جاء نعيه
سَقَت العهاد عِراضَ قبر حله
يا مبلغ العذال فرط صبابتي

[ق/١١٧]

ورقُ الحمام فوق برقة تُهدم
دمعي، سفكتُ حشاشة القلب الصدي
أين المساعد عند فقد المسعد؟
لسبيله في ضنك لحد مؤصد؟
أين المحقق نهج مذهب أحمد؟
بهدهاء عالم كل قوم يهتدي
يرميهم بمقالة المتسدد؟
متلفعًا بصغاره المتهود؟
فعننت له التقوى وأعطت عن يد
والعلم إرثًا سيدا عن سيد
فيه ضريح العالم المتفرد
بالفضل يقذف بالعلأ والسؤدد
يسر يسر فؤاد عان مزهد
من مُبطل متهول متلدد
يومًا يسير بنعش ميت ملحد
فوق السماك وفوق فرق الفرقد
والفضل والورع الصحيح الجيد
وجمال مذهب ذي الفضائل أحمد
فتقاعدني ، يا عين بي ، أو أنجدي
جسد حوى خُلُقًا وحسن تودد
وتقلقي يوم النوى وتسهدي

تُصَمِّي المقاتل بالفراق ولا تدي
وجمعت شمل ذوي التقى المتبدد
في كل ذي قول ووجه أسود
وسمام كل أخي نفاق ملحد
يمتاز في الإسلام كل موحد
يا كاشف الغمام عن مستنجد
يا دافع الفاقات عن مسترفد
بجوار قبرك عن وثير المرفد
تزهو بنرجس زهرها الغضُّ السُّدى
خبر الذي يرويه كل مجوّد
من غير ما منع ، وغير تردد
بشرت أهل الخافقين بأحمد
فيه الفوارس في المضايق تهتدي
تقذي برؤيته عيون الحسّد
يَفْنَى الزمان وذكره لم ينفد
قد رمت كالعنقاء ما لم يوجد
كم بين شعواء الجزاء وجدُّد؟
صيد النجوم من المياه الرُكِّدِ
بضياؤها ، في كل قطر، نهتدي/
طرق الهدى للسالك المتردد

ما بعد رَزْئِكَ في الزمان رزيةٌ
بدَّدت شمل الملحدين جميعهم
يا من ترى أقواله مبيضةً
يا كاليّ الإسلام من أعدائه
يا واحد الدنيا الذي بعلمه
يا حامل الأعباء عن مستنصر
يا طارد الشبهات عن متردد
قرت عيون مجاوريك وقد غنوا
فكأنما تلك اللحود حدائق
يا خاتم العلماء صحَّ بموتك الـ
اليوم قبض العلم، قولاً واحداً
لو لم يكن ختم الأئمة أحمد
خَوْضُ الكرائه لم يزل من دأبه
شيخٌ إذا أبصرته في محفل
ذو المنقبات الغر والشيم التي
يا من يروم له عديلاً في الورى
كم بين رثبال الفلاة وثعلب
أرح المطي ، ولاتكن كمحاول
قد كان شمساً للصحاب منيرة [ق/١١٨]
واليوم أدركها الكسوف فأظلمت

(١) في المطبوعة : «المرقد».

لهفي على تلك الشمائل والندى والجود والهدي القويم الأرشد
هجم الحِمام فلا مفر لها ربِ الموت في الدنيا لنا بالمرصد
مات الصديق ومات من عاديته وتموت أنت كمثله ، وكأن قد
وإذا مضى أقران عمرك فانتظر في يومك الناعي ، وإلا في غدِ
لكن لنا عن كل خِلٍّ سلوة بمصاب سيدنا النبي محمد
صلى عليه الله ما هجر الكرى جَفَنَ التقيُّ القانت المتهدجد

تمت والحمد لله ، وعدتها ستة وخمسون بيتاً

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وأيضاً للدُّقُوقِي ، رحمه الله تعالى :

ما كفاء هذا الرُّزءِ جفن تسجم أبدأ ، ولا قلب يذوب ويألم
رُزءٌ أصم جميع أسمع الورى سبق الحدوث به القضاء المبرم
رُزءٌ يَجِلُّ عن البكاء ، لأنه لا رُزء منه في البرية أعظم
يتضاءل اللُّسَن الفصيح لذكره ويجلُّ قدرًا في النفوس ويعظم
رُزء له هوت النجوم وكورت شمس الضحى ، والصبح ليل معتم
من عظم موقعه ، وفادح خطبه لم يدر قُسُّ ما البيان وأكتم
لكنما تجري الأمور بكل ما يقضي به رب السماء ويحكم
والأمر أعظم أن يقوم [ببعضه] (١) دمع [يصوب ولم يخالطه دم] (٢)

(١) في هامش الأصل: «بعضه».

(٢) في هامش الأصل: «صبَّ حشاشته تذوب وتكلم» .

هذا المصائب أجلّ مما تعلم
 حتى يفاجئه الحِمام المؤلم
 يؤويهم عند الخطوب ، ويعصم
 في ماء ذاك الورْد حتما يقدم
 لا بد [تدركه إذا هو] ^(١) يهرم
 في نفسه ، ومُعجّل يتقدم
 أحد ، ولا حيّ عليها يسلم
 واعذره ، وارحمه ، لعلك تُرحم
 في الناس يوم البين خِلاً يرحم
 يوم الرحيل ، ولا المطايا تدرم
 والورق تذكر إلفها ، فترتم
 إلا غدت أقرانه تتخرم
 قل لي ، وقد مات الإمام الأعظم)
 ومضى التقيّ العارف المتوسّم
 وسواه في هذين صِفْرٌ معدم
 فيه ، فما تلقاه إلا يعلم
 اليوم منه يفسّر المستعجم

ذا الخطب أعظم أن يداوي بالأسى
 كلُّ يدافع حتفه عن أنفه
 أعى الأنام ، فما له من ملجأ
 والموت ورْدٌ للجميع ، وكلهم
 من أخطائه يد الخواثر في الصبا
 سيّان في حكم [القضاء] ^(٢) مؤجل
 أُخَيّ ، لا تبعد ، فليس بخالد
 لا تعذل الباكي على أحبابه
 للخطب يُدخّر الصديق ، ولا أرى
 لا تحسبوا ورُق الحمام سواجعا
 هذي تحنُّ فتشتكي [الم] ^(٣) السرى
 ما حاربت أيدي الردى في [مازق] ^(٤)
 من ذا يطيق مع الفراق تجلداً؟
 أودى فريد الدهر أوحد عصره
 شيخ يسود بجده وبجده
 شيخ كأن الله أودع سره
 اليوم أكشف عن غوامض سره

(١) في هامش الأصل كتب منقول عنه : «إن تدركه إذ هو» .

(٢) في هامش الأصل : «الفناء» .

(٣) في هامش الأصل : «طول» .

(٤) في هامش الأصل : «مازق كمجلسي» .

قد كان يؤثر من أثاره بقوته
ويجود بالموجود منه ، ويرشد الـ
ظهرت له شيم التقي فكأنه
وإذا تقاعست الرجال، فإنه
من ذا يرى للمشكلات يحلها
وعلى النصارى الملحدين إذا أتو
يشتافه الإرسال في إسناده
وبكته عنعنة الحديث وطرقه
هذا الذي للدين منه مُعَلَّلٌ
هذا الإمام الحجة الحبر الذي
فضل وزهد [لا يعدُّ] (١) وعفة
لك يا ابن مجد ادين طَوْدٌ باذخٌ
أقسمت ما وُصف امرؤ بصيانة
أبدي مُصلاك البكاء، وحسبه
أسفا على ما فاته من ورده
حسدوه إذ وجدوه أعلم منهم
عَقَلُوهُ إذ عقلوه، ليث كباشهم
تبكي عليه جوامع، ومجامع
وزكت خلائقه الشراف وكرمت
جمعت له أشتات كل فضيلة

(١) في هامش الأصل : «يُحد».

ويَظَلُّ طول نهاره لا يطعم
جَنَفَ العصيَّ بهديه ، ويقوم
بطهارة الأثواب نُسكا محرم
يوم النزاع العالم المتقدم
والواقعات، ومن به يُستَعصم؟
من ذا يرد ، ومن يجيب ويُفهم؟
والنسخ والمنسوخ، ثم المحكم/ [ق/١١٩]
وبيان ما يحوي عليه المعجم
ومنوعٌ، ومجنس ، ومعلم
تنفي به شبه الشكوك، وتحسم
وديانة ورزانة وتحلم
في الفضل ممنوع الجوانب أبهم
في نفسه، إلاوصونك أعظم
يبكي عليك، وحقه يتندم
والليل ساج ، والخلائق نُوم
ورأوه أفضلهم، وإن كانوا عموا
والليث يعقل من سواه ويلجم
ومناقب، ومراتب تتهدم
منه المعارش، وهو منها أكرم
تروى مدائح شاردات حوم

كالشمس ، نور ضيائها لا يكتف
 فأبى عليّ ، فلم أطق أتكلم
 أن لا يجيب ، وفكره متقسم
 بين السطور كعقد در ينظم
 فعصى عليّ ، فساعد الدمع الدم
 دمع المحاجم صبّ فيه العندم
 تسقي ثراه على المدى وتدوم
 تحت التراب سحاب [عفو] (١) مشجم
 من أجلها الجار المجاور يكرم
 فيها ، وفوق الأرض فينا ماتم
 في كل يوم لا تمل وتسأم
 لنزيلها في كل يوم موسم
 شق الجيوب عليه مما يلزم
 ميتًا وهذا الميت حيٌّ مكرم
 والخور والولدان فيها تخدم
 في مقعد الصدق الرضا تتنعم
 يومًا لسان ناطق يتكلم
 عرصائه من خير ضيف يقدم
 والله أرأف بالعباد وأرحم
 والحجر ، والبيت العتيق ، وزمزم

ملأت فضائله البلاد ، ففضله
 ولقد دعوت الشعر يوم نعيه
 أنى يجيب؟ ومن لوازم حقه
 وأخذت أكتب ما أقول وأدمعي
 نفذ المداد ، فساعدته مدامعي
 حال المداد عن السواد ، كأنه
 جادت ضريحًا بالشام غمامة
 وسقي قبورًا جاورته من الرضا
 طوبى لمن أمسى مجاور تربة
 أمسى وتحت الأرض عرس إذ نوى
 هذا وأملاك السماء تحفه
 يا أرض صرت به كروضة جنة
 لسواه تشقيق الجيوب ، وإنما
 سعدت به أرض أقام برمسها
 نقلت إلى جنات عدن روحه
 جسمانه تحت العراء ، وروحه
 لو كان للقبر المحيط بجسمه
 لسمعت بشره بمن وافى إلى
 هو في جوار الله أشرف منزل
 تبكي له السبع الطواف وسعيه

(١) في هامش الاصل : «جود» .

وتعطلّ المحراب من متعجد
والخلق إن نسبوا إليه كواحد
أضحت سطور الفضل يصعب فهمها
فأبان مشكلها، وأوضح رمزها
إن كان قد أمسى رهين موداً
فلربّ عان قد أعان وأكمه
وضريحه كالمسك، ينشق عرفه
إن كان هذا الرّزء يعظم ذكره/
فالصبر أكرم ملبس يختاره
وعلى النبي من الإله صلّاته

بالذكر في أسحاره يترنم
في أمة، وهو الفريد الأعلم
كالخط أصبه الغويب المبهم
فغدت بتنقيط الفضائل تعجم
زلخّ الجوانب جدّره متهدم
هدى ، فأرشده ، ولا يتبرّم
من كان من حنقٍ عليه يسلم
شرفاً ، ويُنجد في البلاد ويتهم
حُرُّ بصير، بالعواقب مسلم
ما سارت الأظعان سوقاً تَرزَم

[ق/١٢٠]

قال الشيخ أبو بكر أحمد الدريبي - رحمه الله - :

كان على النسخة التي نقلت منها نسختي هذه ما صورته :

نقلتها من خط مؤلفها الشيخ الإمام العلامة، أوجد عصره وفريد دهره،
أبي الثناء محمود بن علي بن محمود الدقوقي، البغدادي - قدس الله روحه = .

وقال أيضاً: شاهدت الأصل المنقول عنه ماصورته :

سمع عليّ الولد السعيد أبو الخير سعيد بن عبدالله الذّهلي الحريري جميع
هذه القصيدة الموسومة : بمرثاة الشيخ العالم الرباني تقي الدين أحمد بن تيمية
الحراني ، بقراءة الشيخ الإمام الأوحّد الفاضل المحقق الكامل ، جمال الدين أبي
أحمد يوسف بن محمد بن مسعود بن محمد السامرّي ، وذلك في يوم الثلاثاء
سادس عشر ربيع الأول سنة ثلاثين وسبعمائة .

وكتب ناظمها محمود بن علي بن محمود الدقوقي حامداً ومصلياً :

توفي ناظم هذه المرثاة الشيخ تقي الدين الدقوقي يوم الإثنين العشرين من
 المحرم سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ، ودفن يوم الثلاثاء بمقبرة الإمام أحمد ،
 وحملت جنازته على الرءوس - رحمه الله - .
 وأيضاً الدقوقي أيضاً - رحمه الله تعالى - :

مضى عالم الدنيا الذي عزَّ فقده وأضرَم ناراً في الجوائح بعده
 فدمي طليق فوق خدي مسلسل أكفكفه حيناً ، وجفنى يردُّه
 ويرجو التلاقي ، والفراق يصدّه وما حيلة الرَّاجي إذا خاب قصده
 مضى الطاهر الأثواب، ذو العلم والحجى ولم يتدنس قط بالإثم بُرده
 مضى الزاهد النَّدب ابن تيمية الذي أقر له بالعلم والفضل ضده
 بكثته بلاد الشام طرا وأهلها جامعها وانماع للحزن صلده
 يحن إليه في النهار صيامه ويشتاقه في ظلمة الليل وردّه
 ويكي له نوع الكلام وجنسه ويندبه فصل الخطاب وجده
 حمى نفسه الدنيا، وعفَّ تكرمًا ولما يصعَّر للدنويات خده
 ولم يجتمع زوجان من شهواتها لديه، وبين الناس قد صح زهده
 ويؤثر عن فقر، وفيه قناعة ويعجبه من كل شيء أشده
 عليم بمنسوخ الحديث وحكمه وناسخه، فخر الزمان ومجده
 قؤول ، فعول، طيب الجسم طاهر إمام، له من كل حكم أسدّه
 فما قال في دنياه هُجراً ولا هوى ولا زاغ عن حق تبيّن رشده
 علوم كُنشِر المسك من كل سيرة يشيد دين المصطفى ويُجده
 فله ما ضم التراب، وما حوى من الفضل فليفر على الأرض لحدّه

فيانعشه ، ماذا حملت من امرىء
وكان لنا بحرًا من العلم ذاخرًا
وما مات من تبقى التصانيف بعده
وخلف آثارًا حسانًا حميدة
ولست مطيقًا شرح ذلك مفصلا
لقد فارق الأصحاب منه مصاحبا
قضى نحبه والله راض بفعله
يدل تراب القبر من جاء زائرا
ولا تحسبوا ما فاح عطر حنوطه
وكان لأهل العلم تاجًا مكللًا
وما كان إلا التبر عند امتحانه
وكان يقول الحق والحق حلوه
وفي الحق لم تأخذه لومة لائم
وما كان إلا السيف غارت يد العلا
ولم تلهه الدنيا وزخرفها الذي
لقد فقدت منه المحافل زينها
وخضبت الأقلام بعد مدادها
فللدهر ماضم الثرى من محقق
وكان إمامًا يستضاء بنوره
وكنت أرجى أن أراه، ونلقتي
نرى الموت مألوف الطباع وربما

جميع الورى فيه، وفوقك فرده؟
فما باله لم يصف مذ غاب ورده
مخلدة ، والعلم والفضل ولده
إذا عدت زادت على ما نعهده
ولكن على الإجمال يعكس طرده
يراعي وداد الخلل إن خان أوده
ولله فيما قضى فيه حمده
إليه بطيب فيه يعبق نده/ [ق/١٢١]
ولكنه حسن الثناء ومجده
يحوطهم من مبطل خيف حقه
يبين لعين الحاذق النقد نقده
مرير لهذا كان يكره رده
ولا خاف من غمر تشدد حرده
عليه ، فردته كما غار غمده
يروق لمن لم يؤنس الدهر رشده
ولما يفارق علمه الجم وجده
عليه دما، قد فاض في الطرس مده
ويا لك من غضب تثلم حده
وبحرًا من الأفضال قد غيض عده
ولكن قضاء الله ، من ذا يرده؟
يعلل بالمألوف من لا يوده

وحر فؤاد بان، مذ بان برده
 وقلب وقد يشجى ويضنيه وجده
 محاسنه، والخل يحفظ عهده
 غداة فأى عنه الصديق ورفده
 وما حيلة الراجي إذا حار قصده
 وقلبي لبعدي عنك أجبج وقده
 وإن غاض دمعي، فالدماء تمده
 قوي على الأعداء لم يأل جهده
 علاقدره عند الإله ومجده
 وعقداً لهذا الدين أبرم عقده
 فمذ صرت تحت الأرض صوح ورده
 إلى الورع الشافي الذي صاح حمده
 قؤولاً ، وخير القول عندك جده
 تذوب وجيش الصبر قد قل جنده
 مدى ما بدى نجمٌ وأشرق سعده
 لك الدنيا تُصَيِّح بانتحاب
 فعاد البحر من تحت التراب

فأه على تفريق شمل مجمع
 ألا إنها نفس ، وللفس حرة
 ولست بناس عهد خل تغيبت
 وما عذر دمع لا يجيش بدمعه
 يروم الأماني ، والمنايا تصده
 عليك أبا العباس فاضت مدامعي
 على مثلك الآن المراثي مباحة
 شددت عرى الإسلام شدة عارف
 تركت لهم دنياهم ترك عالم
 وكنت لمجموع الطوائف مقتدى
 وكنت ربيعاً للمريد وعصمة
 جمعت علوم الأولين مع التقى
 وكنت تقي الدين معنى وصورة
 رحلت وخلفت للقلوب جريحة
 عليك سلام الله حياً وميتاً
 تمت وهي اثنان وخمسون بيتاً
 تقي الدين لما مت أضحت
 وكنت البحر فوق الأرض تمشي

* * *

للإمام المحدث الفقيه الفاضل تقي الدين أبي عبدالله محمد بن سليمان بن
عبدالله بن سالم الجعبري مرثاة في شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن
تيمية - رحمة الله عليه - :

جل رُزِّي وقلّ مني اصطباري
مَنْ معيني على نوائب دهري
قد سقتني الأيام جرعة صبر
فدموعي مثل الغمام انسجاما
يا عدولي ، أقصر ، فإنك خلّو
طاب كأس المنون صرقاً أدرها
لست أبغي الحياة بعد ، ولكن
بعد سبع من المئين وعشريد
مع ثمان للعقد عشرون إذ ذا
مدفن الحبر محرز العلم حقاً
أحمد ، أحمد المناقب والوصد
التقي النقي ، ذي المجد والسد
إن يكن جسمه تغيب في الترد
كان قطباً ، وعالماً وإماما
جابرًا لليتيم ، برأ ، رحيمًا
لم أجد بعده معينًا على الدهر
فنهاري من فقدته مثل ليلي
يا ابن تيمية ، ويا أوحد العصر

يا لقومي من قاصم الأعمار
وملمّاته ، ومَنْ أنصاري؟
عز صبري لها ، وبان اصطباري
ونواحي في الليل مثل القماري
من شجونني فلا احترقت بناري
لا كؤوسًا ممزوجة من عقار
بغيتي أن أموت في الأبرار
ن / خريقًا من هجرة المختار [ق/١٢٢]
ك يوم الإثنين بعد نصف النهار
ترجمان الكتاب والآثار
ف ابن تيمية الكريم النجار
ؤدد والمكرمات ، والإيثار
ب فمعناه نشره كالعرار
وشيخًا لوحده بالفخار
علمه مشرق على الأمصار
معينًا سوى عيون جواري
بعد ليل بوصله كالنهار
ر ، ويا سيدا غريب الديار

كنت كالكهف ملجأ لمخيف
 إن دعوت البكاء بعدك والصب
 فرجائي أن ينقطع من وصال
 كنت حباً للمتقين إماما
 غافر الذنب قابل التوب ذي الطو
 وعلى نفسك الزكية مني
 كل وقت تحية ، وسلام
 تمت والحمد لله وحده.

* * *

للشيخ قاسم بن عبد الرحمن بن نصر المقرئ في الشيخ تقي الدين ابن

تيمية يرثيه:

عظيم المصاب وزادت الأفكار
 يا أوحداً في حلمه وعلومه
 أعلى تقي الدين يحسن صبرنا
 تجري لعظم قراقنا عبراتنا
 لهفي على بحر العلوم وغوصه
 يتشال منه إلى القلوب جواهر
 وله بتفسير الكتاب غرائب
 حبر ، لبيب ، أوحداً في عصرنا
 غلب الملوك مهابة وشجاعة
 وجرت بحكم فراقك الأقدار
 خلت البقاع ، وقلت النصار
 ومثله تتهتك الأستار
 أسفاً عليه ، كأنها أمطار
 يحوي الجواهر باهر زخار
 والدرُّ من فيه السنَى نُثار
 جليّت له ، وكذلك الأخبار
 سل ما تشاء ، له به أخبار
 ليث يهاب لقاء الكفار

ما كان إلا شامةً في شامنا
وله من الله الكريم عناية
ماكان إلا درة مكنونة
لا يلوين إلى الحطام تعففا
ماكان إلا حبر أمة أحمد
ومجاهد في الله حق جهاده
وله الزهادة والعبادة منهج
حاز العلوم : أصولها وفروعها
يلوي من الدنيا ، وما يُعنى بها
لما اقتناه هداه منهاج الهدى
نزل القضاء به فأنس رحمة
بكت السماء عليه يوم فراقه
وبكى الشام ، ومدنه وبقاعه/
أو ما نظرت إليه فوق سريره
والناس من باك عليه بحرّة
وهم ألوف ، ليس يحصى جمعهم
نزلوا به ، كالبدر في إشراقه
عبد الحليم ، وجده ، سعدوا به
ولمثل هذا سارعوا أهل التقى
الله يكرمه بأفضل رحمة
أكوابها موضوعة ، وقبابها

وعليه من تقوى الإله شعار
وله من الصبر الجميل دثار
لا يعتره تدنس وغبار
وعليه من تقوى الإله وقار
شخصت لعظم مصابه الأبصار
بحر الندى ونواله مدار
وبسنة الهادي له استبصار
وبكل ما يُروى له آثار
وزواه عنها الواحد القهار
وعطاء ربك وافر مكثار
من ربه لا تدفع الأقدار
أسقًا ، وجاء الغيث والأمطار
لما قضى ، وكذلك الأمصار [ق/١٢٣]
حسفت به من ربه الأنوار
ودموعهم فوق الخدود غزار
إلا إله غافر ستّار
فتباشرت بقدومه الأقطار
وأخوه عبد الله والأبرار
فازوا بما فازت به الأخيار
في جنة من تحتها الأنهار
مرفوعة حسفت بها الأنوار

وكؤوسها قد أدهقت وقصورها
وصحافها من فضة ، ولباسهم
والحور في تلك الخيام ببهجة
عُربًا لأصحاب اليمين ، فليتنا
وعلى الأرائك ينظرون نعيمهم
ووجوههم مثل الصباح إذا بدا
ويعتفون بنظرة قدسية
في عمر عيسى ، والجمال كيوسف
ثم الصلاة على النبي محمد
هادي الورى وإمامهم وشفيعهم
صلى عليه الله ما اهتز الثرى

تمت ، وهي واحد وأربعون بيتًا .

* * *

من قصائد الشيخ مجير الدين أحمد بن الحسن بن محمد الخياط الجوزي

الدمشقي، مرثية في الشيخ - رحمه الله تعالى - :

خشعت لهيبة نعشك الأبصار لما عليه تبدت الأنوار
وبه الملائكة الكرام تطوفت زُمراً ، وحَفَّتْ حوله الأبرار
فكساه رب العرش نوراً ساطعاً فكأثما غَشِيَ النهارَ نهارُ
ولأمة الإسلام حول سريره سام إلى رب السماء جُؤار
ولهم دموع من خشوع نفوسهم ودموعها فوق الحدود غِزار
وسرّوا به فوق الإيران^(١) ، وتحتة منهم يمين أنامل ويسار
ولرحمة الرحمن ظل سَجَسَجٌ يغشاهم ، وسكينةٌ ووقار
فلكم عيون من تموج مائها حزناً تأجج في الجوانح نار
كان الممات زفاف عرس حياته وبه النفوس مع الدموع تثار
إن كان من أهل وجيران نأى فله دنا من ذي الجلال جوار
أو كان عن دار الفناء رحيله فليديه في دار البقاء ديار
أو كان أزعج عن ذرى أوطانه فله بخلد في الجنان قرار
ما كن إلا مزن علم رُوِّضت منه بصيب قطره الأقطار
كالغيث أفلح بعد سحّ غيمه وتخلقت من بعده الآثار
ما كان إلا طود علم باذخ من دون وزن حصاته القنطار
ما كان إلا بحر جود، كفه تياره بنواله زخار
ما كان إلا ديمة معروفها بهباته لعافته مدار
ما كان إلا البدر عند كماله وافاه من نقص التمام سرار/

[ق/١٢٤]

(١) الإيران : «السري» .

ما كان إلا خير أمة أحمد
 حبر، وبحر للمكارم ، والتقى
 ولكم لأحمد في المحامد رتبة
 وله مناقب ما لحصر صفاتها
 وله الشعور بكل علم نافع
 وله التزهّد، والتعبّد والتقى
 وله، إذا فخر الفخور بزينة الـ
 ولأشرف الأشياء علم نافع
 إن أظلمت سبل النهي لسكونه
 ولقد علا الإسلام جل مصابه
 لو كان في الدنيا يدوم مخلدا
 ولكل حي خلع ثوب حياته
 فيم النجاة؟ وكل حي ميت
 ولقد أسفت على فراقى أحمدا
 لو كان يفدي هان عند فدائه الـ
 قد كان مغناطيس أفئدة الورى
 ما كنت أحسب أن يوم وفاته
 بكر النساء من الستور ثواكلا
 والناس أمثال الجراد، لهم على الـ
 فكأنه يعسوب نحل نحوه
 ملأت محاسنه البلاد، ونوّهت

في العصر، لم تسمح به الأعصار
 والجود ، والإحسان فيه بحار
 من طولها تتقاصر الأفكار
 عد، ولا حد، ولا مقدار
 عقلاً ، ونقلأ ، في الأنام شعار
 ما بين أرباب الدثور دثار
 دنيا بتشعيب الحياة، فحار
 لا درهم يغني ، ولا دينار
 فلذكره في الخافقين منار
 لكنها لا تدفع الأقدار
 بشر، لخلد أحمد المختار
 علماً بأن ثوب الحياة معار
 إلا الإله الواحد القهار
 إذ ليس لي قضيت به الأوطار
 أموال، والأولاد، والأعمار
 أنسا ، ولكن في القليل نفار
 يبدو المصون وتهتك الأستار
 ومن الخدور النهْد الأبيكار
 تابوت منه تهافت ودوار
 حياً وميتاً للنفوس مطار
 بحديث معجز فضله الأمصار

وجرى بأفواه الأنام ثناؤه
يفنى الزمان وينقضي وبأحمد
فأحله الرحمن دار أمانة
وحباه ظلاً صافياً في جنة
فلأرض روضة ذكره معطار
وحدثه تحدث السمار
ليزول من خوف عليه حذار
فيحاء، تجري تحتها الأنهار

تمت وهي ثلاثة وأربعون بيتاً.

* * *

وله أيضاً يرثي شيخ الإسلام - رضي الله عنه - :

لمصاب البرّ التقي الإمام
والبواكي لهم عليه نواح
مات يوم الإثنين ، والسرّ فيه
موته عظم المهيمن فيها
حفّه الناس أجمعون: رجالا
ومشوا تحت نعشه، وهو من فو
يسبلون الدموع من خشية اللد
وضجيج العباد سرّاً وجهراً
يا له مكفهر يوم عبوس
كم به عاين الهلاك قوى
يا لها من رزية ، كان فيها
جل فيه المصاب ، حتى لقد رَ

كل دمع من الورى في انسجام
كفقيديات صادحات الحمام
غيرخاف على ذوي الأفهام
قدره في عموم جمع الأنام
ونساء ، سعيّاً على الأقدام
ق رءوس الأعيان [والحكام] (١)
ه ، وحرزاً كمسبلات الغمام
كدويّ في سامق الجو سام
عاث في غارب السهى والسنام
ذو نشاط لفرط كظّ الزحام
يوم بؤس في طوله فوق عام
قّ تعثيره على الأوهام

(١) في الأصل : الأحكام ، وكتب في الهامش : لعلها «الحكام» .

كان شيخ الإسلام في العلم والزهد
 فقد الناسُ منه بحرًا عليمًا
 [ق/١٢٥] منه حب الكتاب والسنة المثلى
 بلغ الأوج من سماء المعالي
 وطوى ذكره البلاد انتشارًا
 كان جبر الكسير إن هاضه الدهر
 كان حب الدنيا إليه بغيضا
 كان لا يرهب الملوك ولا ير
 كان وترًا في الفضل فذا ، وكل الن
 كان سمحًا ، بمثله الدهر ضنًا
 كان سطرًا في جبهة يُقرا
 كان نفعًا لكل من خاف ضرا
 لم يكن ذا تأنق في متاع
 كان يخشى داء ، ويرجو دواء
 كان في الله ذا انتقام ولا يو
 كان برا يُهدى به ذو ضلال
 كان كالليث بالنواب فتكا
 في يديه وصدرة كل بحر
 أي ندب ، شهم ، شجاع ، جواد
 قام لما تذبذب النا
 كم له في حنادس الخطب والخلد

سد وحل مشكلات الكلام
 هديه كالأئمة الأعلام
 / جرى في عروقه والعظام
 وتسامى علمًا على كل سامي
 فهو حتى لعاد في الناس نامي
 وعونَ العاني ، وحطمَ الحطام
 فوق بغض الصحيح ثوب السقام
 غب فيما لهم من الأنعام
 اس جاءوا بشفعهم والتؤام
 في ليالي الزمان والأيام
 في البرايا ، وشامة في الشآم
 في سبيلي حلاله والحرام
 ولباس ، ومشرب ، وطعام
 وشفاء لكل داء عُقام
 جد يومًا لنفسه ذا انتقام
 كان بحرًا ، يروى به كل ظام
 كان كالغيث بالمواهب هام
 زاخر بالنوال والعلم طام
 [أورع] ماجد سري همام
 س ، عليهم لما نبا كل حام
 ق نيام حتى الضحى من قيام

وجميع الأنام من شدة الخو
 وبنو فارس قد افترسوا النا
 ودمشق الشام بعد انبساط
 إذ غزانا عِلجُ العلوج قزان
 فأعاد العزيز منا ذليلاً
 فضاه الجبار، جل ثناه
 فحمانا بالله من كل طاغٍ
 يا له - حين فر كل كمي
 يا ابن تيمية ، عليك خصوصاً
 يا سليل العلا، عليك القوافي
 يا فقيده المثال: علما، وحلما
 يا بطيء الإحجام إن عز خطب
 يا مُحلّي، وكاسياً كل فضل
 كُفَّ طرفي إن لذّ من بعد مرآ
 وبودي - بفقد شخصك - لوحا
 ولعمري ، يا من له في فؤادي
 إن حلت الثرى فروحك حلت
 فسقى تربة حواك ثراها
 وإذا سحت السواري بسح
 تمت بحمد الله وعونه ، وعدتها اثنان وخمسون بيتاً، والحمد لله رب
 العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

للإمام نجم الدين إسحق بن ألى التركي، يجيب صدر الدين ابن الوكيل،

[ق/١٢٦] في قصيدة/ هجا بها شيخ الإسلام أحمد بن تيمية وزعم أنه لما خرج من دمشق

في محنته الأولى مطرت السماء :

من مبلغُ عني الخبيث مقالة
أزعمت إذا غاب الإمام همي الغما
أو ما ترى شمس الضحى في مآتم
فَلْيَدْخُلَنَّ لأرض مصر إمامنا
وَلْيَرْجِعَنَّ إلى دمشق مؤيِّدا
وترى بعينك ما يسوؤك من علا
أظلمت من حمق به متشبهها
محضتكما أيدي الزمان ، فكنت كالز
فاستر معاييك التي سارت بها الر
فكففاك مقنًا أن تكون محاربًا
تمت وهي عشر أبيات.

* * *

تب إلى الله أيها الإنسان
ولمن تاب في القيامة فوز
تب إلى الله من جميع المعاصي
فلمن تاب روضة وجنان
ونعيم ، وقاصرات حسان
فلمن تاب عنده غفران

للشيخ مجير الدين أحمد بن الحسن الخياط الجوحى الدمشقي ، يرثي شيخ

الإسلام ابن تيمية - رضي الله عنه أيضاً - :

بمصر عك الناعي أصمَّ وأسمعا
فكم مقلة جفت جمودا من الأسي
وكم ثاكل بالنوح والندب رجعتُ
ولم يبق ذو علم، وزهد من الورى
تنكرت الدنيا على كل عارف
جعلتُ لمن أخلى مضيئًا ومربعا
فيا أحمد المحمود، قد كنت للهدى
وللدين والدنيا ضياءً وبهجة
رُمينا برزء منك، لم تستطع له
رحلتَ عن الأوطان رحلة نازح
لقد كنت عن شرِّ بطيئًا ووانيا
وللحلم طودًا راسخًا بأذخ الذرى
وركنا لدين الله حين تههدمت
ورروضَ علاء ناضرا عاد مُمعراً
ومجمع شمل شتتَ الشملَ فقدهُ
وحبرا حوى حيزومه وبنانه
سرى ذكره في الأرض شرقًا ومغربًا
وجازت مساعيه الكواكب عدة
فيا حلمه ، ما كان في القلب أوجعا

وصمُّ الصفا من صدمة الحزن صدعا
وكم مهجة سالت مع الدمع أدما
وكم فاضل بالنظم والنثر سجعا
لفقدك إلا كاسف البال موجعا
رأى منك مأهول المنازل بلقعا
فؤادي وأجفاني مضيئًا ومربعا
منارًا ، وللشرع الحنيفي مشرعا
إذا لاح وجه الخطب أسود أسفعا
يдай ، شديد الأيدِ والكيـد مدفعا
إليهـن لم تُزعم مدى الدهر مرجعا
وفي طلب الخيرات عجلانَ مسرعا
ولللجود والإحسان والعلم منبععا
قواعده منه وهى وتضعضعا
وصُوحَ منه كل ما كان ممرعا
وأنواع أشتات النوائب جمعا
بحار الندى والجود والعلم أجمعا
سرى نشر عَرف المنـدل الرطب ضوعا
مع القطر إذ فاتت رمالا ويرمعا
ويا يومه ما كان في العين أفضعا

عدمنا به الشهم الجواد السמידعا
 سبانا هماما، يؤمن الروح أروعا
 ومنه له في العصر لم نر أطوعا
 إلى حين ولى منذ نشا وترعرا
 مليكًا لمنع المنكرات ممنعا
 بعيد جبانًا كل من كان أشجعا
 وأرماع شرع الجهل أقبلن شرعا
 ومنكر فعل قد أجاد وأبدعا
 يرينا بنور منه للحق مطلععا
 بساطع نور العدل من حين شعشعا
 يضيق بها وسع الزمان توسعا
 بإيضاحه أضحي لسارية مهيعا
 وخص كمالا زائدا وترفععا
 لزخرفها المذموم يبدي تطلععا
 بتأمل ما في دار دنياه مطمعا
 لهيبته تنضى النواظر خشعا
 وألبسها برد البيان الموسعا
 وتوجهها تاج المعالي المرصعا
 عليها رياضًا للعقول ، وأقلعا

وبالك من خطب جليل وحادث
 ومن يوم يؤس عابس الوجه كالح
 مطيعًا لرب العرش لم يعص أمره
 منيبًا إليه ، قائمًا بحدوده/ [ق/١٢٧]

[هزبر^(١)] ومقدام على [العرف كله]^(٢)
 شجاع جلال في جدال بحوثه
 يصول بسيف العلم في معرك النهي
 وفي عصره كم من إزالة بدعة
 وما كان إلا الشمس في ليل باطل
 فكم من ظلام الظلم زحزح غيها
 وكم من كرامات له ومناقب
 وكم من طريق في المباحث مبهم
 وكم سامها التقصان والخفض حاسد
 تولى عن الدنيا حميدا ، ولم يكن
 وعاش إلى أن مات ، لم يعط نفسه
 إمام عليهم ، خاشع ، متواضع
 سحاب علوم روض الأرض فضله
 ونضر منها بالفضائل أوجها
 وخلقها من بعد صيب صوبه

(١) الأسد.

(٢) غير واضحة بالأصل ، وما أثبتناه من المطبوعة .

كذا المزن ، أتى جاد بالوابل الثرى
 فله مفقود فقدناه نافع
 شغفنا به في الله حبا ، فلم يدع
 عليك ، أبا العباس ، أحمد لم يزل
 إلى أن يريني الله وجهك سافرا
 وروى صداها حق أن يتقشعا
 لنا منه - غير الله - لم نر أنفعا
 هواه لغير الله في القلب موضعا
 فؤادي بتذكّار الفؤاد مروعا
 بنضرتّه يوم المعاد مبرقعا
 تمت وهي ثلاثة وأربعون بيتاً.

* * *

مرثية للشيخ برهان الدين أبي إسحق إبراهيم بن الشيخ شهاب الدين أحمد
 بن عبد الكريم التبريري ، يرثي شيخ الإسلام ، وهي ثلاثة ثلاث مرات ، عدة
 أبياتها ثمانون بيتاً :

لفقد الفتى التيمي تجري المدامع
 فتغرق جفنا ، قد تقرح بالبكا
 وبالماء يظفي كل نار ، ونارنا
 وأما الحمام الصادحات فإنها
 على ماجد جلت مآثره التي
 علوم ، وأخلاق كرام ، وسؤدد
 وزهد ، وإيثار ، وتقوى وعفة
 هو الخبر: أما المشكلات فحلها
 وأما عقود الدين ، فهي وثيقة
 إمام ، بكنه أرضه وسماؤه
 وتصدع بالنوح الحمام الصواع
 وتضرم نيراناً حوتها الأضالع
 مؤججها بين الضلوع المدامع
 حمام حمام للقلوب صواع
 لها في قلوب العارفين مواقع
 وجود ، ومجد باذخ ، وتواضع
 وتلك سجايا حازها وهو يافع
 يسير لديه ، وهو في الحل بارع
 لديه ، وعنهما بالرماح ينازع
 بكاء حزين ، حزنه متتابع

عن الله لم يقطعه في الكون قاطع
جوامع ، بيكوا ففقدته ، والجوامع
فواحدتها قد كان ، والشمل جامع
ومن بعده هالت عليها الفجائع
جميل قبيحاً ، إنما الصبر نافع
عليه قديماً ، حرقته المدامع
إمام تقي الدين أحمد ضائع
فغادت عليه فاخترته المطالع
ريف على الخد المكرم طابع
وبدر منير في الدياجي طالع
لشائمه برق على الشام لامع
على من عليه مدمع العين هامع
ولو أشرقت فيها النجوم الطوالع
ولا بد يوماً أن ترد الودائع
قلوب وأبصار ، ولذت مسماع
أجابوه أهل الاحتباء وسارعوا
ومن يدعه المولى إليه يسارع
كما كان يمضي ليله وهو راع
ورصع ذاك الحلبي منه التواضع
وفيه من السر المصون ودائع
لمعناه تيجان الملوك خواضع

وما لهما لا ييكيان لفقده من
وحق لمن كانت جوامعهم له
ولو بكت الدنيا ، وما كان حقها
وقد أصبحت ثكلى تعزى بفقده
ولولا ابتغاء الأجر كان اصطبارنا ال
ومغبره لولا حرارة وعظه
وما زال في حق ابن تيمية الفتى / ال
أما كان شمساً في المطالع يجتلى؟
وشامة خد الشام قد كان علمه الش
ونجم هدى للسالكين إذا سروا
وقد غاب البدر عنه ولم يشم
ولا افتر ثغر الشام من فرط حزنه
وبدر الدجى إن غاب لم تشرق الدنا
ومن مودعات الله كان استرده
ولكن به عاشت نفوس ومتعت
أجاب لداعي ربه مسرعا ، كما
دعاه إليه ربه فأجابه
وأصبح جاراً للذي عز جاره
تبارك من حلاه بالزهد والتقى
وملَّكه قلباً منيراً ، وكيف لا
وتوجَّه تاجاً من الزهد والتقى

وحوى كل فضل في الأنام منازع
فكم فيه وصاف وبالحق صاعد
سواه وفضل الله ذي العرش واسع
مقالا: فكل للذي قال سامع
عليه ، على رغم الحواسد ساطع
نبي الهدى في كل شيء متابع
وليس له في نصرة الحق وازع
تشير إليه حيث كان الأصابع
فما في تقى هذا التقى منازع
صبور، شكور للمهيمن طائع
وليس لما يعطيه ذو العرش مانع
بعزيمة ليث، لم ترعه الوقائع
بنصر على الأعداء، والنصر واقع
وغازان لاقى حتفه وهو راجع
وفيها لأهل الإبتداع بدائع
وفي زخرف الدنيا عدته المطامع
يزال لها في كل وقت يطالع
وللناس في تلك العلوم منافع
ولا حاصد إلا لما هو زارع
وخرقًا عظيمًا، ماله الدهر رافع

ومالي إذا بالغت في وصف سيد
وما أنا وحدي واصف بعض وصفه
ومن بابه قد خصه الله دون من
إذا قيل: قد قال ابن تيمية الفتى
ونور الهدى والعلم والزهد والتقوى
وما ذاك إلا أنه لنبيه
وفي الله لم تأخذه لومة لائم
له راعداً مثل الهلال إذا بدأ
وإن كان في تقوى سواه تنازع
إمام، عظيم ، عالم ، ومعلم
وآتاه ذو العرش المجيد مواهبًا
أما كان في وقعات غازان جاثلا
يقول لجيش المسلمين: ألا أبشروا
فأصبح جيش المسلمين [مؤيدا]^(١)
تصانيفه في كل علم بديعة
ولم يبتغ [شيئًا]^(٢) سوى وجه ربه
فيا فوز من يحوى تصانيفه ، ولا
علومًا لمن يبغى النجاة اعتنى بها
وذو الفضل يؤتبه المهيمن فضله
فيا ثلثة في الدين ، لم يرج سدها

(١) في الأصل كتبت «مؤديًا» .

(٢) يياض بالأصل وكتب على هامش الأصل : «لعله شيئًا» .

فإن انتقاص الأرض من علمائها
ويا محنة أريت على كل محنة
فكم شتت شمالاً بينه بعد جمعه
كما فاق في الآفاق بالعلم والتقى
كذلك لم يسمع بمثل جنازة الـ
مشيعها ضاق الفضا بازدهامهم [ق/١٢٩]

وزف على الأعناق فوق سريره
وأودعه الأحباب عند وداعه
وعادوا من التوديع حرقى جوانح
وما زالت النسوان يبكين فقدمه
فلو أنه يفدي فدمته نفائس
هنيئاً لرمس ضم بحر فضائل
فلا بد من فضل [عظيم] (١) ورحمة
وإني [بتذكري] (٢) حلاوة عيشه
على إني بتذكاري صب مولع
ولولا التقى كان التصبر يُتقى
وكيف يطيع الصبر في رزء سيد
فإن شئتمو يلائمينا فإننا

سيوف حداد للظهور قواطع
وقارعة، غابت لديها القوارع
وليس لما قد فرق بين جامع
وشاع له في الناس ما هو شائع
إمام تقي الدين أحمد سامع
ورصت بمن صلى عليه الجوامع/
زفاف عروس نحو حب تسارع
لمن لم تخب يوماً لديه الودائع
وغرقى جفون غرقتها المدامع
إلى أن نضت من دمعهن البراقع
النفوس ، ولكن القضا لا يدافع
فظوبى لقوم جاوروه وضاجعوا
[تحى] (٢) بها طول المقام المضاجع
[مدى الدهر ما استمرت لدى بقائع] (٤)
ولست لعذالي عليه أطاوع
على رزئه لو أن صبراً يطاوع
به لخطوب الدهر، كنا ندافع
لكم تناسى ذكره ونصانع

(١) في هامش الأصل : «عميم» .

(٢) في هامش الأصل : «يحيى» .

(٣) في هامش الأصل : «بذكراه» .

(٤) في الأصل : «به ما استمرت بقائع» وما أثبتناه من المطبوعة .

فآتوا ، ولن تأتوا بحبر مؤيد
وإن عممكم عجز بإظهار سيد
فقد وضحت أعدار كل من انتهى
ثمانون عاما قد كسرت بجها
فلم أر في عمري الذي طال مثله
ثلاث مرار قد نظمت بهذه
فمن أجل ذا طالت وطابت لسامع
ومن حقه أنا نموت صبابة
وإنا لندرجو أن نقوم بحقه
عسى الله في الجنات يجمعنا به
فلا أوحشت منه مواضعه التي
وكان بها يتلو القرآن مفسراً
ولا برحت تهمة سحائب رحمة

يضارعه، هيهات ، عز المضارع
يناويه إن شئتم صلوا أو فقاطعوا
إلى السيد التيمي، وخاب المنازع
ومن جيش تسعين طلعت طلائع
وما أنا في رؤيا الممائل طامع
له، ولي النظم الجموع مطاوع
وود من استجلى سناها يراجع
كمامات أحباب على الموت تابع
إلى حين يأتي حيننا وننازع
فكل امرئ منا بذلك طامع
به أهلت، واليوم عن بلاقع
غوامضه ، حتى تنير المواضع
عليه كما تهمة عليه المدامع

تمت والحمد لله وحده .



للشيخ شمس الدين الذهبي مرثية في الشيخ - رحمه الله - :

يا موت خذ من أردت ، أو فدع
أخذت شيخ الإسلام وانفصمت
غيبت بحرأ مفسراً ، جبلا
فإن يحدث ، فمسلم ثقة
إن يخض نحو سيبويه يفهُ
وصار عالي الإسناد حافظه
والفقه فيه ، فكان مجتهدا
وجوده الخاتمي مشتهر
أسكنه الله في الجنان ولا
مع مالك ، والإمام أحمد ، والنوع
مضى ابن تيمية ، وموعده

محوت رسم العلوم والورع
عرى التقى ، واشتفى أولو البدع
حبراً ، تقياً ، مجانب الشيع
وإن يناظر ، فصاحب اللّمع
بكل معنى في الفن مخترع
كشعبة ، أو سعيد الضبيعي
وذا جهاد ، عار من الجزع
وزهده القادري في الطبع
زال علينا في أجمل الخلع
مان ، والشافعي ، [والنخعي]^(١)
مع خصمه يوم نفخة الفزع

تمت وعدتها أحد عشر بيتاً .

* * *

(١) في الأصل : «الخلعي» وفي هامش الأصل : «لعله النخعي».

للشيخ زين الدين عمر بن حسان الدين أقش الشبلي يرثي الشيخ تقي

الدين - رضي الله عنه - :

أم هل لداء أخي الأحزان من راق؟
تسبُّ فيها بإزعاج وإحراق [ق/١٣٠]
عم الأنام بأوجال وإشفاق
لما برزت لنا من فوق أعناق
كأنه كان يوم الكشف عن ساق
عين أذرفي، إن رعيتي حفظ ميثاق
يات من كل فضل خير سباق
وحاز علم الورى في طيب أخلاق
مناقب حازها في حسن أعراق
ببحر جود لوافي المال نفاق
وليس يظفي لهيبي فيض آماق
ذاك الإمام بلحدت تحت أطباق
وقل لو كان مشياً فوق أحداق
قد كان من بسط آجال وأرزاق
لم يبق إلا الإله الدائم الباقي

هل بعد بُعدك طرفٌ دمعه راق
بعدت عنا، ففلاحشاء نار جووى/
إنا إلى الله من خطب غدا مثلاً
كدنا من الحزن أن نقضي عليك أسى
لما خرجت بيوم الدفن في أمم
وقلت: مات إمام المسلمين، فيا
لهفي على ناصر للدين وهو إلى الغا
حوى فنون النهى، صدقاً بلا كذب
لهفي على حجة الإسلام، كان له
بحار علم حوى، في صدره ، وغدا
يزداد حزنني عليه كل آونة
غاضت بحار علوم الدين يوم ثوى
نسعى إلى الدفن [مشياً]^(١) فوق أرجلنا
يا جامع الفضل قد جف الكتاب بما
والموت بعدك لا يبقى على أحد
تمت، وهي خمسة عشر بيتاً

* * *

(١) كتب في هامش الأصل: «سعيًا».

وقال بعضهم في شيخ الإسلام تقي الدين - قدس الله روحه-:

الحمد لله حمداً دائماً أبداً مباركاً طيباً يستغرق العدا
ثم الصلاة على الهادي وعترته
بهم وهم خير مأمول وأكرم مرجو
قد أنجز الله للأبرار ما وعدوا
وأصلح الله ذات البين وانفرجت
وأغمد الله سيفاً كان مشتهراً
وألف الله ما بين القلوب على الت
فأصبح الناس في صفو بلا كدر
وعَدًا على الله حقاً نصر ناصره
ولم تكن محنة، بل [منحة] (٢) جمعت
فيها بصائر للمستبصرين بها
فدارموا شكر نعمها كالحيا وكفَّتْ
فيها نعمة عمت سلامة من
فهو الإمام الذي مازال عند ذوي ال
إن قيل من هو؟ فاطربَ عند ذاك وقل
أو قيل منْ وُلِدَ منْ هذا الكريم؟ فقل:
مولي ، له في جلاله أو مجادلة

مباركاً طيباً يستغرق العدا
وصحبه وذويه الصفوة السعدا
وأعظم مقصود لمن قصد (١)
من رفع نازلة مست إمام هدى
شدائد فككت أهوالها الزردا
وأطفأ الله جمرًا كان قد وقدا
قوى ، وعرفها طرق الهدى وهدى
من بعدما كان كل عيشه نكدا
كذا عليه به القرآن قد شهدا
لُطْفًا خفياً، ولطفًا للعيون بدا
تُنبئ لمن غاب عنها من لها شهدا
على الورى وكفت كل الأنام ردى
بالروح يفدي وقلَّت أن تكون فدا
أحكام في سائر الأحكام مجتهدا
نجل ابن تيمية فاشدد به عضدا
من ولد مجدٍ علا، أكرم به ولدا
لواء نصر وتوفيق قد انعقددا

(١) كتب في هامش الأصل : «هذا البيت فيه إطرأ فتأمله كذا في المنقول عنه» أبو إسماعيل

يوسف حسين .

(٢) كتب في هامش الأصل : «منقول عنه محنة» .

تهاب مجلسه العالي الملوك، ومن
من أجل تعظيمه للحق لو وقف الليث
وكونه ترك الدنيا وزينتها
تصغى المسامع [ليثاً]^(١) عند منطقه
تذكر الله ذكره ورؤيته
ترى ازدحاماً على أبوابه أبدا
لم يدع يوماً على من خاض في دمه
وربما استغفر الله العظيم لمن
كذا يكون فتى الفتيان ، لا رجل/
هذي المكارم لا قُعبان من لبن
له صفات كنشر الروض تالدة
أو كالنجوم التي تهدي أخوا سفر
عليه ألباب أرباب التقى عكفت
من للمسائل ، إن أعيت غوامضها
ومن إذا رُصَّ بالسادات مجلسه
يكاد يسلب ألباب الرجال بما
من العلوم التي عن ربه صدرت
وعن صحابته والتابعين، وعن
أم من يشنف أسماع الأنام بما

يخشى سِطاه، ومن لم يرهب الأسد
ث الهصور لديه راح مرتعدا
زهداً ولا سبداً أبقي ولا لبدا
كأنما السمع بالألفاظ قد عقدا
تذكار واجد ما قد كان قد فقدا
إما لكسب علوم، أو لنيل جدى
بغياً ، ولا لام ذا لوم ولا حقدا
عمداً عليه اعتدى، أو قتله اعتمادا
يكون كالنمر الضاري إذا حردا [ق/١٣١]
لا يكفيان لبعض الجائعين غدا
غب العماد عليك الريح مفتقدا
ليلاً، إذا ظل في الظلماء منفردا
ومجتنى الشهد لم يعكف عليه سُدَى
يحل مشكلها المستصعب العقدا؟
يكون في صدره صدرا إذا قعدا؟
يرويه مما يزيد المهتدين هدى
ومن حديث عن المختار قد وردا
أئمة ساد مَنْ عنهم روى سندا
يربو على الدر مشورا ومنتضدا

(١) كتب في الأصل : «ليثا» وكتب في الهامش «لعله ليثاً بالثناء المثناة والليث صفحة العنق ،
وفي الحديث : ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليثاً ورفع ليثاً ، والله أعلم .

سوى الإمام تقيّ الدين أحمد تا
ومن يحدث عن بحر، فلا حرج
وكم بمصر وبالشام الشريف فتى؟
كفاه آية تأبىد سعايةً من
لكنه حين حاز السبق من صغر
وحاز علمًا لدُنْيَا ، ومنقبة
فأجمعوا كيدهم ييغون فتته
ولم يطق حاسد في الأرض قاطبة
وكان سيفًا على الأضداد مشتهرا
ومن يصدُّ سنا شمس إذا طلعت
ونور ربك لا يطفى، وإن حرص الخـ
وقد درى كل ذي خبر بان له
وقد علمتم به لما ادعاه إلى
فاسترشد الله في الإصدار عن بلد
فاختار مسراه مولاه ووفقه
وسار، والله يكلؤه ويحرسه
والشمس ما حجبت بالغيم عن بلد
فالدر لو لزم الأصداف ما ارتفع اللب
لم يُبْق توديعه يوم الرحيل لذي
كأن حاديه يوم استقل به
فاستعبرت أعين كادت لفرقته

ج العارفين ، وقاه الله كل ردى
عليه، بل هو مأثوم إذا اقتصدا
لكن بمجموع هذا الخبر ما وجدنا
سعى، ولم يستطع يؤذي له جسدا
وفاق كل كبير فاق وانفردا
تفتتت منه أكباد العدى حسدا
فما أعان عليه ربه أحدا
بأن يمدِّ بمكروه إليه يدا
فحاولوا أن يكون السيف منغمدا
أو يحجب البدر إن شقّ الدجى وبدا
بُ اللثيم على الإطفاء واجتهدا؟
من فيض بحر عطايا ربه مددا
مصر الذين علمتم ما بها وجدا
نبا به، واستخار الله ، ثم غدا
فيه، وهيا له من أمره رشدا
وكيف لا؟ وعليه كان معتمدا
إلا أثار سناها غيـره بلدا
ات ، وارتكب التيجان واقتعدا
صبر وذي جلد صبرا ولا جلدا
مسيره نحو مصر بالقلوب حدا
تبيضُّ حزنا وأولاها البكا رمدا

هذا، وكم قد قضى ظام إليه ولم
وما يضرُّ فتىً حالت منيته
فحلَّ مصرَ عزيزاً عند مالِكها
لتشرق الدولة الغرابه ، وإذا
ويأمر الناس بالتقوى ويخبرهم
ولا يزال بأعلى فرق منبره
وفي مجالسه اللاتي يحف بها
يدعو لسيدنا السلطان ناصر ديد
بأن يدوم له في الملك أربعة/ :
حتى يملكه الله العراق فيم
وعاد من مصر نحو الشام في دعة
فحين وافى دمشق الشام محترزا
رَوَى صَدَى مهج قد طالما ظمئت
وجاءنا بعد يأس مثل عافية
ولاح شمس على روض وسحَّ ندى
واخضر روض الأماني ثم فاح شذا
وصفق [النهر]^(١)، والأغصان قد رقصت
وسر أهل التقى من كل طائفة
وأنجح الله في الدنيا مقاصده
فادعوا له، ولمن كان السفير له

يَقْضَى له قبل وشك البين أن يردا
دون الأماني إذا ما عُدَّ في الشهدا
وفي مهماته أضحى له عضدا
أضل جهل جهول بالعلوم هدى
بسنة المصطفى، فعلاً ومعتقدا
منزهاً أحداً في ملكه صمدا
ملائك الذكر تحصى من لها شهدا
من الله نجل قلاوون الفتى أبدا
عز ، ونصر ، وتأيد، وكَبَّت عدى
حو الشرك، والرفض منها، والذي مردا
مصالحا، مصلحا ما كان قد فسدا
من حلَّ عقد وداد للورى عقدا
إليه شوقا، وجلَّى للقلوب صدا
جاءت عليلا ، فلما لا بسته هدى
والشمس عادتھا في الروض رفع ندى
بان الحمى، وتغنى ورُقه، وشدا
مَسْرَةً بفتى من مصر قد وردا
أن عاد أكرم مما كان حين بدا
وسوف يؤتیه أجر الصابرين غدا
حتى ألمَّ بكم من بعد ما بعداً

[ق/١٣٢]

(١) كتب في هامش الأصل : «الزهر».

وحقق الله ما أملتُموه له
فقل لقوم شقوا: زال الشقاء إلى
عين أصابت ، ولكن عين عائفة
والله ما خيب الله الدعاء له
لكن أجاب وأعطى فوق ما طلبوا
تمت بحمد الله وحسن توفيقه.

* * *

أنشد هذه القصيدة الشيخ الأجل شمس الدين أبو الثناء محمود بن خليفة
بن محمد بن خلف المنبجي:

قال: أنشدنا لنفسه جميع هذه القصائد الشيخ الإمام سعد الدين أبو محمد
سعد الله بن نجیح في مدح شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية - قدس الله روحه
ونور ضريحه ورحمه وعفا عنه-:

أيها الماجد الذي فاق فخرا
يا إماماً أقامه الله للعالمين
يا غريب المثال، يا موضح الإشد
يا تقي الدنيا مع الدين، يا من
لا تحمل العوَاد إن أكثروا التثر
أنت روح الوجود في عصرك الآ
والبرايا إذا اعتبرت جميعاً
وإذا الداء خامر الروح والقلد
فجدير بسائر الصاحب إن هم

وسما رفعة على الأقران
هادياً بالطف والإحسان
كالم بالبينات والبرهان
خُصَّ بالفضل واكتمال المعاني
داد أو أقدموا بلا استئذان
ن وقلب الورى، وعين الزمان
منك أضحووا بمنزل الجثمان
ب تعدى الداء إلى الأبدان
أطلبوا في السؤال للرحمن

أن [يدم]^(١) ظلَّك الظليل عليهم
 بالنبي الهادي محمد المبعوث
 وبأصحابه مع الآل والأزواج
 صلوات الإله تنرى عليهم
 عدتها ثلاثة عشر بيتاً.

وله رحمه الله

يا من له فطنة فاقت ذوي الفطن
 يا من أواليه في سري وفي علي
 يا ذا المناقب والأفضال والمن
 لا تلجني في انجذابي من بني الزمن

[ق/١٣٣]

ولا اغترابي عن الأهلين والوطن/
 يا من لدين هواه بت معتقداً
 ومن بذيل هواه ظلت معتضداً
 كن لي عذيراً فلا نلت العِداد غداً
 ولا تلمني إذا أصبحت منفرداً

عن الوجود بلا خِلِّ ولا سكن
 كم جهد مثلي أن يخفى تملمه
 عن الوشاة ، وأن يخفى تحمله
 إن ثمّ دمعي بأسراري يحق له
 فبي من الوجد ما إن لو تحمله

رضوى لذاب جوى ، أو يذيل لفني
 لكن قلبي ، وإن ضاقت مسارحه
 لما حوته من البلوى جوارحه
 به غريم غرام لا يبارحه
 ولي من الفكر ندمان أطارحه

ما بي ، فأفهم ما أشكو ويفهمني
 ما بي ، فأفهم ما أشكو ويفهمني
 شغلت فيه به عمن سواه فما
 ولا أبالي أذاع السرّ أم كتما
 ألوي على صرف دهر جار أو رحما
 وكيف أصبح بالأغيار [ملتئماً]^(٢)

(١) في هامش الأصل : «يدم» .

(٢) كتب في هامش الأصل : «منقول عنه ملتئماً» .

وبعض ما بي عن أبي يشغلني

هذا ولو أضرمت في القلب نار غضى ما ازددت إلا ابتهاجاً بالهوى ورضا
لكن جوهر صبري مذ غدا عوضاً أنشدت قول الفتى الجبلي متعصفاً

به ومن مثل قول السيد الحسن

مخاطباً لجهول بات يؤله عدلاً، ويلحاه فما ليس يعلمه
عني ملامك إنني لست أفهمه ورب وقت وجودي فيه أسأمه

دع الأجنب بل روجي تزاحمني

تمت

* * *

وله فيه أيضاً رحمه الله ورضي عنه

يا عالماً جل عن ضد يضاهيه
يا إذا الفضائل، يا زين الأمائل، يا
إيضاح فضلك لا يحتاج تكملة
يا من إذا رمت أن أحصي مناقبه
حصرت لولا سجاياه تهذبني
مُحرر المجد في مدحيك لخص لي
يا عمد المقتدى حقاً ومقنعه
ويا نهاية طلاب الرعايا من
يا غنية المبتغين الرشد مانحهم
وفاق أقرانه فيما يعانيه
مُردى المائل، يا مُوهي مُناريه
لكن مفصله عن ذلك مجزيه
نظماً ونثراً وأنشيه وأرويه
لما ظفرت بمعنى من معانيه
هداية أرشدت إرشاد تنبيهه
فيما يروم، وكافيه ومغنيه
وسيط علم، وخبر أنت حاويه
فتوح غيب أتى من عند باريه

أبديت تعجيز أهل النظم فاعترفوا
لله كم ميت علم أنت تنشره
وكم حصون ضلال أنت هادمها
بينت إفساد ما قد حللوه لهم
من الدياثة، حيث الجعل يبذله المس
وقمت بالحق في ذا العصر مجتهداً
يا حجة الله في هذا الزمان على ال
يا من براه إله العرش داعية
يا كاشف المشكلات العضلات لنا
يا من أبي مقولي إلا مدائح
ومن حداني إلى أبي أخطابه
إلا مخافة ذي محل وذو حسد
وإن تعرض ذو ضغن تلوت له

بالعجز عن كنه ما أصبحت تبديه
من بعد ما كادت الأيام تطويه
قهرا، وكم قول غاوي أنت موهيه
تبين تحريم لا تبين تنزيه
كين من كفه، كيما يكافيه
في نصره مبطلاً دعوى أعبديه
وجود ما بين قاصيه ودانيه
إلى الهدى بلطيف من تأتیه
بأبلج مستنير من فتاويه
ولو مدحت سواه كنت أعنيه
بالمدح، حتى كأني لأناجيه
يلحى، فيعرب عما فيه من فيه/ [ق/١٣٤]
فذلكن الذي لمتني فيه

تمت

* * *

وله أيضا يذكر ذل الخصوم رحمه الله

لئن نافقوه، وهو في السجن، وابتغوا
فلا غرو إن ذل الخصوم لبأسه
فمن شيمة العضب المهند أنه
رضاه ، وأبدوا رِقَّة ، وتوددا
ولا عجب إن هاب سطوته العدا
يُخاف ويُرجى ، مغمدا ومجردا

وله أيضا فيه يمدحه رحمه الله

أيا من مناقبه فاخرة
ويا من سحائب إفضاله
ويا من له همة لم تزل
ويا من عزائمهم لا تني
ويا ليث حرب إذا ما سطا
ويا طور حلم إذا ما جنى
وإن نال منه بسوء المقـ
ويا بحر علم تكاد البحـ
ويا من أدلتته بالنصـ
ويا من براهين أقواله
ويا من عوارف عرفانه
ويا من صوارم آرائه
ويا قدوة يقتدى العارفو
ويا من قصده بهدى الطا
ويا من مواهبه غامرة
بآمال آمالها ماطرة
بنجح مقاصده ظافرة
إلى درجات العلا سائرة
تذل له الأسد الكاسرة
عليه امرؤ يشني عاذره
ال وقبح الفعال غدا غافره
ر تفيض بأواجه الزاخرة
ص لأخصامه [أبدأ]^(١) قاهرة
كشمس الضحى إذ بدت سافره
تفوق على الأنجم الزاهرة
لأعناق أعـدائه باترة
ن بنور هدايته الوافرة
لبين يؤيد باطنه ظاهره

(١) كذا بالأصل ، وفي المطبوعة : «قد بدت» .

إلى الحق بالحجج الباهرة
زكت بعناصره الطاهرة
تعين على مدحه شاعره
ن من القول بالفطن القاصرة
ن وصير آذانهم حائرة
فكن بالقبول له جابرة
وفاتح أُنْيَيْتِي العاطرة
تردد وارده صاعدة
من الله في دار الآخرة
فتلك إذا كرهة خاسرة

ويا داعي الخلق في عصره
ويا من مكارم أخلاقه
ويا من بدائع أوصافه
وماذا عسى يبلغ المادحو
ومجدك قد أعيا الواصفية
ولكن ذلك جهد المقل
أيا من دعائي ويا من ولائي
لعلياء حضرته دائماً
لعمرك إن كان حظي غدا
كما هو عندك في هذه

* * *

وله أيضا فيه يمدحه رحمه الله

وله نعظم دائماً ، ونوحد
وإليه نسعى مخبتين ونحقد
إذ لا سواه لنا إله نعبد
وله الجلالة والبقاء السرمد
بفتى يثقف ديننا ويسدد
لدعائم الشرع الشريف يشيد
من دون رتبته السهى والفرقد
ذات الإله ولم يرعه تهدد

الله نشكر مخلصين، ونحمد
وبذيله الضافي نلوذ ونتلجي
وبه نصول ونستعين على العدى
فله الثنا والمجد، إذ هو أهله
مولى حيانا في فتور زماننا
أعني تقي الدين، أكمل سيد
العالم الورع المحقق، والذي
من جاد بالنفس النفيسة منه في

من لم يخف في الله لومة لائم
حبر حباه الله جل جلاله
هو بحر علم، طود حلم راسخ
صدر لديه تحبيب وتألف
وكذلك فيه على المنافق غلظة
[ق/ ١٣٥] هو قائم لله يهدي خلقه/
فلذاك أصبح للبرية قدوة
لك يا أبا العباس ، إذ عن فرقة
ضاقت بهم سعة الفضا مذ عاينوا
ورأوك ممتازاً بحسن مناقب
فعراهم الحسد المضل فأصبحوا
إن يحسدوك فغير بدع منهم
راموا بلوغ مقامك العالي ، وما
فدعا بهم داعي قصورهم: اخلدوا
لما نأت عزماتهم عن شأوك السآ
هموا بأمر لم ينالوا منه ما
ورموك بالإفك الفظيع ، وأظنوا
وبغوا عليك بما افتروه تعمداً
لم يتركوا شيئاً به يتوصلوا
إلا نحوه ، وبالغوا في جهدهم
حتى إذا ما استياسوا من نيل ما

كلا ، ولم يرجعه عنه مفند
بصفات مجدٍ في علاه تخلد
في الحق لا وانٍ ولا متردد
للمؤمنين ورافة وتودد
وتمنع ، وتصعب ، وتشدد
أبدا إلى سبيل النجاة ويرشد
في العصر إذ هو فيه قطب مفرد
من قبل ، قد كانت لحقك تجحد
لك كل يوم رفعة تتجدد
ليست لغيرك في زمانك توجد
ولديهم منه المقيم المقعد
جمُّ الفضائل لا محالة يحسد
علموا بأنك في المعالي أوحدهم
ومع الخوالب ما حييتم فاقعدوا
مي ، وصدوا عن حماه وأبعدوا
طلبوا ، لقد ضلوا ولما يهتدوا
بالقول فيما زوروا ، وتقلدوا
وسجية الباغين أن يتعمدوا
طمعاً إلى ما قرره وأكّدوا
لكن سعدت ، وإنهم لن يسعدوا
كانوا جميعاً حاولوا وتقصدوا

خافوا سطاك فأجمعوا آراءهم
فأبى إلهك أن ينالوا منك ما
ما ذاك إلا حال يوسف حُذته
فبلغت فيه من الرياضة فوق ما
ثم انقضت أيام خلوتك التي
وبرزت كالإبريز فارق كيبره
وظهرت كالصبح المنير إذا بدا
وشُهرت كالعضب المجرد مقسمًا
فهناك أعقد للجدال مجالس
فأروا نكولا عن جدالك خيفة
حتى إذا أمروا بذاك وأيقنوا
حشدوا عليك جموعهم وتحزبوا
وحموا عصابتك الحضور وجادلوا
فنهضت معتصمًا بربك واثقًا
وإليه أخلصت التوكل موقتًا
ثم استخرت الله واستفتحته
فحباك منه عواطفًا ولواطفًا
وأناك نصر الله والفتح الذي
فوثبت وثبة نائر الله لم
أبدت من كثر العلوم غوامضًا
أسمعتهم منها لما لم يسمعوا

(١) بياض بالأصل .

أن يودعوك السجن، ثم يخلدوا
راموا وهل يزكو لباغ مقصد
إرثا حباك به الكريم المرفد
تختاره ، وصفا لديك المورد
كامل العلاء بها وتم السؤدد
فاحتار فيه الجهبذ المستنقد
في الأفق فنقشع الظلام الأسود
في غير هام عاداته لا يغمد
كانوا أرادوا أنها لا تعقد
وتذبذبت آراؤهم وتفندوا
أن الخميس ، ولا خلاف ، الموعد
وتواهبوا وتحفلوا وتجردوا
[(١) إذ هم لك أفردوا
متوكلاً تثني عليه وتحمده
أن ليس يخذل من به يستنجد
فيما تروم من الأمور وتقصد
يفنى الزمان وذكرها لا ينفد
بهما جميعاً كنت منه توعده
يحفل بما حشدوا، ولا ما جندوا
مكنونة ، لولاك كانت تفقد
وأتيستهم منها بما لم يعهدوا

أسندتها وروبتها نصًّا، كما
 حصرت صدورهم عن استفهامها
 وبدالهم ما لم يكونوا يحسبوا
 فاسعد بها من محنة في طيها
 نلت الفخار بها وحزت مآثرا
 وغدوت فيها كابن حنبل تاليا
 أخدمت نار جهالة، ما خلنها
 أرضيت ربك إذ أضفت كلامه
 وكذاك أثبت العلوم والاستوا
 ونزول خالقنا إلى أدنى سما
 وذكرت أسماء الإله، ولم تزغ
 ورويت أخبار الصفات وآيها
 ونصرت ملة أحمد الهادي، وقد
 وأقمت مذهب أحمد الثبت الصبو
 أوضحت منهجه السوي، وأنه
 وأثرت محنته، وقمت مقامه
 فاحمد إلهك، إنه لك ناصر
 المصطفى الطهر الزكي المجتبي
 خير الورى وأجل من وطىء الثرى
 صلى عليه الله ما سجعت ضحى
 وعلى صحابته الكرام وآله

جاءت معنعة، فيالك مُسند
 وتحيروا لسماعها وتبلدوا
 مما يسوؤهمو ومما يكمد
 منح أقر لها الجحود الملحد/
 سر الصحاب بها وغم الحسد
 تقفو جميل جماله وتجدد
 لولا جهادك واجتهادك، تخمد
 حقًا إليه، وليس فيه تردد
 من غير تكييف وحصر يوجد
 ليلاً، كما صح الحديث المسند
 ميلاً إلى ما حرقوه وألدوا
 مرًا، كما نقل الثقات وجودوا
 أيدت سنته، فأنت مؤيد
 ر على الأذى، فلك الهنا، يا أحمد
 مذ كان، فهو المستقيم الأرشد
 في العصر ترغم شائريك وتكمد
 وأبشر، فعاضدك النبي محمد
 الهاشمي الأبطحي السيد
 وأبر مبعوث به يسترشد
 ورق على أعلا الغصون تغرد
 والتابعين لهديه وبه هدوا

والحمد لله العميم نواله والحمد [أفضل]^(١) ما يقال وأؤكد.

وله أيضاً يمدحه - رحمه الله ورضي عنه :-

الحق ححص لا عذر لمعتذر
وفاح عَرَفُ شذاه في الوجود فظ
ولاح لالأوه في الأفق ، فانقشعت
وقرَّ يدبر يمشي القهقري] ، وهنا
مذبذبون لضعف العزم تحسبهم
ضاقت بهم سعة الأقطار حين سما
وفاق أنداده في العصر قاطبة
وامتاز بالدرجات العاليات على
كانوا يظنون أن العلم منحصر
ركن الشريعة محيي العدل ناصر ديد
فقلَّ بالنص والإجماع جمعهم
لا يهتدون إلى رشد ، وإنهمو
قد حُمِّلوا حسداً من عند أنفسهم
تَبَّأ لهم ، ما الذي نالوا بسعيهم؟
أيستطيعون أن يمحو ما كتبت
أم يقدرون على تبديل ما نفذت

وقد تحقَّقه من كان ذا بَصَر
ل الكون في أرج من نشره العطر
غياهب الإفك من خوف ومن حذر
له توابع تسعى منه في الأثر^(٢)
سفرا [أصابهم]^(٣) جبن عن السفر
سمو قدر تقيِّ الدين في البشر
بالعلم ؛ والحلم ، والتفسير ، والنظر
شيوخ أشياخهم في سالف الدهر
فيهم إلى أن أتاهم أحمد الأثر
من الحق ، مستنصر بالآي والخبر
فأصبحوا بعد ذاك الحصر في حصر
لقي ضلال ، وفي غيِّ ، وفي سُرُ
له فهم منه ، في همِّ ، وفي فكر
وما عسى بلغوا في ذلك من وطر؟
يد المهيمن بعد الذكر في الزُّبر؟
به نوافذ أمر الله من قدر؟

(١) بياض في الأصل ، وما زدناه من المطبوع .

(٢) في الأصل : «وأهتكوه له تبع تسعون في الأثر» ، وكتب في هامشه : «كذا بالأصل» وما

أثبتناه من المطبوع .

(٣) في الأصل : «أصابهم» ، وما أثبتناه من المطبوع .

بل كلما أوقدوا للحرب نار غَضَى
ورد كيدهم فيه وأرجعهم
واختاره للورى داع إلى سبل الخيـ
واختصّه منه بالزلفى وثبته
[ق/١٣٧] وكم مناقب مجدٍ قد حباه بها
وكم له في ذرى العلياء مرتبة
وكم له من أياد في العطاء غدت
وهمّة في المعالي غير دانية
وكم له من كرامات مبيّنة
وحسبنا عود أهل العود معجزة
رءوس كل ضلالات ومحدثة
لما استقرّ لديهم علو همته
وأن دعوتـه للناس كلهم
وأنه قائم لله متّـصب
خافوا سواه ، فمذ حلوا بساحته
وعاينوا وجهه الهادي ، وقابلهم
وجاءهم بأسانيد معنعة
وقام بالحجج المقبول شاهدها
مبـرهنّا بدلالات منورة
فأذعنوا عنوة للأمر حين رأوا
ولم يسعهم مُـمارةٌ ، ولا جدل
وهذه شيمّةٌ بين الورى عُرفت

بالكيد منهم طفاها منزل السور
بالتعس والتكس والخذلان والديـ
رات ، والنفع نَهَاء عن الضّرر
بالحزم ، والعزم ، والتأييد ، والظفر
وزاده بسطة في العلم والعمر/
منيفة نالها من باري الصور
تُرّبي على العارض الهَطّال بالمطر
تُزري إذا ابتديت بالصارم الذكر
سنّاؤها كضياء الشمس والقمر
ما مثلها عبرة تبقى لمعتبر
وبدعة نشأت في البدو والحضر
وأن سيرته من أكمل السير
إلى الهدى باجتهاد غير محتصر
في نصره الدين لا يخشى من الخطر
وشاهدوا مخبراً يوفي على الخبر
منصور عزم برب العرش مقتدر
عن الهداة الثقات القادة الغرر
مميزاً بين عُرف القول والنكر
يُهدى لعرفانها من كان ذا نظر
نور الحقيقة بادٍ غير مستتر
لكنهم سلّموا تسليم منقهر
فيمن يخالفه من سائر البشر

إذ قلّمَا فاء منهم للهدى أحد حتى يرى فيه أنواع من العبر
 فالحمد لله كاليه وناصره ومجتيبيه ووافيه من الغير
 وأكمل الصلوات الزاكيات على رسوله المصطفى المختار من مضر
 محمد السيد الهادي وعترته وصحبه الأكرمين الأنجم الزهر
 صلى الإله عليهم كلما سجعت حمائم الدّوح بالألحان في السحر
 تمت والحمد لله ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

**وله أيضاً في تبیین عدم قيام الأصحاب مع الشيخ ،
 حين يعظم الخطب ، ويقع الحرب :**

سبرت خلال الأصفياء تدبراً وميزت أحوال الصحاب تأملا
 فشاهدتهم في السلم من تلق منهم تجده محباً يدعي صحة الولا
 وعند نزول الخطب حاولت أن أرى أخوا ثقة إن أدبر [الحرب] (١) أقبلا
 فلم ألق إلا لائماً متبرماً ولم أر إلا شائماً متعقلاً
 فلما تحققت التخلف منهم شطبت عليهم شطبة الصب لا إلى

تمت

وله أيضاً فيمن أبدى عدلاً في حبه ومتابعته جهلاً :
 سيان إن عدل الواشون أو عنذروا لا خُبر عندهمُ منه ولا خبر
 لاموا على حبه جهلاً ، وما عقلوا وعضفوا فيه عدواناً ، وما شعروا
 ولو رأوا حسنه الزاهي بأعينهم كما أراه أقلوا اللوم واقتصروا
 ولو تجلّت معانيه الحسان لهم وشاهدوها كما شاهدتها بهروا
 لكنه مُذْ بدأ لا لاؤه غشيت أبصارهم ، فاثنوا منه وما نظروا

تمت والحمد لله وحده ، وصلى الله على محمد وآله

(١) في الأصل : « الحصن » ، وما أثبتناه من المطبوع .

-مرثاة أخرى لغيره-

فقد الأنام فوائداً وفضائلا
في موت بحر العلم والخبير الذي
أعني تقي الدين أوحد عصره
قد أودع القبر الشريف علومه
[ق/١٣٨] قد كان لا يحتاج طالب علمه/
قد كان ركناً في المواعظ جملة
وإذا رآك يكون حقاً بادياً
يا رب ، فارحمه وبل ثراه بالغيـ
يارب ، وافعل ذا بكل موادد
يارب ، وارحمنا، وكل مشيع
من كان مسروراً به ويعلمه
زكى الإله ثراه، فضلاً منه في
بعد السلام على النبي المصطفى
وعلى الصحابة والقراية كلهم

فقدوا من العلم الشريف جلائلا
سلك العلوم مذاهباً ودلائلا
قد كان حقاً بالفضائل عاملا
عجباً لوسع القبر بحراً سائلا
كثر السؤال ، وليس يلقى سائلا
بحراً عميقاً إن أردت مسائلا
لك بالسلام موارد ومسائلا
ث الكريم، معاودا ومواصلا
ومجاور قبر الإمام مؤملا
صلى عليه ، أو أتاه مقبلا
من بعده ، فالحزن أضحي عاجلا
كل الزمان ، وزاد غيئنا هاطلا
أعلى البرية في المعاد منازل
والتابعين أوأخراً وأوائلا

تمت

وقال بعضهم في شيخ الإسلام - رحمه الله ورضي عنه وجعل الجنة مأواه:-

دموعي على صحن الخدود تسيل
على فقد من قد كان للدين ناصحا
لفقد تقي الدين ضاقت مذاهبي
إمام كريم، كان لله عابدا
لقد كان للإسلام كهفًا ومسعدا
وكان على حكم المهيمن صابرا
بشرع رسول الله قد كان قائما
وجاهد في الرحمن حق جهاده
لقد بكت الدنيا حقيقًا لفقده
وفي أرض مصر يالها من عجائب
ألا يوم الإثنين الذي كان قبضه
وفي سجنه يتلو ثمانين ختمة
وفي موته دقت بشائر رحمة
وسار إلى رب قديم^(١) مهيمن
عليه سلام الله ما لاح بارق

وصبري قصير والغرام طويل
وكافح أهل الشرك وهو فضيل
وفي كبدي نار الفراق تجول
وفي زهده شرح هناك يطول
إذا ما أصاب المسلمين نزول
وفي كل ما يلقي إليه حمول
وعن سنة الرحمن ليس يحول
وكان له صبر عليه جميل
وبيكته علم نافع وأصول
لديه جرت ، وهو الصبور الحمول
ففيه عزاء المسلمين جزيل
قراءة ترتيل وقصد سبيل
أتاه من المولى رضا وقبول
عظيم كريم ليس ذاك قليل
وما سار غيث بالسماء هطول

* * *

(١) هو اسم أدخله المتكلمون في أسماء الله الحسنى ، وهو ليس منها «راجع شرح الطحاوية ص١١٢» بتحقيق العلامة الألباني .

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا نظمه العبد الفقير إلى رحمة ربه ومغفرته بدر الدين حسن بن محمد
النحوى المارداني في الشيخ الإمام العالم العامل الأوحى ، شيخ الإسلام، وقدوة
الأنام تقي الدين أحمد بن تيمية - تغمده الله برحمته ورضي عنه:-

ألا أيها القلب الذي عدم الصبرا أفق طالما جرعت من لوعة صبرا
ويا عبرات الجفن أظهرت بالأسى لنا عبرا بالدمع أسطرها تقرا
أيامن من خطب الليالي مُخَاطَبٌ وشيمتها في الناس أن تظهر الغدرا
وهل خالد في الدهر عمرو وخالد لعمرك لا يبقى ، ولو أمَل العمرا
قضى ماجد، ما مثله اليوم واحد وأبقى جميل الفعل من بعده ذكرا
دما لو بكته دِمْنَةُ الربع والدماء وأمطرت الشعرى العبور لها العبرا
أو اغبرَّ وجه الأرض يوم مصابه لقلّ، وجلَّ الخطب من فقده قدرا
فتى ألفَ المعروف، والجود عادة تعودها طفلاً، وكان بها أخرى
كان لم يقل يوماً مقالاً ، فتشني إلى قوله الأسماع طائعة قهرا
ولا ظهرت بين الأنام علومه ولا طرزت شاما ولا جملت مصرا
[ق/١٣٩] دعاني ظلال الصبر في صبر فقده/ فأرسل رسل الدمع من مقلتي ترا
سنتت ، تقي الدين ، أحمد سنة وأوسعت في كسب العلا بالندى صدرا
أيا شافعي الوقت في ضبط نقله نشرت على الأيام من لفظك الدرا
قنعت وفي الدنيا زهدت ديانة وفارقتها واخترت ضررتها الأخرى
أفضت على الأيام بحر مكارم وعلم، فأربحت المتاجر والأجرا
عجبت لقبر ضم جسمك تربه أيحوى الثرى في تربه الشمس والبحر!؟
نقلت من الدنيا إلى ظل روضة وحزت الذي أملت بالمقلة السهرا

وألبست وشيًّا عند نظرتها نظرا
كعرضك بيضا وابتدلت بها خضرا
رواية نقل ما أحاطت بها خُبرا
فقد زدت قدراً عندما نقصوا قدرا
ومن ظلم الأصداف يستخرج الدر
هو البحر فاعجب فيه من يصف البحر
من الروض بل تزكو لأوصافه بشرا
ففاق لمن يقري الضيوف ومن يقرا
فوارس علم من فواضله قهرا
فما حاط من معشار ما نلته العشرا
وقدرك فوق الشعر جل عن الشعري
فضلت بها في الفضل بين الوري ذكرا
وكافر ليل الكفر صيرته فجرا
بفضلك نظماً من علومك أو نثرا
شجاعاً يرد الليث عن سبله قهرا
إذا اسود ليل النقع، صيرتها حمرا
تلاشى فلم يصبر على قلبه أخرى
مثالك من كثر المكارم قد أثرى
بأنك قد شرقت من دهرك العصرا
وحيا ندىً قد ضم من كفك البحر
وأطلع في أرجائه الزهر والزهرا

وشاهدت في حسن الزيادة نضرة
تدرعت أثواب المحامد والتقى
لئن نقل الأعداء عنك ضلالة
وإن أودعوك السجن منهم جهالة
فما يختفي إلا الجواهر في الوري
أيا سائلي، عن علمه ، وصفاته
هو الغيث، يثني عنه كل لطيمة
سما حاتماً جوداً، وفاخر عاصما
أيا بطل ، يوم الجدال مجدل
إذا قال في عليك أمعن قائل
وماذا يقول المادحون بوصفه
تفردت في علم وزهد وفطنة
أعدت نهار الجهل ليلاً مسودا
نظمت على جيد الزمان قلائدا
لقد كنت في يوم الفخار وفي الوغى
سيوفك بيض مثل عرضك في الوري
كأنك قد أفرغتَ في فرد قالب
فجئت على الأيام فرداً ومن رأى
فأقسم بالقرآن في العصر صادقاً
سقاك حياً من وابل الغيث سحرة
ونور نوار الربيع ربوعه

تمت بحمد الله وحسن توفيقه

وله أيضاً فيه - رحمه الله ورضي عنه - آمين :

وصبغ مشيب الدمع أن يتكلما
به تم فرط الحزن والدمع [قد] (١) نما
فأوحش ربيع المكرمات وأظلما
وبدر سعود غاب لما تتما
وركن معال قد وهى وتهدما
بها الدمع من جفني تعندم عندما
تأخر من في الفضل عنه تقدما
حمى الدين والإسلام عزمًا وسلما
وكلمته باللفظ منه تكلما
ودرا على جيد الليالي تنظما
وجودك والإحسان أربحت مغنما
على قدم، مقدامها قد تقدما/
فأوحش من ربيع المدارس معلما
يود بأن يشكو الجوى وتكلما
لكان شبيه مثله اليوم قلما
بكته دمًا من فيض أجفانها الدما
بأوراده ، لما تسلم سلم
تقاصر عنه، حين أقدم أحجما
عن الدين بحثًا، حين سلم أسلما
من الفضل عن مولى سواك تحرما

أبى اليوم سر الكون أن يتكتما
وكل مصون من شجون ولوعة
قضى ومضى مولى سما كل ماجد
غمامة جود أقلت بعد صوبها
وبحر علوم غاض زاخر يمه
عيوني مصاب الخطب لما تحققت
أيا فاضل العصر الذي في صفاته
قضيت جميل الفعل أوحد ملة
ليهنك كم جدلت يومًا مجادلا
نثرت على فرق الزمان جواهرها
بفضل صلاة مع صلاتك في الدجى
[ق/١٤٠] سبقت إلى الغايات في الفضل للورى
مضى علم في الناس صبرٌ معلم
فأصبح درس الفضل والعلم دارسا
فتى لو قلامات الأظافر قلما
فلو أنصفته الباكيات لفقده
متى صير المعراج للخلد في الدجى
فكم جادلت أقواله من معاند
وكم رددت آراؤه من مخالف
لبست تقي الدين ثوب نقاوة

(١) في هامش الأصل : «مذ» .

تخيرت ما يبقى على كل هالك
لقيت الذي قدمته من صنائع
وفي الحشر تلقى كل نفس نفائسا
تأخرت عن نيل المناصب رفعة
بنيت على الإسلام ركناً ومعصما
أقمت قناة الدين منك بعزيمة
صبرت على حمل الأذى منك راضياً
شهرت على أهل البدائع في الورى
وقفت على يوم الجلالد شجاعة
إذا بكت الأبطال خوف قبيلة
ولما تبدى نور نعثك لامعا
وودت بأن تدنو الشريا إلى الشرى
نزلت على أهل المقابر رحمة
سقى قبرك الوسمى في كل سحرة
ورف عليه الأحقوان مفلجاً
تمت والحمد لله رب العالمين.

فأربحت من تلك التجارة مغنما
من الخير أو ماجدت من تكرماً
وتجزى الذي في الناس أجرم أجراً
ومثلك في أيامنا [ما تقدماً]^(١)
يقبل منه المجد كفا ومعصما
وأطفأت نار الشرك منك فأظلمما
وأعرضت عن فعل الأعادي تكرماً
صوارم شرك الكفر منها تصرماً
بعزم يرد المشرفي مُثَلِّماً
ضحكت بثغر في [الوغى]^(٢) قد تبسما
تمنت بنات النعش أن تتحطما
نشاراً عليه، رفعة وتعظما
وأنقذتهم من ظلمة الظلم والظما
سحائب رضوان به الروض وسما
وأطلع فيه الروض نجماً وأنجمما

(١) في الاصل : «قد» ، وكتب في الهامش : «ما» .

(٢) في هامش الاصل : «الورى» .

قصيدة

للشيخ الإمام جمال الدين عبد الصمد بن إبراهيم بن الخليل بن إبراهيم بن
الخليل الحنبلي ، يرثي شيخ الإسلام والمسلمين أبا العباس أحمد بن تيمية - قدس
الله روحه - .

وعدتها ثمانية وأربعون بيتاً :

الموت ما لا بد منه ولا غنى
بالسوء عان ، فعونه عين العنا
حتمًا ، نأى الأجلُ المقدر ، أو دنا
ترمي فتُضمي من هناك ومن هنا
غِرٌّ ، لأن طعامه لن يسمننا
ضيف يجر من المنية ضيفنا
في الكون بالعدم المحقق مؤذنا
ويعد فيه للإقامة موطننا
في الخلق عن محض العلوم تكونا
فلم استحال وكان شيئًا ممكنا؟
إذ لم يكن بسوى التقى متزينا
تلك الجموع ولا استراب ولا وني
بيض الطُّبا يخشى ، ولا سُمِر القنا
متقربًا ، وهو البعيد عن الخنا
فيعم عادا ، فقره أعلا الغنا

عش ما تشاء ، فإن آخره الفنا
والدهر إن يومًا أعان ، فطالما
لا بد من يوم يؤمك حتفه
للنفس سهم من سهام نواب
من غَرَّه الأمل المديد ، فإنه
شمس الحياة تضيّفت ، ومشيبه
من حين أوجد كان نفس وجوده
يا من يعدُّ الدهر صاحب دهره
أوما رأيت الموت كيف سطا بمن
ندب مُباح الصبر حظر بعده
بدَّ الأنام ، مع البذاذة ، فضله
ترك الجميع على الجموع ، فلم يهب
ولكم مقامات له في الحق ، لا
بالعرف يأمر ، ناهيًا عن منكر/ [ق/ ١٤١]
ويخص أوقات الخصاصة بالندى

فبخير ما سنن ، وبالسنن اقتدى
ما جار عن نهج الصواب وما اعتدى
إما تُبارزه ، تجده مُبرِّزاً
وإذا تجاربه ، فما السيل انبرى
متزهداً ، متعبداً ، متهجداً
في كل عصر سيد ، هو حجة ال
ونرى أحق من استحق ، فحاز ذا
شيخ الأنام وحجة الإسلام من
أعني أبا العباس أحمد ، بل تق
في الله ليس يخاف لومة لائم
لما تحقق أن كل مخلف
لم يدخر قوتاً لأجل غد ، ولا
صدر حوى في صدره لكماله
ظهرت ولايات الولاية بعده
واسمع مقالة أحمد متوعدا
فأحق ما يبكي عليه فقد
فيض النفوس يقل فيه ، فلا تلم
يا من أعاد أولي التشدق علمه
يا دوحة الفضل التي في أصلها
يا حبر ، بل يا بحر ، كم حيرت من
يا خاتم الفضلاء ، علمك معجز

والشكر والذكر الجميلين اقتنى
وبغير تحصيل الفضائل ما اعتنى
في أي علم شئت ، حبراً متقناً
إما جرى في بحثه متفتناً
متخشعاً ، متورعاً ، متديناً
بباري على كل الخلائق في الدنا
من للإمامة لم يزل متعينا
أغناه نشر الذكر عن ذكر الكنى
بي الدين حقاً والعليم المعنا
ويرى النوى فيه نهايات المنى
يفنى ، وإن كان النفيس ، المثلما
أبقى له إرثاً سوى حسن الشنا
من كل علم معلوي معدنا
واسأل لتصبح بالحقائق موقناً
أعداء: يوم الجنائز بيننا
ما موت هذا الحبر رزءاً هينا
وأعن عيوناً فضن فيه أعينا
خرسا ، وأنطق بالثناء الألسنا
طيب ، وزاكي فرعها حلو الجنا
حبر تصير ذا الفصاحة الكنا
بهر الورى ، فصدرتُ عنه مؤمنا

إن كان ذا حفظًا ، فوقتك ضيق .
 لكنه من فضل ما هو قاذف
 أسست بنيانًا على تقوى ورض
 غبرت ، يا من لا يشق غباره
 جاهدت في ذات المهيم صابرا
 إن الذين يجاهدون عدونا
 الله قد أثنى على العلماء في
 لا غرو إن كنت ابتليت بحاسد
 أشكو إليك وأنت أصل شكايتي
 قد عبّرت عبراتنا من حزننا
 سقيًا لتلك الروح من سحب الرضا
 لو كان فيها الموت يقبل فدية
 عنه ، ولو كان الزمان له أنا
 بالحق من نور الولاية والسنا
 وان ، فلا سيما قد ارتفع البنا
 في أوجه الفضلاء قدما قبلنا
 عند الأذى ، فأتت بشارات الهنا
 فينا ، سنهديهم إلينا سُبُلنا
 نص الكتاب وأنت أولى من عنى
 فالحر ممتحن بأولاد الزنا
 من فرط ضر في افتقارك مسنا
 وبما نجنُّ من الجوى نطق الضنى
 وتبوات جنات عدن مسكنا
 كان الأنام فدى ، وأولهم أنا

تمت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه القصيدة نظم الشيخ عبدالله بن خضر بن عبد الرحمن الرومي الأصل
الدمشقي الحريري ، المعروف بالمتميم، يرثي الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وهو أحد
أصحابه - رضي الله عنه وأرضاه - /:

لقد عذبوا قلبي بنار المحبة
وزاد غرامي في اشتياقي إلى الحمى
فيا عظم أحزاني ووجدي عليهمو
فلم أنس أيامًا تقضت بقربهم
ملأت النواحي من نواحي وكيف لا
ومن عجبي أن أحن إليهم
ذكرت فلم أنسى زمان وصالهم
منازل أحبابي مواطن سادتي
معاهد أفراحي ديار سعادتني
مضت وانقضت عني كأن لم أكن بها
أعلل روحي بالغَـوِيرِ، وبانة
إذا لم يلح لي بارق من حماهمو
وإن لم أقض العمر بين خيامهم
وإن لم أشاهد حسنهم في مشاهدي
وإن لم أجد نور الهدى من خبائهم
لغير رضاهم ما تمت مطامعي

وذاب فؤادي من فراق الأحبة
وهيج بلبالي حنيني ولوعتي
ويا طول أشواقِي إليهم ووحشتي
ومن عيشتي ، لما تولوا تولت
أنوح على قوم همو خير جيرتي؟
وقد سكنوا قلبي وروحي ومهجتي
أنسى ليال بالعُذِيبِ تقضت؟
مطالع أقماري شروق أهلي
مواسم أرباعي أويقات لذتي
وما ذاك إلا من ترادف غفلي
وما شوقها إلا لسكان رامة
فيا خيبة المسعى ، ويا طول شقوتي
فلا عشت في الدنيا ولا نلت منيتي
فقد فاتني سؤلي ، ومت بحسرتي
يضيء به قلبي ، فيا عظم حيرتي
ولا لسواهم ما حلا لي تلفتي

يقولون لي: لِمَ لا سَلَوْتُ [هواهمو]؟^(١)
ولا ذقتُم ما ذاق قلبي من الجوى
فهل لي جنان أن يهَمَّ بغيرهم
وحاشاي أن أسلو هواهم ، وحبهم
فهم سِرُّ أسراري ، ونور مناظري
وهم عين أعياني، وقلبي، وقلبي
وهم في معانيهم حياتي حقيقة
وهم في تجليهم شمس إذا بدوا
وهم أينما كانوا نهاية مقصدي
وهم نور أنواري وسر حقائقني
ترى يشتفي قلبي برويتهم على
وتحيا بهم روعي حياة هنيئة
إذا سمحوا لي نظرة من جمالهم
عليهم سلام الله ما هبت الصبا
وقد آن أن أبدي خفايا صبابتي
وأبكي على من كان يجمع شملنا
وأندب أحزاني بما قد أصابني
فقدت إمامًا كان أوحد عصره
فقدت إمامًا ، لم يزل متوكلا
فقدت إمامًا كان بالعلم عاملا
أتى بكتساب الله والسنة التي

فقلت: دعوني ، ما بليتُم بمحتي
ولا مسَّكم ضري، وناري وحرقتي
وهل لي لسان أن يفوه بسلوتي
يذكرني حفظ العهد القديمة
وروعي وريحاني وأنسي وبهجتي
وهم منتهى قصدي ومشهد رؤيتي
وهم في مغانيهم ، أهيل مودتي
وهم في تجنيهم رياضي ونزهتي
وهم أينما حلوا مرادي وبغيتي
وهم أنس تأنيسي ومأمن خيفتي
رياض الهنا يومًا ، وتبرد غلتي؟
مسرمدة التنعيم في روض جنة
فقد نلت من رضوانهم كل وصلة
وما ناحت الأطيَّار شوقًا وحنن
وأظهر للعذال أصل رزيتي
على طاعة الرحمن في كل لمحمة
وأثر أشجاني بنظم قصيدي
وقد فجعت فيه جميع البرية
على الله لا يُصغى إلى غير سنة
وكان حقيقًا قامعًا كل بدعة
علت وارثقت حقًا على كل ملة

(١) كتب في هامش الأصل : «لعله سواهمو» .

أتى بأحاديث الرسول وشرحها
أتى بعلوم العالمين جميعها
أتى بأصول الدين ، والفقہ مجملا
أنا بأحوال الرسول حقيقة/
أنا بأحوال الصحابة كلهم
أنا بأوصاف الأئمة كلها
أنا بوصف الصالحين وحالهم
وعلمنا شرع الرسول ودينه
وأعلمنا أن النجاة من الهوى
وحذرنا من كل زيغ وبدعة
وناظر أرباب العقائد كلهم
ورد على أهل الضلال جميعهم
وبين تكذيب اليهود وخبثهم
وأخبرهم عن سر أسباب كفرهم
وأظهر أيضًا للنصارى ضلالهم
وباحثهم حتى تبين أنهم
ورد على كتب الفلاسفة الأولى
وقرر إثبات النبوات عندهم
ورد على جَهم وجعد بن درهم
زنادقة، كم أهلكوا من عوالم
وجادل أهل الاعتزال جميعهم

وعمن رواها بالمتون الصحيحة
بزهد، وتأييد، ودين ، وقوة
وفصلها تفصيل من غير شبهة
وسيرته تسمو على كل سيرة
[ق/١٤٣] والتابعين الملة المستقيمة
وصنف كتباً في صفات الأئمة
وما هم عليه من جميل العقيدة
بأفصح ألفاظ وأصدق لهجة
تمسكنا بالسنة النبوية
وعن كل طاغ خارج عن محجة
وبين من قد ضل من كل فرقة
بأوضح برهان وأبلغ حجة
وما بدلوا في الملة الموسوية
فتعسا لهم من أمة غضبية
وما أحدثوا في الملة العيسوية
سكارى حيارى بالطباع الخبيثة
بمنقول أحكام ومعقول حكمة
وجال عليهم كرة بعد كرة
ويشر المرسي عمدة الجهمية
بسوء اعتقادات النفوس السقيمة
وسلَّ عليهم سيفه بالأدلة

يقولون: قولُ الله من بعض خلقه
وباحث أشياخ الروافض وانثنى
لأنهمو عادوا خواص محمد
بغوا وافتروا جهلاً فهم أنجس الورى
وهم خصماء الله ، تبا لدينهم
فكم أحدثوا في ديننا من ضلالة
ورد على قوم، تربت نفوسهم
ورد على قوم وشئت شملهم
ورد على أهل التناسخ عندما
ومزقهم في كل واد، لأنهم
وقد أنكروا أمر المعاد بقولهم
وجاهد أهل الاتحاد ، وردهم
وأنقذهم من ظلمة الجهل والعمى
ورد على أهل الحلول ، فإنهم
وقد زعموا أن التجلي مظاهر
فمن أجل هذا يرقصون ديانة
يرون شهود المرد والرقص قرية
ورد على أتباع إبليس عندما
وكم قد طوى في علمه من طوائف
مطايا بنيات الطريق سرت بهم
وفي بحر آراء العقائد اغرقوا

لقد كُكبُوا في قعر نار حمية
يقاتلهم بالدرة العمرية
وسبوا ، فهم في الأصل شر الخليقة
وأكذب خلق الله من كل فرقة
ويعداً لهم من عصابة ثنوية
فلا مرحباً بالفرقة القدرية
على النفي والتعطيل من غير حجة
وهم أهل تشبيه أتوا بكبيرة
تجروا وخاضوا في أمور عظيمة
يقولون لا شيء سوى البرزخية
نفوس نات عنا وفي الغير حلت
إلى أشرف المسرى وأهدى طريقة
بنور وبرهان ودين النصيحة
يرون تجلي الحق في كل صورة
ولا سيما في صورة أمرديّة
وفي رقصهم جاءوا بكل قبيحة
فياويلهم من خزي يوم الفضيحة
رأهم وقد مالوا إلى الجبرية
حرورية منهم على حشوية
إلى أن أناخوا في عِراض القطيعة
رمتهم خيالات العقول السخيفة

وكم قد أراهم كلهم سبل الهدى
 فمن كان قطب الكون في حال عصره
 شجاع همام بارع في صفاته/
 تزهّد في كل الوجوه، وغيره
 يجود على المسكين في حال عسره
 ويلقى لمن يلقاه بالبشر والرضا
 ويدعو لمن قد نال من ثلم عرضه
 يسارع في الخيرات سرّاً وجهرة
 يجاهد في الله الكريم بجهده
 ويأمر بالمعروف حبّاً لربه
 تقي نقي ، طاهر الذيل مذ نشأ
 أليس الذي قد شاع في الكون ذكره
 فمن كان تاج العارفين لوقتنا
 هو الحبر والقطب الذي شاع ذكره
 إذا ما ذكرنا حاله وصفاته

* * *

تهناً أبا العباس بالقرب والرضا
 ألا يا تقي الدين ، يا فرد عصره
 وبانت لكل الناس أوصافك التي
 ظهرت بأنواع العلوم وجنسها
 فأظهرت ما قد كان للناس خافيا

وكم قد نهاهم مرة بعد مرة
 سواء ؟ ومن كان قد فاز بالبدلية؟
 يروم مراماً في المراقي العلية [ق/١٤٤]
 يدور على الدنيا بنفس ذنية
 بأطماره في حب باري البرية
 بأوصافه الحسنى، ونفس زكية
 ولم يتتقمم من أتى بالأذية
 ويلهو عن اللذات في كل طرفة
 بصدق وإخلاص وعزم ونية
 وينهى عن الفحشاء نهياً بهمة
 كريم السجايا ، ذو صفات حميدة
 وعم البرايا بالفتاوى العظيمة؟
 وشيخ الهدى؟ قل لي، بغير حمية
 وفاح شذاه كالعبير المفتت
 كأننا حللنا في نعيم وروضة

لقد نلت ما ترجو بكل مسرة
 بروقك قد لاحت كشمس مضيئة
 برزت بها مثل العيون الغزيرة
 وسارت بها الركبان في كل بلدة
 بكل معان والفتون الغريبة

وأبدت أسراراً بنفس عليمه
ولججت فاستخرجت كل يتيمة
ودين، وتوحيد ، وكل فضيلة
إلى دار فوز في رياض فسيحة
وأشهدك المعنى بعين قريرة
مئين ألوفاً في بكاء وضجّة
بحسن اعتقاد فيك، يا شيخ قدوة
خرجن حيارى، فوجة بعد فوجة
ينحن بأكباد عليك حزينة
وذقت من الآلام طعم البليّة
صبوراً على الأقدار في دار غربة
شهدت جمال الحب في كل خلوة
تطوف به الأنوار في روض جنة
وشاهدت محبوباً بعين البصيرة
ربوعك من تلك العلوم الجليّة
ديارك من تلك الصفات الجميلة
ولا اكتحلت فيك الجفون بغمضة
ولا أيست منك العيون بنضرة
وقوتاً وأنساً للنفوس النفيسة
وبالعروة الوثقى وأصل الشريعة

وأوضحت إشكالا ، وبينت مبهما
وكم غصت في بحر المعارف غوصة
ظهرت بإحسان وحسن سماحة
خرجت من السجن الذي كان ضيقاً
وقد نلت من مولاك ما كنت راجياً
حملت على النعش الذي كان تحته
وصلى عليك [الحاضرون]^(١) جميعهم
وأما النساء المؤمنات فإنهن
ومعهن أباكار تحجبن بالتقى
صبرت على الأحكام طوعاً وطاعة
وكنت حمولاً للنواب كلها
وأوسعت صدرًا للمقادير عندما
ولاحت لك الأنوار بالمشهد الذي
وعاينت موجوداً تعالت صفاته
فلا أوحش الرحمن منك، ولا خلت
ولا أقفرت منك الطلول ، ولا نأت
ولا سكنت يوم الوداع دموعنا
ولا احتجبت أسماعنا عنك ساعة
لقد كنت روحاً للقلوب وراحة
تمسكت بالدين الحنيفي والهدى

(١) في هامش الأصل : «المسلمون» .

ظهرت إلى الدنيا بأحسن مظهر
وودعتنا توديع من غير راجع
شربت بكأس العارفين مدامة
وجدت بكأس الفضل منك تكرماً
فسبحان من أعطاك من فضل جوده
لقد عشت محبوباً ومتم مكرماً
وما برحت تعلوك أنوار أنسه
ومأواك جنات النعيم مع الذي
نبي الهدى خير الورى صاحب اللوا
عليه صلاة الحق ثم سلامه
وبعد، فله المحامد كلها
وها أنا يا ربي عبيد متيم

ورحت إلى الأخرى بأكمل روحة
وفارقتنا والدار غير بعيدة
حقيقتها من سر عين الحقيقة / [ق/ ١٤٥]
على تابعين السنة الأحمدية
لقد نلت قرباً لا ينال بحيلة
عليك من الرحمن أذكى تحيتي
وما زلت في عز وقرب ورفعة
تفرد من بين الورى بالوسيلة
شفيع على الإطلاق في كل أمة
على عدد الأنفاس في كل طرفة
على ما أرانا من وضوح المحجة
عساك ترى حالي وتغفر زلتي

تمت، وعدتها مائة وسبعة وعشرون بيتاً

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد

وآله وصحبه وسلم .

* * *

وله أيضاً - رحمه الله - يرثي شيخ الإسلام ابن تيمية مرة أخرى:

لله عيشًا تقضى بالثنيات
ما كان أهنا زمانى في ربوعهمو
والكأس تجلى بأنواع السرور ، وفي
إذا تجلوا على قلبي بحسنهم
قد كنت في قربهم والوصل مقترني
واليوم أصبحت أبكي بعدَ بَعْدِهِم
وغاب مذ غاب عن عيني جمالهمو
ولا صفا بعدهم عيشي بمنهله
يا سادة ملكوا قلبي بلطفهم
فهمو مرادي، وهم سؤلي وهم أملي
وهم سروري، وهم سمعي، وهم بصري
وهم حياتي، وهم أنسي، وهم شرفي
لهفي على زمن ولّى وما ظفرت
لما سرروا وفؤادي في هوادجهم
ما كنت أعلم قربي في محبتهم
فانذب على ما مضى من عيشنا وصفا
واذكر مصارع قوم، كيف قد شربوا
فأصبحوا في الثرى تبلى وجوههم
وأنت من بعدهم تسرى لسيرهم
أقول ما قاله العبد المتيب ، وقد

مع جيرة لذّ لي فيهم صباباتي
والسعد يسعى بما فيه إراداتي
قرب الأحبة تبدو لي سعاداتي
كأنتي في نعيم وسط روضاتي
لم يخطر الصد والهجران في ذاتي
لما تناءوا نأت عني مسراتي
راحي وروحي ، وريحاني وراحاتي
ومذ تولوا تولى طيب لذاتي
ما ضرهم لو أعادوا لي أوقياتي؟
وهم نهاية مقصودي وغاياتي
وهم نعيمي، وروضاتي وجناتي
وذكرهم لم يزل في القلب جلواتي
روحي بما ترتجى يوم الأثيلات
ناديت من حرقى: يا عظم لوعاتي
حتى رمتني إلى الأبعاد راياتي
وابك على ما جرى، يا قلبي العاتي
بعد الزلال بكاسات المنيات
تحت التراب ، فيا عظم المصيبات
إمسا بدار هوان أو بجنات
أودى به السجن في بر وطاعات

أنا الذليل ، أنا المسكين ، ذو شجن
أنا الكسير ، أنا المحتاج ، يا أملي
أنا الغريب ، فلا أهل ولا وطن
أنا العبيد الذي مازلت مفتقراً
مالي سواك ، ومالي عنك منصرف
أنت القدير على جبزي بوصلك لي
أدعوك يا سيدي ، يا مشتكى حزني
فانظر إلى عبرتي وارحم صبا جسدي
ما زال مفتقراً في باب سيده/
ما زال يتبع آثار الرسول على الذ
يهدي لستته ، يفتي بشرعته
قطب الزمان وتاج الناس كلهمو
حبر الوجود ، فريد في معارفه
حوى من المصطفى علماً ومعرفة
ما جاءه سائل إلا ويمنحه
ماذا أقول؟ وقولي فيه منحصر
في علمه ، ما علمنا من يناسبه
في زهده ، ما سمعنا من يشاكلة
في جوده ، ما وجدنا من يماثله
يجود ، وهو فقير ، إن ذا عجب
تلوح شمس المعالي في شمائله

أنا الفقير إلى رب السموات
جد لي بفضلك ، واعف عن خطيأتي
أنا الوحيد ، فكن لي في ملماتي
إليك ، يا سيدي في كل حالاتي
ذكراك في القلب قرآني وآياتي
أنت العليم بأسراري الخفيات
يا جابري ، يا مغيثي في مهماتي
يا راحم الخير يا باري البريات
ما زال مبتلياً بالامتحانات [ق/١٤٦]
هج القويم بأعلام الدلالات
يرعى لحرمة في كل ساعات
روح المعاني ، حوى كل العبادات
أفنى بسيف الهدى أهل الضلالات
وجاءه منه إمداد النوات
إما بجود ، وإما بالمدارة
في وصف أخلاقه؟ كلت عباراتي
إلا أئمتنا أهل العناية
إلا رجال مضوا أهل الكرامات
غير البرامك كانوا في سعادات
هو الذي ما سمعنا في الحكايات
وفي صفا وجهه نور الهدايات

بحر المعارف ، تاهوا في بدايته
قطب الحقائق ، حاروا في فضائله
أعجوبة الدهر ، فرد في فضائله
وا لهف قلبي على من كان يجمعنا
فارت من كان يُروني برؤيته
يروى الأحاديث عن سكان كاظمة
ويطنب الذكر في إحسان حسنهم
أفضى إلى الله والجنات مسكنه
ثم الصلاة على خير الأنام ومن
اختاره ليلة الإسرا لحضرته
فهو الشفيع الذي ترحى شفاعته
عليه مني سلام الله ما همعت
والحمد لله حمداً لا انقطاع له

تمت وعدتها خمسة وخمسون بيتاً .

وسئل الناظم لهذه القصيدة عن عمره ، فقال : نحو التسعين ، ومولده
ببلاد الروم .

وتوفي في يوم الأربعاء سادس شعبان سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة ،
ودفن بباب الصغير - رحمه الله تعالى ورضي عنه - .

* * *

هذه الآيات وُجِدَت بخط الشيخ تقي الدين ابن تيمية - رحمه الله -

وذكروا أنها من نظمه أخيراً:

أنا الفقير إلى رب السموات
أنا لظلوم لنفسي وهي ظالمتي
لا أستطيع لنفسي جلب منفعة
وليس لي دونه مولى يدبرني
إلا بإذن من الرحمن خالقنا
ولست أملك شيئاً دونه أبداً
ولا ظهير له كيما أعاونه
والفقر لي وصف ذات لازم أبداً
وهذه الحال حال الخلق أجمعهم
فمن بغى مطلباً من دون خالقه
وهذان البيتان في بعض النسخ:
وإن قدمت على الرب الكريم فقد
فلا تغرنك الدنيا وزينتها
والحمد لله ملاً الكون أجمعه
ثم الصلاة على المختار من مضرٍ
تمت والحمد لله وحده .

أنا المُسيكين في مجموع حالاتي
والخير إن جاءنا من عنده يأتي
ولا عن النفس في دفع المضرات
ولا شفيع إلى رب البريات
إلى الشفيع كما قد جاء في الآيات
ولا شريك أنا في بعض ذراتي
كما يكون لأرباب الولايات
كما الغنى أبداً وصف له ذاتي
وكلهم عنده عبدٌ له آتي / [ق/١٤٧]

نلت النعيم الذي فيه مسراتي
وافهم معانٍ كلامي في أماراتي
ما كان فيه وما من بعده يأتي
خير البرية من ماضٍ ومن آتي

* * *

مرثية

في الشيخ تقي الدين ابن تيمية - رحمه الله - ، نظمها رجل اسمه جمال
الدين محمود بن الأمير الحلبي، وأرسلها من حلب المحروسة:

يا دموعي سحي كسحب الغمام
لفراق الشيخ الإمام المفدي
زاهد، عابد، تقي، نقي
ابن تيمية يتيمة دهر
فجعت فيه كل أهل البرايا
أوحد في العلوم والفضل والزهد
بحر علم يغوص كل لبيب
فاق بالعلم والفضائل للخلد
إن يكن غاب شخصه وتواری
فمناقبه والفضائل تبقى
سيد قد علا بعلم وحلم
كم رموه الحساد بالكيد والبغ
طالب الحق لا يخاف لحيف
لا يخاف الملوك أيضاً، ولا الخلد
كم ملوك أتى بحزم وعزم
ولغـازان إذ أتاه بقلب
فتلقاه بالبشاشة والرح
أخذ العهد منه للناس جميع

هاطلات على الخدود سجام
ابن تيمية ونجل الكرام
فهمه لا يقاس بالأفهام
ماله من مسام ومسامي
جمعها للعلوم والأحكام
د ، لا يرائي في ملة الإسلام
في معانيه ، حار كل الأنام
ق، فأضحى إمام كل إمام
ومضت روحه لدار السلام
في عمر الدهور والأعوام
فعدها لديه كالأنعام
ق، وهو لا يثنى عن الإقدام
وهو يحمي عن ذروة الإسلام
ق، ولا العبيد مع اللوام
وهو في الله مسرع الإقدام
ما أسود الغابات مع ضرغام
ب والعطايا، والعز والإكرام
عاً بأمان لكل أهل الشأم

نفس صادق تقبله الد
وحماهم في الحمى بخشوع
قل لمن رام للبخار ويغني
هو في رتبة النبيين ، فاعلم
فقدته الدنى، مع الدين والعد
كم فتاوى أته، مع كل شخص
حلها كالنسيم في الحال، وجلى
كان بحرًا للناس، من غاص فيه
أوحد الخلق في التفاسير طرا
شيخ كل الإسلام في الزهد والنس
كان شمس الضحى، ونيل البرايا
صدره، للعلوم، والقلب للرب
ولديه أهل العلوم تداعت
تبتغي من جنى معانيه نطقا
فيروى قلوبهم بعلوم
كلما رُمْتُ سلوة عن هواه
لا تلمني على المديح ، ودعني
خجل البدر من سناه فأضحى
كل من مات في هواه بوجود
استمع يا عدول، بالله، وافهم
قد تساوى في الحق كل وزير

نه ، فأطاعته كل تلك الأنام
وخضوع للواحد العلام
رتبة قد علت بحد الحسام
هكذا أخبر النبي التهامي
م، وكل الزهاد والأيتام
أعجزت كل عالم صمصام
لصداها من علة الأسقام
فاز بالدر منه، لا بالخطام
والأحاديث، والعلوم التمام
ك والعبادات، والتقوى ، والصيام
وإمام العلوم ، والاحتشام
ويداه للبلذ والإنعام/ [ق/١٤٨]
إذ حوت حوله في الأزحام
يستضيء منه دياجي الظلام
فتراهم سكرى بغير مدام
قادني الشوق نحوه بزمام
فهو شيخي ، وبغيتي ، وغرامي
يعتريه النقصان عند التمام
ما عليه في حتفه من ملام
لمعانيه في جميع نظامي
عنده، مع رذالة الأعوام

بعلوم شبه البحار الطوامي
م إماما، فياله من إمام
ق ، فلم يخل منهمو في الحمام
بجنان الخلود ، والدمع دامي
حاز فيها المتى ونيل المرام
بين حور ، كلؤلؤ في الخيام
ما أضاء الصباح بالابتسام
لحبيبي تحيتي وسلامي
وشجونني وشقوتي وسقامي
من همومي ولوعتي وهيامي
بدموع وعبرة كالغمام

فضله شاع بين كل البرايا
كان بدرأ يضيء في الناس بالعد
حسدوه عند الوفاة على الخلد
نقلته أيدي المنية بالحق
يالها ساعة ، لقي الله فيها
فهو في جنة النعيم مفدى
قدس الله روحه ، مع أخيه
يا نسيم الصبا بالله بلغ
وتعرض على المحبين ذكرى
ثم صف ما أكابد الآن فيه
وتقول العبيد: محمود أضحى

تمت والحمد لله وحده، وهي إحدى وخمسون بيتاً .



للشيخ علاء الدين أبي الحسن ، علي بن محمد بن سلمان، بن حمائل بن
غانم المقدسي - رحمه الله - يرثي شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية - رضي الله
عنه - :

أى حبر مضى ، وأيِّ إمام
بحر جود وعلم، قد غاض من بعد
زاهد، عابد، تنزه في دنيا
كان كنزاً لكل طالب علم
ولعاف، قد جاء يشكو من فقد
حاز علمًا ماله من مساو
ولم يكن في الدنيا له من نظير
كان في علمه وحيداً فريدا
عالم في زمانه، فاق بالعد
كل من في دمشق ناح عليه
حملوه على الرقاب إلى الق
ما يرى عند يومه عندما سا
فجع الناس فيه في الغرب والشر
كل من في الوجود فيه مصاب
أعظم الله أجرهم فيه إذا صا
صار جار الإله، رب السما
كان وقت الحروب بالطعن والضر
لا يهاب الهول العظيم بقو

فجعت فيه ملة الإسلام
مد ما فاض نداءه، وعم بالإنعام
ه عن كل ما بها من حطام
ولمن خاف أن يرى في حرام
ر لديه ينال كل مرام
فيه، من عالم، ولا من مُسام
في البرايا في الفضل، والأحكام
لم ينالوا ما نال في الأحلام
م جميع الأئمة الأعلام
ببكاء، من شدة الآلام
جر، وكادوا أن يهلكوا بالزحام
ر على النعش نحو دار السلام
ق، وأضحوا في الحزن كالأيتام
فيعزى به جميع الأنام
ر على الرغم في الثرى والرغام
ت، الرحيم، المهيمن، العلام
ب/ سريع القدوم والإقدام [ق/١٤٩]
ل الحق في نقضه، وفي الإبرام

تابع سنة الرسول، عليه
 قائم في نصر الشريعة بالعد
 كم بنور العلم أخرج قوماً
 نال ما نال من شريف مقال
 طبق الأرض بالفتاوى اللواتي
 حسدوه إذ ماله من نظير
 خصه بالكمال من كل علم
 لو يفدى بالروح كنا جميعاً
 قدس الله روحه وسقى قب
 ورضي عنه ربنا وترضاً
 فلقد كان نادراً في بني الده

من إله السماء أزكى سلام
 م، وبالفضل منه كل القيام
 من ضلال، ومن عظيم ظلام
 بعلوم شتى، وعظم مقام
 هي منقذات الورى من الآثام
 من بني دهره الكبار الكرام
 ربنا، ذو الجلال والإكرام
 قد فديناه من هجوم الحمام
 راً حواه هاطلات الغمام
 ه، وملاه بالنعيم النامي
 ر، وحسنا في أوجه الأيام

تمت والحمد لله رب العالمين، وعدتها ثلاثون بيتاً.

* * *

قصيدة من القصائد التي رثي بها شيخ الإسلام ، تقي الدين بن تيمية ، وهي
لرجل جندي بالديار المصرية يقال له: بدر الدين ، محمد بن عز الدين أيمن
الغيثي ، رجل فاضل له محفوظات متنوعة ، وفيه ديانة وصلابة في دينه .

أرسلها وذكر أنه عرضها على الإمام أبي حيان :

خطبُ دنا ، فبكى له الإسلام وبكت لعظم بكائه الأيام
وبكت بعبرتها السماء فأمطرت في غير فصل تسمح الأعوام
وبكت له الأرض الجليدة بعدما أضحى عليها وحشة وقتام
وتزلزلت كل القلوب لفقده وتواترت من بعده الآلام
ولمؤمنين الجن حزن شامل ونياحة نطقت بها الأحلام
وتفجّع الدين القويم لفقده وبقي غريباً يُتلى ويُصام
مُذمات ناصرته الذي أوصافه أبداً تكون على سواه حرام
لتتقي دين الله وصف باهر وخصائص خضعت لها الأفهام
ومواهب من ذي الجلال تمده فيتم فخر شامخ ومقام
وغداً تقي الدين أحمد ماله حد فتحمل فقده الأجسام
العالم الحبر الإمام ، ومن غدا في راحتيه من العلوم زمام
ذو المنصب الأعلى الذي نصبت له في الأرض في أقطارها الأعلام
بحر العلوم ، وكثر كل فضيلة في الدهر فردٌ ، في الزمان إمام
حَبْر تخيره الإله لدينه ختم لأعلام الهدى وختام
فوقى بأحكام الكتاب ، فكم له في نصر توحيد الإله قيام؟
والسنة البيضاء أحياميتها فغدت عليها حرمة وحجام
وأما من بدع الضلال عوائدا لا يستطيع لدفعها الصمصام
أسُّ الفضائل ، والذي لا تهتدي لفنونه وعلومه الأوهام

وأنا له رب السموات العلاء
ونفوذه في العلم قول محمد
إن المنزه ربنا سبحانه
بيدي لكم في كل قرن قادم
فلئن تأخر في القرون لثامن/ [ق/١٥٠]

فاق القرون سوى الثلاث فإنها
وسوى ابن حنبل إنه علم الهدى
لكن أحمد مثل أحمد، قد حوى
حدّث بلا حرج وقل عن زهده
هجر المطاعم والملابس ، والدنى
نزر المأكّل ، والمنام ، ولا يرى
وتراه يصمت لا لعي دائما
وإذا تكلم لا يراجع هيبه
ألقى عليه مهابة من ربه
وإذا دنا فترى الرجال ذليلة
بشر يعظم بالقلوب ، وقدوة
متن يخص بها المهيمن من يشا
وجفا العباد لشغله بحبيبه
وله مقام في الوصول لربه
وله فتوح من غيوب إلهه
وتصوف وتقشف وتعفف

(١) كتب في هامش الأصل : «الأغنام».

في العلم سبقا ما إليه مرام
صلى عليه الخالق العلام
يقضي بما تأتي به الأحكام
للدين من تُهدى به الأقسام
فقد تقدم في العلوم أمام
خير القرون يزينهن تمام
حبر إمام ، صابر قوام
علمًا وزهدًا في العلوم تؤام
ما شئت ، لا رد ، ولا آثم
ولعزمه في تركها إحزام
لبنى الدنى في قلبه إعظام
إلا لعلم يقستى ويرام
وسكينة ، وكلامه إبرام
فخطابه الإجلال والإكرام
فكأنها في نفسها إحجام
أبدًا يعظم ، وهو بعد غلام
من خلقه ، والجاهلون نيام
قوداده للأقربين سلام
ومقامه نطقت بها [الأغنام] (١)
وتحزن ، وتمسكن وكلام
وقراءة وعبادة وصيام

وعناية ، وحماية ، ووقاية
وله كرامات، سمت وتعددت
من رد عن أرض الشام بعزمه
من رد غازان الهمام بحسرة
من قام بالفتح المين مؤيدا
من جد في بدع الضلال وحزبه
من صار في سنن الرسول ونصرها
من قام في خذل الصليب ودينه
فوهوا وردوا خائين بذلة
فالأمر بالمعروف يُفقد بعده
فكان أشراط القيامة قد دنت
فالعلم فينا ليس يقبض سرعة
لكن يقبض الراسخين ذهابه
لله ما لاقي تقي الدين من
ومكارة حُفَّت بكل شديدة
ومكائد نصبت له، وحبائل
فحكى ابن حنبل في فنون بلائه
وبسجنه، وبحصره، ونكاله
فأراد رب العرش، جل جلاله
وأناه آتي الموت ، يخطب نفسه
فخلت مرابعه، وأوحش ريعه

وصيانة، وأمانة، ومقام
ولها على مر الدهور دوام
مَنْ صَدَّ وجه الكفر وهو حسام
مَنْ خَلَّص الأسرى، وهم أيتام
في كسروان، وهم طغاة عظام
وأذلهم بعد الرضاع فطام
حتى استقر لأمرهن نظام
لما [تداعوا]^(١) للباس ، وقاموا
وعليهم فوق الوجوه ظلام
والفاعلون النكر ليس يلاموا
وانحلَّ من سرج الزمان حزام
كلا، ولا يأتي حِماه حمام
وزواله ، وبقي رعاع طغام
محنٍ تتابعه، وهُنَّ ضخام
ومواقف زلت بها الأقدام
قصدًا إليه، فردها الإقدام
بجنان ثبت، ليس فيه ذوام
حتى رثى العذَّال واللوام
للقائه مُذ حانه الإعدام
فأجابه طوعًا له القم مقام
وتقوضت عند الرحيل خيام

(١) كتب في هامش الأصل : «كذا في الأصل»، ولكن لا يستقيم وزنه ، والله أعلم.

وتفجّعت كل القلوب بفقده
ومضت جنازته الشريفة بعد ما
وأنت روايات الشّام بجمعها
أن الأولى شهدوا الصلاة وشيعوا
فعليه أفضل رحمة تهدي له
ما دامت الأفلاك في دوراتها
تمت ، وعدتها ستة وستون بيتاً.



مرثاة للشيخ قاسم بن عبد الرحمن المقرئ، في الشيخ نقي الدين - رضي

الله عنه - .

عن التبصر، والزمان رماني
أصبحت مكتئباً لفقْد أحبة
لا صبر لي عنهم، وكيف تصبري
إن أوحشوا نظري، فقلبي موطن
خلت الديار، فأصبحوا في بلقع
لما سمعت بأن أحمد قد قضى
ولقاء رب ، لا مرد لحكمه
عظمت مصيبتنا لسيد عصرنا
والعلم حاز أصوله وفروعه
وينظر الفقهاء في أقوالهم

بسهامه ، وترادفت أحزاني
جبلت جبلتهم على الإحسان
عن سادة رحلوا عن الأوطان؟
وعمارة الأوطان بالسكان
يا وحشتاه لفرقة الإخوان
نحباً^(١) على التوحيد والإيمان
سبحانه من قادر منان
في شرح سيد أحمد ببيان
وغرائب التفسير للقرآن
ويجيبهم بالثبوت والتبيان

(١) كتب في هامش الاصل : النحب : العهد ، كذا بالاصل .

وشجاعة بلغت إلى غازان
 منهم، لا عون، ولا أعوان
 إذ ما مضى في سالف الأزمان
 وكذا يكون العالم الرباني
 متمسكًا بمواعد الرحمن
 حفت به الأنوار بالإمكان؟
 كل وجود بعبرة النكلان
 إلا إله عم بالغففران
 فتباشرت بقدومه القمران
 وأخوه عبدالله حبر ثان
 في الجرح والتعديل والبرهان
 فازوا بأرفع رتبة وأمان
 وقطوفها للطائفين دوان
 من لؤلؤ مرفوعة البنيان
 تلك الأسرة في رضى وأمان
 قد ألبسوا من أحسن التيجان
 بالله لا بالحور والغلمان
 ويصبره في طاعة الرحمن
 خير الأنام، ومعدن الإحسان
 وله الوسيلة مظهر الإيمان
 وتطوفوا بالبیت والأركان

غلب الملوك بثبته وجنانه
 أفديه من بطل يلاقي عصبه
 من ذا يقوم مقامه في عصرنا
 وله الزهادة والعبادة منهج
 سارت ركائبه إلى دار الجزا
 أو ما نظرت إليه فوق سريره
 والناس من حول الجنازة أحدقوا
 وهمو ألوف ليس يحصى جمعهم
 نزلوا به كالبدر في إشراقه
 عبد الحليم أبوه سيد عصره
 المجد حاز المجد في عصر مضى
 ومثل هذا سارعوا أهل التقى
 في جنة أنوارها قد أشرقت
 أكوابها موضوعة وقبابها
 والنور يغشى أهلها وهمو على
 ولباسهم من سندس وخيامهم
 ولأهلها ما يشتهون وشغلهم
 منهم تقى الدين فاز بزهده
 ثم الصلاة على النبي محمد
 هاد وأول شافع، ومشفع
 ماحن مشتاق إلى وادي منى

تمت والحمد لله رب العالمين، وعدتها إحدى وثلاثون بيتاً .

مرثاة للشيخ برهان الدين إبراهيم ، بن الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد
 الكريم العجمي ، يرثي الشيخ تقي الدين بن تيمية في جمادى الآخرة سنة خمس
 وثلاثين وسبعمائة ، ومولده في أوائل سنة سبع وتسعين وستمائة ، وتوفي / في
 [ق/ ١٥٢] رمضان سنة خمس وثلاثين وسبعمائة :

جدي بانسجام الدمع يا مقلّة العاني
 وذق يا فـؤادي كل يوم وليلة
 إلى أن أرى وجه ابن تيمية الذي
 ومن لي بأن ألقاه والموت قد أتى
 فيا وحشة الدنيا لأنوار وجهه
 يحق لعين لا ترجى لِقَاءه
 لقد عم أهل الأرض رزء مصابه
 لقد كانت الدنيا به ذات بهجة
 وما كان إلا آية في زمانه
 إمام هدى ، يدعو إلى دين ربه
 فمذهبه: ما جاء عن خير مرسل
 أتى بعلوم حيّرت كل واصف
 فكم مبطل وافاه يبغي جداله
 ويكشف عنه شبهة بعد شبهة
 فيصبح عن تلك المقالة معرضا
 يغار على الإسلام من كل بدعة
 وفي الله لم تأخذه لومة لائم

(١) كتب في هامش الأصل : سبق.

ولم ينتقم في الدهر يوماً لنفسه
وأما سخاء الكف فالبحر دونه
ولو وزنوا أهل الشجاعة كلهم
فمن جاهد الأعداء في الدين مثله؟
ومن قال للناس: اثبتوا يوم شقحب
فمن خشي الرحمن بالغيب واتقى
وما ضره إن طال في السجن مكثه
منيباً إلى مولاه ، يقطع وقته
ولم يك مشغولاً بحب رياسته
وما كان مشغولاً بجاه ومنصب
ولكن بعلم نافع وعبادة
وفي موته قد كان للناس عبرة
إذا انتشروا مثل الجراد، وكاد أن
وسار على أعناقهم نحو قبره
إلى الذهب الباقي دعاه إلهه
دعاه إلى جنات عدن وطيبها
فنسأل رب العرش يجمع شملنا
ويجبرنا بعد انكسار قلوبنا

ولكنه يؤذى فيعضو عن الجاني
ولم يك في بذل العطايا بمنان
به رجح الشجعان في كل ميزان
ومن سلّ سيف العزم في وجه غازان؟
فإن الأعداء في انهزام وخذلان
إله البرايا، خانه كل سلطان
إذا كان في نسك وطاعة رحمن
بنقل أحاديث ، وتفسير قرآن
ولا شد بغلات، ولا حسن غلمان
ولا رفع ببيان ولا غرس بستان
وزهد، وإخلاص، وصبر وإيمان
لما شاهدوا من غير زور وبهتان
تزيغ عقول من رجال ونسوان
يجاور مولى، ذا امتنان وغفران
فذاك له خير من الخزف الفاني
ومتعه فيها بحور وولدان
به في جنان الخلد من بعد حرمان
ويروى برؤيا وجهه كل ظمآن

تمت والله الحمد، وهي خمسة وثلاثون بيتاً .

* * *

للشيخ الإمام المحدث الفاضل، الأديب البارع، صفى الدين عبد المؤمن بن

عبد الحق البغدادي الحنبلي، مدرس المدرسة التبشيرية ببغداد.

يقول: قال العبد الفقير: عبد المؤمن، بن عبد الحق، حين بلغه وفاة الشيخ/

[ق/١٥٣]

الإمام العالم، بقية العلماء المجتهدين، تقي الدين أحمد بن تسمية الحراني -
رحمه الله ورضي عنه - وبوأه الجنة، بمنه وكرمه أمين:

طبت مشوى يا خاتم العلماء في مقام الزلقى، مع الأتقياء
أولياء الرحمن والسادة الغر ر، الهداة، الأئمة، الصلحاء
ويح للموت، كم طوى بك من عد م غزير، وفطنة، وذكاء
وبيان يشفي القلوب من الغد ي، ويجلو عنها صدى الغيَاء
أين تلك العلوم والمنطق الصا ثب عند السؤال والإفتاء؟
أين ذاك الخلق الجميل وحس ن البشر للزائرين عند اللقاء؟
رمدت مقلة الفضائل مذم ت، وقرت عيون أهل الشقاء
حين لا عالم يرد الذي قا لوا، وما نغقوه للإغواء
من ضلال أهل فلسفة اليو نان والاعتزال، والإرجاء
وذوي الرفض من يدينون بالطع ن على الصالحين، والإزراء
من لحل الشكوك بعدك والمردو د من شبهة، وقول هراء؟
من لتبيين مشكل قصرت عند ه عقول لما به من خفاء؟
من لقمع الخصم المجادل في الدير ن عناداً من ملة عوجاء؟
من ترى للغريب بعدك يلق اه بوجه طلق، وفضل حياء؟
ضاع من بعدك الغريب فما يد قى معيناً له على اللاواء
أيا عالم نعاها لنا النا عي وحبر قد صين في الغبراء؟

أي حبر قد غيضته المنايا
أعلم الناس كلهم بكتبا
بمعانيه والعلوم التي فيه
من أحاديث سيد الرسل يروي
من صحيح ومن سقيم وأخبا
وبآثار صحبه وفتاوا
وبإجماعهم وما اختلفوا فيه
حاله، إن نظرت فيه، تجد
قانع النفس بالدنى من العي
مؤثراً بالذي لديه لعد
ورع طاهر، ونسك وإحسبا
والتقى والعفاف، والزهد في الدين
لم يزل جاهداً يجاهد في الل
بجنان ثبت، وجأش قوي
يزع الخصم بالجواب عن الشك
صابراً نفسه إلى أن قضى الل
ولقد أضمروا له السوء قوم
حسداً منهم لما خصه الل
فاستحلوا منه الذي حرم الل
حرفوا قوله كما حرف الق
ورموه بكل قول شنيع

في رجا حفرة من الأرجاء
ب الله، جل اسمه بغير مرء
ه، وأدرى بالسنة الغراء
ه كبار الأئمة، النبلاء
ر الرواة الثقات والضعفاء
ي من أتى بعدهم من العلماء
ه من الحكم سادة الفقهاء
مثل أحوال سادة الأولياء
ش، غنياً يعد في الفقراء
افية على نفسه بغير رياء
ت، وشكر في شدة ورخاء
ا حلاه، والصبر عند البلاء
ه قبيل الضلال والأهواء
وفؤاد راس لدى الهيجاء
ويدلي بالحجة البيضاء
ه بما قضى على الأنبياء
للذي حُمّلوا من البغضاء
ه به من ملابس الفضلاء
ه لما أضمروا من الشحنةاء
وم نصوص القرآن للإغواء
بين الكذب ظاهر الافتراء

عجزوا عنه مرة بعد أخرى
 هل يباري العضب الصقيل كهام
 أم تجاري الحمير في حلبة السبا
 لم ينالوا منه الذي أمْلوه
 يا تقي الدين الذي صدقت في
 عند تلقيبه كذلك، قد كند
 يا ابن تيمية لقد فزت في الدن
 وكذا أنت يعلم الله في الأخ
 بوئت روحك الشريفة في الجند
 وسقى قبرك الرضا وأنا
 وتوالت عليك من نعم اللـ

فاستعانوا عليه بالإغراء/
 صدىء في ضرابه ومضاء
 ق جوادا مضمر الأحشاء
 بل رمى الله جمعهم بالفناء
 ه ، وحققت مخايل الآباء
 ت وسميت أحسن الأسماء
 يا بذكر باق، وحسن ثناء
 رى مع الصالحين والشهداء
 ة أعلا منازل السعداء
 ك الروح في كل بكرة وعشاء
 ه ورضوانه صنوف العطاء

آخرها وعدتها ثمانية وأربعون بيتاً .

* * *

للشيخ زين الدين ، بن الشيخ حسام الدين ، أقش الشبلي ، يرثي الشيخ

تقي الدين ابن تيمية - رضي الله عنه - :

لجرت سوابق عبرتي بدماء
صخرًا لزدت على بكى الخنساء
للحزن، خوف شماتة الأعداء
ما عندنا من لوعة وبلاء؟
والجود آذن قـربه بتناء
من فرط أحزاني وفرط عنائي
صبا عليك مقلقل الأحشاء
في غفلة، يا سيد العلماء
أحباب، كان بقية الصلحاء
وسما سمو كواكب الجوزاء
لعلو رتبة ذوي العلياء
وبه سما فضلاً على النظراء
تبعو الرسول بشدة ورخاء
سنن الهدى عن صحة الأنبياء
والجود ، والبركات، والآلاء
حتى يبلغه لكل رجاء
أو ذاكرًا لله في الظلماء
وألذ من شهد إلى الجلساء
الخبر، الهمام، وحجة الفقهاء

لو كان يقنعني عليك بكائي
أو كنت في يوم انتقالك للبلبي
لكن أصبر عنك نفسي كأنما
أترى علمت وأنت أفضل عالم
أسفي على تلك الديانة والتقى
أسفي عليك نفي الكرى عن ناظري
أسفي عليك ، وما التأسف نافع
غاضت بحار العلم بعدك، والورى
بأبي، وحيداً مات منفرداً عن الـ
بحر العلوم، حوى الفضائل كلها
متفرداً في كل علم دونه
بالفضل قد شهدت له أعداؤه
شيخ العلوم وتابع السلف الذي
وإمام أهل الأرض، والمبدي لهم
ذو الصالحات وذو الشجاعة والتقى
من كان لا يثني لطالب جوده
يجفو المضاجع راكعاً أو ساجدا
كالصبر في حنك العدو مذاقه
المانح، البحر، الإمام ، العالم

الواهب المال الجزيل وغامر الضيـ
المحسن الكافي السؤال وحاسم الـ
صدر المدارس والمجالس أحمد المحـ
وإذا المسائل في الفتاوى أفحمت
وأنت تقي الدين أظهر ما اختفى
فترى سهاها في الخفاء بكشفه
ويرى البصير الحق فيما قاله
[ق/١٥٥] سجنوه خشية أن يرى متبذلا
للمؤمنين له، وعند عدوهم
في المحدثين أتى بفضل باهر
أي خاشع أي شاكر أي ذاكر
أي زاهد ، أي حامد ، أي باذل
خير الصفات صفاته ، وثناؤه
ويظل يسأل جوده عن سائل
وتراه يشرق وجهه متهللا
بادي التبسم عند بذل نواله
أربى على فضل البرامكة الألى
من جاء يسأله يشاهد عنده
يربى على سح السحائب جوده
والجود يرفع أهله بين الورى
وله إذا اصطدم القتال شجاعة

ف التزيل بواقر النعماء
داء العضال، وكاشف الغماء
محمود في عود ، وفي إبداء
أهل العلوم وحجبت بخفاء
منها ، وأبداه لعين الرائي
كالشمس مشرقة بصحو سماء
والحق لا يخفى على البصراء
صونا ، فنال منازل الشهداء/
ذاك الكسير، وعزة الخلفاء
ومناقب أربت على القدماء
لله في الإصباح والإمساء
للمسلمين نصائح النصحاء
بالجود بين الناس خير ثناء
ذي فاقة ليبره بعباء
للسائلين له شروق ذكاء
لطفًا إلى الفقراء والضعفاء
وطوت مكارمه حديث الطائي
بذل الملوك ، وعيشة الفقراء
وكذا تكون مواهب الكرماء
أبدا ، ويهوى البخل بالبخلاء
قامت بنصر الدين في الهيحاء

لما أتوا بطلائع الأسراء
كم فك من عان بغير عناء؟
كالطم في أمم بغير مرء
والمغل عنهم نظرة للرائي
ترك النزول ، سواء عند مساء؟
وافي ، فكان النصر عند لقاء
بدمسارها من بعد طول بقاء
كالمسك فهو معطر الأرجاء
كبان ، دون قصائد الشعراء
ولى ، وعز على عزاه عزائي
في جنة الفردوس ، فهو رجائي
تبقى له أبداً بغير فناء

سل عنه غازانا ، وسل أمراء
والمغل قد ملكوا البلاد وأهلها
وكذا بشقحب التار قد أقبلوا
والمسلمون على النزول قد أجمعوا
من حرّض السلطان والأمرا على
قال اثبتوا فلکم دليل النصر قد
وأتى جبال الكسروان ، فأذنت
وله بكل مدينة ذكر أتى
سير [له]^(١) نظمها ، سارت بها الر
وإذا إمام المسلمين وشيخهم
أدعو إله العرش يجمع بيننا
وعليه من رب السماء تحية
تمت ، وهي اثنان وخمسون بيتاً .

وله أخرى على قافية القاف نحو خمسة عشر بيتاً تقدم ذكرها :

وقال الشيخ المؤلف - رحمه الله - : وقد رثى الشيخ - رضي الله عنه -

بقصائد كثيرة غير هذه ، وفيما ذكرنا كفاية .

والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مرثاة في شيخ الإسلام العالم الرباني أحمد بن تيمية الحراني ، للشيخ
شمس الدين الحنبلي ، من أهل الصالحية ومولده قريباً من سنة إحدى وسبعمائة
بسفح قاسيون :

خطب جسيم هائل جلل
والوقت قبض ، فلا صبر ، ولا جلد
والأمر معظم ، والأفكار حائرة
كأنما الشمس في جو السما كسفت
والجو في مآتم ، كالليل منظره
فدمعتي بدمي ، يا سعد ، قد مزجت
أمسي ، وأصبح والأحزان تكمدني
قد زادني أسفي ، واشتد بي جزعي / [ق/١٥٦]
وارحمتا لقلوب قطرت أسفا
وساءها فقد من كان الأنيس لها
يا باكيا طول الليل متحبا
زد في البكاء بدمع هاطل همل
واعلم بأن السما والأرض باكية
هذا الإمام التقي السيد [اللمعي] (٢) الب
حبر ، إمام ، تقي ، زاهد ، ورع
العلم ، والحلم والآداب : شيمته

قد عزمته العزا ، وبيضت المقل
أتى وصرف الليالي سابق عجل
وقد أحاطت بنا الأهوال والوجل
وضوؤها بائن عنها ومنفصل
كأن جنح الدجى في الليل منسبل
كأنما في فؤادي النار تشتعل
وحسرتي بدوام الدهر [تصل] (١)
وأيقنت أن حياتي حثها الأجل
لقد عراها مصاب حادث جلل
وخاب عند رجاها القصد والأمل
لايعتريه على طول البكا ملل
عسى بدمعك حر الوجه ينغسل
على ابن تيمية ، والسهل والجبل
زارع ، اللوذعي الجامع ، الوجل
ليث همام ، حصور ، أوحد ، بطل
واللطف والجود والإحسان مكتمل

(١) كتب في هامش الأصل : «لعله متصل»

(٢) في هامش الأصل : «لعله اللمعي» .

والزهد منهجه ، والعلم والعمل؟
علومه أبحر ، والخلق تتهل
واليوم ، لا عوض عنه ، ولا بدل
وفي نهايته الإرشاد والجمل
ووثقًا ، مكتفى بالله ، متكل
ما أن يرى في البرايا مثله رجل
عنه ، وحاشاي أن يلهيني العذل
حرى عليك ، وعين دمعها هطل؟
ليبكين عليك الفقه والجدل
من البلاد بعلم أمره شكل
وتشتكي فقدك الأسحار والأصل
إذ عن جناب حماك الرجب ما عدلوا
فأنت في الناس مضروب بك المثل
فأنت مفتي الورى في كل ما جهلوا
بحر المحيط بكل الأرض مشتمل
ليثًا تصول ، ومن ألفاظك الأسل
أهل الحديث بما قالوا وما نقلوا
على عمر الليالي ، ليس ينفصل
أجبت أربابها عن كل ما سألوا؟
بمخرقات علوم عنك تنتقل
وكنت فيها بأمر الله تستطل؟

ماذا يقول فصيح في مناقبه
لقد حبى الله أيام الزمان به
قد كان كالشمس للدنيا إذا طلعت
نال الهداية في مبدا هدايته
قد كان معتصمًا بالله متصرا
لله در أبي العباس من رجل
تالله لا عاذل بالعذل يعدلني
يا سيد العصر كم خلفت من كبد
ليبكين عليك العلم من أسف
ليبكينك أقوام إذا وفدوا
لتبكينك دار كنت تسكنها
فازوا بعلمك أقوام ، وقد سعدوا
وشاع ذكرك في الدنيا بأجمعها
دانت لعلمك أهل الأرض قاطبة
شبهت علمك بالبحر المحيط : كما ال
وإن تكن في مجال الدرس كنت به
تروي الخلاف وتأتي بالأصول وعن
وذكر علمك في الآفاق منتشر
كم قد أتتك فتاوى لا عداد لها
وكم أجبت النصارى عن مسائلهم
وكم قمعت ، فدتك النفس من بدع

وكم تواضعت عن علم ومعرفة
لقد رويت من الآثار أوضحها
من ذا يضاهايك فيما قد خصصت به
قد كنت أعجوبة في الدهر مدهشة
وكان يومك يوماً آمناً عجيباً
والخلق لا يهتدوا من عظم ما ازدحموا
يا رحمة نزلت في الأرض وانتشرت
سقت ثراك الغواصي طيب وابلها
كما حببت بدار الخلد منزلة
وتاجك النور والنعلان من ذهب
قل للذي سره موت الإمام : لقد [ق/١٥٧]

أما علمت بأن الموت ما سلمت
أين الملوك وأبناء الملوك ، لقد
وعن قليل ترى الدنيا وقد رحلت
وليس يغني المسيء يوم اللقائهم
وإنما المتقي ترجى النجاة له
ولم يزل في قيام الدين مجتهداً
قل للآلى كتبوا عليه واجتهدوا
والله ، لست بمحص مدحه أبدا
عليه مني سلام الله ما صلحت
تمت ، وهي سبعة وخمسون بيتاً .

تقي ، وقدرك بالجوزاء منتعل
كما روتها الثقات السادة الأول
وبحر علمك منه العارض الهطل؟
وكان درسك فيه العقل ينذهل
والناس للنعش بالهامات قد حملوا
فكم دموع تراها وهي تنهمل
على جميع الذي في تربه نزلوا
كما ضريحك من تحت [الثرى]^(١) خضل
حللتها . وعليك الحللى والحلل
وهكذا عن فتى شيبان قد نقلوا
يكفيك جهلك يا من غره الأمل/
منه ملوك بني الدنيا ولا الرسل
صالت عليهم صروف الدهر فارتحلوا
فليس يغني ولايات ولا دول
إذا أثقلت ظهره الأوزار والزلل
لأنه خائف من ربه وجل
وإن خلا في الدياجي فهو مبتهل
إن الذي علموا بعض الذي جهلوا
ولو أتيت بما ضاقت به السبل
ورق على فنن ، في نوحها زجل

(١) في الأصل : «الرضا» ، وما أثبتته من المطبوع .

[بهامش الأصل : كذا وجدت في الأصل ، لم تعز هذه القصيدة] :

فقد قضى رجل ما مثله رجل
قد غار بحر علوم موجه العمل
سائر^(١) [أخبار رسل الله تتقل
ما في مقالاته ريب ولا زلل
وكم أزاح لنا من منكر عملوا
ولم يكن عنده في أمره ملل
[لم يَعْرُ أَيْنَ^(٢) ولا خوف ولا وجل؟
وكم أبان لهم أمراً له جهلوا؟
ما ليس يحمله سهل ولا جبل؟
والناس تصدر منه ثم ترتحل
على الجواد وكل الخلق قد نزلوا
قام الجميع ولم يأخذهمو كسل
هل أنت محمودٌ بالإسلام متصل؟
ومعقل الأنبياء ، عنها فارتحلوا
ونعشه فوق روس الخلق ينتقل
أولاهم نعمًا ما ليس تنحمل
وأرتجيه إذا ضاقت بي الحيل
يا أيها الناس كفوا قد قضى الأجل

يا قوم توبوا إلى الرحمن وابتهلوا
يا قوم واستغفروا الرحمن خالقنا
[روى أحاديث الصحيح وعنه
والعلم والحلم والزهد المكين ومن
كم بدعة قد محاها ثم أبطلها
كم قام في أمر دين الله مجتهداً
كم نار شر طفاها وهو مبتسم
كم أظهر الحق لما قل ناصره
كم طوق الناس في أعناقهم مننا
قد كان ذا مورد عذب لقاصده
من قبلهم جا إلى غازان مبتسما
حتى إذا جاءه والخلق تنظره
فقال جهراً له ، والخلق تسمعه :
قالت له : الشام ، يا محمود دار تقي
يكفيكم ما رأيتم من جنازته
إن كان فوق رءوس حملوه فقد
قد كنت أرجوه لي ذخراً وأمله
قد كان ذا رحل للناس كلهم

تمت وهي ثمانية عشر بيتاً .

(١) في هامش الأصل : « لا يستقيم وزن البيت والله أعلم » ، وفي المطبوع :

« روى صحاح الأحاديث مجمعة » .

(٢) بياض بالأصل وما أثبتناه من المطبوع .

بسم الله الرحمن الرحيم

من أصغر العباد، عبد الله بن حامد ، إلى الشيخ الإمام العالم العامل قدوة الأفاضل والأمثال، مجمل المجالس والمحافل ، المحامي عن دين الله والذاب عن سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والمعتمض بحبل الله الشيخ المبجل المكرم، أبي عبد الله ، أسبغ الله عليه نعمه ، وأيد بإصابة الصواب لسانه وقلمه، وجمع له بين السعادتين ، ورفع درجته في الدارين ، بمنه ورحمته .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

أما بعد :

فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ثم وافاني كتابك، وأنا إليك بالأشواق ، ولم أزل مسائلاً ومستخبراً الصادر والوارد ، عن الأنباء ، طاب مسموعها وأسر ما يسر منها .

وما تأخر كتابي عنك هذه المدة ، مللاً ولا خلا بالمودة ، ولا تهاوناً

[ق/١٥٨] بحقوق الإخاء / حاشى لله أن يشوب الإخوة في الله جفاء .

ولا أزال أتعلل بعد وفاة الشيخ الإمام (إمام الدنيا) ، رضي الله عنه بالاسترواح إلى أخبار تلامذته وإخوانه ، وأقاربه وعشيرته ، والخصيصين به، لما في نفسي من المحبة الضرورية التي لا يدفعها شيء على الخصوص، لما اطلعت على مباحثه واستدلالاته ، التي تنزل أركان المبطلين ، ولا يثبت في ميادينها سفسة المتفلسفين ، ولا يقف في حلياتها أقدام المبتدعين من المتكلمين .

وكنت قبل وقوفي على مباحث (إمام الدنيا) - رحمه الله - ، قد طالعت مصنفات المتقدمين ، ووقفت على مقالات المتأخرين من أهل الفلسفة ونظار أهل الإسلام، فرأيت منها الزخارف والأباطيل والشكوكات ، التي يأنف المسلم الضعيف في الإسلام ، أن يخطر بباله ، فضلاً عن القوي في الدين، فكان

يتعب قلبي ويحزني ما يصير إليه الأعظم من المقالات السخيفة ، والآراء الضعيفة التي لا يعتقد جوازها آحاد العامة .

وكنت أفتش على السنة المحضة في مصنفات المتكلمين أصحاب الإمام أحمد - رحمه الله - على الخصوص - لاشتهارهم بالتمسك بمنصوصات إمامهم في أصول العقائد ، فلا أجد عندهم ما [يكفي]^(١) .

وكنت أراهم يتناقضون ، إذ يؤصلون أصولاً يلزم فيها ضد ما يعتقدونه ، أو يعتقدون خلاف مقتضى أدلتهم ، فإذا جمعت بين أقاويل المعتزلة والأشعرية ، وحنابلة بغداد ، وكرامية خراسان ، أرى أن إجماع هؤلاء المتكلمين في المسألة الواحدة على ما يخالف الدليل العقلي والنقلي ، فيسؤني ذلك ، وأظل أحزن حزناً لا يعلم كنهه إلا الله ، حتى قاسيت من مكابدة هذه الأمور شيئاً عظيماً ، لا أستطيع شرح أسره .

وكنت ألتجئ إلى الله سبحانه وتعالى وأتضرع إليه ، وأهرب إلى ظواهر النصوص ، ألقى المعقولات المتباينة ، والتأويلات المصنوعة لنبو الفطرة عن قبولها .

ثم قد تشبثت فطرتي بالحق الصريح في أمهات المسائل ، غير متجاسرة على التصريح بالمجاهرة قولاً وتصميماً للعقد عليه ، حيث لا أراه مأثوراً عن الأئمة وقدماء السلف ، إلى أن قدر الله سبحانه وقوع مصنف الشيخ الإمام (إمام الدنيا) - رحمه الله - في يدي ، قبيل واقعته الأخيرة بقليل ، فوجدت ما بهرني من موافقة فطرتي لما فيه ، وعزو الحق إلى أئمة السنة وسلف الأمة ، مع مطابقة المعقول والمنقول ، فبهت لذلك ، سروراً بالحق وفرحاً بوجود الضالة التي ليس لفقدائها عوض ، فصارت محبة هذا الرجل - رحمه الله - محبة ضرورية ، يقصر

(١) في هامش الأصل كتب : «يشفي» .

عن شرح أفلها العبارة ، ولو أطنبت ، ولما عزمت على المهاجرة إلى لقيه ،
وصلني خبر اعتقاله ، وأصابني لذلك المقيم المقعد .

ولما حججت سنة ثمان وعشرين [وسبعمائة]^(١) صممت العزم على السفر
إلى دمشق ، لأتوصل إلى ملاقاته ببذل مهما أمكن من النفس والمال للتفريج
عنه ، فوفاني خبر وفاته - رحمه الله تعالى - مع الرجوع إلى العراق قبيل
وصول الكوفة ، فوجدت عليه ما لا يجده الأخ على شقيقه ، واستغفر الله/ بل [ق/١٥٩]
ولا الوالد الثاكل على ولده ، وما دخل على قلبي من الحزن لموت أحد من الولد
والأقارب والإخوان ، وكما وجدته عليه ، رحمه الله تعالى ، ولا تخيلته قط
في نفسي ، ولا تمثلته في قلبي إلا ويتجدد لي حزن ، قديمه كأنه محدثه .

ووالله ما كتبتها إلا وأدمعي تتساقط عند ذكره أسفاً على فراقه ، وعدم
ملاقاته ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .
وما شرحت هذه النبذة من محبة الشيخ - رحمة الله تعالى عليه - إلا
ليتحقق بعدي عن الملك الموهوم .

لكن لما سبق الوعد الكريم منكم ، بإنفاذ فهرست مصنفات الشيخ - رضي
الله عنه - وتأخر ذلك عني ، اعتقدت أن الإضراب عن ذلك نوع تقية ، أو لعذر
لا يسعني السؤال عنه ، فسكت عن الطلب ، خشية أن يلحق أحداً ضرر ،
والعياذ بالله ، بسببي لما كان قد اشتهر من تلك الأحوال ، فإن أنعمتم بشيء من
مصنفات الشيخ - رحمه الله تعالى - كانت لكم الحسنة عند الله تعالى علينا
بذلك ، فما أشبه كلام هذا الرجل بالتبر الخالص المصفى ، وقد يقع في كلام
غيره من الغش والشبه المدلس بالتبر ، ما لا يخفى على طالب الحق ، لحرص
وعدم هوى .

(١) من المطبوع .

ولا أزال أتعجب من المتسبين إلى حب الإنصاف في البحث، المزين على أهل التقليد المعقولات التي يزعمون أن مستندهم الأعظم الصريح منها، كيف يباينون ما أوضحه من الحق ، و كشف عن قناعه ، وقد كان الواجب على الطلبة شد الرحال إليه من الآفاق ، ليروا العجب .

وما أشبه حال المباينين له ، من المتسبين إلى العلم ، الطالبين للحق الصريح الذي أعياهم وجدانه -بحال قوم ذبحهم العطش والظمأ في بعض المفاظات ، فحين أشرفوا على التلف ، لمع لهم شط كالفرات ، أو دجلة أو كالنيل ، فعند معايتهم لذلك ، اعتقدوه سرايا ، لا شرابا ، فتولوا عنه مدبرين ، فتقطعت أعناقهم عطشاً وظمأ ، فالحكم لله العلي الكبير .

وما أرسلنا الكتب المقابلة من إحدى الطرفين ، ففيه تعسف ، وتمهدون العذر في الإطناب ، فهذا الذي ذكرته من حالي مع الشيخ كالقطر من بحر ، وإن أنعمتم بالسلام على أصحاب الشيخ وأقاربه ، كبيرهم وصغيرهم ، كان ذلك مضافاً إلى سابق إنعامكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأنتم في أمان الله ورعايته .
والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

تسليماً .

* * *

قال الشيخ الإمام العلامة زين الدين ، أبو حفص ، عمر بن المظفر بن عمر
ابن محمد بن أبي الفوارس ، بن علي بن الوردي ، الشافعي - رضي الله عنه -
يرثي شيخ الإسلام ، تقي الدين ابن تيمية - رضي الله عنه :-

عتا في عرضه قوم سلاط
تقي الدين أحمد خير حبر
توفي وهو مسجون فريد
ولو حضوره حين قضى لألفوا
قضى نحبًا وليس له قرين/ [ق/١٦٠]

لهم من نثر جوهره التقاط
خروق المعضلات به تخاط
وليس له إلى الدنيا انبساط
ملائكة النعيم به أحاطوا
ولا لنظيره لف القمطاط
وحل المشكلات به يناط
وينهي فرقة فسقوا ولاطوا
بوعظ للقلوب هو السياط
وبالله ما غطى البلاط
مناقبه فقد فسقوا وشاطوا
ولكن في أذاه لهم نشطاط
وعند الشيخ بالسجن اغتباط
فقد ذاقوا المنون ولم يواطوا
نجوم العلم أدركها انهباط
فشك الشرك كان به يماط
فإن الضد يعجبه الخباط
يرى سجن الإمام فيستشاط
ولا وقف عليه ولا رباط
ولم يعهد له بكم اختلاط

ففيهم سجنتموه وغضتموه
وسجن الشيخ لا يرضاه مثلي
أما والله لولا كتم سري
وكننت أقول ما عندي ولكن
فما أحد إلى الإنصاف يدعو
سيظهر قصدكم يا حابسيه
فها هو مات عنكم، واسترحتم
وحلوا واعقدوا من غير رد

أما لجزا أذيته اشتراط؟
ففيه لقدر مثلكم انحطاط
وخوف الشر لا تخل الرباط
بأهل العلم ما حسن اشتطاط
وكل في هواه له انخراط
ونيتكم إذا نصب الصراط
فعاطوا ما أردتم أن تعاطوا
عليكم وانطوى ذاك البساط

تمت والحمد لله رب العالمين.



مرثية في الشيخ تقي الدين أبي العباس ، أحمد بن تيمية - قدس الله

روحه:-

نجل رئيس فاضل حبر تقي
لفراقه فرقا، وزاد تقلقي
تنقض مني مهجتي بتحراقي
ومدامعي من بعده لا ترتقي
أبكي الدماء عليه حتى نلتقي
يا مقلتي سحي دمًا وترقرقي
فقليل ما لاقيت شيب مفرقي
وتقطعي لفراقه وتمزقي
متحدر سح السحاب المطبق
حتى أجدد ما مضى من موثقي
يحيا بها قلب الكئيب المشفق
يا ليت يوم فراقه لم يخلق
في حقه، ولكنك أول من بقي
ولأجل كأس من حمام قد سقى
وعلى مناصبها العلية يرتقي
لله در الطاهر الحبر التقي
فاسمع بهذا القول فيه وحقق
لكنه في الفضل آخر من بقي
هو في الأصول مفيدنا والمنطقي

لما نعى الشيخ الإمام المتقى
فاضت محاجر مقلتي ، يا حسرتي
زفرات أشواقي أكاد لحرها
وتركت من بعدي التقى بلوعة
متهتك الأستار ولهان الحشا
حزني عليه مدى الزمان تأسفا
يا قلب ذب أسفا عليه وحسرة
يا مهجتي ذوبي عليه صبا
يا مقلتي سحي بدمع هاطل
يا ليثني يوم الفراق حضرته
وأودع الوجوه المليح بنظرة
ما كان هنا عيشنا بحياته
لو كان يفدي ما بخلت بمهجتي
يا أهله ، لاتجزعوا لفراقه
فله جنان الخلد يسكنها غدا
هو شيخنا، ورئيسنا ، وإمامنا
إن قلت طود العلم فهو حقيقة/
يفتي بجمع مذاهب عن أربع
هو في القراءة أوحد في عصره

[ق/١٦١]

ورث الإمامة والعلوم ، فحقق
لله ما أجزاه من متصدق
وثناؤه فينا كمسك معبق
تجري لنا من علمه المتدفق
فاقطع بهذا القول فيه وصدق
من زاهد بر زكي متقي
فلك الفخار بسيد وموفق
ويغيثنا من فضله المغدودق
حسناً أعنه تفضلاً وتصدق
خير الأنام ومن لعرشك يرتقي
بكرامة فلأنت أكرم ملحق

شيخ الطريقة والحقيقة عارف
متصدق، متفضل، متطول
قد كان فينا وإبلاً نحياً به
قد كان فينا جنة أنهارها
قد كان فينا سيداً من سيد
يا قبره يهنيك ما قد حزته
قد صرت جنة روضة بحلوله
فالله يرحمه ويجبر كسره
واجبر بعفوك ناظماً لقريضها
ثم الصلاة على النبي محمد
وألحق به الآل الكرام وصحبه

تمت والحمد لله رب العالمين.

* * *

مرثية في شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية ، من نظم الشيخ شهاب الدين أحمد بن فضل الله - رحمهما الله تعالى ورضي عنهما- :

أهكذا في الدياجي يحجب القمر
أهكذا تمنع الشمس المنيرة عن
أهكذا الدهر ليلاً كله أبدا
أهكذا السيف لاتمضي مضاربه
أهكذا القوس ترمي بالعرء وما
أهكذا يترك البحر الخضم ولا
أهكذا بتقي الدين قد عبثت
إلى ابن تيمية ترمي سهام أذى
بدَّ السوابق متمد العباداة لا
ولم يكن مثله بعد الصحابة في
طريقه كان يمشي قبل مشيئته
فرد المذاهب في أقوال أربعة
لما بنوا قبله عليا مذاهبهم
مثل الأئمة قد أحيا زمانهم
إن يرفعوهم جميعاً رفع مبتدأ
أمثله بينكم يلقي بمضيعة
يكون ، وهو أماني لغيركم
والله ، لو أنه في غير أرضكم
مثل ابن تيمية ينسى بمجسه^(١)

(١) في المطبوع : بمجلسه .

مثل ابن تيمية ترضى حواسده
مثل ابن تيمية في السجن معتقل
مثل ابن تيمية يرمى بكل أذى
مثل ابن تيمية تذوى خمائله
مثل ابن تيمية شمس تغيب سدى
مثل ابن تيمية يمضي وما عبقت
مثل ابن تيمية يمضي وما نهلت
ولا تجاري له خيل مسومة
ولا تحف به الأبطال دائرة
ولا تعبس حرب في مواقفه
حتى يقوم هذا الدين من ميل
بل هكذا السلف الأبرار ما برحوا
تأس بالأنبياء الطهر، كم بلغت
في يوسف في دخول السجن منقبة
ما أهملوا أبداً بل أهملوا لمدى
أذهب المنهل الصافي وما نقعت
مضى حميداً ، ولم يعلق به وضر
طود من الحلم لا يرقى له فنن
بحر من العلم، قد فاضت بقيته
يا ليت شعري هل في الحاسدين له
هل فيهم لحديث المصطفى أحد

بحبسه، أو لكم في حبسه عذر؟
والسجن كالغمد وهو الصارم الذكر
وليس يجلي قذى منه، ولا نظر
وليس يلقط من أفنائه الزهر
وما تروق بها الأصال والبكر/ [ق/١٦٢]
بمسكه العطر الأردن والطرر
له سيوف ولا خطية سمر
وجوه فرسانها الأوضاح والغرر
كأنهم أنجم في وسطها قمر
يومًا، ويضحك في أرجائها الظفر
ويستقيم على منهاجه البشر
يبلى اصطبارهم جهدا ، وهم صبروا
فيهم مضرة أقوام، وكم هجروا
لمن يكابد ما يلقي ويصطبر
والله يعقب تأييداً وينتصر
به الظمأة ، وتبقى الحمأة الكدر
وكلهم وضر في الناس أو وذر
كأنما الطود من أحجاره حجر
فغاضت الأبحر العظمى، وما شعروا
نظيره في جميع القوم إن ذكروا؟
يميز النقد^(١) ، أو يروي له خبر؟

(١) في المطبوع : الفقد .

أو مثله من يضم البحث والنظر
كفعل فرعون مع موسى ليعتذروا
قدامنا وانظروا الجهال إن قدروا
فليقف الحق ما قالوا، وما سحروا
حتى يكون لكم في شأنهم عبر
فآمنوا كلهم من بعد ما كفروا
وليتهم نفعوا في الضيم أو نفروا
أو خائض للوغى ، والحرب تستعر
سهامه من دعاء عونيه القدر
على الشأم ، وطار الشر والشرر
طوائف كلها ، أو بعضها التتر
مثل النساء بظل الباب مستتر
أقام أطوادها ، والطود منفطر
فطالما بطلوا طغوا وما بطروا
حقا ، وللكوكب الدرّي قد قبروا
وإنما تذهب الأجسام والصور
يجري به وبما يهمي وتنهمر
لما قضيت قضى من عمره العمر
وزار معنك قطر كله قطر
حلو المرافف في أجفانه حور
تأسى المحاريب والآيات والصور

هل فيهم من يضم البحث في نظر
هلا جمعتم له من قومكم ملاً
قولوا لهم: قال هذا، فابحثوا معه
يلقي الأباطيل أسحار لها دهش
فليتهم مثل ذلك الرهط من ملاً
وليتهم أذعنوا للحق مثلهم
يا طالما نفروا عنه مجانبية
هل فيهمو صادق للحق مقوله
رمى إلى نحر غازان مواجهة
بتلّ راهط والأعداء قد غلبوا
وشق في المرج والأسياف مصلته
هذا وأعداؤه في الدور أشجعهم
وبعدها كسروال والجبال . وقد
واستحصد القوم بالأسياف جهدهم
قالوا: قبرناه قلنا إن ذا عجب
وليس يذهب معنى منه متقد
لم ييكة ندمًا من لا يصيب دما
لهفي عليك أبا العباس كم كرم
سقى ثراك من الوسمى صيبه
ولا يزال له برق يغـازلـه
لفقد مثلك ، يا من ماله مثل

يا وارثاً من علوم الأنبياء نهى
يا واحداً لست أستثني به أحدا
يا عالماً بنقول الفقه أجمعها
يا قانع البدع اللاتي تحييها/
ومرشد الفرقة الضلال نهجهم
ألم تكن للنصارى واليهود معا
وكم فتى جاهل غر أبنت له
ما أنكروا منك إلا أنهم جهلوا
قالوا بأنك قد أخطأت مسألة
غلطت في الدهر أو أخطأت واحدة
ومن يكون على التحقيق مجتهدا
ألم تكن بأحاديث النبي إذا
حاشاك ما شبه فيها ، وما شبه
عليك في البحث أن تبدي غوامضه
قدمت لله ما قدمت من عمل
هل كان مثلك من يخفى عليه هدى
وكيف تحذر من شيء تنزل به

أورثت قلبي ناراً وقدما الفكر
من الأنام ، ولا أبقني ولا أذر
أعنيك تحفظ زلات كما ذكروا؟
أهل الزمان وأهل البدو والحضر [ق/١٦٣]
إلى الطريق ، فما حاروا ولا سهروا
مجادلاً وهم في البحث قد حضروا
رشد المثال فزال الجهل والضرر
عظيم قدرك ، لكن ساعد القدر
وقد يكون فهلا منك تغتفر؟
أما أجدت إصابات فتعتذر؟
له الثواب على الحاليين ، لا الوزر
سئلت تعرف ما تأتي وما تذر
كلاهما منك لا يبقى له أثر
وما عليك إذا لم تفهم البقر
وما عليك بهم ذموك أو شكروا
ومن سمائك تبدو الأنجم الزهر
أنت التقى فماذا الخوف والحذر

تمت والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

* * *

وقال الشيخ الصالح العابد محمد أبو طاهر البعلبي الحنبلي، يمدح شيخ

الإسلام والمسلمين الإمام أحمد بن تيمية - رحمه الله ورضي عنه -:

يا ابن تيمية يا أفصح العلما
يا آية ظهرت في الكون باهرة
وكنت واسطة في عقده أبدا
جمعت منه الذي قد كان فرقه
وكنت أحرص خلق الله كلهم
ولست خبأ لئيمًا باخلا شرها
تعفو عن الجاهل الجاني وترحمه
ما زلت تغضب في ذات الإله ولم
فأنت حبر هدى أحيى الإله به
في رأس سبع مئين كنت قد وجبت
وكل شيء به جل الورى هلکوا
وكل وصف كمال في نظائره
كان المبرز في كل العلوم ، وقد
وكان حاوي صفات الخير أجمعها
لما أراد عداه دحضه دحضوا
أضحت عوائده تبدي فوائده
فهو التقى به أهل التقى ألفوا
وهو المحك الذي بان العباد به
ترى الغوى حزينًا ثم ، منقبضا

يا من لأسرار دين الله قد فهما
لازلت في سلك دين الله منتظما
تزيل منه الأذى والفحش والسقما
قوم رأوه هدى منه ، وكان عمي
على التآلف ، تعطي الفضل والنعما
لكن تقيا ، نقيًا ، سيد الكرما
وتكثر العدل والإنصاف للخصما
تكن لنفسك يا ذا الحلم منتقما
من دينه سننًا أماته الغشما
لك الإمامة يا مربى خلاصة العلما
فشيخنا ذو التقى من شره سلما
له خصائصه لا تقتضي العدم
أضحت له في ذرى أسنانها علما
قد جل في كل حالات التقى قدما
وزاده الله عزًا دائمًا ، وسما
على موائده في حضرة الحكما
وأبعد الله عنه المجرم الزنما
عرض بذكره مدحًا وانظر السیما
وتنظر المتقى قد سر مبتسما

فحبه نعمة فاز السعيد بها
فالحمد لله ، أهل الحمد ، خالقنا
عافى القلوب من الأسقام أجمعها
كم أفرجت كربة عنا بمتته
لا ترتجى غيره في رفع نازلة
ولا تكن بسواه عنه مشتغلا
وكن محبا له ساع بطاعته

وبغضه نقمةبها الشقي وسما
كم قد أفاض علينا في الورى نعمما
وعم بالجود من وفى ومن ظلما
وكم أعان وكم عفى وكم رحما/ [ق/١٦٤]
يبقى الهدى عنك والإحسان منصرما
لكي تنال التقى والفوز والكرما
فالسعي في غير هذا يورث الندما

تمت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله
وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

* * *

١	مقدمة المحقق
٤	المؤلفات المستقلة في سيرة شيخ الإسلام وعلومه
٩	توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه
١٠	وصف النسختين الخطيتين للكتاب
١٣	صور من النسخ المخطوطة
٢١	ترجمة المؤلف
٢٥	ثناء العلماء عليه
٢٨	مشايخه
٣٢	مؤلفاته
٣	مقدمة المؤلف
٣	نسب ابن تيمية
٤	مولده
٦	شيوخه
٢٤	مصنفاته
٧٥	ذكر ملخص الفتوى الحموية الكبرى
٨٨	ما يجب اعتقاده في الأسماء والصفات
٩٤	تلخيص مبحث جرى بين شيخ الإسلام وبين ابن المرحل
١٠٢	مقارنة بين الحمد والشكر

- مبحث في قوله تعالى: ﴿وَاحِلٌ لِّلَّهِ الْبَيْعُ﴾ ١٠٦
- كلام للحافظ الذهبي: في أن ابن تيمية له باع طويل في معرفة
مذاهب الصحابة والتابعين..... ١٠٩
- ما فعله الشيخ في نوبة غازان..... ١١٠
- صورة كتاب كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية في الحث على الجهاد ١١١
- فصل في الكلام على سورة الأحزاب..... ١٢٤
- ظهور كرامات لشيخ الإسلام في وقعة (شقحب)..... ١٤٦
- رسالة الشيخ إلى السلطان الملك الناصر..... ١٥١
- فصل..... ١٥٨
- موقف من مواقف الشيخ في إبطال حيل أهل الطرق الدجالين. ١٦٠
- محنة الشيخ وقيام المبتدعين عليه لتأليفه الحموية..... ١٦٢
- محنة الشيخ في دمشق..... ١٦٤
- إحضار الشيخ بمجلس نائب السلطنة ومناقشته في العقيدة... ١٦٧
- ملخص ما حصل للشيخ في تلك المجالس..... ١٦٩
- فصل: في المناظرة التي وقعت بحضرة نائب السلطان..... ١٨٣
- كتاب السلطان بإرسال الشيخ إلى مصر..... ١٩٣
- إرسال الشيخ كتاباً من سجنه إلى دمشق..... ١٩٥
- إخراج ابن مهنا الشيخ من الحب..... ١٩٦
- كتاب الشيخ إلى والدته وإلى غيرها..... ٢٠٠
- كتاب آخر للشيخ بعثه من مصر إلى دمشق..... ٢٠٢

- شكوى الصوفية الشيخ إلى السلطان وأمر بحبسه ٢٠٨
- ما ذكره البرزالي في حبس الشيخ بالإسكندرية ٢١١
- كتاب الشيخ شرف الدين إلى أخيه بدر الدين ٢١٣
- إحضار الشيخ من سجن الإسكندرية إلى القاهرة ٢١٧
- حلم الشيخ وعفوه عن من ظلمه ٢٢١
- كتاب الشيخ إلى أقاربه بدمشق ٢٢٢
- قيام جماعة من الغوغاء على الشيخ بجامع مصر ٢٢٤
- واقعة أخرى في أذى الشيخ بمصر ٢٢٧
- خروج الشيخ إلى الشام مع الجيش المصري ٢٢٨
- ترجمة الشيخ عماد الدين ابن شيخ الحزاميين ٢٢٩
- كتاب نفيس في الثناء على الشيخ ابن تيمية ٢٢٩
- فصل ٢٣٧
- فصل ٢٤٢
- فصل ٢٤٣
- فصل ٢٤٦
- فصل ٢٤٩
- فتاوى الشيخ بدمشق وبعض اختياراته التي خالفت فيها المذاهب
الأربعة أو بعضها ٢٥٢
- سجن الشيخ بسبب فتياه في الطلاق ٢٥٦
- الكلام على شد الرحال إلى القبور ٢٥٨

٢٥٩	أمر السلطان بحبس الشيخ بقلعة دمشق.
٢٦٠	صورة الفتيا في حكم السفر إلى زيارة القبور.
٢٦٩	انتصار علماء بغداد للشيخ في مسألة شد الرحال للقبور.
٢٧٢	جواب آخر في المسألة.
٢٧٨	جواب آخر لبعض علماء أهل الشام المالكية.
٢٨٤	وفاة الشيخ بالقلعة ، وما كتب بها قبل موته.
٢٨٥	وفاة الشيخ عبدالله أخي الشيخ.
٢٨٦	معاملة الشيخ في سجنه بالقلعة.
٢٨٩	ورقة أخرى مما كتبه الشيخ في السجن.
٢٩١	ما كتبه العلماء في وفاة الشيخ.
٢٩٥	أبيات بخط الشيخ قالها بالقلعة.
٢٩٦	قصيدة في مدح الشيخ لنجم الدين إسحق بن أبي بكر.
٣٠٠	صورة فتيا للشيخ في تقدير القدر.
٣٠٧	مراثي العلماء والشعراء لشيخ الإسلام ابن تيمية.

* * * *